العقد الثمين

في تاريخ البلد الأمين

للإمام
تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي

٧٧٥ — ٨٣٢ هـ

الجزء الأول

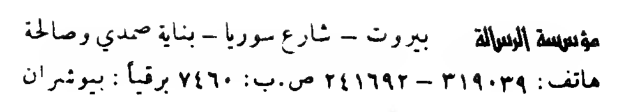
تحقيق
محمد حامد الفقي

مؤسسة الرسالة

الطبعة الثانية

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م





بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد ، وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

الحمد لله الذى أوسع لمن شاء من خلقه فى الرزق والأجل . وأسعف من أراد سهم بنيل الأمل . وأطاب عمن أحب منهم الثناء . وحكم على جميعهم - بعد الوجود - بالفناء .

أحمده على أن جعلنى من سكان الحرم ، وجيران بيته المكرم .

وأشهد أن لا إله إلا الله الذى جعل للحسنة بمكة فى الفضل مزية . وخصها ببيته الذى أوجب حجه واستقباله على البرية . وغفر لمن طاف به من الأنام ، ما اقترفه من الآثام .

وأشهد أن نبيه سيدنا محمداً أفضل من وقف بعرفة . وبات بمزدلفة . ورمى بمنى الجمار . وطاف بالكعبة العظيمة المقدار . صلى الله عليه وسلم ما صلى مصل خلف المقام . وجمع فى الحجر الأسود بين التقبيل والاستلام . ورضى الله عن آله وأصحابه ، الذين بهم أضاء الإسلام .

أما بعد : فإنى - لما وفقنى الله تعالى للاشتغال بالعلم - تشوفت نفسى كثيراً إلى معرفة تراجم الأعيان من أهل مكة وغيرهم ، ممن سكنها مدة سنين ، أو مات بها . وتراجم ولاة مكة ، وقضاتها وخطبائها ، وأئمتها ومؤذنيها ، من أهلها وغيرهم . وتراجم من وسّع المسجد الحرام أو عمّره ، أو عمر شيئاً منه ، أو من الأماكن الشريفة التى ينبغى زيارتها بمكة وحرمها ، أو عمل المآثر الحسنة الكائنة بمكة وحرمها - كالمدارس ، والربط ، والسقايات ، والبرك ، والآبار ، والعيون ، والمطاهر ، وغير ذلك من المآثر - لما فى معرفة ذلك من النفع التام ، عند ذوى الأفهام .

وفتشت عن تأليف فى ذلك ، فلم أر له أثراً . ولا سمعت عنه خبراً .

فعظم منى ـ لأجل ذلك ـ الألم . وسألت رب البيت والحرم : أن يسعفنى فيه ببلوغ المراد ، وأن يوفقنى فيه للسداد .

فقدر الله تعالى لى بالرحلة الثانية ، من مكة للديار المصرية والشامية .

فنظرت فيما وقع لى من التواريخ ، والطبقات ، والمعاجم ، والمشيخات ، والوفيات ، والتعاليق ، التى سنشير إليها . وغير ذلك من الكتب التى سنشير إليها قريباً .

فظفرت ببعض المراد . وعلق ذلك بذهنى . وقيدته ـ خيفة نسيانه ـ بالكتابة إذ هى قيد . لما رويناه عن أبى حمزة أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ، خادم النبى صلى الله عليه وسلم . وذلك :

فيما أخبرنى به : شيخنا العلامة المفتى المصنف ، أبو حفص عمر بن الإمام أبى الحسن على بن أحمد بن محمد الأنصارى ، الأندلسى ، ثم المصرى الشافعى ـ بقراءتى عليه بالقاهرة فى الرحلة الأولى ـ وآخرون بمكة ، وديار مصر والشام. قالوا :

أخبرنا أحمد بن على بن أيوب المشتولى . قال : أخبرنا النجيب عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحرانى . قال : أخبرنا أبو طاهر المبارك بن المبارك بن المعطوش الحريمى . قال : أخبرنا أبو الغنائم محمد بن محمد بن المهتدى بالله . قال : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد الحنبلى . قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إبراهيم البزار . قال : أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكَجِّى[1] قال : أخبرنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأنصارى . قال : حدثنى أبى عن عمه ثمامة بن

---

(١) بفتح الكاف وتشديد الجيم المكسورة : نسبة إلى « الكج » وهو الجص بالفارسية . قال ابن طاهر المقدسى : سمعت أبا القاسم الشيرازى يقول إنما لقب بالكجى لأنه كان يبنى داره بالبصرة . فكان يقول : هاتوا الكج ، وأكثر من ذلك . فلقب بالكجى . ويقال : الكشى بالشين مثلثة . الأنساب للسمعانى .

عبد الله بن أنس : أن أنسا رضى الله عنه كان يقول لهم « يا بَنِيَّ ، قيدوا العلم بالكتاب » .

وكنت كتبت ما تيسر لى من ذلك ، من غير ترتيب ولا تهذيب . ثم رغبت فى ترتيبه وتهذيبه ، ليسهل نفعى به ، ويكون تاريخاً على النمط الذى قصدته ، وإن لم يف بما أردته .

فرتبت ماظفرت به من التراجم ، على ترتيب حروف المعجم ـ خلا المحمدين والأحمدين ـ فإنهم مقدمون على غيرهم ، لشرف هذين الاسمين على غيرهما من الأسماء .

وأضفت إلى هذه التراجم : ما كان منها على ذهنى من قبل . وهى تراجم جماعة لم أدركهم ، وتراجم جماعة أدركتهم ، ملاءمة للتراجم التى ظفرت بها ، تكملة للفائدة .

وذكرت فى أثناء كثير من التراجم : أحاديث ، وآثاراً ، وحكايات ، وأشعاراً ، اقتداء بأئمة الحديث الأخيار .

وبدأت ـ قبل التراجم ـ بذكر شىء من سيرة نبينا المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، على وجه الاختصار . تبركا بذلك . وتشريفاً لهذا التأليف بذكره صلى الله عليه وسلم فيه . مع ما فى ذلك من المناسبة المقتضية لذكره صلى الله عليه وسلم فى هذا التأليف ، باعتبار كونه من البلد الأمين ، وسيادته للخلق أجمعين

وبدأت فى هذه التراجم بتراجم الرجال ، الذين أسماؤهم معروفة .

ثم بعد انقضاء تراجمهم : أتبعتها بباب فيه تراجم الرجال المعروفين بكُناهم . ممن عرف بكنيته ولم يعرف له اسم ، أو عرف اسمه ولكن اختلف فيه .

وذكرت معهم أناساً مشهورين بكناهم ، وأسماؤهم معروفة . ليس فيها اختلاف ، إلا فى يسير منها .

وهؤلاء لم أترجمهم ـ كما ترجمت المذكورين فى هذا الباب ـ لتقدم تراجمهم

فى محلها من الكتاب . وإنما أذكر كنية الإنسان منهم ، وما يعرف به ، من نسبته إلى قبيلة أو بلد . ثم أذكر اسمه واسم أبيه وجده فى الغالب .

وقد ترجمت بعضهم لفائدة زائدة .

وذكرت فى آخر هذا الباب أربعة فصول .

الأول : فيمن اشتهر بلقبه ، مضافا إلى الدين . مثل : محب الدين ، وغيره من الألقاب .

والثانى : فيمن اشتهر بالنسبة إلى أبيه أو جده . مثل ابن جريج ، وابن أبى حَرَمى ، وشبه ذلك .

والثالث : فيمن اشتهر بالنسبة إلى قبيلة أو بلد ، أو لقب مفرد . مثل : الإخشيد .

وكل من ذكرناه فى هذه الثلاثة الفصول : ذكرناه على صفة من ذكرناه فى هذا الباب ، ممن اشتهر بكنيته ، ولم يختلف فى اسمه إلا قليلا .

ولن أستوعب فى هذه الفصول كل ما فى هذا الكتاب . وإنما ذكرت فى كل فصل نبذة كبيرة تناسبه .

وكل من ذكرته فى هذه الثلاثة الفصول : ذكرته فيما سبق من الأسماء فى محل يناسبه . وموجب ذكرى لهم فى هذا الباب ـ وكذا من ذكرته فيه ممن اشتهر بكنيته . ولم يختلف فى اسمه إلا قليلا ـ : أن ذلك يهتدى به إلى كشف أسمائهم من لا يعرف أسماءهم . وإنما يعرف الإنسان منهم بكنيته ، أو لقبه المضاف إلى الدين ، أو بالنسبة إلى أبيه أو جده . أو إلى قبيلة أو بلد .

والفصل الرابع : فيمن اشتهر بالنسبة إلى أبيه أو جده ، ولم أعرف اسمه . أو اشتهر بصفة . مثل : أسود ، أو شاب ، أو شاعر .

ثم أتبعت هذا الباب بتراجم النساء المعروفات بأسمائهن . ثم بتراجم النساء المعروفات بكناهن ، ممن لم يعرف لها اسم . أو عرف اسمها ، ولكن اختلف فيه .

وذكرت معهن نسوة مشهورات بكناهن ، وأسماؤهن معروفة . ليسهل بذلك الكشف عن أسمائهن .

ثم أتبعت ذلك بنسوة لا تعرف أسماؤهن . وإنما يعرفن بالنسبة إلى آبائهن وغير ذلك .

وسميت ذلك :

العِقْدُ الثَّمِين
فى تاريخ البَلَدِ الأمِين

وجعلت فى أول هذا الكتاب مقدمة .

فيها : ذكر « مكة » المشرفة ، وحكمها فى البيع والإجارة ، وأسمائها وحرمها . وشىء من الأحاديث الدالة على حرمة ذلك . وشىء من المسائل المختصة بذلك . وشىء من الأحاديث الدالة على أفضلية « مكة » على غيرها من البلاد . وحكم المجاورة بها ، والموت فيها ، وفضل أهلها . وشىء من أخبار « الكعبة » المعظمة ، وفضائلها ، وفضائل الحجر الأسود ، والركن اليمانى . وفضائل الأعمال المتعلقة بها . كالطواف بها ، والنظر إليها . والحج والعمرة ، وغير ذلك . وشىء من أخبار الحجر الأسود ، وملتزم الذمام ، والمستجار والحطيم . والمقام مقام الخليل عليه السلام . وحِجْر النبى إسماعيل عليه السلام . وما جاء فى استجابة الدعاء فى هذه الأماكن وغيرها بمكة وحرمها .

وذكر مواضع حول الكعبة ، صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم :

وذكر شىء من أخبار المسجد الحرام ، وزمزم ، وسقاية العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . والأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها . وأماكن أخر لها تعلق بالمناسك .

وما بمكة من المدارس ، والربط والسقايات ، والبرك المسبّلة ، والآبار ، والعيون ، والمطاهر ، وغير ذلك من المآثر . وما فى حرمها من ذلك .

وأخبار جاهلية ، وأخبار إسلامية ، لها تعلق بمكة وأهلها والحجاج .

وما علمته من ولاة مكة فى الإسلام ، على سبيل الإجمال .

وهذه المقدمة لخصتها من تأليفى المسمى « شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام » الذى جمعت فيه : بين ما ذكره الأزرقى — من أخبار عمارة الكعبة المعظمة ، وخبر حليتها ، ومعاليقها وكسوتها ، وخبر الحجر الأسود . والحجر — بسكون الجيم — والمقام ، والمسجد الحرام ، وزمزم ، وسقاية العباس ، والصفا ، والمروة ، وحدود الحرم . والأماكن المباركة بمكة المشرفة وحرمها ، المعروف بعضها بالمسجد ، و بعضها بالدور ، و بعضها بالمواليد . وأمطار مكة فى الجاهلية والإسلام ، وغير ذلك — و بين ما كان بعد أبى الوليد الأزرقى ، من الأخبار الملائمة لذلك كله ، لما فى ذلك من كمال الفائدة .

وفيه فوائد أخر ، لم يذكرها الأزرقى ، مع إمكانه لذكر بعضها . وكما هو مذكور فى التأليف المشار إليه .

ولم يعن الأزرقى بجمع ولاة مكة فى الإسلام . وما ذكر من المسائل والمآثر ، والأخبار الإسلامية إلا يسيراً جداً ، بالنسبة إلى ما ذكرته . وذكر كثيراً من الأخبار الجاهلية .

وسبب جمعى له : أن نفسى تشوفت أيضاً كثيراً إلى معرفة ما كان بعد أبى الوليد الأزرقى : من أخبار هذه الأمور ، و إلى معرفة ماوقع بعده من الأوقاف بمكة على الفقهاء والفقراء ، وغير ذلك من المدارس والربط ، وغير ذلك .

فعرفت من ذلك طرفاً جيداً . بعضه من كتب التاريخ التى نظرتها لأجل التراجم . و بعضه من أحجار ورخام وأخشاب مكتوب فيها ذلك ثابتة فى بعض الأماكن المشار إليها . و بعضه علمته من أخبار الثقات . و بعضه شاهدته .

وعلقت ذلك فى أوراق مفردة خيفة نسيانه من غير ترتيب . ثم بدا لى تأليف ذلك ، مع ملاءمة من الأمور التى ذكرها الأزرقى . ففعلت ذلك .

وإنما جعلت هذه المقدمة مع التراجم المشار إليها ، ليحصل للناظر فى ذلك معرفة ما اشتملت عليه المقدمة ، مع معرفة التراجم .

ولما سمع الأصحاب بجمعى لهذا الكتاب : كثر اشتياقهم إليه ، وعظمت رغبتهم فى الوقوف عليه ، للإحاطة بفوائده ، واستطراق فرائده . وألحوا عليّ فى أن أبيضه لهم . فلم يسعنى معهم إلا امتثال أمرهم . وكنت ترددت فى ذلك ، لعدم وفائه بالمقصود . ثم قلت : لا لوم على المقل فى بذل المجهود .

وسبب هذا الإخلال : أن مكة ليس لها تاريخ على هذا المنوال . لأنى لا أعلم أحداً جمع لمكة تاريخاً إلا الأزرقى ، والفاكهى . وشريف — يقال له « زيد بن هاشم بن علي بن المرتضى ، العلوى الحسنى » — هكذا نسبه الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الميورقى ، فيما وجدت بخطه . وترجمه بوزير مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

فأما الأزرقى ، والفاكهى : فلم يعنيا إلا بما يلائم ما فى مقدمة هذا الكتاب من أخبار الكعبة ، والمسجد ، وشبه ذلك .

وأما زيد المذكور : فما عرفت : هل تاريخه تراجم ، أو حوادث ؟ مثل ما ذكرناه من الفتن التى كانت بمكة فى الإسلام ، وأخبار المطر ، والفناء ، والغلاء والرخص . وهذا إلى ظنى أقرب .

وسبب عدم معرفتى لما اشتمل عليه كتاب زيد المذكور : أنى لم أقف عليه . وإنما علمت ذلك من رسالة كتبها زيد لسيدى أبى العباس الميورقى ، رأيتها فى كتاب الجواهر — لابن شاش المذكور — بخط الميورقى فى وقفه بوَجِّ الطائف .

وفيها مكتوب بعد البسملة :

زيد بن هاشم بن علي . ثم قال :

و بعد : فقد خدم بها الضعيف فى الثلاثاء ، منتصف شعبان . و بخط الميورقى ـ فوق شعبان ـ من سنة ست وسبعين وستمائة . وذكر أشياء . ثم قال :

وقد خطر للضعيف ـ مع المتاعب التى يعانيها من كل وجه ـ إثبات تواريخ لمكة المعظمة . وقد أثبت منه إلى الآن : نحو خمس كراريس . انتهى .

وأظن أنى رأيت بخط بعض أصحابنا من حفاظ الحديث : أن لعمر بن شَبَّه تأليفاً فى أخبار مكة .

وأظن أنى رأيت فى بعض التواريخ : ما يقتضى أن للحافظ محب الدين ابن النجار البغدادى ـ صاحب ذيل تاريخ بغداد ـ مؤلفاً فى أخبار مكة . وأظن أن ذلك على نمط التاريخ الذى ألفه لمدينة النبى صلى الله عليه وآله وسلم . وتاريخه للمدينة ليس فيه تراجم . و إنما فيه خبر المسجد النبوى ، وما فى المدينة من المساجد النبوية ، والآثار الشريفة ، وشبه ذلك .

وأظن أن كتاب عمر بن شَبَّه فى أخبار مكة ـ إن صح مارأيته فى ذلك ـ على نمط تاريخ الأزرقى ، والفاكهى . والله أعلم منى .

أما فضائل مكة للجندى : فهو على نمط تاريخ الأزرقى والفاكهى .

وكذلك أخبار مكة لرَزين العبدلى[1] صاحب الجمع .

و إنى لأعجب من إهمال فضلاء مكة فى جمع تاريخ لها على المنوال الذى جمعته، خصوصاً من الشيخ قطب الدين القسطلانى . لأنه جمع شيئاً يتعلق بتاريخ اليمن . ولعمرى لو جمع ذلك لبلده كان أحسن . فإن الحاجة إليه داعية . وفى ذلك فوائد غير خافية . وعليه مضى الأئمة من أهل مصر ، والشام و بغداد ، وغير ذلك من البلاد ، كتاريخ بغداد للخطيب ، وذيوله لابن السمعانى ، وابن الدُّبَيْثى ،

(١) بهامش الأصل ـ بخط الحافظ ابن فهد ـ كتاب رزين ملخص من تاريخ الأزرقى ، كما ذكر المؤلف فى ترجمة رزين من هذا الكتاب .

والقطيعى ، وابن النجار ، وابن رافع وغيرهم . وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ مصر للقطب الحلبى ، وغير ذلك .

فإن قيل : لعل الحامل لمن أهمل من فضلاء مكة التأليف فى هذا المعنى المشار إليه : تخيلهم العجز عن الوفاء بالمقصود فى هذا الأمر ، لعدم الاحاطة بالمقصود .

فالجواب : أن هذا العذر حق ، ولكن يلزم من اعتمده محذور . وهو أن المعلوم عندهم يصير مجهولا عند من بعدهم كما جرى . واللائق فى هذا : إثبات المعلوم و إن قل .

وقد قيل فى ذلك : ما أنشدتناه مسندة العصر أم عبد الله عائشة بنت المحتسب محمد بن عبد الهادى الصالحية ـ بقراءتى عليها ـ فى الرحلة الرابعة ، عن أبى العباس أحمد بن أبى طالب الحجار ـ إجازة ، إن لم يكن سماعاً . وتفردتُ فى الدنيا بالسماع منه ـ أن أبا الحسن محمد بن عمر القطيعى أنبأنا ، قال : أنشدنى على بن أحمد الواسطى المقرئ ، قال : أنشدنى أبو جعفر هبة الله بن السوقى ، قال : أنشدنا أبو الحسن العمرانى ، قال :

افعل الخير ما استطعت . وإن كا ن قليلا . فلن تطيق لكله

ومتى تفعل الكثير من الخير إذا كنت تاركاً لأقله ؟

وأسأل من كل من وقف على هذا الكتاب : المسامحة عما فيه من التقصير ، و إصلاح مافيه من الغلط بعد التحرير . وسبب الغلط ـ فى الغالب ـ النسيان . وقد جبل عليه كل إنسان .

وسبب التقصير : ماذكرته ، من أنى لم أر مؤلفاً فى المعنى الذى قصدت جمعه فأستضىء به . و إنما ظفرت من ذلك بأشياء قليلة مفرقة ، بذلت فى تحصيلها جهدى لأنتفع بها ، والمعاصرون لى ، ومن بعدى .

و بسبب إهمال التأليف فى ذلك : حصل الجهل بكثير من التراجم ، و بما وقع

بعد الأزرقى والفاكهى من الأمور التى قصدا جمعها فى كتابيهما ، و بكثير مما ذكراه فى كتابيهما . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأسأله المغفرة لى ولمن قَبِل منى هذه المعذرة . ولله دَرُّ القائل « والعذر عند كرام الناس مقبول » .

* * *

وقد اشتمل : هذا الكتاب على علامات . وهى (خ) للبخارى . ولمسلم (م) ولأبى داود (د) وللترمذى (ت) وللنسائى (س) ولابن ماجه القزوينى (ق) .

فإن اتفقوا على الإخراج لشخص : فالعلامة عليه (ع) هكذا . وإن اتفق الأربعة أصحاب السنن على شخص : فالعلامة عليه (عا) هكذا . ومن ذكره محمد ابن سعد كاتب الواقدى فى طبقاته : أنه مكى ، فالعلامة عليه (سع) هكذا . ومن ذكره مسلم صاحب الصحيح فى طبقاته : أنه مكى ، فالعلامة عليه (مس) هكذا . ومن ذكره ابن حبان فى ثقاته : أنه مكى ، فالعلامة عليه (حب) هكذا .

وذكرت جماعة من الصحابة ، لم يذكرهم المذكورون فى المكيين ، مع كونهم ذكروهم فى غير أهل مكة لسكناهم غيرها .

وسبب ذكرى لهم كونهم مكيين : لأن مكة دارهم بلا ريب . وسكناهم غيرها : إنما كان بأَخَرَة . ولا يخرجهم ذلك عن كونهم مكيين . وهم الصحابة رضى الله عنهم من قريش وأبناؤهم . و إن لم يثبت لبعض الأبناء صحبة ، أو ولد بغير مكة . لأنهم تبع لآباءهم .

وكذلك الصحابة من بنى كِنانة وخُزاعة ، لمشاركتهم قريشاً فى الدار — وهى مكة أو باديتها — على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وإن كانوا عُدوا مع غير أهل مكة . لأن المعنى فى عدهم مع غير أهل مكة : ما ذكرناه فى قريش .

وكذلك الصحابة من موالى قريش وكنانة وخزاعة . لأنهم فى حكمهم .

وكذلك الصحابة من حلفاء قريش .

وكذلك الصحابة من أهل الطائف من ثقيف ومواليهم ، ومن غيرهم . لأن الطائف من عمل مكة من قديم الزمان حتى الآن .

فأما مشاركة بنى كنانة وخزاعة لقريش فى الدار : فسيأتى فى مقدمة هذا الكتاب أخبار تدل لذلك .

ونشير هنا لشىء منها :

فمن الأخبار الدالة على اشتراك قريش وكنانة فى النزول ببادية مكه : قول ابن إسحٰق فى السيرة ـ تهذيب ابن هشام ـ لما ذكر ولاية غُبْشان من خزاعة للكعبة ، دون بنى بكر بن عبد مَناة « وقريش إذ ذاك حُلول وصِرْم[1] وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة » انتهى .

__ووجه الدلالة__ من هذا الكلام : أنه يقتضى أن قريشاً كانوا نزولا مع قومهم من كنانة ، حين انفراد غبشان من خزاعة بولاية الكعبة ، والمنازل التى كانت تنزل بها كنانة وقريش إذ ذاك : خارج الحرم . لأن أول عربى نزل الحرم بقومه : هو قُصَى بن كلاب ، على ما ذكره الفاكهى فى خبر قصى . لأنه قال :

وحدثنا الزبير بن أبى بكر قال : قال أبو الحسن الأثرم ، قال أبو عبيدة ، قال محمد بن حفص « قدم رَزاح ، وقد نَفَى قصىٌّ خزاعة . وقال بعض مشيخة قريش : إن مكة لم يكن بها بيت فى الحرم . إنما كانوا يكونون بها ، حتى إذا أمسوا خرجوا لا يستحلون أن يصيبوا فيها جنابة . ولم يكن بها بيت قائم . فلما جمع قصى قريشاً ـ وكان أدهى من رؤى من العرب ـ قال لهم : أرى أن تصبحوا بأجمعكم فى الحرم حول البيت . فوالله لا تستحل العرب قتالكم ، ولا يستطيعون إخراجكم منه ، وتسكنونه ، فتسودوا العرب أبداً .

(١) « الحلول » جماعات البيوت و « صرم » الجماعات المتقطعة

فقالوا له : أنت سيدنا . رأينا لرأينك تبع .

فجمعهم . ثم أصبح بهم فى الحرم حول البيت . فمشت إليه أشراف كنانة .

وقالوا : إن هذا عند العرب عظيم ، ولو تركناك ماتركتك العرب .

فقال : والله لا أخرج منه . وثبت » انتهى .

ومن ذلك : قوله بعد ذلك — بعد أن ذكر ما رأى قصى — من أنه أولى بالكعبة ، و بأمر مكة من خزاعة و بنى بكر — « فكلم رجالا من قريش و بنى كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة و بنى بكر من مكة . فأجابوه » .

ووجه الدلالة من هذا : أن كلام قصى لكنانة ، فيما طلب ، وإجابتهم له : يقتضى قربهم منه فى الدار .

وسيأتى إن شاء الله تعالى ما يوافق ذلك .

ومن ذلك : قول ابن إسحاق فى خبر قصى « فولى قصى البيت وأمرَ مكة . وجمع قومه من منازلهم إلى مكة » انتهى .

ووجه الدلالة من هذا : أنه يقتضى أن قصياً جمع قومه إلى مكة . وكنانة من قومه . فيكونون ممن جمعهم إلى مكة .

ولا يعارض ذلك قوله — فى الخبر الذى ذكره الزبير « فمشت إليه أشراف كنانة . وقالوا : هذا عند العرب عظيم » — لإمكان أن يكونوا قالوا له ذلك ليرجع عن فعله ، لكونهم لا يألفونه . فلما رأوه لم يرجع وثبت : سكنوا معه فيه ، لما فى ذلك من تحصنهم . و بقاء الألفة بينهم و بينه ، لما يخشونه من حصول ضرر بهم فى المفارقة فى افتراقهم عنه . والله أعلم .

و بتقدير أن لا تكون كنانة انتقلت مع قصى إلى الحرم : فهم على منازلهم التى كانوا ينزلونها مع قريش ، قبل أن تنتقل قريش عنهم إلى الحرم . ولم يرد خبر بخروج كنانة عن منازلها ببادية مكة . والله أعلم .

ومن ذلك : قول ابن إسحاق فى سيرته ـ تهذيب ابن هشام ـ فى خبر الأصنام « وكانت لقريش ، وبنى كنانة : العزى بنخلة » انتهى .

ووجه الدلالة من هذا : أن إضافة « العزى » لقريش وكنانة : تقتضى أن لهم بها اختصاصاً . وذلك ـ والله أعلم ـ لسكونها بنخلة ، وهى من بادية مكة التى ينزلون فيها .

ولا يقال : إضافة « العزى » لقريش وكنانة : لأجل أنهم أول من وضعها ، ولا لأجل أنهم انفردوا بعبادتها وتعظيمها ، ولا لأجل أنهم حجابها .

أما الأول : فلأن عمرو بن لُحَىّ : هو الذى اتخذ العزى .

وأما الثانى : فلأن جميع مضر كانوا يعظمون العزى .

وأما الثالث : فلأن حجابها بنو شيبان من سليم .

وقد روينا عن ابن إسحاق مايدل لذلك فى تاريخ الأزرقى .

ولفظه : حدثنى جدى . قال : حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج . قال : أخبرنا ابن إسحاق « أن عمرو بن لحى اتخذ العزى بنخلة . وكانوا إذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة : لم يُحِلوا حتى يأتوا العزى . فيطوفون بها ، ويحلون عندها ، ويعتكفون عندها يوماً وليلة . وكانت لخزاعة . وكانت قريش وبنو كنانة كلها تعظم العزى مع خزاعة ، وجميع مضر . وكان سدنتها ـ الذين يحجبونها ـ بنى شيبان من بنى سليم . حلفاء بنى هاشم » انتهى .

وإذا لم يكن إضافة « العزى » لقريش وكنانة لأجل هذه الأمور الثلاثة : صح ماذكرناه ، من أن إضافتها لهم باعتبار كونها فى دارهم . والله أعلم .

ولا يعارض ذلك قوله فى هذا الخبر « وكانت لخزاعة » لأن إضافتها لخزاعة لسكونها فى دارهم . فإن خزاعة تشارك قريشاً فى الدار . على ماسيأتى بيانه إن شاء الله .

ومن ذلك : قوله فى خبر قصى ــ الذى سبق ذكره قريباً من كتاب الفاكهى ــ « فأصبح بهم فى الحرم حول البيت . فمشت إليه أشراف كنانة . وقالوا : إن هذا عند العرب عظيم » انتهى .

ووجه الدلالة فى هذا : أنه يقتضى أن أشراف كنانة مشوا إلى قصى بإثر إصباحه بقومه فى الحرم . وذلك يدل على قرب كنانة من الحرم . والله أعلم .

ومن أرض كنانة ببادية مكة « مجنة » التى عناها بلال رضى الله عنه بقوله :

وهل أرِدنْ يوْمًا مياه مجنَّـة ؟ وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

لأن الأزرقى : قال ــ فى تفسير هذا الموضع ، فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله : « حج الجاهلية ، و إنساء الشهور ، ومواسمهم ، وما جاء فى ذلك » ــ ومجنة : سوق بأسفل مكة ، على بريد منها . وهى سوق لكنانة . وأرضها من أرض كنانة . وهى التى يقول فيها بلال رضى الله عنه :

ألا ليت شعرى ، هل أبيتنَّ ليلة بفخ . وحولى إذْخِر وجَليل ؟
وهل أردن يوماً ميــاه مجنة ؟ وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟

و « شامة » و « طفيل » جبلان مشرفان على « مجنة » انتهى .

ومن الأخبار الدالة على مشاركة خزاعة لقريش فى سكنى مكة وباديتها : ماذكره الأزرقى . لأنه روى عن جده عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج ، عن ابن جريج ، وعن أبى إسحاق ــ يزيد أحدهما على الآخر ــ فذكر خبراً طويلا فى ولاية قصى بن كلاب البيت الحرام وأمر مكة ، بعد خزاعة .

وفيه « أن يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : حكم لقصى بحجابة الكعبة ، وولاية أمر مكة ، دون خزاعة . لما جعل له جليل ، وأن يخلى بينه و بين ذلك ، وأن لايُخرج خزاعة من مساكنها من مكة »

وفيه « وخزاعة مقيمة بمكة على رباعهم وسكناهم ، لم يُحرَّكوا ، ولم يُخْرجوا منها . فلم يزالوا على ذلك حتى الآن » انتهى .

وأما سكنى خزاعة بمكة ـ قبل ولاية قصى ـ : فلا يحتاج إلى استدلال ، لشهرته .

ومن منازل خزاعة ببادية مكة « الوَتِير » ماء لهم بأسفل مكة . لأن فى خبر فتح مكة ـ الذى ذكره ابن إسحاق فى سيرته ، تهذيب ابن هشام ـ « ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : عَدَتْ على خزاعة . وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير » انتهى .

وهذا الموضع معروف الآن . ويقال له « الوتيرين » وهو بناحية مَلْكان والله أعلم .

وفيما أشرنا إليه ـ من الأخبار الدالة على اشتراك قريش وكنانة وخزاعة فى الدار ـ : كفاية .

وذكر الإمام أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكى ـ عالم مكة ، وبلاد الحجاز ـ مايقتضى : أن خزاعة وكنانة من أهل مكة . ولم يقل ذلك إلا عن يقين من العلم . وكان من أوعية العلم ، على ماقال أحمد بن حنبل .

وإذا كان ذلك كذلك اتجه ذكر خزاعة وكنانة فى أهل مكة ، كما اتجه ذكر قريش فيهم .

وهذا ـ الذى ذكره ابن جريج ـ نقله عنه الأزرقى فى الترجمة التى ترجم عليها بقوله « ماجاء فى الكعبة ، ومتى كانوا يفتحونها » لأنه نقل عن ابن جريج خبراً طويلاً فى خبر الحُمْس . قال فيه « والحُمْس : أهل مكة : قريش ، وكنانة ، وخزاعة ، ومن دان بدينهم ممن وَلَدوا ، ومن حلفائهم . وإن كان من ساكنى الحل » انتهى .

ووجه دلالة ذلك على ماذكرناه ـ من أن خزاعة وكنانة من أهل مكة ـ :
أن كلام ابن جريج يقتضى : أن الحمس من أهل مكة وغيرهم . وفسّر « الحمس » من أهل مكة بقوله « قريش ، وكنانة ، وخزاعة » وفسر « الحمس » من غير أهل مكة بقوله « ومن دان بدينهم ـ إلى آخره » وهذا الذى ذكره ابن جريج ـ من أن خزاعة وكنانة من أهل مكة ـ صحيح .

يدل لذلك : ماذكرناه من مشاركتهم لقريش فى دارهم . والله أعلم .

ونشير إلى الكتب التى نظرتها لأجل هذا الكتاب .

فمن ذلك : كتاب « السيرة » لمحمد بن إسحاق . تهذيب ابن هشام . وروايته عن زياد البكائى عنه .

أخبرنى به : البدر محمد بن محمد بن محمد بن قوام البالسى ، وأم أحمد فاطمة بنت القاضى عز الدين محمد أحمد بن المنجا التنوخى ـ قراءة عليهما . وأنا أسمع ـ بدمشق فى الرحلة الثانية .

قال الأول : أخبرنا به الملك أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب ، سماعاً لجميعه .

وقالت المرأة : أخبرنا به محمد بن أحمد بن أبى الهيجاء ، المعروف بابن الزراد .

قالا : أخبرنا به محمد بن إسماعيل المقدسى خطيب مِرْدان . قال : أخبرنا به صنيعة الملك هبة الله بن يحيى بن على بن حيدرة سماعاً . قال أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن رفاعة السعدى الفرضى .

وأخبرتنى به ـ أعلى من هذا ـ أم أحمد بنت المنجا المذكورة ـ سماعاً ـ عن القاضى تقى الدين سليمان بن حمزة ، ويحيى بن محمد بن سعد ، وأبى القاسم بن عساكر ـ وتفردت عن القاضى ـ قالوا : أنبأنا به أبو صادق الحسن بن يحيى ابن صباح المخزومى ـ إجازة ـ عن ابن رفاعة ـ إجازة ـ قال : أخبرنا به القاضى أبو الحسن على بن الحسن الخِلَعى . قال : أخبرنا به أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن

النحاس البزاز . قال : أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد بن زنجويه البغدادى . قال : حدثنا به أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن البرقى . قال : حدثنا يه أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوى . قال : حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى . عن محمد بن إسحاق ـ فذكره .

ومن ذلك : شرح هذا الكتاب ، المسمى « بالروض الأُنفِ » لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بالسهيلى .

أخبرنى به : الإمامان ـ أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ـ المصريان ، عن يونس بن إبراهيم العسقلانى ، عن عبد المنعم ابن رضوان ، المعروف بابن مناد ، عن مؤلفه ـ فذكره .

ومن ذلك : كتاب « النسب » للزبير بن بكار قاضى مكة .

أنبأنى به أبو بكر محمد بن عبد الله الحافظ وغيره عن الحافظ أبى الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المِزِّى ـ إجازة ، إن لم يكن سماعاً ـ قال : أخبرتنا به زينب بنت مكى . قالت : أخبرنا به عمر بن محمد بن طبرزد البغدادى . قال : أخبرنا به على بن طراد الزينبى عن أبى جعفر بن المسلمة . قال : أخبرنا به أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص . قال : أخبرنا به أحمد بن سليمان بن موسى . قال : أخبرنا به مؤلفه الزبير بن بكار ـ فذكره .

ومن ذلك « أخبار مكة » لأبى عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكى . المعروف بالفاكهى . وما أكثر فوائده .

[أخبرنى به جمع من الشيوخ . منهم : الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخى ـ إذناً مشافهة ـ عن أبى العباس أحمد بن أبى طالب الصالحى أنبأنا أبو الفضل جعفر بن على الهمدانى عن أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثمانى . أنبأنا عبد الله بن محمد بن محمد الباهلى ، عن الحافظ أبى على الحسين بن محمد الجيانى أنبأنا به الحكم بن محمد الجذامى ، عن أبى القاسم بن أبى غالب البزار .

أنبأنا به أبو الحسن الأنصارى عن مؤلفه : الإمام أبى عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى ــ فذكره][1] .

ومن ذلك « أخبار مكة » لأبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق المكى

أخبرنى به : أبو المعالى الصوفى ــ بقراءتى عليه ــ عن يحيى بن المصرى عن ابن الجميزى وابن رواح ، عن الحافظ السلفى . قال : أخبرنا به ابن الطيورى ، قال : أخبرنا به العشارى ، قال : أخبرنا به ابن أبى موسى الهاشمى . قال : أخبرنا به إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى . قال : أخبرنا به مؤلفه الأزرقى ــ فذكره .

ومن ذلك : كتاب « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى .

أخبرنى به أبو العباس أحمد بن على بن محمد بن عبد الحق الحنفى ــ قراءة عليه ، وأنا أسمع ــ من أول الكتاب إلى قوله : من اسمه عمر . وإجازة لباقيه . قال : أخبرنا به الإمام أبو عبد الله محمد بن جابر الوادياشى أنبأنى ــ سماعاً فى الثالثة ، وإجازة منه ــ قال : أخبرنا به القاضى أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن الغماز ــ سماعا لجميعه ، خلا من أوله إلى قوله : حرف الحاء ، فإجازة ــ قال : أخبرنا به الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعى . قال: أخبرنا به الفقيه أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن جهور القيسى ــ وأنا أسمع ــ عن أبى على الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى : قال : قرأته على مؤلفه .

قال الحافظ أبو الربيع : وأجازنيه أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون عن أبى عمران موسى بن أبى تليد عن مؤلفه .

ومن ذلك : كتاب « تهذيب الكمال » للحافظ المعتمد أبى الحجاج يوسف ابن عبد الرحمن المزى .

أنبأنى به : الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد الصالحى فى أذنة .

قال : أخبرنا به مؤلفه الحافظ المزى ــ فذكره .

---

(١) مابين المربعين بياض بالنسخة النصيفية .

ومن ذلك : « مختصره » لصاحبنا الحافظ الناقد أبى الفضل أحمد بن على ابن حجر الشافعى . تغمده الله تعالى برحمته[١] . وقد أحسن فى اختصاره . وزاد فيه فوائد كثيرة . ولم أقف إلا على بعضه[٢] .

ومن ذلك : كتاب « الميزان » للحافظ الذهبى .

و « مختصر تاريخ دمشق » له .

و « مختصر تهذيب الكمال » له .

و « طبقات الحفاظ » له .

و « طبقات القراء » له .

« وتاريخ الإسلام » له .

و « العبر » له ، و « معجمه » و « ذيل سير النبلاء » له .

وغير ذلك من تآليفه .

أخبرنى بذلك عنه : جماعة من شيوخى .

ومن ذلك « تهذيب الأسماء واللغات » للنووى .

أخبرنى به : إبراهيم بن أحمد البعلى عن على بن إبراهيم بن العطار عن النووى .

ومن ذلك : أكثر « تاريخ بغداد » للخطيب .

أخبرنى به : أحمد بن عمر البغدادى سماعاً ــ من أوله إلى ترجمة ابن أبى ذئب ، وإجازة لباقيه ــ عن الحافظ أبى الحجاج المزى ــ إجازة إن لم يكن سماعا ــ قال : أخبرنا به يوسف بن يعقوب بن المجاور . قال : أخبرنا به أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى . قال : أخبرنا به أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز ــ سماعا ، سوى الجزء السادس والثلاثين ، فأخبرنا به محمد بن أحمد بن صرماء ــ قال : أخبرنا به مؤلفه . قال القزاز : سماعا . وقال ابن صرما : إجازة .

---

(١) فى النسخة النصيفية : أمتع الله بحياته .

(٢) هو تقريب التهذيب المطبوع فى الهند .

ومن ذلك : أكثر « ذيل تاريخ بغداد » لأبى سعد بن السمعانى . وفى كتاب « الأنساب » له . و « معجمه » .

أخبرنى بذلك : أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ الذهبى — إذنا — عن القاضى تقى الدين سليمان بن حمزة المقدسى عن عيسى بن عبد العزيز اللخمى الحافظ عن أبى سعد السمعانى .

ومن ذلك « ذيل تاريخ بغداد » للحافظ أبى عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثى

أخبرنى به : أبو هريرة بن الذهبى — إذناً — عن القاضى تقى الدين سليمان ابن حمزة عن ابن الدبيثى .

ومن ذلك « ذيل تاريخ بغداد » لأبى الحسن محمد بن أحمد بن عمر القطيعى .

ومن ذلك : أكثر « ذيل تاريخ بغداد » للحافظ محب الدين محمد بن محمود ابن النجار .

أنبأنى بهما : إبراهيم بن محمد الصوفى وآخرون عن أبى العباس أحمد بن أبى طالب الصالحى ، عن القطيعى وابن النجار .

ومن ذلك « ذيل تاريخ بغداد » للحافظ تقى الدين بن رافع ، و « معجمه » و « وفياته » .

[[1]أخبرنى بذلك عنه : جماعة من شيوخنا . منهم : الحافظ صدر الدين أبو الربيع سليمان بن يوسف المقدسى .

ومن ذلك « تاريخ إربل » .

أنبأنى به : أبو هريرة عبد الرحمن بن الذهبى عن أبى نصر محمد بن محمد الشيرازى عن مؤلفه ابن المستوفى .

ومن ذلك : أكثر « تاريخ مصر » للحافظ قطب الدين الحلبى .

---

(١) بالنسخة النصيفية خرم هنا نحو ورقتين ، ينتهى بالمربع فى صفحة ٢٥

أنبأني به أبو العباس أحمد بن حسن الشاهد عنه ، إجازة إن لم يكن سماعا .

ومن ذلك : بعض « تاريخ دمشق » لأبى القاسم بن عساكر .

أنبأنى به : أبو هريرة بن الذهبى عن أبى نصر بن الشيرازى ، عن جده القاضى أبى نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازى ، عن أبى القاسم بن عساكر مؤلفه .

ومن ذلك « الكامل » لابن الأثير . و « اللباب » له فى الأنساب ، و « أسد الغابة » له .

أخبرنى بذلك : أبو هريرة بن الذهبى ، وآخرون — إذناً — عن أبى نصر بن الشيرازى ، عن العلامة عز الدين أبى الحسن على بن محمد المعروف بابن الأثير المؤلف .

ومن ذلك : كتاب « مرآة الزمان » لأبى المظفر يوسف بن قِزُغْلِى ، سبط الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى .

أنبأنى به : محمد بن أبى هريرة بن الذهبى ، وآخرون ، عن أبى بكر بن محمد ابن أحمد السلمى ، عن أبى المظفر المؤلف — فذكره .

ومن ذلك « ذيل مرآة الزمان » للامام قطب الدين موسى بن محمد بن أحمد اليونينى .

أنبأنى به: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البعلى ، وآخرون ، إذناً عنه إجازة

ومن ذلك « الروضتين فى أخبار الدولتين ، النورية والصلاحية » وذيلهما لأبى شامة .

أخبرنى به المشايخ : محمد بن محمد بن عبد الله . و إبراهيم بن أبى بكر بن عمر . ومحمد بن محمد بن داود الصالحيون — إذناً — عن الحافظ شرف الدين أبى محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى . أنبأنا به : مؤلفه العلامة شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسى الدمشقى — فذكره .

ومن ذلك « ذيل المنتظم » .

أنبأنى به : جمع عن المحدث أبى الثناء محمود بن خليفة المَنْبِجِى . أنبأنا به مؤلفه الإمام عز الدين أبو بكر محفوظ بن معتوق بن البزورى ـ فذكره .

ومن ذلك « تاريخ ابن خلكان القاضى » .

أخبرنى به : الكمال أحمد بن على بن محمد بن عبد الحق الدمشقى الحنفى . عن الحافظين : جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن القضاعى . وعلم الدين القاسم ابن محمد الإشبيلى . قالا : أنبأنا به مؤلفه القاضى شمس الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الإربلى ـ فذكره .

ومن ذلك : تاريخ البرزالى ، المسمى « بالمكتفى » الذى ذيل به على تاريخ أبى شامة ومعجمه ، وغير ذلك من تعاليقه المفيدة .

أخبرنى بذلك : جماعة من شيوخنا . منهم : أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد الصالحى . عنه إجازة .

ومن ذلك « تاريخ الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم . المعروف بابن الجزرى » أخبرنى به عنه .

ومن ذلك « أعوان النصر وأعيان العصر » للامام صلاح الدين خليل بن أيْبَك الصفدى .

ومن ذلك : أكثر تاريخ الصلاح محمد بن شاكر الكتبى .

ومن ذلك : تاريخ الشيخ عماد الدين بن كثير . أخبرنى به عنه غير واحد من شيوخى .

ومن ذلك : كثير من تاريخ الأمير بيبرس الدوادار الناصرى .

ومن ذلك : كثير من تاريخ الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

ومن ذلك : مختصر تاريخ هذا النويرى .

ومن ذلك : تاريخ الملك المؤيد صاحب حماة .

ومن ذلك « معجم السفر » للسلفى .

أنبأني به : أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي ، عن أبي الحسن على بن يحيي الشاطبي ، أنبأنا أبو عمرو عثمان بن علي بن عبد الوهاب بن خطيب القرافة ــ سماعاً ــ عن مؤلفه الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي ــ فذكره .

ومن ذلك « معجم الحافظ عز الدين بن الحاجب الأميني » .

أنبأني به : على بن محمد الخطيب عن القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة عنه .

ومن ذلك « معجم الحافظ زكى الدين المنذرى » و « التكملة » له .

أنبأني بذلك عبد الرحمن بن أحمد الشافعي وغيره عن على بن عمر الصوفى ، ويوسف بن عمر الختنى إذناً عنه .

ومن ذلك « معجم الحافظ بن مَنْدى » .

أنبأني به : أحمد بن محمد الطبرى عن الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشافعي عن ابن مسدى .

ومن ذلك « معجم الإمام علاء الدين على بن إبراهيم بن داود بن العطار » .

تخريج الذهبي له . أنبأني به عنه جماعة من شيوخنا .

ومن ذلك « مشيخة الحافظ رشيد الدين » أبي الحسين يحيي بن على القرشي المعروف بابن العطار][1] .

أنبأني بها شيخنا أبو الفضل الحافظ وغيره ، عن أبي شاهد الجيش وغيره عن الرشيد العطار ــ فذكرها .

ومن ذلك «وفيات شيخنا الحافظ العراقي» التي ذيل بها على « العبر » للذهبي.

أنبأنا بها إجازة .

ومن ذلك « تاريخ الحافظ شيخنا أبي زرعة » أحمد بن شيخنا الحافظ العراقي أنبأني به إجازة .

وهو في معنى « الذيل » على وفيات أبيه . وأوله سنة اثنتين وستين وسبعمائة ،

---

(١) إلى هنا ينتهى الخرم فى النسخة النصيفية .

وآخر ما رأيته منه : سنــة ثلاث وتسعين . وكتب سنين بعد ذلك لم أقف على كلها .

ومن ذلك : أكثر « وفيات » شيخنا مفتى الشام شهاب الدين أحمد بن حجى ابن الحسبانى . أنبأنى بها إجازة .

ومن ذلك « وفيات » الشيخ محيي الدين عبد القادر الحنفى ، و « طبقات الحنفية » له .

ومن ذلك « طبقات الحنفية » لشيخنا القاضى مجد الدين الشيرازي . أنبأنى بها إجازة .

ومن ذلك « وفيات ابن قانع » و « وفيات ابن زُبْر » و « وفيات الأكفانى » و « وفيات ابن المفضل المقدسى » و « وفيات الشريف أبى القاسم الحسينى » التى ذيل بها على « وفيات » شيخه الحافظ زكى الدين المنذرى المسماة « بالتكملة » التى ذيل بهـا المنذرى على « وفيات » شيخه الحافظ ابن المفضل و « وفيات ابن أيبك الدمياطى » ووفيات أخر .

ومن ذلك « تاريخ شيخنا العدل ناصر الدين بن الفرات » فى مجلدات كثيرة .

وتاريخ « الصارم إبراهيم المعروف » بابن دقماق .

وغير ذلك كثيراً من كتب التاريخ وغيرها .

ومنه « رحلة ابن جبير » .

* * *

ولنذكر من كتابنا « شفاء الغرام »[1] ما أشرنا إلى أن نذكره هنا . فنقول :

---

(١) قد قام بالنفقة على طبعه صاحب المعالى رجل الفضل والإحسان ، المبادر إلى خدمة ونشر علوم السلف : الشيخ محمد سرور الصبان . أمتع الله بطول حيـاته فى عافية فى دينه ودنياه وجزاه أفضل الجزاء .

الحمد لله الذى جعل لمكة فى الفضل مزايا . وخصها ببيته الذى هو قبلة للبرايا . وبحجه الذنبُ مغفور ، وبالطواف به تكثر الأجور .

أحمده على ما من به من النزول فى حماه . وأسأله دوام ذلك مدة الحياة .

وأشهد أن لا إله إلا الله الذى منح شارب ماء زمزم بنيل المنى . وأشهد أن نبينا محمداً ، أفضل من حج ورمى الجمار بمنى . صلى الله وسلم عليه ما وقف واقف بعرفات والمشعر ، ورضى الله عن آله وأصحابه ما سعى ساع بين الصفا والمروة ، وبين الميلين الأخضرين أخْضَر .

أما بعد : فهذا ما وعدت بذكره فى كتابى « العقد الثمين . فى تاريخ البلد الأمين » من أخبار مكة المشرفة ، وحكم بيع دورها ، وإجارتها ، وأسمائها ، وحرمها ، وحدوده ، وشىء مما يختص بذلك من المسائل ، وفضل الحرم ومكة ، والصلاة فيها على غيرها ، وغير ذلك من فضلها ، وحكم المجاورة بها ، وفضل الموت فيها ، وفضل أهلها . وفضل جدة ، والطائف ، وغير ذلك من خبرهما . وأخبار الكعبة المعظمة وفضلها . وفضل الحجر الأسود ، والركن اليمانى ، وفضائل الأعمال المتعلقة بالكعبة ، وخبر الحجر الأسود ، والحِجْر ـ بسكون الجيم ـ ومقام الخليل عليه السلام ، والأماكن التى صلى النبى صلى الله عليه وسلم فيها حول الكعبة ، والأماكن التى يستجاب الدعاء فيها بمكة ، وحرمها . وخبر المسجد الحرام وزمزم ، وسقاية العباس رضى الله عنه ، والاماكن المباركة بمكة وحرمها ، والأماكن التى تتعلق بها المناسك ، وما علمته من المآثر بمكة ، وحرمها .

وأخبار جاهلية وإسلامية ، لها تعلق بالحجاج ، وغير ذلك . وما علمته من ولاة مكة فى الإسلام على سبيل الإجمال .

وهذا الأمر لم أر من غنى بجمعه قبلى .

وجميع ذلك ملخص من تأليفى « شفاء الغرام . بأخبار البلد الحرام » وجعلته أربعين باباً كأصله . وسميته « الزهور المقتطفة ، من تاريخ مكة المشرفة » .

الباب الأول

فى ذكر مكة المشرفة ، وحكم بيع دورها وإجارتها

مكة المشرفة : بلدة مستطيلة كبيرة . تسع من الخلائق ما لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فى بطن واد مقدس . والجبال محدقة بها كالسور لها .

ولها ــ مع ذلك ــ ثلاثة أسوار : سور فى جهة المشرق . يعرف بسور باب المعلاة . لأنه فى أعلاها . وسور فى جهة المغرب والمدينة النبوية ، يعرف بسور باب الشبيكة . وسور فى جهة اليمن . ويعرف بسور باب اليمن وباب الماجن .

وكان جدر هذا السور وجدر سور باب المعلاة : غير كاملين بالبناء . وكانا قصيرين عن القامة . فعُمِرا حتى زادا على القامة . وتكمل بناؤهما إلا موضعاً فى سور باب المعلاة . لأن ما تحته مهواة .

وهذه العمارة فى النصف الثانى من سنة ست عشرة وثمانمائة ، من قبل السيد حسن بن عجلان ، بعد أن هجم مكة ــ فى غيبته عنها ــ ابنُ أخيه السيد رُمَيثة بن محمد بن عجلان فى جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

ثم أخربت من سور باب المعلاة مواضع ، وأحرق بابه . لفتنة كانت بين أميريها المذكورين ، فى خامس عشرين من شوال سنة تسع عشرة وثمانمائة .

ثم أعيد بناء ماتخرب ، وعمل باب حديد . وذلك فى شوال وذى القعدة من السنة المذكورة .

ثم خرب جانب من سور باب المعلاة بين البابين اللذين فى السور المذكور . ثم جانب من سور باب الماجن ، من سيل كان بمكة فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

وعمر ذلك كله فى أوائل سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

وكان الخراب فى سور باب المعلاة فى آخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة من سيل

ذرع مكة من باب المعلاة إلى باب الماجن : أربعة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعاً — بتقديم السين — بذراع اليد . وذلك على خط الردم والمسعى وسوق العلافة .

ومن باب المعلاة إلى الشبيكة : مثل ذلك ، بزيادة مائتى ذراع وعشرين ذراعا باليد ، وذلك فى الطريق المشار إليها . إلا أنه يعدل منها إلى الشبيكة من الزقاق المعروف بابن عرفة .

ومن الجبال المحدقة بمكة : أخشباها .

وهما : أبو قبيس ، والأحمر المقابل له ، على ماذكر الأزرقى والفاكهى .

وقيل : أبو قبيس وقُعيقِعان . ذكر ذلك ياقوت .

وعرف أبو قبيس بالأخشب الشرقى ، وقُعيقعان بالغربى . و « الأخشب » الجبل الغليظ .

وفى تسمية أبى قبيس أقوال .

أحدها : أنه يسمى برجل من إياد .

وذكر الوراق : أنه يقال له : أبو قابوس ، وشيخ الجبال . انتهى .

و « أبو قبيس » اسم لحصن بحلب قبالة شَيْزَر ، على ما ذكر ياقوت .

و « قعيقِعان » اسم لمواضع ذكرها ياقوت ، ولموضعين لم يذكرهما . أحدهما : بِلِيَّة من عمل الطائف . والآخر : باليمن .

وسيأتى إن شاء الله تعالى شىء فى سبب تسميته بقعيقعان .

وبمكة أبنية كثيرة ، وعين جارية ، وآبار غالبها مسبل ، وبِرَك مسبَّلة ، وحمامان .

وكان بها ستة عشر حماماً ، على ما ذكر الفاكهى .

و بعض الدور التى بمكة :علامة لحد المعلاة والمسفلة ، لأن دار الخيزران ــ عند الصفا ــ علامة لحد المعلاة من شق مكة الأيمن ، ودار العجلة : علامة لحد المعلاة من شق مكة الأيسر .

وذكر الفاكهى خبراً يقتضى بفضل المعلاة على المسفلة .

وذكر الفاكهى شيئاً مفيداً فى مخاليف مكة . لأنه قال : فآخر أعمالها ــ مما يلى طريق المدينة ــ موضع يقال له : جنابذ بن صفى فيما بين عسفان ومَرٍّ . وذلك على يوم و بعض يوم .

وآخر أعمالها ــ مما يلى طريق الجادة فى طريق العراق ــ العمير . وهو قريب من ذات عرق . وذلك على يوم و بعض يوم .

وآخر أعمالها ــ مما يلى اليمن على طريق تهامة اليوم ــ موضع يقال له : ضنكان . وذلك على عشرة أيام من مكة .

وقد كان آخر أعمالها فيما مضى : بلاد عَكّ .

وآخر أعمالها ــ مما يلى اليمن فى طريق نجد ، وطريق صنعاء ــ موضع يقال له « نجران » على عشرين يوماً من مكة . انتهى .

وذكر ابن خرْداذبة فى « مخاليف مكة » ما يوافق ما ذكره الفاكهى . وصرح فيهما بما لم يصرح به الفاكهى .

وليس كل ما ذكراه معدوداً اليوم فى أعمال مكة . لأن كثيراً من ذلك ليس لأمير مكة الآن فيه كلام .

وأبعد مكان عن مكة لأميرها الآن فيه كلام « الحسنة » وهى بلدة بينها و بين « قنونا » يوم . و بين « حلى » يومان .

وكلامه فيها باعتبار أن له على مزارعها كل سنة مائة غرارة مكية **فيما قيل** . وله **أيضاً** رسم على أهل « ذوقه » والواديين ، و « الليث » .

وأبعد مكان ــ بعد هذه الأماكن عن مكة لأميرها فيه **كلام الآن** ــ **وادى**

الطائف ووادى « لِيّة » . ولأمير مكة فيهما من الـكلمة والعادة على أهلها أكثر مما له فى الأماكن السابق ذكرها .

ولقاضى مكة نواب بوادى الطائف ، و « لية » .

ومن أعمال مكة فى صوب الطائف : وادى نخلة الشامية ، واليمانية . ونخلة على ليلة من مكة .

وأبعد مكان عن مكة فى صوب المدينة لأمير مكة الآن فيه كلام كثير : وادى « الهَدَة » ـــ هدة بنى جابر ـــ وهى على مرحلة من « مَرِّ الظهران » ومر الظهران على مرحلة من مكة . وهو والهدة معدودان من أعمالها .

وولاة مكة الآن يأخذون مايغرق فى البحر فيما بين جدة ورابغ ، ويرون أن ذلك يدخل فى عملهم .

و «جدة» من أعمال مكة فى تاريخه وفيما قبله . وهى على مرحلتين من مكة .

وليس كل ما ذكره ابن خرداذبة والفاكهى فى مخاليف مكة : داخلا فى الحجاز ، الذى هو : مكة ، والمدينة ، واليمامة ، ومخاليفها .

وقد عَرّف الحجاز بذلك الإمام الشافعى ـــ رضى الله عنه ـــ وغيره .

وقيل فى الحجاز غير ذلك .

وسمى حجازاً لحجزه بين تِهامة ونجد .

وقيل : فيه غير ذلك . والله أعلم .

ذكر حكم بيع دور مكة و إجارتها

اختلف فى ذلك قول مالك . فروى عنه : أنه كره بيعها وكِراء دورها . فإن بيعت أو أكريت : لم يفسخ .

وروى عنه منع ذلك .

وليس سبب الخلاف عند المالكية : الخلاف فى مكة : هل فتحت عنوة ، أو صلحاً ؟ لأنهم لم يختلفوا فى أنها فتحت عنوة .

وإنما سبب الخلاف عندهم فى ذلك : الخلاف فى مكة : هل مَنَّ النبى صلى الله عليه وسلم بها على أهلها ، فلم تقسم ، ولا سُبى أهلها ، لما عَظَّم الله من حرمتها ، أو أقرت للمسلمين ؟

أشار إلى ذلك ابن رشد .

وعلى الأول : ينبنى جواز بيع دورها وإجارتها .

وينبنى منع ذلك على القول بأنها أقرت للمسلمين .

وفى هذا القول نظر . فقد بيعت دور مكة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم . وعمر وعثمان رضى الله عنهما . وبأمرهما اشتريت دور مكة لتوسعة المسجد الحرام . وكذلك فعل ابن الزبير رضى الله عنهما .

وفعل ذلك غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم . وهم أعرف الناس بما يصلح فى مكة .

وهذا مذكور فى تاريخ الأزرقى. ماعدا بيعها فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فإن ذلك مذكور فى كتاب الفاكهى عن عبد الرحمن بن مهدى .

ولا يعارض هذا حديث علقمة بن نَضْلة الكنانى ـ وقيل الكندى ـ « كانت الدور والمساكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر ، وعمر ، وعثمان رضى الله عنهم ـ لا تكرى ولا تباع . ولا تدعى إلا السوائب ، من احتاج سكن . ومن استغنى أسكن » وهذا لفظ الأزرقى . وفى ابن ماجه معناه .

لأن حاصل حديث علقمة : شهادة على النفى . وفى مثل هذا يقدم المثبت . والله أعلم .

واختلف الحنفية فى جواز بيع دور مكة . فاختار الصاحبان ـ أبو يوسف ومحمد

ابن الحسن — جواز ذلك . وعلى قولها الفتوى ، فيما ذكر الصدر الشهيد . ومقتضى قولها بجواز البيع : جواز الكراء . والله أعلم .

واختلف رأى الإمام أحمد رضى الله عنه فى ذلك . فعنه روايتان فى جواز بيع دور مكة وإجارتها . ورجح كلا منهما مرجح من أتباعه المتأخرين .

ولم يختلف مذهب الشافعى رضى الله عنه فى جواز بيع دور مكة وكرائها ، لأنها عنده فتحت صلحا .

وقال بعضهم عنه : فتحت بأمان . وهو فى معنى الصلح .

وقال الماوردى ، من أئمة الشافعية : عندى أن أسفلها دخله خالد بن الوليد رضى الله عنه عنوة ، وأعلاها فتح صلحا .

قال النووى : والصحيح الأول . يعنى أنها فتحت صلحا كلها .

وفى صحته نظر . لأن الفتح صلحا إنما يكون بالتزام أهل البلد المفتتحة ترك القتال . والواقع من أهل مكة عند فتحها خلاف ذلك . لأن فى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه حديثاً فى فتح مكة . قال فيه « وو بَّشَت قريش أوباشاً لها وأتباعاً ، فقالوا : نقدم هؤلاء . فإن كان لهم شىء كنا معهم . وإن أصيبوا أعطينا الذى سُئلنا » .

وفيه ما يقتضى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتالهم ووقوع القتل . وذلك : ينافى الصلح .

وفيه دليل على أن فتح مكة عنوة . والله أعلم .

ومن الأخبار الدالة على أن فتح مكة عنوة : قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته بمكة يوم فتحها « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم . وابن أخ كريم . قال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا . فأنتم الطلقاء » وهذه الخطبة فى سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام .

قال ابن الأثير فى النهاية ، فى حديث حُنين « خرج إليها ومعها الطلقاء الذين

خَلَّى عنهم يوم فتح مكة ، أطلقهم ولم يسترقهم » إلى آخر كلامه .

وإذا كان هذا معنى الطلقاء ، فخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقريش — هذا الخطاب — يقتضي أنهم كانوا حين خوطبوا بذلك في الأسر ، المقتضي للاسترقاق . لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم تفضل عليهم بالإطلاق . ولولا ذلك لم يكن لاستعلامه قريشاً عما يتوقعونه منه محل ، كما لا محل لخطاب قريش بذلك بعد تأمينهم .

ويبعد الانفصال عن هذا الدليل بجواب شاف ، إلا أن يقال : إنه مرسل .

وفي أصل هذا الكتاب — فيما يتعلق بفتح مكة — فوائد أخر .

مع بيان النظر فيما أجاب به النووي رحمه الله عن الأحاديث المقتضية لفتح مكة عنوة .

وفيما ذكره حجة للإمام الشافعي رضي الله عنه في فتح مكة صلحا .

وفي أن دورها مملوكة لأهلها . والله أعلم بالصواب .

وهذا من النووي : تأييد لقول الشافعي رضي الله عنه : أن مكة فتحت صلحاً

وفي شرح مسلم للقاضي عياض ، والمازري : ما يقتضي أنه انفرد بذلك . ولم ينفرد به ، لموافقة مجاهد وغيره له على ذلك ، على ما وجدت بخط سليمان بن خليل إمام المقام الشريف بمكة في حاشية في المهذب . نقلها عن الشامل ، ولم يقل فيها « لابن الصباغ » وهو له . والله أعلم .

الباب الثانى

فى أسماء مكة المشرفة

لمكة المشرفة : أسماء كثيرة . بعضها مأخوذ من القرآن العظيم . وذلك : ثمانية « مكة » بالميم ، و « بكة » بالباء ، و « أم القرى » و« القرية » و « البلد » و « البلد الأمين » و « البلدة » و « معاد » .

ومواضعها من القرآن العظيم ظاهرة(١) .

وقد جمع شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى قاضى اليمن : فى أسماء مكة أكثر مما جمعه غيره . وذكرنا ذلك فى أصله .

وقد أغرب فى كثير مما ذكر . وفاته مع ذلك أسماء أخر .

منها « برة » ذكره سليمان بن خليل .

ومنها « بساق » ذكره ابن رشيق فى العمدة فى الأدب .

ومنها « البيت العتيق » ذكره الازرقى .

ومنها « الرأس » ذكره السهيلى وغيره .

ومنها « القادسية » ذكره أبن جماعة فى منسكه ، ولم يعزه .

ومنها « المسجد الحرام » .

ومنها « المعطشة » ذكرها ابن خليل .

ومنها « المكتان » ذكره القيراطى فى ديوانه . وذكر السهيلى مايشهد له فى غير موضع .

ومنها « النابية » بالنون والباء . ذكره الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره

---

(١) هى على الترتيب : (٤٨ : ٢٤) و (٣ : ٩٦) و (٤ : ٧٤) و (٦ : ٩٢ و ٤٢ : ٧) و (٩٠ : ١و٢) و (٩٥ : ٣) و (٢٧ : ٩١)

ومنها « أم روح » ذكره ابن الاثير فى كتابه المرصع .

ومنها « أم الرحمن » .

ومنها « أم كوثى » ذكرها عبد الله بن عبد الملك المرجانى فى تاريخه للمدينة النبوية . وعزا الأول لابن العزى . وقال فيه ـ بعد ذكره لأسماء مكة ـ ومن الخواص ، قيل : إذا كتب بالدم على الجبين « مكة وسط الدنيا . والله رءوف بالعباد » انقطع الدم[1] انتهى .

وقد اختلف فى « مكة » و « بكة » هل هما بمعنيين ، أو بمعنى واحد ؟

واختلف القائلون بالأول .

فقيل : بكة ـ بالباء ـ موضع البيت ـ وبالميم ـ القرية . وقيل : بالباء موضع البيت ، وبالميم : الحرم كله .

وقيل : غير ذلك .

---

(١) كان ينبغى تنزيه الكتاب عن هذا وأمثاله .

الباب الثالث

فى ذكر حرم مكة

وسبب تحريمه ، وتحديده ، وعلاماته ، وحدوده ، وما يتعلق بذلك من ضبط ألفاظ فى حدوده ، ومعانى بعض أسمائها .

حرم مكة : ما أحاط بها . وأطاف بها من جوانبها . جعل الله تعالى حكمه حكمها فى الحرمة . تشريفاً لها . أشار إلى ذلك الماوردى ، وابن خليل ، والنووى .

وسبب تحريمه — على ما قيل — : أن آدم عليه السلام خاف على نفسه حين أهبط إلى الارض ، فبعث الله تعالى ملائكة لحراسته . فوقفت فى مواضع أنصاب الحرم من كل جانب . فصار ما بين آدم وموقف الملائكة حرما . وغير ذلك فى سبب تحريمه(١) .

وللحرم علامات بينة . وهى أنصاب مبنية من جميع جوانبه ، إلا من جهة الجعرانة . وجُدة ، فلا بناء فيهما .

والخليل عليه السلام أول من نصبها ، بدلالة جبريل عليه السلام . ثم قُصى ابن كلاب . ثم نصبتها قريش ، بعد أن نزعتها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأمر عليه الصلاة والسلام بنصبها عام الفتح ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم معاوية ، رضى الله عنهم . ثم عبد الملك بن مروان .

هذا ماذكره الازرقى فيمن نصبها .

وقيل : إن إسماعيل نصبها .

وقيل : إن عدنان بن أُدد أول من نصبها . ونصبها المهدى العباسى .

---

(١) الأظهر أن سبب التحريم : هو لحرمة البيت الحرام ، كما يجعل لكل بيت عظيم من ملك أو رئيس ، حريم حوله .

وفى خلافة الراضى العباسى : عُمِّر العلمان الكبيران اللذان فى جهة التَّنْعيم بالأرض لا بالجبل . وذلك : فى سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

وفى سنة ست عشرة وستمائة : عمر العلمان ـ اللذان هما حدّ الحرم من جهة عرفة ، من قبل المظفر ـ صاحب إربل .

وعمرا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة من قبل المظفر صاحب اليمن .

وجميع حدود الحرم مختلف فيها . لأن فى حده من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن « نَمِرة » أربعة أقوال : نحو ثمانية عشر ميلا ، على ما ذكر أبو الوليد الباجى المالكى رحمه الله تعالى .

وأحد عشر ميلا على ماذكره الأزرقى ، والفاكهى ، وابن خرداذبة الخراسانى فى كتابه « المسالك والممالك » .

وتسعة أميال ـ بتقديم التاء ـ ذكره ابن أبى زيد فى النوادر .

وسبعة ـ بتقديم السين ـ ذكره الماوردى ، والشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، والنووى .

وفيما قالوا : نظر قوى . يقتضى بُعد استقامة قولهم ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

وذكر النووى : أن الأزرقى تفرد بما قاله فى ذلك .

ولم يتفرد به . لموافقة الفاكهى ، وابن خرداذبة له عليه . ولا أعلم له فى ذلك مخالفاً قبل من ذكرنا . والله أعلم .

وفى حده من جهة العراق : أربعة أقوال . سبعة أميال ـ بتقديم السين ـ وثمانية ، وعشرة ، وستة .

وفى حده من جهة الجعرانة : قولان . تسعة ـ بتقديم التاء ـ وبريد .

وفى حده من جهة التنعيم أربعة أقوال : ثلاثة ، ونحو أربعة ، وأربعة ، وخمسة .

وفى حده من جهة جدة قولان : عشرة ، ونحو ثمانية عشر ، على ما ذكره الباجى .

وفى حده من جهة اليمن قولان : سبعة ــ بتقديم السين ــ وستة ، على ماوجدت بخط المحب الطبرى فى كتابه « القِرى » رأيته فى غير نسخة منه .

ووقع لبعض الحنفية فى حدود الحرم مايستغرب جداً وذلك مذكور فى أصله .

وقد اعتبرت مقدار الحرم من جهاته المعروفة بحبل مقدر على ذراع اليد . وهو المعتبر فى مسافة القصر ، على ما ذكره المحب الطبرى . فنذكر ذلك .

وهو : أن من جدر باب المسجد الحرام ــ المعروف بباب بنى شيبة ــ إلى العلمين اللذين هما علامة حد الحرم فى جهة عرفة : سبعة ــ بتقديم السين ــ وثلاثين ألف ذراع ومائتى ذراع وعشرة أذرع وسبعى ذراع باليد . ومن عتبة باب المعلاة إلى العلمين المشار إليهما خمسة وثلاثون ألف ذراع وثلاثة وثمانون ذراعاً وثلاثة أسباع ذراع بذراع اليد .

وأما حد الحرم من جهة العراق : فإن من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين بجادة طريق وادى نخلة : سبعة وعشرون ألف ذراع ومائة ذراع واثنين وخمسين ذراعاً باليد . ومن عتبة باب المعلاة إلى العلمين المشار إليهما : خمسة وعشرون ألف ذراع وخمسة وعشرون ذراعاً باليد .

وأما حد الحرم من جهة التنعيم : فإن من جدر باب المسجد الحرام ــ المعروف بباب العمرة ــ إلى أعلام الحرم فى هذه الجهة التى بالأرض ، لا التى بالجبل : اثنى عشر ألف ذراع وأربعمائة ذراع وعشرين ذراعاً باليد .

ومن عتبة باب الشبيكة إلى الأعلام المشار إليها : عشرة آلاف ذراع وثمانمائة ذراع واثنا عشر ذراعاً .

وأما حد الحرم من جهة اليمن : فإنه من جدر باب المسجد الحرام ــ

المعروف بباب إبراهيم ـ إلى علامة حد الحرم فى جهة اليمن : أربعة وعشرين ألف ذراع وخمسمائة ذراع وتسعة أذرع ـ بتقديم التاء ـ وأربعة أسباع ذراع .

ومن عتبة باب الماجن إلى حد الحرم فى هذه الجهة : اثنان وعشرون ألف ذراع وثمانمائة ذراع وستة وسبعون ذراعاً ـ بتقديم السين ـ وأربعة أسباع ذراع .

وقال ابن خرداذبة : طول الحرم حول مكة ـ كما يدور ـ سبعة وثلاثون ميلا . وهى التى تدور بأنصاب الحرم . انتهى .

وهى فائدة حسنة ، إن صحت . والله تعالى أعلم .

و « نفار » المذكورة فى حد الحرم من جهة التنعيم : بنون وفاء وألف وراء مهملة .

ووقع فى حد الحرم من جهة العراق « خل » بخاء معجمة .

وقال النووى : فيه « جل » بجيم . ولعله تصحيف .

ووقع فى حد الحرم « لبر » وهى بكسر اللام وإسكان الباء الموحدة . وضبطها ابن خليل بفتح اللام والباء .

الباب الرابع

في ذكر شيء من الأحاديث والآثار الدالة على حرمة « مكة » وحرمها ، وشيء من الأحكام المختصة بذلك .

وذكر شيء مما ورد في تعظيم الناس بمكة وحرمها . وفي تعظيم الذنب في ذلك ، وفي فضل الحرم .

روينا عن مجاهد قال « إن هذا الحرم حرم ، حَدَّاه من السموات والأرضين السبع » أخرجه الأزرقي .

وروينا من حديث ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي شريح الخزاعي رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث تقتضي « أن الله عز وجل حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، وأنه لا يحل اختلاء خلاها ، ولا عضد شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف » .

وهذه الأمور مما اختصت بها مكة .

إلا أن الصحيح من مذهب مالك رحمه الله : أن لقطة مكة كغيرها .

وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمد رحمهما الله .

ومن تنفير صيد مكة : أن يصاح عليه ، فينفر . قاله المحب الطبري .

ونقل عن عكرمة أنه قال لرجل « أتدري ما تنفير صيدها ؟ هو أن تنحيه من الظل ، وتنزل مكانه » انتهى

وإذا امتنع تنفير صيدها فيمتنع اصطياده من باب أولى .

والمدينة النبوية تشارك مكة في تحريم صيدها . ولكن لا جزاء في صيد المدينة على مشهور المذهب .

وأما مكة فلا خلاف في وجوب الجزاء في صيدها . فتمتاز بذلك ، وبما سبق .

وبأن صلاة العيد تقام بمكة في المسجد الحرام . وفي غيرها تقام في الصحراء .

وبأن الإنسان يؤاخذ بِهَمِّه بالسيئة فيها ، وإن كان نائياً عنها ، كما هو مقتضى حديث ابن مسعود رضي الله عنه في مسند ابن حنبل وغيره .

وأشار إلى ذلك ابن أبى حاتم وغيره .

وتمتاز عند الشافعى وطائفة من العلماء : بتضاعف الصلاة فيها على غيرها ، و بعدم كراهية صلاة النافلة فيها فى وقت الكراهة وغير ذلك .

ومما تمتاز به : تضاعف السيئة بها ، عند مجاهد وابن حنبل . والصحيح : خلافه .

ولمكة أحكام أخر تخصها ، وأحكام أخر تشاركها فيها المدينة .

وقد استوفينا ذلك كله فى أصله .

وحرم مكة فيما ذكر مساو لها . و يستثنى من نباته : الإذخر والسنا ،والإذخر فى الحديث . والسنا مقيس عليه ، للحاجة إليه فى الدواء . نص عليه فى المدونة والموّازية .

و يستثنى من عضد شجر الحرم : العصا والعصاوين . فإن مالكا أرخص فى ذلك .

وأما تعظيم الناس لمكة وحرمها : ففى الأزرقى من ذلك أخبار .

منها : أن الرجل كان يلقى قاتل أبيه وأخيه فى الكعبة ، أو فى الحرم ، فى الشهر الحرام ، فلا يعرض له .

ومنها : أن احتكار الطعام بها للبيع إلحاد . وهذا يروى عن عمر وابنه رضى الله عنهما .

ومنها : ما يروى عن عمر رضى الله عنه « لأنْ أُخطِىء سبعين خطيئة برُكْبة أحب إلى من أن أخطىء خطيئة واحدة بمكة » .

ومنها : أن الشيخ أبا عمرو الزجاجى أحد كبار مشايخ الصوفية أقام بمكة أر بعين سنة لم يبل ولم يتغوط فى الحرم[1] .

وجاء فى النجاة من الذنوب بالالتجاء إلى الحرم حديث لجابر فى نجاة أبى رِغال والد ثقيف ، مما أصاب قوم ثمود بعقرهم الناقة . فلما خرج من الحرم أصيب . وهذا الحديث فى مسلم وغيره .

---

(١) كان الصحابة والتابعون رضى الله عنهم يتخذون فى دورهم بمكة المراحيض لقضاء حاجتهم . وهم خير وأهدى .

الباب الخامس

في الأحاديث الدالة على أن مكة المشرفة أفضل من غيرها من البلاد ، وأن الصلاة فيها أفضل من غيرها ، وغير ذلك من فضلها .

أما الأخبار الواردة فى تفضيل مكة : فإن منها ماروينا عن عبد الله بن عدى ابن الحمراء رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو على راحلته بالحَزْوَرة بمكة ـ يقول لمكة « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله . ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجت » أخرجه الترمذى ، وصححه . وأخرجه ابن حبان فى صحيحه .

وروينا نحوه من حديث أبى هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم .

فأما حديث أبى هريرة : ففي سنن النسائى . وأنكر صحته مولانا شيخ الإسلام قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر ، و برهن على ذلك . وذكرنا برهانه فى الأصل .

وحديث ابن عباس رضى الله عنهما: فى الترمذى. وقال : حسن صحيح غريب

وحديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : فى كتاب الفاكهى بإسناد فيه من لم أعرفه . و « الحزورة » مخففة على وزن قَسْورة .

وأما الأحاديث الواردة فى تفضيل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره من المساجد : فعدة أحاديث . ومن أصحها : حديثان . حديث جابر بن عبد الله الأنصارى ، وحديث عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم .

وحديث جابر فى ابن ماجة بإسناد صحيح . وفى مسند أحمد .

وحديث ابن الزبير فى مسند الطيالسى . وفيه « أن الصلاة فى المسجد الحرام تفضل على الصلاة فى غيره بمائة ألف » وفى بعض طرقه « تفضل بمائة صلاة » وفى بعضها « بألف صلاة » .

وحديث جابر : كحديث ابن الزبير الذى فى الطيالسى .

وحديث ابن الزبير : فى صحيح ابن حبان . وصححه ابن عبد البر . وقال : إنه الحجة عند التنازع .

وقد حسب النقاش المفسر فضل الصلاة فى المسجد الحرام : عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة . وصلاة يوم وليلة — وهى خمس صلوات فى المسجد الحرام — عمر مائتى سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال . انتهى .

وهذا الفضل يعم الفرض والنفل بمكة ، كما هو مذهب الشافعى .

ويختص بالفرض على مشهور المذهب .

ولا يسقط هذا التضاعف شيئاً من الفوائت ، كما يتخيله كثير من الجهال . نبه على ذلك النووى .

وللعلماء خلاف فى المسجد الحرام : هل المراد به مسجد الجماعة الذى يحرم على الجنب الإقامة فيه ، أو المراد به الحرم كله ، أو الكعبة ؟

ذكر هذه الاقوال المحب الطبرى .

وجاء حديث فى تفضيل الصوم بمكة على غيرها من البلاد . رويناه فى سنن ابن ماجه وغيرها بإسناد غير ثابت من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

ورويناه من حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من حج من مكة ماشياً حتى يرجع إليها كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم »

فقال بعضهم لابن عباس « وما حسنات الحرم ؟ قال : كل حسنة بمائة ألف حسنة » أخرجه الحاكم . وصحح إسناده .

وروينا عن الحسن البصرى : أنه قال « صوم يوم بمكة بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف . وكل حسنة بمائة ألف » انتهى .

وقال المحب الطبرى : إن فيما تقدم من أحاديث مضاعفة الصلاة والصوم بمكة دليلا على اطراد التضعيف فى جميع الحسنات ، إلحاقاً بهما . قال : ويؤيد ذلك قول الحسن . انتهى .

الباب السادس

في المجاورة بمكة ، والموت فيها ، وشيء من فضل أهلها ، وفضل جدة ساحل مكة ، وشيء من خبرها . وفضل الطائف وشيء من خبره .

اختلف العلماء في استحباب المجاورة بمكة .

فذهب إلى استحبابها الشافعي ، وأحمد ، وأبو يوسف ومحمد بن الحسن ، صاحبا أبي حنيفة ، وابن القاسم صاحب مالك ، فيما نقله عنه ابن الحاج .

وذهب أبو حنيفة إلى عدم استحبابها .

وفهم ذلك ابن رشد من كلام وقع لمالك . وذلك لخوف الملل ، وقلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان ، وخوف ارتكاب ذنب هنالك .

وذكر النووي في الإيضاح : أن المختار استحباب المجاورة بمكة . انتهى .

وأما الموت بمكة : فروى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات بمكة فكأنما مات في سماء الدنيا » . وإسناده ضعيف .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ــ مرسلا ــ أنه قال « من مات بمكة بعثه الله في الآمنين يوم القيامة » .

وسيأتي شيء من فضل مقبرة المعلاة عند ذكرها .

وأما فضل أهل مكة : فروينا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عَتَّاب بن أُسيد على مكة . فقال له : هل تدري إلى من أبعثك ؟ أبعثك إلى أهل الله » أخرجه الزبير بن بكار في كتاب النسب ، والفاكهي . ورواه الأزرقي مرسلا . وزاد فيه « فاستوص بهم خيرا » يقولها ثلاثاً .

ووجدت بخط بعض أصحابنا ــ فيما نقله من خط الشيخ أبي العباس الميورقي ــ

وزاد « إن سفهاء مكة حشو الجنة »[(١)] .

واتفق بين عالمين فى الحرم منازعة فى تأويل الحديث وسنده . **فأصبح الذى** طعن فى الحديث ومعناه : قد طعن أنفه واعوج . وقيل له : إى والله ، سفهاء مكة من أهل الجنة . سفهاء مكة من أهل الجنة . سفهاء مكة من أهل الجنة . فأدركه روع . وخرج إلى الذى كان يكابره فى الحديث من علماء عصره . وأقر على نفسه بالكلام فيما لايعنيه ، وفيما لم يحط به خبراً . انتهى .

وأما فضل جدة : فيروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « مكة رباط . وجدة جهاد » إسناده ضعيف .

وعن عباد بن كثير : أنه قال « إن الصلاة فيها بسبعة عشر ألف ألف صلاة ، والدرهم فيها بمائة ألف درهم . وأعمالها بقدر ذلك . يغفر للناظر فيها مد بصره مما يلى البحر » ذكرها الفاكهى بسنده .

وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما « إن فيها قبر حَواء[(٢)] » .

ونقل ابن جبير : أن بجدة موضعا يقال : إنه الموضع الذى نزلت فيه حواء

وأما فضل الطائف : فروينا عن الزبير بن العوام رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن صَيْدَ وَجٍّ وعِضاهَهُ حرم محرم » .

أخرجه أحمد وأبو داود . وإسناده ضعيف على ما قال النواوى .

ونقل عن الحازمى أن « وَجًّا » اسم لحصون الطائف . وقيل : لواحد منها انتهى .

ومذهب الشافعى رحمه الله تعالى : تحريم صيد « وج » ونفى الضمان فيه . ولا أعلم فى تحريمه نصا فى المذهب . والله تعالى أعلم .

---

(١) لم يذكر له سنداً حتى ينظر فى رجاله ، ونقله لهذه الحكاية التى جرت بين العالمين لا يدل على صحة الحديث ، بل الظاهر خلاف ذلك . لأن المعصية تعظم بعظم الزمان والمكان ، ولذلك رغب كثير من الأئمة عن الإقامة فى مكة ، خوف اقتراف الذنوب فيها . فلو كانوا يعلمون أن سفهاء مكة حشو الجنة لما كرهوا الإقامة فيها مع أنهم أقرب للتقوى من المتأخرين ، والله أعلم . اهـ من هامش النسخة النصيفية .

(٢) لا يعرف لهذا ولما بعده سند تقوم به حجة .

الباب السابع

فى أخبار عمارة الـكعبة المعظمة

بنيت الـكعبة المعظمة مرات . وفى عدد بنائها خلاف .

ويتحصل من مجموع ماقيل فى ذلك : أنها بنيت عشر مرات[1] .

منها : بناء الملائـكة .

ومنها : بناء آدم .

ومنها : بناء أولاده .

ومنها : بناء الخليل . على جميعهم السلام .

ومنها : بناء العمالقة .

ومنها : بناء جُرْهم .

ومنها : بناء قُصَى بن كلاب .

ومنها : بناء قريش .

ومنها : بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما .

ومنها : بناء الحجاج بن يوسف الثقفى .

وفى إطلاق العبارة بأنه بنى الـكعبة تجوز . لأنه ما بنى إلا بعضها . ولولا أن السهيلى والنواوى ذكرا ذلك لما ذكرته .

وجميع ما ذكرناه من بناء الـكعبة ذكره الأزرقى ، إلا بناء قصى . فإنه لم يذكره .

وذكره الزبير بن بكار فى موضعين من كتابه ، والفاكهى ، وابن عابد وغيرهم .

---

(١) حقق الحافظ ابن كثير وغيره : أن أول من أقام قواعد البيت هو إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة السلام .

وهو أول من سَقّفها . وقريش أول من رفع بابها ليُدخلوا من شاءوا ، ويمنعوا من شاءوا .

وابن الزبير رضى الله عنهما أول من جعل لهـا بابين . وبناؤه لها ثابت . وكذلك بناء قريش والخليل .

وما عدا ذلك غير ثابت ، لضعف سند الأخبار الواردة به .

وكلام السهيلى يقتضى : أن شيث بن آدم أول من بناها .

وفى الأزرقى : ما يدل لتقدم بناء آدم على بناء الملائـكة .

وسبب بناء ابن الزبير :أنها أصـابها حريق من جهة فى المسجد أيام حصره الحصين بن نمير السكونى لمعاندته الخليفة يزيد بن معاوية ، وما أصـابها من حجر المنجنيق الذى كان يرمى به الحصينُ ابن الزبير فى حال حصره . فإنه كان يصيب الـكعبة . وذلك فى أوائل سنة أربع وستين من الهجرة .

فلما أدبر الحصين بن نمير من مكة راجعا إلى الشـام — فى ربيع الآخر من هذه السنة ، بعد أن بلغه موت يزيد — استشار ابنُ الزبير الناس فى هدم الـكعبة وبنائها . فأشار بذلك قوم ، وكرهه آخرون . منهم : ابن عباس رضى الله عنهما .

فلما اجتمع له ما يحتاج إليه من آلات العمارة : هدمها وبناها على أسـاس إبراهيم عليه السلام . لأنه أدخل فيها ما كانت قريش أخرجته منها فى الحِجْر ، بعد أن كشف عن أساس إبراهيم حتى ظهر له ، وأوقف عليه الناس . وجعل لها بابين متقابلين لاصقين بالأرض . أحدهما : شرقى ، والآخر : غربى . واعتمد فى ذلك وفى إدخاله فيها ما أخرجته منها قريش : على حديث يقتضى ذلك ، أخبرته به خالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم[1] . وزاد

---

(١) هو مارواه مسلم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال . حدثتنى خالتى — يعنى عائشة — قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعائشة ، لولا أن =

فى طولها تسعة أذرع . هذا هو المشهور فيما زاد .

وقيل : زاد فيه عشرا . وهذا فى مسلم عن عطاء .

وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما هو الذى وضع الحجر الأسود فى الكعبة ، لما بنيت فى زمنه .

وقيل : وضعه ابنه عباد .

وقيل : ابنه حمزة .

وقيل : الحجَبة مع ابنه حمزة . والله أعلم .

والذى بناه الحجاج فى الكعبة : هو الجدر الذى يلى الحجر ـ بسكون الجيم ـ .

والباب الذى صنعه ابن الزبير رضى الله عنهما : فى دبر الكعبة ، وما تحت عتبة الباب الشرقى . وكبس أرضها بالحجارة التى فضلت من أحجارها . و باقيها على بناء ابن الزبير رضى الله عنهما .

وقد صعنت فيها أمور بعد ابن الزبير والحجاج .

فمن ذلك : عمارة فى الجزء الذى بناه الحجاج ، لانفتاحه . وهذا لم يذكره الأزرقى . وذكره الخزاعى .

ومن ذلك : عمارة رخام غير مرة فى سنة إحدى ـ أو اثنتين ـ وأربعين ومائتين .

وفى عشر الخمسين وخمسمائة ـ فى غالب الظن ـ من قِبل الجواد الأصبهانى وزير صاحب الموصل .

وفى سنة تسع وعشرين وستمائة ـ فى غالب الظن ـ من قبل المستنصر العباسى

بقومك حديث عهد بشرك لهدمت الكعبة ، فألزقتها بالأرض ، وجعلت لها بابين باباً شرقياً وباباً غربيا ، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر . فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة » .

وفى سنة ثمانين وستمائة : من قبل الملك المظفر صاحب اليمن . وفيما بعد ذلك وقبله .

ومن ذلك : عمارة فى سطحها بعد سنة مائتين . ذكر ذلك الأزرقى .

ومن ذلك : عمارة سقفها والدرجة التى بباطنها فى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

ومن ذلك : مواضع فى سقفها فى رمضان فى سنة أربع عشرة وثمانمائة .

ومن ذلك : فى آخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة : إصلاح رخام كثير بجوفها ، وإصلاح الروازن[1] بسطحها ، ورخامة تلى ميزابها ، لتخرب ما تحتها .

والأخشاب التى بسطحها المعدة لشد كسوة الكعبة ، قلعت لتخربها وعوضت بخشب غيرها ، وأحكم وضعها بسطحها .

ومن ذلك ــ فى صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة ــ : إصلاح رخام كثير بأرض الكعبة بين جانبها الغربى وأساطينها ، وفى جدرانها . وإقامة الأسطوانة التى تلى باب الكعبة لميلها ، وأحكمت فى موضعها وتنقلها .

ومن ذلك : عتبة الباب السفلى لرثاثتها . وجعل عوضها عتبة قطعة ساج فى سنة إحدى وأربعين ومائتين ، أو فى التى بعدها . ثم غُير ذلك بعتبة حجر منحوت . وهى الآن على ذلك . وما علمت متى جرى ذلك .

ومن ذلك : اسطوانة فيها . لأن الفاكهى قال : حدثنى أبو على الحسن بن مكرم ، قال : حدثنا عبد الله بن بكر ، قال : حدثنى أبو بكر بن خُبيب . قال : جاورت بمكة ، فغابت أسطوانة من أساطين البيت . فأخرجت ، وجىء بأخرى ليدخلوها مكانها ، وطالت عن الموضع ، فأدركهم الليل ، والكعبة لا تفتح ليلا .

(١) هى الطاقات الصغيرة لتهويتها وإضاءتها .

فتركوها مائلة ليعودوا من غد فيصلحوها . فجاءوا من غد فأصابوها أقوم من القدح . انتهى .

وهذا غريب . وفيه للبيت كرامة[1] .

ومن ذلك : ميزاب عمله رامشت . وصل به خادمه مثقال فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

وميزاب عمله المقتفى العباسى . وركب فى الكعبة بعد قلع ميزاب رامشت ، فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، أو فى التى بعدها .

وميزاب عمله الناصر العباسى . وهو الآن فى الكعبة . وظاهره فيما يبدو للناس محلى بفضة . وأحدث عهدٍ حُلى فيه : سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

ومن ذلك : باب عمله الجواد الوزير فى سنة خمسين وخمسمائة . وركب فيها سنة إحدى وخمسين . وكتب عليه اسم المقتفى ، وحلاه حلية حسنة .

وكلام ابن الأثير يوهم : أن المقتفى عمل للكعبة باباً . وما عمله إلا الجواد . والله أعلم .

وباب عمله الملك المظفر صاحب اليمن . وكانت عليه صفائح فضة زنتها ستون رطلا . فأخذها السدنة .

وباب عمله الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر من السنط الأحمر . وحلاه بخمسة وثلاثين ألف درهم وثلاثمائة درهم . وركب فى الكعبة فى ثامن عشرى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

وباب عمله ابنه الملك الناصر حسن فى سنة إحدى وستين وسبعمائة . وركب عليها فى التاريخ المذكور . فهو فيها إلى الآن .

واسم مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى ، صاحب الديار المصرية والشامية

---

(١) إن صحت . ولعل قوماً أدخلوها بالليل ، من بنى شيبة ، أو غيرهم .

والحرمين الشريفين ـ زاده الله نصراً وتأييداً ـ مكتوب بحائط الكعبة اليمانى بسبب ماأنفق فى سلطنته من العمارة فى الكعبة الشريفة .

واسم الأشرف شعبان بن حسين صاحب مصر مكتوب فى إحدى جانبى باب الكعبة فى الفيارين ، لتحليته فى زمنه .

واسم الملك المؤيد صاحب مصر ـ أبى النصر شيخ ـ مكتوب فى أحد قيارين الباب ، لتحليته فى زمنه .

وفى باب الكعبة مكتوب اسم الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وفى مفتاحها مكتوب اسم الملك المظفر صاحب اليمن .

هذا ما علمته مما عمل فى الكعبة بعد ابن الزبير والحجاج . ولا أعلم أن أحداً غَيَّر بناءها .

ونختم هذا الباب بفائدة تتعلق بباب الكعبة .

وهى : أنه اختلف فى أول من بوب الكعبة .

فقيل : أنوش بن شيث بن آدم عليهم السلام .

وقيل : تُبَّع الثالث الذى كساها ونحر لها .

وقيل : جرهم بَوَّبتهُ . والله تعالى أعلم .

الباب الثامن

فى صفة الـكعبة المعظمة ، وذرعها ، وشاذروانها ، وحليتها ، ومعاليقها ، وكسوتها ، وطيبها ، وخدامها ، وأسمائها ، وهدم الحبشى لهـا . ووقت فتحها فى الجاهلية والإسلام . و بيان جهة المصلين إلى الـكعبة من سائر الآفاق .

ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها .

أما صفة الكعبة: فإن أرضها مرخمة برخام ملون ، وكذلك جدرانها .

وأول من رخم ذلك : الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فيما ذكر الأزرقى ، نقلا عن ابن جريج . ثم غير ما توهن منه بعد ذلك مرات .

وفيها ثلاث دعائم من ساج على ثلاثة كراسى ، وفوقها ثلاث كراسى . وعلى هذه الـكراسى ثلاث جوايز من ساج . ولهـا سقفان بينهما فرجة . وفى السقف أربعة روازن للضوء نافذة إلى أسفلها .

وفى ركنها الشامى : درجة يصعد منها إلى سطحها . وعدد درجها : ثمان وثلاثون درجة .

وسقفها الأعلى مما يلى السماء : مرخم برخام أبيض . وكان طلى بالنورة فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة . ثم كشط ذلك فى سنة إحدى وثمانمائة .

و بطرف سطحها إفريز مبنى بحجارة . ويتصل بهذا الإفريز أخشاب فيها حلق من حديد تربط فيها كسوة الـكعبة .

وبابها من ظاهر مصفح بصفائح فضة مموهة بالذهب ، وكذلك فيارين الباب وعتبته العليا مطلية بفضة .

وأما أذرع الكعبة: فقد ذكره الأزرقى ، وابن جماعة .

وحررت أنا ذلك أيضاً . فـكان من سقفها الأسفل إلى أرضها : سبعة عشر ذراعاً ـــ بتقديم السين ـــ ونصف ذراع إلا قيراطا فى الجهة الشرقية . وكذلك باقى

الجهـات . إلا أن الجهة الشامية : تنقص عن الشرقية نصفاً إلا قيراطا . والجهة الغربية تنقص عن الشرقية : قيراطين . واليمانية تزيد على الشرقية : ثمن ذراع .

وعرض الجهة الشرقية ـ على التقريب ـ ثمانية عشر ذراعاً وسدس .

والجهة الشامية على ـ التقريب أيضاً ـ أربعة عشر ذراعاً إلا قيراطين .

والجهة الغربية : ثمانية عشر ذراعاً وثلث ذراع .

واليمانية أربعة عشر ذراعاً وثلثا ذراع .

وطول فتحة الباب من داخله مع الفيارين : ستة أذرع .

وطوله من خارجه بغير الفيارين : ستة أذرع إلا ربع .

وذرع فتحة الباب من داخل الـكعبة ـ مع الفيارين ـ ثلاثة أذرع وثلث إلا قيراط .

وطول كل من فردتى الباب : ستة أذرع إلا ثمن . وعرض كل منهما ذراعان إلا ثلث .

وأما ذرع الكعبة من خارجها : فإن من أعلى الشاخص فى سطحها فى الجهة الشرقية إلى أرض المطاف : ثلاثة وعشرين ذراعاً وثمن ذراع . وكذلك الجهة اليمانية ، والجهة الغربية . إلا أن الغربية تنقص ثمن ذراع .

وأما الجهة الشامية : فتنقص عن الشرقية واليمانية ربع ذراع .

وعرض الجهة الشرقية : أحد وعشرون ذراعاً وثلث .

وكذلك الغربية بزيادة ثلث .

وأما الشامية : فعرضها ثمانية عشر ذراعاً إلا ربع ذراع .

وكذلك اليمانية بزيادة نصف إلا قيراطين .

ومن عتبة باب الـكعبة إلى أرض الشاذروان تحتها : ثلاثة أذرع ونصف ، وارتفاع الشاذروان تحتها : ربع ذراع وقيراط .

والذراع الذى حررنا به : هو ذراع الحديد المستعمل فى القماش بالقــاهرة .
وكذلك ما حرر به ابن جماعة ، و بين ما ذكره وذكرناه اختلاف ، بيناه فى أصله .

والذراع الذى حرر به الأزرق : ذراع اليد .

وأما شاذروان الكعبة : فهو الأحجار الملاصقة بها التى فوقها مُسَنم مرخم فى الجانب الشرقى والغربى واليمانى .

وفى الجانب الشرقى : حجارة لا بناء عليها ، هى شاذروان .

وأما الأحجار التى تلى جدار الـكعبة الشامى : فليست شاذرواناً . لـكون موضعها من البيت ، بلا ريب .

والشاذروان : هو ما نقصته قريش من عرض أساس جدار البيت حين ظهر على الأرض ، كما هو عادة الأبنية .

أشار إلى ذلك الشيخ أبو حامد الإسفراينى ، وغيره من أئمة الشافعية .

وأما حكمه : فإن طواف من كان لشىء من بدنه : فهو غير صحيح على مذهب الشافعى رضى الله عنه .

وصرح بذلك ابن شاش ، وابن الحاجب ، وشارحه خليل .

وللميدة صاحب الشامل وغيرهم من متأخرى المالـكية .

وأنـكر ذلك بعض متأخريهم . ولم يثبته فى المذهب .

و يصح طواف من لم يخير منه فى طوافه عند الحنفية والحنابلة . والله أعلم .

وطول الشاذروان فى السماء : ستة عشر إصبعاً . وعرضه : ذراع . ذكره الأزرقى .

وقد نقص عرضه فى بعض الجهات عما ذكره الأزرقى .

فأفتى عالم الحجاز المحب الطبرى بإيجاب إعادة مقداره على ماذكره الأزرقى .

وأما حلية الكعبة المعظمة : فأول من حلاها فى الجاهلية ــ على ما قيل ــ عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما فى الإسلام ، فقيل : الوليد بن عبد الملك .

وقيل : أبوه .

وقيل : ابن الزبير رضى الله عنهما . والله أعلم .

وحلاها الأمين العباسى . وحلاها المتوكل العباسى .

هذا ماذكره الأزرقى من حلية الكعبة .

وحلاها بعده المعتضد العباسى فى سنة إحدى وثمانين ومائتين .

وأمر المقتدر العباسى ــ فى سنة عشر وثلاثمائة ــ والوزير الجواد ، فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وحلاها الملك المجاهد صاحب اليمن .

وأما معاليق الكعبة ، وماأهدى لها فى معنى الحلية : فذكر الأزرقى منها جانباً ذكرناه فى أصله ، مع أشياء لم يذكرها الأزرقى . بعضها كان فى عصره . وأكثر ذلك بعده . ونشير هنا بشىء منه .

فما أهدى لها فى عصر الأزرقى ، ولم يذكره : قفل فيه ألف دينار ، أهداه المعتصم العباسى فى سنة تسع عشرة ومائتين على ماذكره الفاكهى .

ومن ذلك : طوق ذهب فيه مائة مثقال مكلل بالزمرد والياقوت والماسب ، وياقوتة خضراء وزنها أربعة وعشرون مثقالا . بعث بذلك ملك من ملوك السند لما أسلم فى سنة تسع وخمسين ومائتين .

ومن ذلك : حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش ، كل حلقة وزنها ألف مثقال ، وفى كل حلقة ستة لؤلؤات فاخرات . وفيها ست قطع بلخش فاخر . بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبى سعيد بن خربندا ملك التتار ، فى موسم سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

وكان أمير الركب المصرى عارض فى تعليق ذلك . فلوطف حتى أذن فى تعليقهما ، ثم أزيلا بعد قليل .

ومن ذلك — على ما ذكره بعض فقهاء مكة — : أربعة قناديل . كل قنديل منها قدر الدورق بمكة ، اثنان ذهب واثنان فضة . بعث بذلك السلطان شيخ أوس صاحب بغداد . وعلق ذلك فى الكعبة . ثم أخذ عن قريب .

وكان إرساله بذلك فى أثناء عشر السبعين وسبعمائة ، على مقتضى ما أخبرنى به الفقيه المذكور .

وقد أهدى لها من هذا المعنى بعد ذلك أشياء .

وبالجملة : فلا يجوز أخذ شىء من حلية الكعبة ، لا للحاجة ، ولا للتبرك . لأن ما جعل لها وسبل لها تجرى مجرى الأوقاف . ولا يجوز تغييرها عن وجهها .

أشار إلى ذلك المحب الطبرى فى كتابه « القرى » قال : وفيه تعظيم للإسلام وترهيب على العدو . انتهى .

وأما كسوة الكعبة : فإنها كسيت فى الجاهلية والإسلام أنواعاً من الكُسَى وذكر الأزرقى من ذلك جانباً ذكرناه فى أصله .

وقد كساها قبل الإسلام جماعة . ولم يذكرهم الأزرقى . وذكرنا ذلك فى أصله .

وكسيت الكعبة — بعد الأزرقى — أنواعاً من الكُسَى .

فمن ذلك : الديباج الأبيض الخراسانى ، والديباج الأحمر الخراسانى ، على ما ذكر صاحب العقد .

ومن ذلك : الديباج الأبيض . فى زمن الحاكم العبيدى ، وحفيده المستنصر ، كساها ذلك فى زمن المستنصر الصليحى صاحب اليمن ومكة .

وكسيت فى سنة ست وستين وأربعمائة الديباج الأصفر . وهذه الـكسوة عملها السلطان محمود بن سُبُكْتكين ، صاحب الهند .

ثم ظفر بها نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقى ، فأنفذها إلى مكة وجعلت فوق كسوة كساها لهـا فى هذه السنة أبو النصر الأسترابادى . وكانت كسوته بيضاء من عمل الهند .

وكسيت فى خلافة الناصر العباسى كسوة خضراء وسوداء .

واستمرت تـكسى السواد حتى الآن . وفيها طراز أصفر . وكان قبل ذلك أبيض .

وقد أحدث : فى كسوة الـكعبة من الجانب الشرقى جامات منقوشة بالحرير الأبيض فى سنة عشر وثمانمائة .

ثم ترك ذلك فى سنة خمس عشرة وثمانمائة وثلاث سنين بعدها متوالية بعدها .

ثم أعيدت الجـامات البيض فى سنة تسع عشرة وثمانمائة وفى خمس سنين متوالية بعدها .

ثم ترك ذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

وكسيت ثياباً من القطن مصبوغة بالسواد . لأنها عريت من ريح عاصفة هاجت بمكة فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

وقيل : فى سنة أربع وأربعين .

ولم يكن عند شيخ الحرم ــ العفيف منصور ابن منعة البغدادى ــ شىء يقوم بكسوتها . فاقترض ثلاثمائة دينار واشترى بها ثياباً بيضاء وصبغها بالسواد . وكب عليها الطرز العتيقة .

وممن كساها : رامشت صاحب الرباط بمكة فى ســنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . كساها من الحبرات وغيرها . وقومت كسوته بثمانية عشر **ألف دينار** مصرية ، على ما ذكر ابن الزبير .

وقيل : بأربعة آلاف .

وأول من كساها : من الملوك – بعد انقضاء الخلافة من بغداد – : المظفر يوسف صاحب اليمن فى سنة تسع وخمسين وستمائة .

وأول من كساها من ملوك الترك بمصر : الملك الظاهر بيبرس فى سنة إحدى وستين وستمائة .

وكان المظفر يكسوها معه ، ومع من عاصره من ملوك مصر ، وربما انفرد بذلك .

ثم انفرد ملوك مصر بكسوتها بعد المظفر – فيما أحسبه – و إلى تاريخه .

وكسوتها – فى تاريخه ، وفيما قبله من نيف وسبعين سنة – من وقف وقفه صاحب مصر الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون على كسوة الكعبة فى كل سنة ، والحجرة النبوية والمنبر النبوى فى كل خمسين سنة مرة .

وكساها أخوه الناصر حسن ، وكانت تصل إلى الأرض والباقى منها نحو نصفها الأعلى ، وهى كسوة حسنة ، وهى حرير مذهب . وكان ذلك فى سنة إحدى وستين وسبعمائة .

وكان قبلها فى جوفها كسوة للمظفر – صاحب اليمن – فيما بلغنى .

وقد أزيلت كسوة الكعبة بجوفها التى عملها الناصر حسن ، وعوضت بكسوة حرير أحمر أنفذها مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى صاحب مصر والشام – نصره الله – على يد المقر الأشرف الكريمى الزينى عبد الباسط ، ناظر الجيوش المنصورة بالممالك الشريفة . أجزل الله علينا أفضاله . و بلغه آماله فى سنة ست وعشرين وثمانمائة . وجعلت فى جوف الكعبة فى موسم هذه السنة .

وللعلماء من الشافعية وغيرهم خلاف فى جواز بيع كسوة الكعبة .

وذكر الحافظ صلاح الدين العلائى فى قواعده : أنه لايتردد فى جواز ذلك .

وأما طيب الكعبة : فروينا عن عائشة رضى الله عنها أنهـا قالت : طيبوا البيت . فإن ذلك من تطهيره . وروينا عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « طيبوا البيت . فإن ذلك من تطهيره » وروينا عنها أنها قالت « لأن أطيب الكعبة أحب إلى من أهدى لها ذهباً وفضة » .

ولا يجوز أخذ شيء من طيب الكعبة ، لا للتبرك ولا لغيره . نص عليه النووى .

وأما خدام الكعبة : فإن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه أخدمها عبيداً ثم اتبعت ذلك الولاة بعده .

وأما أسماء الكعبة : فالكعبة ، و بكة ــ بالباء ــ والبيت الحرام ، والبيت العتيق ، وقادس ، ونادر ، والقرية القديمة .

وهذه الأسماء الثلاثة الأخيرة مذكورة فى تاريخ الأزرقى .

ومن أسمائها : البِنْية . ذكره القاضى عياض فى المشارق .

وأما هدم الحبشى للكعبة : فروينا فى ذلك حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم ــ من رواية أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين ــ وحديثاً من رواية ابن عباس رضى الله عنهما فى صحيح البخارى ، وتخريبه لها يكون بعد رفع القرآن على ما ذكر السهيلى . وذلك بعد موت عيسى عليه السلام .

وقيل : فى زمن عيسى . والله أعلم .

وأما وقت فتح الكعبة فى الجاهلية : فيوم الاثنين والخميس والجمعة .

وأما فى الإسلام : فيوم الجمعة . وكانت تفتح يوم الاثنين . وفعل ذلك فى عصرنا فى رمضان وشوال وذى القعدة من سنة إحدى وثمانمائة .

وتفتح فى أوقات أخر من كل سنة .

منها : فى بكرة الثانى عشر من ربيع الأول . وفى بكرة تاسع عشرين رجب الفرد لغسلها .

وتفتح فى سادس عشرى ذى القعدة لغسلها .

وفى بعض أيام المواسم فى الثمان من ذى الحجة وفى لياليها .

وفتحها فى هذا التاريخ لأجل البر المأخوذ ممن يدخلها من الحجاج . وهو لا يحل إلا بطيب نفس ممن يدفعه .

وذكر المحب الطبرى : أنه لا يحل منع أحد من دخول البيت .

وأما بيان جهة المصلين إلى الكعبة من سائر الآفاق ، ومعرفة أدلة القبلة بالآفاق المشار إليها :

فأخبرنى به خالى قاضى الحرمين محب الدين النويرى رحمه الله تعالى — سماعاً — عن القاضى عز الدين بن جماعة — سماعاً — أنه نقل ذلك من خط والده القاضى بدر الدين فى الدائرة التى ذكر فيها صفة الكعبة ، وما يحتاج إلى معرفة تصويره وأن والده قال : إنه كتبها فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وستمائة . وذكرنا كلامه فى أصله بزيادة فوائد .

الباب التاسع

في بيان مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة المعظمة ، وقدر صلاته فيها ووقتها . ومن رواها من الصحابة . ومن نفاها منهم رضى الله عنهم أجمعين ، وترجيح رواية من أثبتها على رواية من نفاها . وما قيل من الجمع بين ذلك .

وعدد دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته إلى المدينة ، وأول وقت دخلها فيه بعد هجرته صلى الله عليه وسلم .

أما موضع صلاته في الكعبة : فقد بينه ابن عمر رضى الله عنهما . لأن في البخارى – من رواية موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما – « أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قِبل وجهه حتى يدخل . و يجعل الباب قِبل الظهر ، يمشى حتى يكون بينه و بين الجدار الذى قِبل وجهه قريباً من ثلاثة أذرع ، فيصلى ، يتوخى المكان الذى أخبره بلال رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه » .

ورو ينا في الأزرقى : أن معاو ية رضى الله عنه « سأل ابن عمر رضى الله عنهما عن مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة ؟ فقال : بين العمودين المقدمين . اجعل بينك و بين الجدار ذراعين ، أو ثلاثة » .

وأما قدر صلاته هذه : فركعتان . كما في كتاب الصلاة من صحيح البخارى . من حديث مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وأما من روى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة – يوم فتح مكة – من الصحابة : فبلال ، وشيبة بن عثمان الحجبى ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله ابن عباس – ولا يصح عنه – وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن صفوان القرشى ، وعثمان بن طلحة الحجبى ، وعمر بن الخطاب ، وأبو هريرة – و إسناد حديثه ضعيف – وعائشة ، رضى الله عنهم أجمعين .

وأما الذين نفوها : فأسامة بن زيد ، والفضل بن العباس ، وأخوه عبد الله ، رضى الله عنهم .

وأما ترجيح رواية من أثبت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة على رواية من نفاها : فلإثباته مانفاه غيره . وفى مثل هذا يؤخذ بقول المثبت .

وقد أشار إلى الترجيح بذلك جماعة . منهم : النووى ، رحمهم الله .

وأقرب ما قيل فى الجمع بين الاختلاف فى إثبات صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ونفيها . أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى الكعبة لما غاب عنه أسامة من الكعبة لأمر ندبه إليه . وهو : أن يأتى بما يمحو به الصور التى كانت فى الكعبة . لأن فى مسند الطيالسي — من حديث أسامة بن زيد — : أنه « أتى النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء . فجعل يمحو به الصور » وإسناد الطيالسى فيه تقوم به الحجة . فلذلك كان هذا الوجه أقرب ماقيل فى الجمع بين هذا الاختلاف .

ويجمع أيضاً بين حديث بلال والفضل بمثل هذا الجمع . لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الفضل — بعد دخوله معه إلى الكعبة — ليأتيه بما يطمس به الصور التى فى الكعبة على ما قيل . فصلى النبي صلى الله عليه وسلم فى غيبته .

وهذا رويناه فى تاريخ الأزرقى عن عبد الحميد بن أبى رواد عن الزهرى .

وحديث بلال أرجح من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . لأن بلالاً رضى الله عنه شهد صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ، وابن عباس رضى الله عنهما لم يشهدها . وإنما اعتمد فى نفيها على أخيه ، وأسامة رضى الله عنهما . والله أعلم .

وأما عدد دخوله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة بعد هجرته : فروينا فيه أخباراً يتحصل من مجموعها دخوله إليها أربع مرات يوم فتح مكة . وهذا لاريب فى صحته .

وفى ثانية ، كما هو مقتضى حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، وحديث أسامة رضى الله عنه ، الذى جمع به ابن ماجه .

وفى حجة الوداع ، كما هو مقتضى حديث عائشة رضى الله عنها . وسيأتى ذكره قريباً فى أول الباب الذى بعده .

وفى عمرة القضية ، كما يقتضيه كلام المحب الطبرى . وفى صحة ذلك نظر .

وأما أول وقت دخل فيه النبى صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد هجرته : فيوم فتح مكة .

وقد نقل الأزرقى عن جده عن سفيان بن عيينة عن غير واحد من أهل العلم ، سمع منهم : يذكرون « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح . ثم حج ولم يدخلها » انتهى[1] .

وهذا يدل على أنه لم يدخل فى ثانى الفتح ، ولا فى حجة الوداع . والله أعلم .

---

(١) وقد رجح الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى هذا فى زاد المعاد .

الباب العاشر

في ثواب دخول الكعبة المعظمة ، و فيما جاء من الأخبار الموهمة لعدم استحباب ذلك ، وفيما يطلب فيها من الأمور التي صنعها فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكر الصلاة فيها وآداب دخولها .

وأما ثواب دخولها : فروينا فيه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دخل البيت وصلى فيه ، دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفور له » أخرجه الطبراني .

وروى الفاكهي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما « من دخله — يعني البيت — فصلى فيه ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقد اتفق الأئمة على استحباب دخولها . واستحسن مالك كثرة دخولها .

وأما ما ورد موهما بخلاف ذلك : فحديث عائشة رضى الله عنها قالت : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندى ، وهو قرير العين ، طيب النفس . فرجع إلىّ وهو حزين . فقلت له . فقال : إني دخلت الكعبة ، ووددت أني لم أكن فعلت . إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدى » أخرجه الترمذي ، والحاكم في مستدركه من حديث إسماعيل بن عبد الله بن عبد الملك بن أبي الصغير المكي ، عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها .

و إسماعيل : وهاه ابن مهدى . وذلك يقتضي توهين حديثه . والله أعلم .

وقال المحب الطبري — بعد إخراجه لهذا الحديث — : وقد استدل بهذا الحديث من كره دخول البيت . ولا دلالة فيه . بل نقول : دخوله صلى الله عليه وسلم دليل على الاستحباب . وتمنيه عدم الدخول : قد علله بالمشقة على أمته . وذلك لا يرفع حكم الاستحباب . انتهى .

وأما ما يطلب فى الـكعبة من الأمور التى صنعها النبى صلى الله عليه وسلم لحمد الله ، والثناء عليه ، والدعاء والذكر . وغير ذلك مما ذكرناه فى أصله .

وأما حكم الصلاة فى الـكعبة : فإن النافلة فيها مستحبة عند المالـكية ، وجمهور العلماء . وخالف فى ذلك بعض العلماء . فقال : لايصح فيها فرض ولا نفل . وهذا ضعيف . والله أعلم .

ويستثنى من النوافل فيها ـ على مقتضى مشهور مذهب مالك رحمه الله ـ النفل المؤكد : كالعيدين ، والوتر ، وركعتى الفجر ، والطواف الواجب . فإن ذلك لايصح فيها .

وأما الفرض : فمشهور المذهب عدم صحته فيها، وهو الأصح من مذهب الحنابلة . ويصح على مذهب أبى حنيفة والشافعى .

وسطحها فى الفرض كجوفها ، على مقتضى ماسبق من مذهب الأئمة الأربعة ، إلا أن صحة الصلاة فى سطحها ـ على مذهب الشافعى ـ مشروطة بأن يكون بين يدى المصلى شاخص من نفس الـكعبة قدر ثلثى ذراع تقريباً على الصحيح .

والشاخص الآن بسطحها يزيد على ثلثى ذراع . لأنه فى الجهة الشرقية ذراع إلا ثمن ، والشامية ذراع وثمن . وفى الغربية ذراع ، واليمانية ثلثا ذراع .

وأما آداب دخولها : فالاغتسال ، ونزع الخف والنعل ، وأن لايرفع بصره إلى السقف . وأن لا يزاحم زحمة يتأذى بها ، أو يؤذى غيره ، وأن لا يكلم أحداً إلا لضرورة ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منـكر ، وأن يلزم قلبه الخشوع . وأن يلزم قلبه الخشوع والخضوع ، وعينيه الدموع إن استطاع ذلك ، وإلا حاول درهما .

ذكر ذلك المحب الطبرى : والنساء يساوين الرجال فى دخولها من غير خلاف فيما أعلم .

الباب الحادي عشر

في ذكر شيء من فضائل الكعبة . وفضائل ركنيها : الحجر الأسود واليماني .

فأما فضل الكعبة : فكثير ثابت في القرآن العظيم . وفي السنة الشريفة . ولم نورده إلا للتبرك .

قال الله تعالى (٣ : ٩٦ إن أول بيت وضع للناس لَلّذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم . ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حِج البيت من استطاع إليه سبيلاً) .

وأما الأحاديث : فروينا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن هذا البيت دعامة الإسلام . ومن خرج يؤم هذا البيت – من حاج أو معتمر – كان مضموناً على الله عز وجل ، إن قبضه : أن يدخله الجنة ، وإن رده : أن يرده بأجر وغنيمة » أخرجه الأزرقي بإسناد صالح .

وأما فضل الحجر الأسود : فكثير . لأنا روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة . طمس الله نورهما ، ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب » أخرجه ابن حبان في صحيحه ، والترمذي . وقال : غريب .

وذكر إمام المقام ، وخطيب المسجد الحرام ، سليمان بن خليل : أنه رأى فيه – يعني : الحجر الأسود – ثلاث مواضع بيض نقية ، ثم قال : إني أتلمح تلك النقط . فإذا هي كل وقت في نقص . انتهى .

وبه الآن في الجهة التي تلي باب الكعبة في أعلاها نقطة بيضاء مثل حبة

سمسمة ، على ما أخبرنى به ثلاثة نفر يعتمد عليهم من أصحابنا الفقهاء . وكان إخبارهم لى بذلك فى العشر الأخير من جمادى الأولى سنة ثمان عشرة **وثمانمائة** . وفى هذا التاريخ شاهدوا ذلك على ما ذكروا .

ومن فضائله : « أنه يشهد يوم القيامة لمن استلمه بحق » كذا رويناه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً فى الترمذى . وله فضائل أخر .

وأما الركن اليمانى : فمن فضائله : مارويناه عن ابن عمر رضى الله عنهما « أنه كان يزاحم على الركنين . فقيل له فى ذلك . فقال : إنه أفضل . فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن مسحهما كفارة للخطايا » أخرجه الترمذى

وروينا عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مسح الحجر الأسود ، والركن اليمانى : يحط الخطايا حطاً » أخرجه ابن حبان .

وهذا فى حق الرجال .

وأما النساء : فلايستحب ذلك لهن إلا فى خلوة . ويكره لهن مزاحمة الرجال على ذلك .

الباب الثانى عشر

فى فضائل الأعمال المتعلقة بالكعبة . كالطواف بها ، والنظر إليها ، والحج والعمرة ، وغير ذلك .

أما فضل الطواف من غير تقييد بزمن : فروينا من حديث أنس رضى الله عنه « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأنصارى سأله عن الطواف بالبيت ؟ وأما طوافك بالبيت ، فإنك لا تضع قدماً ولا ترفعها إلا كتب الله عز وجل لك بها حسنة ، ومحا عنك بها خطيئة ، ورفعك بها درجة . وأما ركعتيك بعد الطواف : فكعتق رقبة . وأما طوافك بعد ذلك : فإنك تطوف ولا ذنب عليك » أخرجه ابن حبان فى صحيحه مطولا .

وروينا فى الطبرانى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً « من طاف بالبيت خمسين أسبوعاً : خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وهو فىالترمذى إلا أنه قال « مرة » بدل « أسبوع » .

والمراد بذلك : وجوده فى صحيفة حسناته . لا الإتيان به فى وقت واحد .

نص على ذلك المحب الطبرى فى « القرى » .

وللعلماء خلاف فى الطواف ، والصلاة بمكة : أيهما أفضل ؟

وفى المسألة قول ثالث : أن الطواف للغرباء أفضل ، لعدم تأتيه لهم . والصلاة لأهل مكة أفضل ، لتمكنهم من الأمرين .

ويدل لفضل الطواف على الصلاة حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى تنزل الرحمات . لأن فيه « للطائفين ستين ، وللمصلين أربعين » .

وقد ذكر دلالته على ذلك المحب الطبرى . وأفاد فيما ذكر . والله أعلم .

واختلف أيضاً فى الطواف والعمرة : أيهما أفضل ؟

وللمحب الطبرى فى ذلك تأليف ، سماه « عواطف النظرة فى تفضيل الطواف على العمرة » . وذكر ما يوافق ذلك فى كتابه « القرى » .

ووافقه على ذلك القاضى عز الدين ابن جماعة ، والشيخ أبو أمامة ابن النقاش ، فيما بلغنى عنه .

وقال بتفضيل العمرة الشيخ عبد الله اليافعى شيخ مكة ، وشيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيتى وغيرهما . والله أعلم .

وجاء فى الطائفين : مارويناه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يباهى بالطائفين » وأخرجه الآجرى فى ثمانيته .

وأما ثواب النظر إلى الكعبة : ففيه عشرون رحمة ، كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

وفيه ما رويناه عن سعيد بن المسيب قال « من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من الخطايا كيوم ولدته أمه»[1] وهذا فى الأزرقى . وفيه غير ذلك .

وأما ثواب الحج والعمرة : ففيه ما رويناه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما . والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » متفق عليه .

وروينا من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الحج يهدم ما قبله » أخرجه مسلم .

وفى المعنى أحاديث أخر .

---

(١) فى هذه الأحاديث نظر .

الباب الثالث عشر
فى الآيات المتعلقة بالكعبة المعظمة

للكعبة آيات بينات .

منها : بقاء بنائها الموجود الآن . وهو يقتضى أنه لا يبقى هذه المدة ، على مابلغنى عن بعض مهندسى عصرنا قال : وإنما بقاؤها آية من آيات الله . انتهى .

ولعمرى إنه لصادق . فإن من المعلوم ضرورة : أن الريح والمطر إذا تواليا أياما على بناء يخرب .

ومن المعلوم ضرورة : أن الكعبة المعظمة مازالت الرياح العاصفة والأمطار الكثيرة المهولة تتوالى عليها منذ بنيت وإلى تاريخه . وذلك سبعمائة سنة ونيف وخمسون سنة . ولم يحدث فيها ــ بحمد الله ــ تغير أدى إلى خللها .

ومن آياتها : حفظها ممن أرادها بسوء ، وهلاك من أرادها بذلك . كما جرى لِتُبَّع والهذليين ، وأصحاب الفيل .

أما قصة تبع : فإنه لما أقبل من المدينة حَسَّن له نفر من هذيل هدم الكعبة ، وأن يبنى عنده بيتاً يصرف إليه الحج . فعزم على ذلك . فدقت[1] بهم دوابهم ، وغشيتهم ظلمة شديدة وريح . ثم رجع عن عزمه ونوى تعظيم الكعبة فانحلت عنهم الظلمة ، وسكنت الريح وانطلقت بهم دوابهم . وأمر بضرب رقاب الهذليين فضربت . وسار إلى مكة . فأقام بها أياما ينحر كل يوم مائة بدنة للصدقة . وكسى البيت الحرام أنواعا من الكسوة . وهذا الخبر فى الأزرقى مطولا .

وفى رواية : أنه لما أصغى لقول الهذليين بات صحيحاً . فأصبح وقد سالت عيناه فلما نوى كرامة البيت وأهله رجعت عيناه ، فارتد بصيرا .

---

(١) كذا بالأصل .

وهذا الخبر فى الفاكهى .

وقيل : أصابه غير ذلك .

وأما أصحاب الفيل : فإن أبْرَهة بن الصباح الأشرم — ملك اليمن من قبل النجاشى — سار إلى مكة يريد تخريب الكعبة . لأن رجلا من العرب بال فى كنيسة بناها أبرهة بصنعاء . وكان يعظمها ، ويريد أن يصرف الحج إليها . وساق معه الفيل . فلما بلغ المُغَمَّس عَبَّأ جيشه . وقَدَّم الفيل . فكانوا إذا وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح . وإذا وجهوه إلى اليمن — أو إلى غيره من الجهات — هرول . فأرسل الله تعالى طيراً سوداء — وقيل : خضراء ، وقيل : بيضاء — مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه ، أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة . فكان يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره . ففروا ، وهلكوا فى كل طريق . وتساقطت أنامل أبرهة ، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه . وانفلت وزيره أبو مكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى . فقص عليه القصة . فلما أتمها وقع عليه الحجر ، فخر ميتاً بين يديه .

وخبر أصحاب الفيل أطول من هذا . وهذا ملخص منه .

الباب الرابع عشر

فى ذكر شىء من أخبار الحجر الأسود

روينا فى تاريخ الأزرقى عن ابن إسحاق وغيره : أن الله عز وجل استودع الركن أبا قبيس حين غرقِ الأرض زمن نوح عليه السلام ، وقال « إذا رأيت خليلى يبنى بيتى فأخرجه له » فلما بنى الخليل البيت جاءه جبريل عليه السلام بالحجر الأسود ، فوضعه موضعه من البيت . انتهى .

وقيل : إن إلياس بن مضر أول من وضع الحجر للناس بعد الغَرق . ذكره الزبير بن بكار . وهذا مخالف لما سبق .

ولما خرجت جرهم من مكة ، خرج عمرو بن الحارث بن مضاضة بغزالى الكعبة و بحجر الركن ، فدفنهما فى زمزم .

وفى بعض الأخبار : أن جرهما لما خرجت دفنت الحجر بأسفل مكة ، وأن قصى بن كلاب بحث عنه حتى أظهره للناس .

وفى بعض الأخبار : أن بنى إياد دفنوه لما خرجوا من مكة .

هذا ما علمت من خبره فى الجاهلية .

وأما خبره فى الإسلام : فإنه أزيل من موضعه اثنين وعشرين سنة ، إلا أربعة أيام . والمزيل له القرامطة ، وشد بالفضة لتصدعه .

وكان تصدعه ثلاث مرات .

الأولى : من الحريق الذى أصابه فى زمن ابن الزبير ، وانشطبت منه شطبة فشدت بالفضة . ثم تغيرت هذه الفضة ، فأحكمت فى سنة تسع وثمانين ومائة .

والمرة الثانية : أن بعض القرامطة ضرب الحجر الأسود بدبوس فتكسر . ثم قلع يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة سبع عشرة

وثلثمائة بأمر أبى طاهر القرمطى . وذهب به معه إلى هجر . فأقام عند القرامطة إلى أن رده[١] فى يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

وكان الذى وضعه فى الكعبة ـ بعد رده ـ شبر بن الحسن القرمطى ، وشده الصائغ بجص أحضره شبر .

وكان على الحجر ـ حين أحضر فى هذا التاريخ ـ ضبات فضة قد عملت من طوله وعرضه ، تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد انقلاعه .

ثم قلع فى سنة أربعين وثلاثمائة ، وعمل له طوق محكم من فضة ليشده .

والمرة الثالثة: أن بعض الملاحدة أيضاً : ضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات بدبوس . فتنجش ، وتساقطت منه شظايا . ثم أصلح ماتشعث منه وطلى . وكانت هذه الحادثة فى يوم النفر الأول سنة ثلاث عشرة وأربعمائة .

وقيل : سنة أربع عشرة . والله أعلم .

ومن آيات الحجر الأسود : بقاؤه مع ما عرض له من الذهاب غير مرة . وغير ذلك . وقد ذكرناه فى أصله .

---

(١) ذكر ابن فهد فى كتابه « إتحاف الورى » أن الذى أحضر الحجر شبر ابن الحسن القرمطى .

الباب الخامس عشر

في الملتزم ، والمستجاب ، والحطيم . وما جاء في ذلك من استجابة الدعاء في هذه هذه المواضع ، وغيرها من الأماكن بمكة المشرفة وحرمها .

أما الملتزم : فهو ما بين الباب — باب الكعبة — والحجر الأسود ، على ما روينا عن ابن عباس رضى الله عنهما . وروينا عنه حديثاً مرفوعا مسلسلاً في استجابة الدعاء فيه . وجرب ذلك من زمنه إلى عصرنا .

وأما المستجاب : فهو ما بين الركن اليمانى والباب المسدود في دبر الكعبة . وروينا في استجابة الدعاء فيه خبراً في مجابى الدعوة لابن أبى الدنيا .

وأما الحطيم : فهو ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم . والحِجْر — بسكون الجيم — .

وقيل : إن « الحطيم » هو الموضع الذى فيه الميزاب . وهذا في كتب الحنفية .

وعليه فيكون « الحطيم » الحجر — بسكون الجيم — وقيل فيه غير ذلك .

وسمى « بالحطيم » لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان . فقلَّ من دعى هنالك على ظالم إلا هلك . وقل من حلف هنالك آثماً إلا عجلت له العقوبة .

وقيل : في سبب تسميته بالحطيم غير ذلك .

وأما بقية المواضع التى يستجاب فيها الدعاء : فكثير منها مذكور في رسالة الحسن البصرى . لأن فيها أن الدعاء يستجاب في خمسة عشر موضعاً .

أولها : عند الملتزم ، وتحت الميزاب ، وعند الركن اليمانى ، وعلى الصفا وعلى المروة ، و بين الصفا والمروة ، و بين الركن والمقام ، وفي جوف الكعبة ، و بمنى ، و بجَمْع ، و بعرفات ، وعند الجمرات الثلاث ، هكذا وجدت في نسختى من هذه

الرسالة . وهى تقتضى أن تــكون المواضع أربعة عشر . والظاهر : أنه سقط منها موضع . لعله أن يكون خلف المقام .

ويحتمل أن يكون فى الطواف . لأنه روى عن الحسن البصرى[1] رحمه الله تعالى : أن الحجر الأسود يستجاب عنده الدعاء . فتصير المواضع ستة عشر . انتهى .

وذكر شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى مواضع أخر بمكة وحرمها وقربه يستجاب فيها الدعاء .

وذكرنا ذلك فى أصله . وبينا ما فى ذلك من الوهم والإجمال .

ومن المواضع التى يرجى فيها استجابة الدعاء فى المسجد الحرام : باب بنى شيبة ، وباب إبراهيم ، وباب النبى صلى الله عليه وسلم . وهو باب المسجد الذى يعرف الآن بباب الجنائز .

---

(١) بخط الحافظ نجم الدين ابن فهد بالهامش : عد هذين الموضعين فى المواضع التى يستجاب فيها الدعاء . . قال المحب الطبرى : وروى عن الحسن البصرى .

الباب السادس عشر

فى ذكر شىء من أخبار المقام ، مقام الخليل عليه السلام

هذا المقام : هو الحجر الذى وقف عليه الخليل لما بنى الكعبة .

وقيل : لما أذن بالحج .

وقيل : لما غسلت زوجة ابنه إسماعيل رأسه .

وقال القاضى عز الدين ابن جماعة ــ فيما أخبرنى به عنه خالى ــ : مقدار ارتفاعه من الأرض نصف ذراع وربع ذراع .

قال : وأعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع ذراع . وموضع عرض القدمين : ملبس بفضة . وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط . انتهى .

والذراع المشار إليه ذراع الحديد .

وأول ما حلى المقام : فى خلافة المهدى ، فى سنة إحدى وستين ومائة ، ثم فى خلافة المتوكل فى مصدر الحاج سنة ست وثلاثين ومائتين .

وفى خلافة المهدى سنة ست وخمسين ومائتين ، وكان قد توهن فى هذه السنة كثيراً . فأحكم الطاقة فى المقام الآن فى قبة من حديد ثابت فيها . والقبة ثابتة فى الأرض . وهى قائمة على أربعة شبابيك من حديد . وفوق الشبابيك قبة من خشب مبنى فوقها . ويتصل بهذه القبة ساباط يصلى فيه الإمام الشافعى . وظاهره ــ كظاهر القبة ــ مبنى بحجارة منورة . وباطنه وباطن القبة ــ فيما يبدو للناس ــ من خزف بالذهب .

وأحدث عهد صنع فيه ذلك سنة عشر وثمانمائة .

وموضع المقام اليوم : هو موضعه فى الجاهلية ، وفى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، إلا أن السيل ذهب به فى **خلافة عمر** رضى الله عنه . فجعل فى وجه الكعبة ، **حتى قدم** عمر رضى الله عنه . فرده بمحضر

الناس . ذكر ذلك الأزرقى عن ابن أبى مليكة . وذكر عن عمرو بن دينار عن ابن عيينة مايوافقه .

وذكر الفاكهى أخباراً تدل على أن المقام كان عند الكعبة .

وفى بعضها ما يشعر بتقريب بيان موضعه عند الكعبة .

وصرح ابن سراقة بموضعه عند الكعبة .

وهو على مقتضى ماذكر : يكون على ذراعين وثلثى ذراع بالحديد من طرف الحفرة المرخمة عند الكعبة إلى جهة الحجر – بسكون الجيم – .

وعلى مقتضى الخبر الذى ذكره الفاكهى : يكون موضع المقام عند الكعبة فى مقدار نصف الحفرة المذكورة التى تلى الحجر – بسكون الجيم – والله أعلم بالصواب .

وذكر ابن سراقة : أن مقدار مابين موضع المقام الآن ووجه الكعبة عشرون ذراعا . وذلك غير مستقيم . لأن من وسط جدر الكعبة الشرقى إلى وسط الصندوق ، الذى المقام فى جوفه – المقابل لوجه الكعبة – اثنين وعشرين ذراعا إلا ربع ذراع بالحديد . وهو أزيد من ذراع اليد الذى ذكره ابن سراقة بثمن ذراع .

وللمقام فضائل سبق ذكرها فى فضل البيت ، وفضل الحجر الأسود . فى الباب الحادى عشر .

وروينا عن مجاهد ، قال « يأتى الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة » . أخرجه الأزرقى . والله أعلم .

الباب السابع عشر

في ذكر شيء من أخبار الحجْر المكرم — حِجْر إسماعيل عليه السلام — وفيه بيان المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة .

روينا في تاريخ الأزرقي عن أبي إسحاق قال : وجعل إبراهيم الحجر — أي : جنب البيت — عريشا من أراك تقتحمه العنز . وكان زريبا لغنم إسماعيل . انتهى .

وقد تقدم في خبر عمارة الكعبة : أن قريشا أدخلت في الحجر منها أذرعا لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارتها ، وأن ابن الزبير أدخل ذلك فيها . وأن الحجاج أخرج ذلك منها ، ورده إلى ما كان عليه في عهد قريش والنبي صلى الله عليه وسلم . واستمر ذلك إلى الآن . فصار بعض الحجر من الكعبة و بعضه ليس منها .

وقد اختلفت الروايات عن عائشة رضي الله تعالى عنها في مقدارهما في الحجر من الكعبة .

ففي رواية : قريب من تسعة أذرع .
وفي رواية : ستة أذرع أو نحوها .
وفي رواية : ستة أذرع .
وفي رواية : خمسة أذرع .
وفي رواية : أربعة أذرع .

وهذه الرواية الأخيرة في كتاب الفاكهي بإسناد فيه من لم أعرفه . وما عدا ذلك من الروايات صحيح الإسناد .

واختلاف الروايات عن عائشة رضي الله عنها في قدر ما في الحجر من الكعبة لا يقتضي ترك العمل بما روى عنها من أن بعض الحجر من البيت . و إنما يقتضي أن يعمل في مقدار ما في الحجر من الكعبة بأكثر الروايات في ذلك . والله أعلم .

وقد جزم بصحة طواف من طاف فى الحجر خارجا عن ستة أذرع من البيت إمام الحرمين والده الشيخ أبو محمد الجوينى والبغوى .

وذكر الرافعى : أن هذا المذهب هو الصحيح . وقال به اللخمى من المالكية . وجزم به الشيخ خليل الجندى المالكى فى مختصره الذى صنفه لبيان مابه الفتوى والله أعلم .

والحجر : هو مابين الركن الشامى الذى يقال له : العراقى ، والركن الغربى ، وهو عرضه فى مرخمة لها جدار منقوش على نصف دائرة .

وقد ذكرنا ذرعه من داخله وخارجه ، وشىء من خبر عمارته فى أصل هذا الكتاب .

وجاء فى فضله وفضل الصلاة فيه والدعاء فيه أخبار .

منها : مارواه الفاكهى بسنده عن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة « يا أبا هريرة ، إن على باب الحجر ملكا يقول لمن دخل فصلى ركعتين : مغفوراً لك ما مضى . فاستأنف العمل ، وعلى باب الحجر الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج : مرحوماً إن كنت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تقياً » انتهى .

وروينا عن ابن عباس رضى الله عنهما « صلوا فى مصلى الأخيار » وسئل عن ذلك . فقال « تحت الميزاب » . أخرجه الأزرقى .

وحكم الصلاة فيها فى الحجر من الكعبة : حكم الصلاة فيها ، لكون ذلك منها . فلا يصح فيه على مشهور مذهب مالك فرض ولا نفل مؤكد . والله أعلم .

وروينا عن عطاء ، قال : من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا : استجيب له . وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وروينا عنه : من قام تحت مثعب الكعبة ، يعنى ميزابها . أخرجه الأزرقى .

وروى عن عثمان رضى الله عنـــه : أنه وقف تحت الميزاب يدعو . وقال : مازلت قائماً على باب الجنة .

وفى الحجر قبر إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر . وقيل : إنه فى الحطيم[1]. والله أعلم .

وينبغى توقى النوم فيه والاحتراز من بدعتين أحدثهما الناس لا أصل لهما على ماذكر ابن جماعة .

إحداهما : فى وقوفهم فى فتحتى الحجر للصلاة والســلام على النبى صلى الله عليه وسلم .

والأخرى : استقبالهم جهة النبى صلى الله عليه وسلم فى فتحتى الحجر للدعاء واستدبارهم للقبلة .

والمعروف فى آداب الدعاء : استقبالها . هــذا معنى كلامه . قال : والله يوفقنا لاجتناب البدعة واتباع السنة بمنه وكرمه .

وأما المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم حول الـكعبة : فذكرها المحب الطبرى فى كتابه « القرى » بدلالتها . ونشير هنا لشىء من ذلك .

الموضع الأول : خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

الثانى : تلقاء الحجر الأسود على حاشية المطاف .

الثالث : قريب من الركن الشامى مما يلى الحجر ، بسكون الجيم .

الرابع : عند باب الـكعبة .

الخامس : تلقاء الركن الذى يلى الحجر من جهة المغرب جانحاً إلى جهة المغرب قليلا ، بحيث يكون باب المسجد ــ الذى يقال له اليوم باب العمرة ــ خلف ظهره .

---

(١) فى كل هذه الآثار نظر .

السادس : فى وجه الـكعبة .

السابع : بين الركنين اليمانيين .

الثامن : الحجر .

واستدل المحب الطبرى للمصلى الثالث ، بحديث عبد الله بن السائب رضى الله عنه .

واستدل للسادس بحديث لأسامة بن زيد رضى الله عنهما .

والمصلى الذى ذكره ابن السائب ، والذى ذكره أسامة : واحد — فيما أحسب — لأنهما فى وجه الـكعبة ، فيما بين الباب والحجر — بسكون الجيم — وقد أوضحنا ذلك فى أصله . والله أعلم .

وأما الحفرة المرخمة فى وجه الـكعبة : فقد سبق فى الباب الذى قبله مايقتضى أن نصفها الذى يلى الحجر — بسكون الجيم — موضع المقام عند البيت . ويقال : إنها الموضع الذى صلى فيه جبريل عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وسلم لما فرضت الصلاة .

واستبعد ذلك القاضى عز الدين بن جماعة .

ويقال : إنها موضع مصلى آدم عليه السلام .

ذكر ذلك الآقشهرى — رحمه الله — عن شيخه الشيخ رضى الدين الطبرى إمام المقام .

وسبق فى الباب الثامن : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بين الركنين اليمانيين ، وهو موضع الرخامة فى وسط هذا الجانب المـكتوب فيها « عمارة المنصور لاجين » للمطاف .

وهذا لا يفهم مما ذكره المحب الطبرى فى هذا المصلى .

الباب الثامن عشر

فى ذكر شيء من أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته وذرعه

أما خبر توسعة المسجد الحرام : فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أول من وسعه بدور اشتراها ودور هدمها على من أبى البيع وترك ثمنها لأربابها فى خزانة الكعبة .

وكان فعله لذلك فى سنة سبع عشرة ، وكذلك فعل عثمان رضى الله عنه .

وكان فعله لذلك فى سنة ستة وعشرين من الهجرة .

وسعه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما من جانبه الشرقى والشامى واليمانى .

ثم وسعه المنصور العباسى من جانبه الشامى . ومن جانبه الغربى .

وكان مازاده مثل ما كان من قبل .

وكان ابتداء عمله فى الحرم سنة سبع وثلاثين ومائة . والفراغ منه فى ذى الحجة سنة أربعين .

ثم وسعه المهدى ابن المنصور من أعلاه ومن الجانب اليمانى ، ومن الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم خلا الزيادتين . فإنهما أحدثتا بعده .

وكانت توسعته له فى نوبتين .

الأولى : فى سنة إحدى وستين ومائة .

والثانية : فى سنة سبع وستين .

وليس لأحد من الأثر فى النفقة فى عمارته مثل ما للمهدى . فالله يثبته .

واسمه إلى الآن فى سقف المسجد الحرام قريباً من منارة الميل .

ومن عمره من غير توسعة عبد الملك بن مروان . رفع جدرانه وسقفه بالساج .

وعمره ابنه الوليد ، وسقفه بالساج المزخرف ، وأزره من داخله بالرخام .

وذكر السهيلى فى خبر عمارته ما يستغرب ؛ لأنه قال : فلما كان ابن الزبير . زاد فى إتقانه لا فى سعته .

والمستغرب من هذا كون ابن الزبير لم يوسع المسجد الحرام .

ومما زيد فى المسجد الحرام بعد المهدى زيادة دار الندوة ، وبالجانب الشمالى ، والزيادة المعروفة بزيادة باب إبراهيم بالجانب الغربى .

وكان إنشاء زيادة دار الندوة فى زمن المعتضد العباسى .

وكان ابتداء الكتابة إليه فيها فى سنة إحدى وثمانين ومائتين . والفراغ منها فى سنة أربع وثمانين فيما أظن . وكان أبوابها إلى المسجد الكبير على غير صفتها اليوم ، ثم عملت على الصفة التى عليها اليوم فى سنة ست وثلثمائة .

وكان عمل زيادة باب إبراهيم فى سنة ست وسبع وثلثمائة .

ووقع فى المسجد الحرام بعد الأزرقى عمارات كبيرة جداً . وقد ذكرنا من ذلك طرف فى أصله وعمر منه فى عصرنا جانب كبير .

وسبب ذلك أن فى ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت . فتعلقت بسقف المسجد الحرام ، وعمت بالحريق الجانب الغربى . ونقص الرواقين المقدمين من الجانب الشامى إلى محاذاة باب دار العجلة لما فى ذلك من السقوف والأساطين . وصارت قطعا ، ثم عمر ذلك كما كان فى مدة يسيرة على يد الأمير بيستى المالكى الظاهرى .

وكان ابتداء العمارة فى ذلك بعد الحج من سنة ثلاث وثمانمائة .

وفرغ منه فى شعبان سنة أربع وثمانمائة إلا سقف ذلك . فإنه لم يعمل إلا فى سنة سبع وثمانمائة لتعذر خشب الساج ولما لم يحصل سقف بخشب العرعر ولتكسر أساطين الرخام عمل عرضها أساطين من حجارة منحوتة واستحسنت .

وعمرت بعد ذلك أماكن بالمسجد الحرام . وسقوفه .

فمن ذلك : فى سنة خمس عشرة وثمانمائة عقدان يليان سطح المسجد قبالة المدرسة البجالية . وأماكن فى سقفه .

ومن ذلك : فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة باب الجنائز على صفته اليوم لانهدام بعضه قبل ذلك . فهدم مابقى منه . والحاجز الذى بين البابين مع ماانهدم

من جدر المسجد الحرام المتصل بهذا الباب ، وإلى منتهى رباط المراغى بهذا الجانب وهو الشرقى .

وعمر ذلك واستحسنت عمارته . وكتب فيه اسم مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى صاحب مصر والشام . زاده الله نصراً وتأييداً وخلد ملكه .

وعمر من هذا الجانب أماكن بين باب على والعباس . وفى باب العباس وعند المدرسة الأفضلية . وعمر فى سنة ست وعشرين وثمانمائة عدة عقود بالرواق المقدم من الجانب الشرقى . وفى المؤخر ، وهى : سبعة فى المؤخر ، وسبعة فى المقدم ، وثمانية فى الذى يلى المقدم ، وثلاثة فى الذى يليه . وهى تلى المؤخر .

وعمر ما تحتها من الأساطين لخللها حتى أحكم ذلك .

وعمر سقوف المسجد الحرام ما كان متخربا . ونور سطحه أو أكثره .

وعملت أبواب المسجد الحرام حديد . منها : بابان فى باب الجنائز ، وثلاثة فى باب العباس ، وثلاثة فى باب على . والباب الأوسط من باب الصفا وباب العجلة ، وباب زيادة دار الندوة المنفرد . وأصلح غير ذلك من باقى الأبواب .

ومن المعمور فى هذه السنة عقدان عند باب الجنائز .

وكل ذلك مع ما ذكر من عمارة الكعبة المعظمة على يد الأمير سيف الدين مقبل القريرى المكى الأشرفى أثابه الله تعالى .

وفى سنة ثلاثين وثمانمائة عمرت عدة عقود بالجانب الشمالى ، مما يلى صحن المسجد . وهى ثمانية : ستة تلى الاسطوانة الحمراء إلى صوب باب العمرة . واثنان يليانها إلى صوب باب بنى شيبة . وفرغ من ذلك فى شعبان من السنة المذكورة .

وأما ذرع المسجد الحرام غير الزيادتين : فذكره الأزرقى باعتبار ذرع اليد . وحررت أنا ذلك بذراع الحديد . ومنه يظهر تحريره بذراع اليد لما سبق بيانه .

فكان طوله من جدره الغربى إلى جدره الشرقى المقابل له ثلثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمن ذراع بالحديد .

ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع . وذلك من وسط

جدره الغربى الذى هو جدر رباط الخوزى إلى وسط جدره الشرقى عند باب الجنائز يمر به فى الحجر ملاصقاً لجدر الكعبة الشامى .

وكان عرضه من جدره الشامى إلى جدره اليمانى مائتى ذراع وستة وستين ذراعاً بذراع الحديد .

يكون ذلك بذراع اليد ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع . وذلك من وسط جدره القديم عند العقود إلى وسط جدره اليمانى فيما بين الصفا وباب أجياد تمر به فيما بين مقام إبراهيم والكعبة ، وهو إلى المقام أقرب .

حرر لى ذلك من أعتمد عليهم من أصحابنا . أثابهم الله تعالى .

وذرع المسجد الحرام الآن مكسراً مائة ألف ذراع وعشرون ألف ذراع . هكذا قال الأزرقى .

وأما ذرع زيادة دار الندوة : فهو أربعة وسبعون ذراعاً — بتقديم السين — إلا ربع ذراع بالحديد . وذلك من جدر المسجد الكبير إلى الجدر المقابل له الشامى منها . وعنده باب مغارتها هذا ذرعها طولا .

وأما ذرعها عرضاً . فسبعون ذراعا — بتقديم السين — ونصف ذراع . وذلك من وسط جدرها الشرقى إلى وسط جدرها الغربى .

وأما زيادة باب إبراهيم : فذرعها طولا تسعة وخمسون ذراعا إلا سدس . وذلك من الأساطين التى فى وزان جدر المسجد الكبير إلى العتبة التى فى باب هذه الزيادة .

وأما ذرعها عرضاً : فاثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع . وذلك من جدر حائط رباط الخوزى إلى جدر رباط رامشت .

وذكرنا فى أصله ذرع صحن هاتين الزيادتين طولا وعرضاً . وحرر ذلك بحضورى .

الباب التاسع عشر

فى عدد أساطين المسجد الحرام وصفتها ، وعدد عقودها وشرفاته ، وقناديله وأبوابه وأسمائها ومنايره ، وفيما صنع لمصلحته ، أو لنفع الناس فيه ، وفيما فيه الآن من المقامات ، وكيفية صلاة الأئمة بها وحكمها .

وأما عدد أساطين المسجد الحرام وغيرمافى الزيادتين ــ فأربعمائة اسطوانة وتسعة وستون اسطوانة فى جوانبه الأربع ، وعلى أبوابه من داخله وخارجه تسعة وعشرون اسطوانة . فيصير الجميع أربعمائة اسطوانة وستة وتسعين اسطوانة ــ بتقديم التاء ــ

وهذه الأســاطين رخام إلا مائة وتسعة وعشرون اسطوانة ، فهى حجارة منحوتة . إلا ثلاثة أساطين ، فهى آجر مجصص . وفى صحن المسجد حول المطاف أساطين ، وهى اثنان وثلاثون اسطوانة .

وأما عدد أساطين زيادة دار الندوة ، فستة وستون اسطوانة حجارة منحوتة .

وأما عدد أساطين زيادة باب إبراهيم : فسبعة وعشرون اسطوانة حجارة منحوتة .

وأما عدد طاقات المسجد الحرام التى بجوانبه الأربعــة غير الزيادتين ، فأربعمائة طاقة وأربعة وثمانون طاقا .

وأما عدد طاقات زيادة دار الندوة : فثمانية وستون طاقاً .

وأما عدد طاقات زيادة باب إبراهيم : فستة وثلاثون طاقا ، والطاقات هى العقود التى على الأساطين .

وأما عدد شرفاته التى تلى بطن المسجد : فأربعمائة وثلاثة عشر شرفة ، وسبعة أنصاف شرافات .

وأما عدد الشرفات التى بزيادة دار الندوة : فاثنان وسبعون شرافة .

وأما عدد الشرفات التى بزيادة باب إبراهيم : فبضع وأربعون شرافة .

وأما عدد قناديله الآن المرتبة فيها غالباً ـ فثلاثة وتسعون **قنديلا ـ بتقديم التاء ـ** وهى نحو الخمس من عدد قناديله التى ذكرها الأزرقى .

وأما عدد أبوابه : فتسعة عشر ـ بتقديم التاء ـ تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا .

وأما أسماؤها الآن : فذكرناها فى أصله ، وفى أصل هذا الكتاب زيادة بيان فيما يتعلق بالصلاة على الموتى فى المسجد الحرام ، وفى الخروج بهم منه .

وأما عدد منايره : فخمس : أربع فى جوانبه الأربع ، والخامسة : بزيادة دار الندوة . وبزيادة باب إبراهيم منارة مهدوم أعلاها : وقد أشار إليها ابن جبير . وأشار إلى منارة أخرى كانت على باب الصفا ، ولا أثر لها الآن .

وأما ما صنع فى المسجد الحرام لمصلحته :

فقبة كبيرة بين زمزم وسقاية العباس رضى الله عنه ، وكانت موجودة فى القرن الرابع على مقتضى ماذكر ابن عبد ربه فى العقد .

ومزولة بصحن المسجد يعرف بها الوقت : عملها الوزير الجواد . وتسمى ميزان الشمس .

ومنابر للخطبة . وقد ذكرنا منها جملة فى أصله .

وأول من خطب على منبر بمكة معاوية رضى الله عنه .

والمنبر الذى يخطب عليه الآن بمكة أنفذه الملك المؤيد أبو النصر صاحب مصر فى موسم سنة ثمان عشرة وثمانمائة مع درجة الكعبة الموجودة الآن .

وأما المقامات التى هى الآن بالمسجد الحرام : فأربعة . وهى اسطوانتان من حجارة عليهما عقد مشرف من أعلاها ، وفيه خشبة معترضة فيها خطاطيف للقناديل . إلا مقام الخليل : فإنه أربعة أساطين عليها سقف مدهون مزخرف . وكان عمله على هذه الصفة فى آخر سنة إحدى وثمانمائة . وكمل فى أول التى تليها ، وكان عمل المقامات الأخرى على ما ذكر فى سنة سبع وثمانمائة رغبة فى بقائها . وما ذكر من صفاتها الآن هى غير صفاتها السابقة .

وقد أفتى جماعة من العلماء من المذاهب الأربعة .

منهم : شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى ، وابنه مولانا شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين : بوجوب هدم مقام الحنفية المشار إليه لما فيه من الحدث وغير ذلك . ورسم ولى الأمر بهدمه ، ثم ترك لمعارضة حصلت فى ذلك .

ومقام الشافعى : يلى مقام إبراهيم .

ومقام الحنفى : يلى الحجر — بسكون الجيم — .

ومقام المالكى : يلى دبر الكعبة .

ومقام الحنبلى : يلى الحجر الأسود .

وفى أصل هذا الكتاب ذرع مابين كل مقام والكعبة .

وأما كيفية صلاة الأئمة بها : فإن الشافعى يصلى أولا ، ثم الحنفى ، ثم المالكى ، ثم الحنبلى .

وتقديم الحنفى على المالكى : حدث بعد التسعين وسبعمائة ، إلا صلاة المغرب فإنهم يصلونها مجتمعين .

وقد انفرد الشافعى بصلاة المغرب فى أيام الموسم من سنة إحدى عشرة وثمانمائة إلى موسم سنة عشر وثمانمائة .

وأما حكم صلاة الأئمة ماعدا الشافعى على الترتيب الذى يفعلونه ، فإن ذلك لا يجوز على ماأفتى به أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن الجباب المالكى .

وله فى ذلك تأليف حسن ، وأفتى بجواز ذلك شداد بن المقدم ، وعبد السلام ابن عتيق ، وأبو الطاهر بن عوف الزهرى ، وهم من فقهاء المالكية بالأسكندرية ورد عليهم ابن الجباب ذلك فى تأليفه . ونقل ما يوافق فتواه عن جماعة من الشافعية والحنفية والمالكية .

وفى أصل هذا الكتاب زيادة فوائد فى هذا المعنى .

الباب العشرون

فى ذكر شىء من خبر زمزم وسقاية العباس رضى الله عنه

أما زمزم فإن أول من أظهرها الأمين جبريل عليه السلام سقيا لإسماعيل عليه السلام عندما ظمى ، ولولم تحوض عليه أم اسماعيل كانت عيناً تجرى على مافى البخارى .

وذكر الفاكهى أن الخليل عليه السلام حضر زمزم بعد جبريل عليه السلام ثم غلبه عليها ذو الفرس وقد غيبت بعد ذلك زمزم لاندراس موضعها ، ثم منحها الله تعالى عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم لكرامته . فحفرها بعد أن أعلمت له فى المنام بعلامات استبان له بها موضعها . فلم تزل ظاهرة حتى الآن ، وعولجت فى الإسلام غير مرة . وذلك مذكور فى أصله .

وزمزم الآن فى بيت مربع فى جدرانه تسعة أحواض يملأ من زمزم المتوضىء منها .

وأعلا البيت مسقوف ما خلا الموضع الذى يحاذى البئر .

وهذه الصفة تخالف الصفة التى ذكرها الأزرقى فى صفة موضع زمزم .

وفى سنة اثنين وعشرين وثمانمائة هدمت ظلة المؤذنين التى فوق البيت الذى فيه زمزم لإفساد الأرضة لها ، وسلخ من هذا البيت الجدران الغربى والشامى من أعلاها إلى أسفلها ، و بنى ذلك بنورة وحجارة منحوتة وغيرها . وسلخ من أعلا جدر هذا البيت الشرقى إلى عتبة الباب العليا فى هذا الجدر . و بنى ذلك من آجر ونورة . وأخرجوا من سقف هذا البيت الخشب المتخرب وأبدلوه بغيره . و بنوا فوق هذا الجدار اسطوانتين من آجر ونورة ، لشد الدرابزين فى ذلك . وأصلحوا جميع سقف هذا البيت بالنورة والآجر . وجعلوا له درابزين من خشب مخروط نظيف بجوانبه خلا اليمانى .

وجعلوا فوق بئر زمزم شباكا من حديد . ولم يكن قبله هناك شباك من حديد
و بنوا خمسة أساطين دقيقة من آجر بالنورة : ثلاثة فى الجدار الذى بالكعبة ،
وواحدة فى الشامى ، وواحدة فى اليمانى . وجعلوا بين هاتين الاسطوانتين اسطوانة
من خشب ، وأخشاباً بين هذين الأساطين ، وسقفاً من خشب مدهون ساتراً لما
بين هذه الأساطين الست ، يكون ظلة للمؤذنين . خلا بعض ما بين الاسطوانة
الوسطى والخشب . فجعلوا فيه قبة من خشب مدهونة وطلوها من أعلاها بالجبس .
وجعلوا فوق السقف المدهون سقفاً آخر ودكوه بالآجر والنورة ، ورفرفاً من خشب
مدهون نظيف بجوانب هذا السقف . وأحكموا شده وشد السقف والقبة بالمسامير
والكلاليب الحديد .

وجعلوا درابزين من خشب نظيف بجوانب هذا البيت خلا اليمانى ، ودرابزين
آخر نظيف بجانبى ظلة المؤذنين اليمانى والشرقى . ولم يكن فى هذين الجانبين
درابزين قبل ذلك .

وأوسعوا فى الأحواض التى فى الجدارين الغربى والشامى من داخل بئر
زمزم . وأوسعوا فى الدرجة التى يصعد منها إلى سقف بيت زمزم فاستحسنت .
وكذا ظلة المؤذنين . وكذا ما عمل فى سطح هذا البيت وجدرانه .

وفرغ من ذلك فى أثناء رجب سنة اثنين وعشرين وثمانمائة . والمتولى لهذه
العمارة الجناب العالى العلائى خواجا شيخ على الكيلانى نزيل مكة المشرفة .
زاده الله رفعة وتوفيقا .

وكان إلى جانب هذا الموضع خلوة فيها بركة تملأ من ماء زمزم ، و يشرب
منها من دخل إلى الخلوة .

وكان لها باب إلى جهة الصفا ، ثم سد وجعل فى موضع الخلوة بركة مقبوة .
وفى جدرها الذى يلى الصفا زبازيب يتوضأ منها الناس على أحجار نصبت عند
الزبازيب ، وفوق البركة المقبوة خلوة فيها شباك إلى الكعبة ، وشباك إلى جهة
الصفا ، وطابق صغير إلى البركة .

وكان عمل ذلك على هذه الصفة فى سنة سبع وثمانمائة . ثم هدم ذلك حتى بلغ الأرض فى العشر الأول من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثمانمائة لما قيل : إن بعض الجهلة يستنجى هنالك . وعمِّر عوض ذلك سبيل للسلطان الملك المؤيد أبى النصر شيخ ، ينتفع الناس بالشرب منه . وجاءت عمارته حسنة .

وفرغ منها فى رجب سنة ثمان عشرة وثمانمائة .

وابتدىء فى عمله بإثر سفر الحاج .

وفى موضع هذه الخلوة : كان مجلس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، على مقتضى ما ذكر الأزرقى والفاكهى .

ولزمزم أسماء كثيرة ذكرها الفاكهى .

منها : ستة وعشرون اسماً ذكرناها فى أصله ، مع أحد عشر اسماً لزمزم لم يذكرها الفاكهى .

وفى أصله فوائد تتعلق بأسماء زمزم .

ولزمزم فضائل مروية عن النبى صلى الله عليه وسلم .

منها : « خير ماء على الأرض : ماء زمزم » . أخرجه ابن حبان فى صحيحه والطبرانى بإسناد جيد . وصح له عن شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى أنه قال : إن ماء زمزم أفضل من الكوثر ؛ لأنه غسل صدر النبى صلى الله عليه وسلم به . ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه . انتهى بالمعنى .

ومنها : مارويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم » .

أخرجه الحافظ شرف الدين الدمياطى بسنده . وقال ـ فيما أنبئت به عنه ـ إسناد صحيح .

ومنها : « أنه لما شُرب له » وهذا مروى من حديث ابن عباس ، وجابر رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم . وحديث ابن عباس رويناه فى سنن

الدارقطنى ، وقد حسن شيخنا الحافظ العراقى حديث ابن عباس رضى الله عنهما . من هذه الطريق . وقال فى نكته على ابن الصلاح : إن حديث ابن عباس أصح من حديث جابر . انتهى .

وقد شربه جماعة من السلف والخلف لمقاصد جليلة فنالوها . وروينا فى ذلك أخبار .

منها : أن أحمد بن عبد الله الشريفى الفراش بالحرم الشريف المكى شربه للشفاء من العمى . فشفى . على ما أخبرنى به شيخنا المفتى عبد الرحمن بن أبى الخير الفاسى .

وفى هذا دليل لصحته .

ولزمزم خواص .

منها : أن ماجاءها يبرد الحمى[1] .

ومنها : أنه يذهب بالصداع وغير ذلك .

وفى أصله زيادة فى فضل ماء زمزم وخواصه .

ويصح التطهر بماء زمزم بالإجماع ، على ماذكر الرويانى فى البحر ، والماوردى فى الحاوى ، والنواوى فى شرح المهذب .

وقد اتفق العلماء الأئمة الأربعة على جواز نقله .

وأما سقاية العباس رضى الله عنه . فهى الآن على غير الصفة التى ذكرها الأزرقى . وصفتها الآن والأولى مذكورتان فى أصله .

وأحدث عهد عمرت فيه هذه السقاية سنة سبع وثمانمائة بعد سقوط القبة التى كانت بها . وكانت من خشب من عمل الجواد الأصفهانى فعملت من حجر .

وممن عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر . والله أعلم .

---

(١) وكذلك كل ماء ، كما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه أمر بإبراد الحمى بالماء .

الباب الحادى والعشرون

فى ذكر الأماكن المباركة التى ينبغى زيارتها[1] الكائنة بمكة المشرفة ، وحرمها وقربه .

هذه الأماكن . مساجد ودور ، وجبال ومقابر .

والمساجد أكثر من غيرها ، إلا أن بعضها مشتهر باسم المولد ، و بعضها باسم الدور . وسيأتى ذكر هذين الأمرين قريبا .

والمقصود ، ذكره هنا : مااشتهر من ذلك بالمسجد .

فمن ذلك : مسجد بقرب الجزرة الكبيرة من أعلاها . يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ما وجدت بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى مسند مكة وموثقها .

وفيه : أنه عمر فى رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وعمر سنة سبع وأربعين وستمائة .

ومن ذلك : مسجد فوقه ، يقال له : مسجد الراية . يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه .

---

(١) لقد صح عن عمر رضى الله عنه : أنه أمر بقطع شجرة البيعة ـ بيعة الرضوان ـ التى كانت بالحديبية . وذلك حين بلغه رضى الله عنه أن الناس يتسارعون إلى الصلاة تحتها فأمر بقطعها . وقال « إنما هلك من كان قبلكم باتخاذهم آثار أنبيائهم مساجد » وإنما أحدثت هذه المزارات والمساجد بعد القرون الفاضلة ، وبعد أن غلب على الناس التقليد والبدع ولو كان فى ذلك فضل لكان الصحابة ـ وعلى رأسهم عمر رضى الله عنهم ـ أولى بإتيانها . ولكنه رضى الله عنه غضب أشد الغضب ، من فعل الذين كانوا يصلون تحت شجرة البيعة وعندها . وأمر بقطعها ، والأحاديث والآثار التى تروى فى فضل هذه الأماكن لا سند لها يعتمده أهل العلم وجهابذة السنة . والله أعلم .

وعمره عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، ثم عمر في سنة أربعين وستمائة . وفى سنة إحدى وثمانمائة .

ومن ذلك : مسجد بسوق الليل بقرب المولد النبوى : يقال له المختبى . يزوره الناس فى يوم المواليد .

ومن ذلك : مسجد بأسفل مكة ينسب للصديق رضى الله عنه ، يقال : إنه من داره التى هاجر منها .

ومن ذلك : مساجد خارج مكة من أعلاها .

منها : المسجد الذى يقال له مسجد الإجابة فى شعب بقرب ثنية أذاخر . يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه .

ومن ذلك : مسجد البيعة . وهى بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار . وهذا المسجد بقرب عقبة منى . بينه و بين العقبة غلوة أوأكثر ، وهو على يسار الذاهب إلى منى .

وعمر فى سنة أربع وأربعين ومائة . وفى سنة تسع وعشرين وستمائة .

ومن ذلك : مسجد بمنى عند الدار المعروفة بدار النحر ، بين الجمرة الأولى والوسطى على يمين الصاعد إلى عرفة . يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه الضحى ونحر هديه . وما عرفت من خبر عمارته سوى أنه بنى فى سنة خمس وأربعين وستمائة بعد .

ومن ذلك : مسجد بلحف ثبير بمنى ، يقال له : مسجد الكبش — وهو الكبش الذى فدى به إسماعيل بن إبراهيم ، أو إسحاق بن إبراهيم على الخلاف فى أيهما الذبيح[1] .

وذكر الفاكهى خبراً يقتضى أن هذا الكبش نحر بين الجمرتين بمنى . وهذا يخالف ماسبق . والله أعلم .

---

(١) لا قيمة لهذا الخلاف : لأن القرآن وصحيح السنة ثابت فيهما أنه إسماعيل .

ومن ذلك : مسجد الخيف بمنى . وهو مشهور عظيم الفضل . لأن فيه صلى سبعون نبياً . وفيه قبر سبعين نبياً ، على مارويناه مرفوعاً فى البزار . والأول من الطبرانى الكبير مرفوعاً .

وممن قبر فيه على ماقيل : آدم عليه السلام .

وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه أنه أحد المساجد التى تشد إليها الرحال وإسناد الحديث إليه ضعيف . وجاء عنه مايقتضى استحباب زيارته كل سبت .

ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم فيه أمام المنارة قريباً منها . وعمر مرات . وفى أصله طرف من ذلك .

ومن ذلك : المسجد الذى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فى حجة الوداع .

وهذا المسجد بالتنعيم . واختلف فيه .

فقيل : إنه المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة بشجرة كانت فيه . وهو المتعارف عند أهل مكة على ماذكر سليمان بن خليل .

وقيل : إنه المسجد الذى أمامه إلى طريق الوادى ، وبقربه بئر .

ورجح هذا القول : المحب الطبرى .

وفى كل منهما أحجار قديمة بسبب عمارته مكتوب فيها مايدل على أنه مسجد عائشة رضى الله عنها . وفى أصله طرف من خبر عمارتهما .

وبين مسجد الهليلجة والأعلام التى هى حد الحرم من جهة التنعيم فى الأرض — لاالتى فى الجبل — سبعمائة ذراع وأربعة وعشرون ذراعا بالحديد .

ومن ذلك : مسجد يقال له مسجد الفتح بقرب الجموم من وادى مر ، يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فيه . والله أعلم .

وأما المواضع المشهورة بالمواليد .

فمنها : مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسوق الليل . وهو مشهور .

وذكر السهيلى فى خبر مولد النبى صلى الله عليه وسلم مايستغرب . وذكرنا ذلك فى أصله .

وأغرب منه ماقيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم ولد بالرَّدم . وقيل : بعسفان . ذكره مغلطاى فى سيرته .

والمراد بالردم : ردم بنى جمح ، لا الردم الذى بأعلى مكة . فإنه لم يكن إلا فى خلافة عمر رضى الله عنه .

ومنها : مولد السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو مكان مشهور من دار أمها خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومنها : مولد على بن أبى طالب رضى الله عنه بالشعب ، فوق مولد النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا الموضع لم يذكره الأزرقى . وذكره ابن جبير ، وعلى بابه حجر مكتوب فيه : إنه مولد على بن أبى طالب رضى الله عنه . وفيه رُبِىَ النبى صلى الله عليه وسلم .

ومنها : مولد حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم بأسفل مكة قريباً من باب اليمن .

ومنها : مولد عمر رضى الله عنه بالجبل الذى تسميه أهل مكة التوبى بأسفل مكة . ولم أر مايدل بصحة ماقيل فيه ، وفى الذى قبله . والله أعلم .

ومنها : مولد جعفر رضى الله عنه فى دار أبى سعيد عند دار العجلة . وبعض الناس ينسب هذا المولد إلى جعفر بن أبى طالب . وعلى بابه حجر مكتوب فيه : إنه مولد جعفر الصادق . ودخله النبى صلى الله عليه وسلم . ولا منافاة بين كونه جعفر الصادق ، وبين دخول النبى صلى الله عليه وسلم إليه لإمكان أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم دخله قبل أن يولد فيه جعفر . والله أعلم .

وأما الدور المباركة بمكة .

فمنها : دار أم المؤمنين رضى الله عنها . و يقال لها الآن مولد فاطمة رضى الله عنها . وفيها ثلاثة مواضع تقصد بالز يارة متلاصقة .

أحدها : الموضع الذى يقال له : مولد فاطمة .

والموضع الذى يقال له : قبة الوحى .

والموضع الذى يقال له : المختبأ . و بها مواضع أخر على هيئة المسجد .

وهذه الدار أفضل الأماكن بمكة بعد المسجد الحرام ، على ماذكر المحب الطبرى . ولعل ذلك لسكنى النبي صلى الله عليه وسلم فيها سنين كثيرة ، من حين تزوج خديجة ، و إلى حين هاجر ، ولكثرة نزول الوحى عليه فيها .

وفيها بنى النبي صلى الله عليه وسلم بخديجة .

وفيها : ولدت أولادها منه .

وفيها : ماتت رضى الله عنها .

ومنها : دار تنسب للصديق رضى الله عنه بالزقاق الذى فيه دار خديجة رضى الله عنها . و يعرف الآن بزقاق الحجر ، و يقال له فيما مضى : زقاق العطارين . ذكر ذلك الأزرقى .

وفى هذه الدار مسجد عمره المنصور صاحب اليمن قبل سلطنته فى حال نيابته على مكة للمسعود سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

ومقابل هذه الدار حجر ناتىء فى جدار من الدار المقابلة لها يقال : إنه الذى كلم النبي صلى الله عليه وسلم ، على ماحكى الميانسى عن كل من لقيه بمكة . وذكر ذلك ابن جبير . فإن صح كلامه للنبي صلى الله عليه وسلم : فلعله الحجر الذى كان يسلم عليه ليالى بعث بمكة .

وقيل : إن الذى كان يسلم عليه فى هذا التاريخ : هو الحجر الأسود . والله أعلم .

ومنها : دار الخيزران عند باب الصفا . وهى دار الأرقم المخزومى .

والمقصود بالزيارة منها : مسجد مشهور فيها ، ويقال له : المختبأ لأن فيه كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام مستخفياً . وهناك أسلم جماعة من جملة الصحابة . منهم : عمر الفاروق رضى الله عنه .

ولعل دار الأرقم هـذه أفضل الأماكن بمكة بعـد دار خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومنها : دار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . وهى الآن رباط للفقراء وبها علم يهرول منه وإليه الساعى .

ومنها : رباط الموفق بأسفل مكة لأنه بلغنى عن الشيخ خليل المالكى : أن الدعاء مستجاب فيه أو عند بابه .

ومنها : معبد الجنيد شيخ الطائفة الصوفية . وهو بلحف الجبل الأحمر ، أحد أخشبى مكة :

وأما الجبال المباركة بمكة وحرمها :

فأبو قبيص . لأن الركن الأسود كان مستودعاً فيه عام الطوفان .

فلما بنى الخليل الكعبة نادى أبو قبيس : الركن منى بمكان كذا وكذا . فجاء به جبريل إلى الخليل ، فوضعه موضعه فى الكعبة . ولذلك قيل لأبى قبيس : الأمين[1] .

وفيه على مايقال : قبر آدم عليه السلام فى غار يقال له : غار الكنز ، فيما قال وهب ابن منبه . وهذا الغار غير معروف .

وقد سبق أن قبر آدم بمسجد الخيف .

وقيل : قبره عند مسجد الخيف .

---

(١) هل تصح هذه ؟ وقد حقق الحافظ ابن كثير وغيره : أن أول من بنى الكعبة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وقيل : فى الهند فى الموضع الذى نزل فيه من الجنة . وصححه ابن كثير.

وفى تاريخ الأزرقى : مايوهم أنه بيت المقدس ، فيتحصل فى موضع قبره خمسة أقوال .

وفى أبى قبيس ، على ماقيل : قبر شيث ، وأمه حواء ، على ماوجدت بخط الذهبى .

وفى أبى قبيس : انشق القمر للنبى صلى الله عليه وسلم ، على مايروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، فيما ذكر الفاكهى . ولم أر مايدل على مايقال فى موضع الانشقاق بأبى قبيس . والله أعلم .

ويروى من حديث ابن مسعود « أن القمر انشق بمنى » وهذا فى مسلم فى روايته عن منجاب بن الحارث . والله أعلم .

ومن فضائل أبى قبيس : أن الدعاء يستجاب فيه . وهذا فى الفاكهى . وهو أول جبل وضع فى الأرض . وهذا فى الأزرقى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ومن خواصه ـ على ماذكر القزوينى فى عجائب المخلوقات ـ ماقيل : إن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن من أوجاع الرأس .

قال القزوينى : وكثير من الناس يفعل ذلك . انتهى .

وكان بعض مشايخنا يفضل جبل أبى قبيس على جبل حراء ، ويحتج فى ذلك : بكونه أقرب إلى الكعبة من حراء .

وفى النفس من ذلك شىء لكثرة مجاورة النبى صلى الله عليه وسلم لحراء ، وما نزل فيه من الوحى عليه . ولم يتفق له مثل ذلك فى أبى قبيس . فلا يكون أفضل من حراء . والله أعلم .

ومنها : جبل الخندمة ، لأن الفاكهى روى بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنهما . قال « ما نظرت مكة قط إلا كان للخندمة عزه . وذلك أن فيها قبر سبعين نبياً » والخندمة معروفة عند الناس بقرب أبى قبيس .

ومنها : جبل حراء بأعلى مكة ، لكثرة مجاورة النبى صلى الله عليه وسلم فيه. وما خصه الله به فيه من الكرامة بالرسالة إليه ونزول الوحى فيه عليه . وذلك فى غار مشهور فى هذا الجبل يأثره الخلف عن السلف ويقصدونه بالزيارة ، وبين حراء ومكة ثلاثة أميال .

قاله صاحب المطالع وغيره .

وقيل : ميل ونصف . قاله البكرى — وهو بعيد .

وقيل : أربعة أميال . كذا فى تفسير ابن عطيه والله تعالى أعلم .

ومنها : جبل ثور بأسفل مكة لاختفاء النبى صلى الله عليه وسلم والصديق رضى الله عنه فى غاربه . وهذا الغار مشهور عند الناس ويدخلونه من باب المتسع والضيق ، وقد وسع بابه الضيق لانحباس بعض الناس فيه ، وذلك فى سنة ثمانمائة أو قبلها أو بعدها بيسير .

وما ذكرناه فى تسمية هذا الجبل « بثور » هو المعروف . وسماه البكرى « بأبى ثور » . وذكر أنه على ميلين من مكة ، وأن ارتفاعه نحو ميل ، وذكر ابن الحاج أنه من مكة على ثلاثة أميال .

ومنها : جبل ثبير بمنى ، لأنا روينا من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعاً « أن الله سبحانه وتعالى لما تجلى للجبل تشظى فطارت لطلعته ثلاثة أجبل فوقعت بمكة ، وثلاثة أجبل فوقعت بالمدينة ، فوقع بمكة حراء وثبير وثور ، وبالمدينة أحد وورقان ورضوى » أخرجه الأزرقى .

وقال القزوينى : إنه جبل مبارك يقصده الزوار .

ذكر النقاش المفسر : أن الدعاء مستجاب فى ثبير .

ومنها : الجبل الذى يلحقه مسجد الخيف ، لأن فيه غاراً يقال له : غار المرسلات يأثره الخلف عن السلف . ويدل له حديث ابن مسعود رضى الله عنه

« بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى ، إذ نزلت عليه سورة المرسلات ـ الحديث » .

أخرجه البخارى فى باب ما يقتل المحرم من الدواب .

وفى بعض نسخ مسند ابن حنبل من مسند ابن مسعود رضى الله عنه ، مايقتضى أن هذه السورة نزلت بحراء ، فإن لم يكن فى ذلك تصحيفاً فهو مخالف لما قيل فى هذا الغار . والله أعلم .

وأما مقابر مكة ، فمنها : المقبرة المعروفة بالمعلاة ، وهى مشهورة كثيرة الفضل والبركة لما حوته من سادات الصحابة والتابعين ، وكبار العلماء والصالحين ، ولما جاء فيها من الفضل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنا روينا من حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نعم المقبرة هذه ، مقبرة أهل مكة » .

أخرجه الأزرقى . قال : وكان أهل مكة يدفنون موتاهم فى جنبى الوادى يمنه وشامه فى الجاهلية وفى الإسلام ، ثم حول الناس قبورهم إلى الشعب الأيسر لما فيه من الرواية . انتهى .

والرواية التى جاءت فيه ، مايروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نعم الشعب ونعم المقبرة » انتهى .

ومن فضائل مقبرة المعلاة : ماحكاه بعض الصالحين عن بعض الموتى بالمعلاة أنهم قالوا : مايقف حال أحد فى هذا المكان ، وأنهم غير محتاجين إلى مايهدى إليهم من قراءة أو نحوها .

ومنها : المقبرة العليا . وهى على ماذكر الأزرقى عند ثنية أذاخر .

وقال فى موضع آخر : آل أسيد ، وآل سفيان بن عبد الأسد بن قنون بالمقبرة العليا بحائط خرمان ، انتهى .

وحائط خرمان هو الموضع المعروف بالخرمانية وهو وديان بأعلى المعابدة وثنية أذاخر فوق ذلك .

ومنها : مقبرة المهاجرين بالحصحاص ، وهى على مقتضى ما ذكر الأزرقى فى تعريفها عند الثنية التى يتوجه منها إلى المعلاة ، وتسميها الناس الحجون الأول . والله أعلم .

ومنها : مقبرة بأسفل مكة دون باب الشبيكة ، وقريب منه ، وهى مشهورة عند الناس لما حوته من أهل الخير الغرباء وغيرهم .

وذكر الفاكهى : أن الأحلاف كانوا يدفنون بأسفل مكة ، والمطيبين بأعلا مكة ، والظاهر أن المقبرة التى كان يدفن بها الأحلاف هى مقبرة الشبيكة . والله أعلم .

والأحلاف : طوائف من قريش . وكذلك المطيبون ، وهم مذكورون فى أصله .

ومن القبور المباركة التى ينبغى زيارتها : قبر ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها بسرف ، وهو مشهور عند الناس ، يأثره الخلف عن السلف .

وكان بناء النبي صلى الله عليه وسلم ، لميمونة فى سرف ، وسرف من مكة على أميال . قيل : ستة ، وقيل : سبعة ، وقيل : تسعة ــ بتقديم التاء ــ وقيل : بريد . والله تعالى أعلم .

الباب الثانى والعشرون

فى ذكر أماكن بمكة المشرفة وحرمها وقربه لهـا تعلق بالمناسك وهى ستة وعشرون موضعاً ، مرتبة على ترتيب حروف المعجم .

الأول : باب بنى شيبة الذى يستحب للمحرم دخول المسجد الحرام منه ، وهو أول باب الجنب الشرقى بين رباط الشراى ، ورباط السدرة ، وعليه منارة المسجد الحرام .

وأما الباب الذى يخرج منه المسافر إلى بلده من المسجد الحرام . فينبغى أن يكون باب الحزورة ، أو باب إبراهيم ، أو باب العمرة

وقد أوضحنا دليل ذلك فى أصله ، والله أعلم .

الثانى : التنعيم المذكور فى حد الحرم من جهة المدينة النبوية هو أمام أدنى الحل . على ماذكر المحب الطبرى . قال : وليس بطرف الحل . ومن فسره بذلك يجوز . وأطلق اسم الشىء على ماقرب منه . انتهى .

وهو أفضـل مواقيت العمرة بعد الجعرانة عند الأربعة إلا أبا حنيفة . رحمة الله عليه ،

الثالث : ثبير الذى إذا طلعت عليه الشمس . سار الحاج من منى إلى عرفة هو على ماقال المحب الطبرى فى شرح الثنية ـ بثاء مثلثة مفتوحة ، ثم ياء موحدة مكسورة ـ أعلى جبل بمنى .

ثم قال : وهو يشرق على منى من جمرة العقبة التى تلقاء مسجد الخيف ، وأمامه قليلا على يسار الذاهب إلى عرفة انتهى .

وكلام النووى يقتضى أن ثبير المراد فى مناسك الحج بمزدلفة وليس ذلك بمستقيم ء على ماذكره شيخنا القاضى مجد الدين الشيرازى اللغوى .

الرابع : الجعرانة . الموضع الذى أحرم منه النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع

من الطائف بعد فتح مكة . هو موضع مشهور على بريد من مكة فيما ذكر الفاكهى .

وقال الباجى المالكى : إن بينه و بين مكة نحو ثمانية عشر ميلا . والله أعلم .

وذكر الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أحرم من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعدوة القصوى من الجعرانة . وكان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة به .

وذكر أن إحرامه ـ من الجعرانة ـ ليلة الاربعاء الاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة .

وذكر كاتب محمد بن سعد خبراً فيه : أن اعتمار النبى صلى الله عليه وسلم كان من الجعرانة للثلثين بقيتا من شوال ، وهذا الخبر ضعيف ، والمعروف ماذكره الواقدى والله أعلم .

ومن فضائل الجعرانة : ما رويناه عن يوسف بن ماهان ، قال « اعتمر من الجعرانة ثلثمائة نبى » أخرجه الجندى .

وهى أفضل مواقيت العمرة من مكة على مقتضى مذهب مالك والشافعى . رحمهما الله تعالى .

الخامس : الجمار المذكور فى صفة الحج هى بمنى .

ونقل عن ابن سيده اللغوى ، مايقتضى أنها بعرفة . نقل ذلك عنه السهيلى ، وهو وهم ذكرنا التنبيه عليه . وهذه الجمار مشهورة بمنى .

السادس : الحجون : ـ المذكور فى حد المحصب ـ هو جبل بالمعلاة مقبرة أهل مكة على يسار الداخل إلى مكة ، و يمين الخارج منها إلى منى على مقتضى ماذكره الأزرقى والفاكهى فى تعريفه . لأنهما ذكراه فى شق معلاة مكة اليمانى ، وهو الجهة التى ذكرناها .

و إذا كان كذلك : فهو مخالف ما يقوله الناس من أن الحجون : الثنية التى

يهبط منها إلى مقبرة المعلاة . وكلام المحب الطبرى يوافق ما يقوله الناس .

ولعل الحجون على مقتضى قول الأزرقى والفاكهى والخزاعى . الجبل الذى يقال : فيه قبر ابن عمر رضى الله عنهما . أو الجبل المقابل له ، الذى بينهما الشعب المعروف : بشعب العفاريت . والله تعالى أعلم .

السابع : الحديبية : الموضع الذى نزل عنده النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم من المدينة محرماً . فعاقه المشركون عن دخول مكة . يقال : إنه الموضع الذى فيه البئر المعروفة ببئر شميس بطريق جده . والله أعلم .

وقد ذكره غير واحد من العلماء . وما قالوه . لا يعرف الآن . وهى بتخفيف الياء الثانية على الصواب فيها . وقيل : تشديدها . واختلف فى كونها فى الحل أو فى الحرم .

وهى أفضل مواقيت العمرة بعد الجعرانة . والتنعيم على ما قال الشافعية ، إلا أن الشيخ أبا حامد منهم فضلها على التنعيم . والله أعلم .

الثامن : ذو طوى : الموضع الذى يستحب الاغتسال فيه للمحرم إذا قدم مكة هو مابين الثنية التى يهبط منها إلى المعلاة ، والثنية الأخرى التى إلى جهة الزاهر على مقتضى ما ذكر الأزرقى فى تعريفه .

وفى صحيح البخارى ما يؤيده . وقال النووى : إنه الموضع المعروف بآبار الزاهر بأسفل مكة . انتهى .

وقيل : هو الأبطح . نقله صاحب المطالع عن الداودى ، وهو بعيد . وطاؤه مثلثة .

التاسع : الردم الذى ذكر بعض الشافعية : أن المحرم يقف فيه للدعاء إذا قدم مكة . هو ردم بأعلى مكة مشهور عند الناس . ردمه عمر بن الخطاب رضى الله عنه صوناً للمسجد من السيل فى سنة سبع عشرة من الهجرة .

العاشر : الصفا : الذى هو مبدأ السعى . هو فى أصل جبل أبى قبيس على

مما ذكر البكرى والنووى وغيرهما . وهو مكان مرتفع من جبل له درج . وفيه ثلاثة عقود . والدرج من أعلى العقود وأسفلها . و بعض الدرج التى تحت العقد مدفون . وذلك ثمان درجات ، ثم فرشة مثل بعض الفرشات الظاهرة تحت العقود ، ثم درجتان . وماعدا ذلك فهو ظاهر ، وهو درجة تحت العقود ، ثم ثلاث درجات ثم فرشة كبيرة ، إلا أن هذه الفرشة السفلى ربما غيبت بما يعلو عليها من التراب .

وما ذكرناه من الدرج المدفون شاهدناه بعد حفرنا عنه فى شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة . وهذا المدفون ليس محلاً للسعى . ومحله : الظاهر .

و يتأيد كون الظاهر محلاً للسعى بأن الأزرقى قال : ذرع ما بين الركن الأسود إلى الصفا مائتا ذراع ، واثنان وستون ذراعاً وثمانية عشر إصبعاً . انتهى .

وحررنا ما بين الحجر الأسود ، و بين الفرشة السفلى التى يعلو عليها التراب . فجاء مثل ما ذكر الأزرقى فى ذرع ما بين الحجر الأسود والصفا .

ولم يذكر الأزرقى ذرع ذلك إلا ليبين أن ما وراء ذلك محل للسعى .

والفرشة السفلى المشار إليها من وراء الذرع المذكور . و يكون محلاً للسعى على هذا .

و يصح إن شاء الله : سعى من وقف عليها فلا يقصر الساعى عنها ، ولا يجب عليه الرقى على ما وراء هذا . والله أعلم .

ومن محاذاة نصف العقد الوسط من عقود الصفا إلى الدرج الذى بالمروة من داخله سبعمائة ذراع وسبعون ذراعاً وسبع ذراع ــ بتقديم السين ــ فى السبعمائة . وفى السبعين ، وفى السبع . وذلك يزيد على ما ذكره الأزرقى فى ذرع ذلك نحو أربعة أذرع .

الحادى عشر : طريق ضب . التى يستحب للحاج سلوكها إذا قصد عرفة هى

طريق مختصرة من المزدلفة إلى عرفة فى أصل المـازمين **عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة** . هكذا عرفها الأزرقى .

و إنما استحب للحاج سلوكها ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم سالـكها لما راح من منى إلى عرفة على ما نقل الأزرقى عن بعض المـكيين .

وروى عن عطاء : أنه سلـكها . وقال : هى طريق موسى بن عمران .

الثانى عشر : عرفة ــ بالفاء ــ موضع الوقوف . وهى خارج الحرم قريب منه . وقد ذكر حدها ابن عبـاس رضى الله عنهما ؛ لأنه قال : حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنه على جبال عرفة إلى ملتقى وصيف ووادى عرفة . أخرجه الأزرقى .

وقوله : ووادى عرفة : اختلف فى ضبطه . فنى بعض نسخ الأزرقى ــ بالفاء ــ وفى بعضها ــ بالنون ــ وممن ضبط بالنون ابن الصلاح . واعترض عليه فى ذلك المحب الطبرى ، لأنه قال بعـد أن ذكر ضبط ابن الصلاح : قلت : وفيما ذكره نظر . لأنه أراد تحديد عرفة ــ بالفاء ــ أولا وآخراً ، فجعله من الجبل المشرف على بطن عرفه فيكون آخره ملتقى وصيف و بطن عرفه بالفاء ولا يصح أن يكون وادىعرفة ــ بالنون ــ لأن وادى عرنة لاينعطف على عرفة ، بل هو ممتد ممـا يلى مكة يميناً وشمالاً . فكان التقييد بوادى عرفة أصح . والله أعلم .

قال : وهذا التحديد يدخل عرنة فى عرفة . انتهى .

وحد عرفة من جهة مكة الذى فيه هذا الاختلاف . قد صار معروفاً بما بنى فى موضعه من الأعلام ، وهى ثلاثة سقط منها واحد ، و بقى اثنان . وفيها أحجار مكتوبة فى بعضها : أن المظفر صاحب اربل أمر بإنشاء هذه الأعلام الثلاثة بين منتهى أرض عرنة ووادى عرفة ، لا يجوز لحـاج بيت الله العظيم أن يجاوز **هذه** الأعلام قبل غروب الشمس .

وفيه مكتوب بتاريخ شعبان سنة خمس وستمائة .

والمسجد الذى يصلى فيه الإمام بالناس فى يوم عرفة ليس من عرفة ــ بالفاء ــ على مقتضى ما ذكر ابن الصلاح والنووى ، وكلام المحب الطبرى يقتضى أنه منها . وقيل : إن مقدمه من عرنة ــ بالنون ــ ومؤخره ــ بالفاء ــ ويظهر ثمرة هذا الخلاف فى إجزاء الوقوف بهذا المسجد .

وتوقف مالك فى ذلك ولأصحابه قولان فيه بالإجزاء وعدمه .

وأفضل المواقف بعرفة الموضع الذى وقف فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو بقريب فى الموضع الذى تقف فيه المحامل التى تصل من مصر والشام والعراق ، وهو مكان معروف عند الناس .

وسميت عرفة : عرفة لتعارف آدم وحواء فيها . لأن آدم أهبط إلى الهند ، وحواء إلى جده . فتعارفا بالموقف .

وقيل : لتعريف جبريل المناسك بها للخليل .

وقيل : لاعتراف الناس فيها بذنوبهم .

إلى غير ذلك من الأقوال التى ذكرناها فى أصله الأكبر .

الثالث عشر : عرنة ــ بالنون ــ الموضع الذى يجتنب الحاج فيه الوقوف هو بين العلمين اللذين هما حد عرفة . والعلمين اللذين هما حد الحرم من هذه الجهة .

وقد اختلف فيه فقيل : إنها من الحرم . وهذا يروى عن حبيب المالكى . وقيل : إنها من عرفة . حكاه ابن المنذر عن مالك . وفى صحته عنه نظر لمخالفته ما فى كتب المالكية . والله أعلم .

ومذهب الشافعى : أنها ليست من عرفة . وعرنة ــ بضم العين وفتح الراء المهملتين ــ هذا المشهور فيها .

الرابع عشر : قزح . الموضع الذى يستحب للحاج أن يقف عنده للدعاء غداة النحر هو مكان مشهور بالمزدلفة ، وهو الموضع الذى يسمونه المشعر الحرام .

أشار إلى ذلك المحب الطبرى .

وذكر ابن الصلاح : أن قزح ، جبل صغير فى آخر المزدلفة . **ثم قال : وقد** استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذى ذكرناه بناء محدثاً فى وسط المزدلفة ، ولا تؤدى فيه هذه السنة .

قال المحب الطبرى : والظاهر أن البناء إنما هو على الجبل كما تقدم . والمشاهدة تشهد بصحة ذلك . ولم أر ما ذكره لغيره . انتهى .

وذكر النووى : أن الأظهر أن للحاج تحصيل السنة بالوقوف على البناء المستحدث . قاله فى الإيضاح .

الخامس عشر : كَدَاء . الموضع الذى يستحب للمحرم دخول مكة منه هو الثنية التى تهبط منها إلى المقبرة المعروفة بالمعلاة والأبطح . على مقتضى ما ذكره الفاكهى ، وسليمان بن خليل ، والمحب الطبرى .

وقال المحب الطبرى : هى بالفتح والمد تصرف على إرادة الموضع ، وتركه على إرادة البقعة . وما ذكره من أنها بالفتح هو المعروف . وقيل : إنها بالضم .

وسهل بعض المجاورين طريقاً فيها غير الطريق المعتادة ، ووسعها بعد أن كانت حزنة ضيقة . وصار الناس يسلكونها أكثر من الأولى ، وذلك فى النصف الثانى من سنة سبع عشرة وثمانمائة .

السادس عشر : كُداء . الموضع التى يستحب الخروج منه ، لمن كان فى طريقه هو الثنية التى بنى عليها باب مكة المعروف بباب الشبيكة ، على مقتضى ما ذكر المحب الطبرى فى شرح الثنية .

وذكر القاضى بدر الدين ابن جماعة : ما يقتضى أنها الثنية التى عندها الرجم المعروف بقبر أبى لهب . والله أعلم بالصواب ـ وهى : بضم الكاف ، وبالقصر والتنوين ـ على ما هو مشهور فيها .

وقيل : إنها ـ بفتح الكاف ـ وإنما استحب الدخول من كداء ـ ثنية المقبرة ـ

والخروج من كداء ، التى إلى جهة المدينة . لأن النبى صلى الله عليه وسلم فعل ذلك فى حجة الوداع .

وأما فى الفتح . فقيل : إنه دخل من كداء ـ ثنية المقبرة ـ وقيل : من ثنية أذاخر .

وأما فى عمرة الجعرانة : فدخل وخرج من أسفل مكة . كما فى خبر ذكره الفاكهى بإسناد فيه من لم أعرفه . والله تعالى أعلم .

السابع عشر : المأزمان . اللذان يستحب سلوكهما للحاج إذا رجع من عرفة . هو الموضع الذى يسميه أهل مكة الآن المضيق ، بين مزدلفة وعرفة .

وذكر النووى ما يقتضى أن هذين المأزمين فى غير هذا المحل ، لأنه قال فى الإيضاح : والسنة أن يسلك فى طريقه إلى المزدلفة على طريق المأزمين ، وهو بين العلمين اللذين هما حد الحرم من تلك الناحية . انتهى .

وهذا بعيد لمخالفته فيه قوله وقول غيره كما بيناه فى أصله .

والمأزم فى اللغة : الطريق الضيق بين جبلين .

الثامن عشر : محسر . الموضع الذى يستحب للحاج الإسراع فيه : هو واد عند المكان الذى يقال له : المهلل ، لأن الناس إذا وصلوا إليه فى حجهم هللوا وأسرعوا السير فى الوادى المتصل به .

والمهلل المشار إليه : مكان مرتفع عنده بركتان معطلتان بلحف قرن جبل عالى ، ويتصل بهما آثار حائط . ويكون ذلك كله عن يمين الذاهب إلى عرفة ، ويسار الذاهب إلى منى .

التاسع عشر : المحصب . الذى يستحب النزول فيه للحاج بعد انصرافه من منى ، هو مسيل بين مكة ومنى ، وهو أقرب إلى مكة بكثير ، وحده من جهة مكة : الحجون . على ما ذكر الأزرقى .

ولا يعارض ذلك ما وقع لابن الصلاح ، والنووى ، والمحب الطبرى ، وغيرهم

من : أن المقبرة ليست من المحصب . لأن مراد هؤلاء الأئمة . والله أعلم ـ استثناء المقبرة من عرض المحصب لا من طوله لحزونة موضعها .

وذلك يخالف صفة المحصب . فإن المحصب ما سهل من الأرض على مقتضى ما ذكر ابن الصلاح وغيره ، فى تفسير المحصب .

وأما حده من جهة منى : فجبل العيرة بقرب السبيل ، الذى يقال له : سبيل الست ، بطريق منى على ما ذكر الأزرقى فى تعريفه .

العشرون : المروة . الموضع الذى هو منتهى السعى هو فى أصل جبل قعيقعان على ما قال أبو عبيد البكرى .

وقال النووى : إنها أنف من جبل قعيقعان .

وذكر المحب الطبرى : أن العقد الذى بالمروة ، جعل علماً لحد المروة . ثم قال : فينبغى للساعى أن يمر تحته ، ويرقى على البناء المرتفع . انتهى .

والعقد الذى بالمروة الآن حدد فى آخر سنة إحدى وثمانمائة ، أو فى أول التى بعدها بعد سقوطه .

وكان بالمروة خمس عشرة درجة على ما ذكر الأزرقى . وليس بها الآن غير واحدة .

الحادى والعشرون : المزدلفة . الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه ، بعد دفعه من مزدلفة ليلا : هو ما بين مأزمى عرفة الذى يسميها أهل مكة : المضيق و بين محسر . وقد حد مزدلفة بما ذكرناه غير واحد من الأئمة .

وسميت بالمزدلفة : لازدلاف الناس إليها ، وهو اقترابهم . وقيل : لمجيئهم إليها فى زلف من الليل ، أى ساعات .

ويقال لها : جمع ، لاجتماع الناس بها . وقيل : لاجتماع آدم وحواء فيها وقيل : لجمع الصلاتين بها .

وطول المزدلفة من طرف وادى محسر الذى يليها إلى أول المأزمين مما يليها : سبعة آلاف ذراع وسبعمائة ذراع وثمانون ذراعاً وأربعة أسباع ذراع .

ومن جدر باب بنى شيبة إلى حد المزدلفة من جهة منى : عشرون ألف ذراع وخمسمائة ذراع وسبعة أذرع ــ بتقديم السين ــ وثلاثة أسباع ذراع .

الثانى والعشرون : المشعر الحرام . الذى يستحب الوقوف عنده للحاج كى يدعو ويذكر عنده غداة النحر : هو موضع معروف من المزدلفة . وهو : قزح السابق ذكره .

وأما قول ابن عمر رضى الله عنهما : المشعر الحرام المزدلفة كلها . ومثله كثير من كتب التفسير فهو : محمول على المجاز .

أشار إلى ذلك المحب الطبرى وغيره .

وأحدث وقت بنى فيه المشعر الحرام سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، أو فى التى بعدها .

الثالث والعشرون : المطاف المذكور فى كتب الفقهاء : هو مابين الكعبة ومقام الخليل عليه السلام . وما يقارب ذلك من جميع جوانب الكعبة .

وأشار إلى تعريفه بما ذكرناه الشيخ أبو محمد الجوينى فيما نقله عنه ابن الصلاح . وقد ذكرنا كلامه مع ذرع ذلك فى أصله .

وهذا الموضع كله مفروش بحجارة منحوتة .

وفى سنة ست وستين وسبعمائة . فرغ من عمله . وفيها عمل منه جانب كبير .

وهذه العمارة من قبل صاحب مصر الأشرف شعبان ، وعمره من الملوك : لاجين المنصورى . ومن الخلفاء المستنصر العباسى .

وأول من فرش الحجارة حول البيت : عبد الله بن الزبير رضى الله عنه . على ماذكر الفاكهى .

وينبغى الطائف أن لا يخرج فى حال طوافه عن هذا المكان ؛ لأن فى صحة طواف من خرج عنه مختاراً خلافا فى مذهب المالكية .

الرابع والعشرون : منى : الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله يوم التروية والإقامة به حتى تطلع الشمس على ثبير من يوم عرفة . وفى يوم النحر وما بعده من أيام التشريق والمبيت بها فى لياليها لأجل رمى الجمار . هو من أعلى العقبة التى فيها الجمرة المعروفة بجمرة العقبة إلى وادى محسر .

وقد حد منى بما يوافق ما ذكرناه : عطاء بن أبى رباح ، فيما ذكره عنه الفاكهى وماذكره الفاكهى عن عطاء فى حد منى : يفهم أن أعلى العقبة من منى .

وذكر الإمام الشافعى والنووى : ليست من منى .

وذكر المحب الطبرى ما يقتضى أنها من منى .

وطول منى على ما ذكر الأزرقى سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع .

ومنى : علم لمكان آخر فى بلاد بنى عامر . ذكره صاحب الأغانى . وجاء حديث فى النهى عن البناء بمنى من رواية عائشة رضى الله عنها . أخرجه الترمذى وحسنه وأبو داود . وسكت عليه . فهو صالح .

وجزم النووى فى المنهاج — من زوائده — بأن منى ومزدلفة لايجوز إحياء مواتها كعرفة . والله أعلم .

وذكر أبو اليمن ابن عساكر مايوافق ذلك .

ولمنى آيات : منها : رفع ماتقبل من حصى الجمار بمنى . ولولا ذلك : لسد مابين الجبلين .

وممن شاهد رفع ذلك : شيخ الحرم نجم الدين بشير التبريزى . وبلغنى أنه رأى ذلك فيما رمى هو به من الحصى . وهذه منقبة عظيمة .

ومنها : اتساعها للحاج فى أيام الحج مع ضيقها فى الأعين عن ذلك .

ومنها : كون الحدأة لا تخطف اللحم بمنى أيام التشريق . وذلك على خلاف عادتها فى غير هذه الأيام .

ومنها : أن الذباب لايقع فى الطعام و إن كان لاينفك عنها غالباً كالعسل . ذكر هاتين الآيتين المحب الطبرى . وذكر الأزرقى الأولتين .

ومن باب بنى شيبة إلى أعلى العقبة التى فى حد منى ثلاثة عشر ألف ذراع وثلثمائة ذراع ، وثمان وستون ذراعاً باليد .

وذكرنا ذلك فى أصله بالأميال . وذكر الرافعى : أن بين منى ومكة ستة أميال . وتعقب النووى عليه فى ذلك ، وقال بينهما ثلاثة . والله أعلم .

الخامس والعشرون : الميلان الأخضران اللذان يهرول الساعى بينهما فى سعيه بين الصفا والمروة . هما : العلمان اللذان أحدهما بركنى المسجد الحرام ، الذى فيه المنارة التى يقال لها : منارة باب على رضى الله عنه . والآخر فى جدر باب المسجد الذى يقال له : باب العباس رضى الله عنه .

والعلمان المقابلان لهذين العلمين :

أحدهما : فى دار عباد بن جعفر ، و يعرف اليوم بسلمة بنت عقيل .

والآخر : فى دار العباس . ويقال له : رباط العباس رضى الله عنه .

و يسرع الساعى إذا توجه من الصفا إلى المروة إذا صار بينه و بين العلم الأخضر فى المنارة ، والمحاذى له ستة أذرع على ما ذكر صاحب التنبيه وغيره .

قال المحب الطبرى : وذلك لأنه أول محل الأنصاب فى بطن الوادى . وكان ذلك الجبل موضوعاً على بناء ثم على الأرض فى الموضع الذى يشرع منه ابتداء السعى . وكان السيل يهدمه و يحطمه فرفعوه إلى أعلى ركن المسجد . ولم يجدوا على السنن أقرب من ذلك الركن . فوقع متأخراً عن محل ابتداء السعى بستة أذرع . انتهى .

ومقتضى هذا : أن الساعى إذا قصد الصفا من المروة مايزال يهرول حتى

يجاوز هذين العلمين بنحو ستة أذرع ، لأجل العلة التى شرع لأجلها الإسراع فى التوجه إلى المروة . والله أعلم .

وذكر الأزرقى ما يقتضى : أن موضع السعى فيما الميل بين الذى بالمنارة ، والميل المقابل له . لم يكن مسعى إلا فى خلافة المهدى العباسى ، لتغيير موضع السعى قبله فى هذه الجهة ، و إدخاله فى المسجد الحرام فى توسعة المهدى له ثانيا .

والظاهر : إجزاء السعى فيما بين الميلين المشار إليهما لتوالى الناس من العلماء وغيرهم على السعى بينهما . ولا خفاء فى تواليهم على ذلك . ولم يحفظ عن أحد ممن يقتدى به إنكار على من سعى بينهما ، ولا أنه سعى خارجا . والله تعالى أعلم .

السادس والعشرون : نمرة الموضع الذى يؤمر الحاج بنزوله إذا توجه من منى فى يوم عرفة هو بطن عرنة ــ بالنون ــ على ماذكر سليمان بن خليل .

ونقل المحب الطبرى عن الصباغ : أنها من عرفة . قال : والمعروف أنها ليست منها .

وروينا فى تاريخ الأزرقى ما يقتضى : أن نمرة من الحرم . والله أعلم .

الباب الثالث والعشرون

فيما بمكة من المدارس ، والربط ، والسقايات ، والبرك المسبلة ، والآبار ، والعيون ، والمطاهر . وغير ذلك من المآثر ، وما فى حرمها من ذلك .

أما المدارس الموقوفة : فإحدى عشر . منها : مدرسة الملك الأفضل العباس ابن المجاهد صاحب اليمن بالجانب الشرقى من المسجد الحرام على الفقهاء الشافعية .

وقفت قبل سنة سبعين وسبعمائة .

وفى هذه السنة ابتدىء التدريس بها .

ومنها : مدرسة بدار العجلة القديمة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام .

عملها الأمير ارغون النائب الناصرى للخليفة قبل العشرين وسبعمائة أو بعدها بقليل .

ومنها : مدرسة الأمير الزنجيلى نائب عدن على باب العمرة للحنفية .

وقفها سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وتعرف اليوم بدار السلسلة .

ومنها : مدرسة الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن ، على الفقهاء الشافعية وبها درس حديث أظنه من عمل ولد المظفر .

وتاريخ عمارتها سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ومنها : مدرسة طاب الزمان الحبشية عتيقة المستضىء العباسى على عشرة من فقهاء الشافعية .

تاريخ وقفها سنة ثمانين وخمسمائة فى شعبان . وهى من دار زبيدة .

ومنها : مدرسة الملك المنصور غياث الدين بن المظفر أعظم شاه صاحب بنجاله من بلاد الهند على فقهاء المذاهب الأربعة .

وكان ابتداء عمارتها فى رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة . والفراغ من ذلك فى جمادى الأولى سنة أربع عشرة .

وفى المحرم من هذه السنة وقفت ودرست بها للمالـكية . ولها وقف بالركانى أصيلتان وأربع وجاب ماء .

ومنها : مدرسة الملك المجاهد صـاحب اليمن بالجانب الجنوبى من المسجد الحرام على الفقهاء الشافعية .

وتاريخ وقفها فى ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

ومنها : مدرسة أبى على ابن أبى زكرى ، وهو الموضع المعروف بأبى الطاهر العمرى المؤذن بقرب المدرسة المجاهدية .

وتاريخ وقفها سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ومنها : مدرسة الأرسوفى العفيف عبـد الله بن محمد . بقرب باب العمرة . ولعلها وقفت فى تاريخ وقف رباطه الآتى ذكره ، وسيأتى تاريخه .

ومنها : مدرسة ابن الحداد المهـدوى ، على المالـكية بقرب باب الشبيكة ، وتعرف بمدرسة الأدارسة .

وتاريخ وقفها سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ومنها : مدرسة النهاوندى ، بقرب الدريبة ، ولها نحو مائتى سنة .

وأما الربط : فمنها : رباط السدرة . كان موقوفا فى سنة أربعمائة .

ومنها : رباط المراغى إلى جانبه . ويعرف بالقيلانى .

وتاريخ وقفه سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

ومنها : رباط الأمير إقبـال الشرابى المستنصر العبـاسى تحت منارة باب بنى شيبة .

وتاريخ عمارته سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ومنها : رباط أم الخليفة الناصر العباسى .

وتاريخ عمارته سنة تسع وسبعين وخمسمائة . **ويعرف** الآن بالعطيفية .

ومنها : رباط الحافظ بن منده الأصفهانى . ويعرف بالبرهان الطبرى على باب الزيادة زيادة دار الندوة .

ومنها : رباط الميانشى : فى شارع السويقة .

ومنها : رباط يعرف برباط صالحة عند باب الزيادة المنفرد .

ومنها : رباط عنده أيضاً : يعرف بالفقاعية .

وقف فى سنة اثنين وتسعين وأربعمائة .

ومنها : رباط القزوينى ، على باب السدة خارج المسجد الحرام .

ومنها : رباط آخر قبالته يعرف بالخاتون ، وبابن محمود .

وقف سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

ومنها : رباط الزنجيلى ، مقابل مدرسته عند باب العمرة . وتاريخهما واحد .

ومنها : رباط الخوزى لسكناه به .

وقفه قرامرز الأفرزى الفارسى سنة سبع عشرة وستمائة .

ومنها : رباط الشيخ أبى القاسم رامشت عند باب الحزورة .

وقف فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وفى أوائل سنة ثمان وعشرين وثمانمائة : أزيل جميع مافيه من الشعث ، وعمر عمارة حسنة من مال صرفه الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أثابه الله.

ومنها : رباط الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة .

وهو الذى أنشأ عمارته ووقفه فى سنة ثلاث وثمانمائة ، وله عليه أوقاف بمكة ومنى والوادى ، وما عرفت مثل هذه الحسنة لغيره من الأشراف ولاة مكة .

ومنها : رباط الجمال محمد بن فرج . المعروف بابن بعلجد .

وتاريخ وقفه سنة سبع وثمانين وسبعمائة .

ومنها : رباط بأول زقاق أجياد الصغير قبالة باب المسجد الحرام .

أمر بإنشائه وزير مصر ، تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر . ومات قبل

تملم عمارته . فاستصاره فخر الدين بن أبى الفرج ، الإستادار الملكى المؤيدى ، وأمر بتكميل عمارته ، فعمر من ذلك جانب كبير .

ومات الآخر قبل تمام عمارته ، فى نصف شوال سنة إحدى وعشرين وثمانمائة والفقراء به ساكنون .

ومنها : رباط السلطان شاه شجاع ، صاحب بلاد فارس .

وقف سنة إحدى وسبعين وسبعمائة . وينسب للشيخ غياث الدين الأبرقوهى لتوليه لأمره وعمارته .

ومنها : رباط البانياسى ، بقرب هذا الرباط عند باب الصفا .

وقف فى سنة خمس وعشرين وستمائة .

ومنها : الدار المعروفة بدار الخيزران .

ومنها : الرباط المعروف برباط العباس رضى الله عنه .

وكان المنصور لاجين عمله مطهرة ، ثم عمله ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون رباطا .

ومنها : رباط أبى القاسم ابن كلالة الطيبى .

وقف سنة أربع وأربعين وستمائة .

ومنها : رباط : بقرب المروة .

وقفه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن مطرف التميمى . ووقف عليه الحمام الذى بأجياد .

ومنها : رباط على بن أبى بكر بن عمران العطار .

وقف سنة إحدى وثمانمائة .

ومنها : رباط يعرف برباط أبى سماحة لسكناه به بقرب المجزرة الكبيرة .

وقف فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .

ومنها : ربط الأخلاطى ثلاثة : بعضها وقف على نساء الحنفية . وبعضها

على أهل مدينة أخلاط ، و بعضها وقف سنة تسعين وخمسمائة ، و بعضها فى التى بعدها .

ومنها : ر باط الوَتْش .

وقف فى آخر القرن الثامن .

ومنها ر باط لعطية ابن خليفة المطبيز .

أحد تجار مكة فى عصرنا .

ومنها بزقاق الحجر ر باطان .

أحدهما : للسيدة أم الحسين بنت قاضى مكة شهاب الدين الطبرى .

وقفته فى سنة أر بع وثمانين وسبعمائة .

والآخر للعز إبراهيم بن محمد الأصفهانى .

وقف فى سنة تسع وأر بعين وسبعمائة .

و بسوق الليل عدة ر بط :

منها : ر باط سعيد الهندى .

ومنها : بيت المؤذنين . وواقفه هو واقف ر باط الخوزى على شرطه فى تار يخه

ومنها : زاو ية أم سليمان المتصوفة ، رحمها الله .

تار يخها سنة اثنين وسبعين وسبعمائة .

و بأجياد عدة ر بط . منها : ر باط الز يت .

ومنها : ر باط غزى — بغين وزاى معجمتين .

وقف فى سنة اثنين وأر بعين وستمائة .

ومنها : ر باط السياحة

وقفه عدة نساء . منهن : أم القطب القسطلانى .

ومنها : رباط ر بيع ، وهو واقفه عن موكله الأفضل على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

وتاريخ وقفه سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

ومنها . رباط بنت التاج . وله أزيد من مائتى سنة .

ومنها : رباط بقرب رباط ربيع .

أمر بإنشائه الشريف حسن بن عجلان فى سنة ست عشرة وثمانمائة . وقد عمر منه جانب كبير .

ومنها : رباط المسيكينة .

ومنها : بالحَزامية ـ بحاء مهملة وزاى معجمة ـ الرباط المعروف بالدمشقية . وقف سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ومنها : رباط الدورى[1] . وله أزيد من ثلثمائة سنة .

ومنها : رباط السبتية : وكان موجوداً فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ومنها : رباط للنسوة خلف رباط الدورى . كان موجوداً فى القرن السابع .

ومنها : رباط بيت الحرابى ـ بمهملتين وموحدة ـ .

ومنها : رباط الوراق . بقرب باب إبراهيم .

ومنها : رباط الموفق .

وقفه الموفق على بن عبد الوهاب الاسكندرى سنة أربع وستمائة .

و بأسفل مكة إلى جهة الشبيكة عدة ربط :

منها : رباط أبى رقيبة[2] لسكناه به ويقال له : رباط العفيف . وهو عبد الله ابن محمد الارسوفى صاحب المدرسة السابقة .

وقفه عنه وعن موكله القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى وقف من هذا الرباط نصفه عن نفسه ، ونصفه الآخر عن موكله القاضى الفاضل فى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

---

(١) فى شفاء الغرام : الزرندى .   (٢) فى شفاء الغرام : قتيبة .

ومنها : رباط الطويل .

بنى فى عشر السبعين وسبعمائة فيما أظن .

ومنها : رباط الجهة : جهة السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل صاحب اليمن ، وأم أولاده . ويعرف برباط الشيخ على السعدانى لتوليه لأمره .

وقف فى سنة ست وثمانمائة .

ومنها : رباطان عند الدريبة .

أحدهما : يعرف بابن السوداء لسكناه به .

وقف فى سنة تسعين وخمسمائة .

والآخر : يعرف بابن غنايم .

وقفه السلطان الملك العادل ملك الجبال والغور والهند . محمد ابن أبى على فى سنة ستمائة .

فهذه الربط المعروفة الآن بمكة — فيما علمت — أجزل الله ثواب واقفيها . ومن أحسن النظر فيها . وقد ذكرنا كثيراً من شروط واقفيها وأسماء جماعة منهم . وأوضحنا ذلك أكثر فى أصله « شفاء الغرام » .

وبمكة أوقاف كثيرة على جهات من البر غالبها الآن لا يعرف لتوالى الأيدى عليها :

ومن المعروف منها : البيمارستان بالجانب الشمالى من المسجد الحرام .

وقفه المستنصر العباسى .

وتاريخ وقفه سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ثم عمره السيد حسن ابن عجلان عمارة حسنة وأحدث فيها ما يحصل به النفع . وذلك : إيوانان وصهريج وغير ذلك ، بعد استئجاره له مائة عام من القاضى الشافعى .

ووقف ماعمره ومايستحقه من منعته على الضعفاء والمجانين فى صفر سنة ست عشر وثمانمائة .

وأما السقايات — وهى السبل — فهى كثيرة .

منها بمكة خمسة .

ومنها : مابين مكة ومنى : سبعة .

منها : سبيل بالمعلاة للمقر الأشرف الزينى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة بالمماليك الشريفة والدعاء له بسببه متكاثر من البادى والحاضر ، لأن النفع به جزيل . عامله الله بلطفه الجميل .

وله — حفظه الله — بديار مصر والشام مآثر حسنة مشهورة ، وأفعال مشكورة

ومنها : السبيل المعروف بسبيل الست ، وهى أخت الملك الناصر حسن . وتاريخ عمارتها له سنة إحدى وستين وسبعمائة .

و بمنى : عدة سبل .

ومنها : فيما بين منى وعرفة عدة سبل متخربة .

ومنها : فى جهة التنعيم فيما بينها و بين مكة عدة سبل .

منها : سبيل للمنصور صاحب اليمن .

ومنها : سبيل الجوخى ، وهو الآن معطل لخرابه .

ورأيت مكتوباً فى حجر ملقى فيه : المقتدر العباسى ووالدته أمرا بعمارة هذه السقايات والآثار التى وراءها وتصدقا بها فى سنة اثنين وثلثمائة .

وأما البرك المسبلة : فهى كثيرة بمكة وحرمها و بعرفة . وقد أوضحنا أمر السبل والبرك المشار إليها أكثر من هذا فى أصله .

وفى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة عمرت البركتان اللتان بالمعلا على يمين الداخل إلى مكة و يسار الخارج منها عمارة حسنة .

أما الآبار التى بمكة : فهى ثمانية وخمسون بئراً . وذلك فيما حوته أسوار

مكة . وكلها مسبلة . إلا بئراً فى بيت لعطية المطيبين بأعلى مكة ، و بئراً فى بيت القائد زين الدين سكر مولى الشريف حسن بن عجلان ، و بئراً فى بيت أحمد بن عبد الله الدورى العراس ، و بئراً فى بيت بقربه تنسب للينبعى . ولم نذكر الآبار التى لاماء فيها . وقد أوضحنا أمر الآبار كثيراً فى « شفاء الغرام » .

وأما الآبار التى فيما بين مكة ومنى : فستة عشر بئراً فيها الماء .

منها : البئر المعروفة ببئر ميمون ابن الحضرمى . أخى العلاء بن الحضرمى . وهى التى فى السبيل المعروف بسبيل الست . على ما وجدت بخط عبد الرحمن ابن أبى حرمى فى حجر فى هذه البئر ، يتضمن عمارتها فى سنة أربع وستمائة . من قبل المظفر صاحب إربل .

وأما الآبار التى بمنى : فخمسة عشر بئراً . وذكرنا فى أصله مواضعها . وما تعرف به . و بلغنى أن بمنى غير ذلك فى بعض البيوت .

وأما الآبار التى بمزدلفة : فثلاثة .

وأما الآبار التى بعرفة : فكثيرة . والذى منها فيه الماء الآن : ثلاثة .

وفيما بين عرفة ومزدلفة بئر يقال لها : السقيا . على يسار الذاهب إلى عرفة .

وأما الآبار التى بظاهر مكة من أعلاها فيما بين بئر ميمون ، والأعلام التى هى حد الحرم فى طريق نخله : فخمسة عشر بئراً .

منها : أربعة آبار تعرف بآبار العسيلة . وفى رأس طى بعضها مايقتضى أن المقتدر العباسى أمر بحفر بئرين منها .

وفى طى بعضها ما يقتضى : أن العجوز ــ والدة المقتدر العباسى ــ عمرتها مع سقايات هنالك ، ومسجد لا يعرف منه الآن شىء .

و بقية هذه الآبار لا ماء فيها ، إلا بئراً لأبى بكر الحصار ، وهى تلى آبار العسيلية .

وأما الآبار التى بأسفل مكة فى جهة التنعيم : فثلاثة وعشرون بئراً بجادة الطريق .

منها بئر الملك المنصور صاحب اليمن عند سبيله ، وتعرف بالزاكية .

ومنها : الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير .

وبعض هذه الآبار من عمارة المقتدر العباسى .

وبقرب باب الشبيكة ، من خارجه آبار يقال لها : آبار الزاهر الصغير ، وهى ثلاثة آبار .

وبقرب هذه الآبار بئر ببطن ذى طوى على مقتضى ما ذكره الأزرقى فى تعريف ذى طوى .

وبأسفل مكة بئر يقال لها : الطنبداوية .

وبأسفل مكة ممايلى باب الماجن عدة آبار .

منها : بئر بقربه من خارجه .

وبئر بالشعب الذى يقال له خم ، وهو غير خم الذى يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عند غديرة « من كنت مولاه فعلى مولاه » لأن خما هذا عند الجحفة .

وأما العيون التى أجريت بمكة وبظاهرها : فكثيرة . وليس منها الآن جار غير العين المعروفة بعين بازان . وهى فى غالب الظن من عمل زبيدة ، ولها فى عينها نفقة عظيمة ، يقال : إنها ألف ألف وسبعمائة ألف دينار .

نقل ذلك عن المسعودى عن محمد بن على الخراسانى الأخبارى .

وقد عمرت عين باران مرات كثيرة ، من قبل جماعة من الخلفاء ، والملوك والأعيان .

منهم : المستنصر العباسى فى سنة خمس وعشرين وستمائة ، وفى أربع وثلاثين وستمائة .

ومنهم : الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين عن السلطان أبى سعيد بن خر بندا ملك التتر .

وذلك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة .

ووصلت إلى مكة فى العشر الأخير من جمادى الأولى منها ، وعظم نفعها .

وكان الناس بمكة قبل ذلك فى شدة لقلة الماء .

وممن عمرها من الملوك : صاحب مصر الملك المؤيد من مال تطوع به على يد علاء الدين القائد .

وكانت هذه العمارة فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .

ووصلت إلى مكة فى شعبان منها ثم قل جريان الماء ، فوفق الله القائد علاء الدين لعمارتها ، فجرت جرياً حسناً ، وبلغت بركة الماجن بأسفل مكة .

وذلك فى سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ، وجريانها مستمر إلى سنتين بعد ذلك .

ومن العيون التى أجريت بمكة عين أجراها الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر فى مجرى عين بازان ، وتعرف العين التى أجراها المذكور : بعين جبل نقبة .

وذلك فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

وعين أجراها الأمير المعروف بالملك نائب السلطنة بمصر من منى إلى بركة السلم بطريق منى .

وذلك فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

وأما المطاهر : فمطهرة الملك الناصر محمد بن قلاوون .

عمرت فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . وفيها وقفت وهى التى عند باب بنى شيبة .

ومطهرة الأمير صرغتمش الناصرى ، بين العطيفية والبيمارستان بالجانب الشمالى من المسجد الحرام .

وتاريخ عمارتها سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

ومطهرة طنيفا الطويل بقرب باب العمرة .

عمرت فى أول عشر السبعين وسبعمائة فيما أظن .

ومطهرة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بالمسمى قبالة باب على .

عمرت فى سنة ست وسبعين وسبعمائة .

ومطهرة خلفها للنسوة .

عمرتها أم سليمان المتصرفة فى سنة ست وتسعين وسبعمائة .

ومطهرة تنسب للواسطى عندباب الحزورة ، وما عرفت واقفهاولا متىوقفت .

وأعظمهم نفعاً : مطهرة الملك الناصر ، و بعض هذه المطاهر معطل لخرابه .

الباب الرابع والعشرون

فى ذكر شىء من خبر بنى المحض بن جندل . ملوك مكة ونسبهم ، وذكر شىء من أخبار العماليق ملوك مكة ونسبهم ، وذكر ولاية طسم للبيت الحرام .

أما بنو المحض : فقال المسعودى : وقد كان عدة ملوك تفرقوا فى ممالك متصلة ومنفصلة .

فمنهم المسمى : بأبى جاد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت . وهم على ما ذكرنا بنو المحض بن جندل .

وأحرف الجمل هى أسماء الملوك ، وهم الأربعة والعشرون حرفاً التى عليها حساب الجمل .

ثم قال المسعودى : وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز .

وكان هوز ، وحطى : ملكين ببلاد وجّ . وهى أرض الطائف ، وما اتصل بذلك من أرض نجد .

وكلمن وسعفص وقرشت : ملوكا بمدين . وقيل : ببلاد مصر .

وكان كلمن على ملك مدين .

ومن الناس من رأى : أنه كان مُلك جميع من سميناه مشاعاً متصلا . على ما ذكرنا .

وذكر المسعودى فى نسب بنى المحض أكثر من هذه ، إلا أنه قال — لما ذكر الخلاف فى نسب قوم شعيب — : ومنهم من رأى : أنهم من ولد المحض بن جندل بن يعصب بن مدين بن إبراهيم .

وأما العماليق : فهم : من ولد عملاق . وقيل : عمليق بن لاود . ويقال : لود بن سام بن نوح . وقيل : إنهم من ولد العيص ، ويقال : عيصو بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل .

وهذا القول ذكره المسعودى .

وفى تاريخ الأزرقى خبران فيهما : أن العماليق من حمير . وأخذ الخبرين عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وفى كون العماليق من حمير نظر بيناه فى أصله .

وذكر الفاكهى أخباراً تتعلق بالعماليق . فى بعضها : أنهم كانوا بمكة لِماَ قدَّمَ . وقد عاد للاستسقاء .

وفى بعضها : أنهم كانوا بعرفة لما أخرج الله زمزم لإسماعيل ، وأنهم تحولوا إلى مكة لما علموا بذلك .

وفى بعضها : أنهم كانوا ولاة الحكم بمكة ، فضيقوا حرمة البيت ، واستحلوا منه أموراً عظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، فوعظهم رجل منهم يقال له : عملوق . فلم يقبلوا ذلك منه ، فأخرجهم قطوراً وجرهم من الحرم كله . وكانوا لا يدخلونه .

وأما ولاية طسم : فذكرها الأزرقى فيما رواه بسنده إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وذكر أنهم استحلوا حرمة البيت فأهلكهم الله .

ثم وليه بعدهم جرهم . وطسم أخو عجلان . وقد تقدم نسبه .

الباب الخامس والعشرون

فى ذكر شىء من خبر جرهم ولاة مكة ونسبهم ، وذكر من ملك مكة من جرهم ، ومدة ملكهم لها وما وقع فى نسبهم من الخلاف . وفوائد تتعلق بذلك . وذكر من أخرج جرهما من مكة وكيفية خروجهم منها ، وغير ذلك .

أما نسبهم : فقال ابن هشام : إن جرهما هو ابن قحطان بن عابد بن سالح ابن أرمخشذ بن سام بن نوح .

وقيل : إن جرهما : ابن ملك من الملائكة أذنب ذنباً فأهبط إلى مكة فتزوج امرأة من العماليق ، فولدت له جرهما . فذلك قول الحارث بن مضاض الجرهمى :

اللهم إن جرهما عبادك   الناس طرف وهم تلادك

وأما من ملك مكة من جرهم ومدة ملكهم له ونسبهم . فذكره المسعودى ، لأنه قال : ووجدت فى وجه آخر من الروايات : أن أول ملك من ملوك جرهم مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب ، هو ابن ثبت بن جرهم بن قحطان : مائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه عمرو بن مضاض : مائة وعشرون سنة .

ثم ملك الحارث بن عمرو : مائة سنة . وقيل : دون ذلك .

ثم ملك بعده عمرو بن الحارث : مائتى سنة .

ثم ملك بعده مضاض بن عمرو بن الأصفر بن الحارث بن عمرو بن مضاض ابن عمرو بن سعيد بن الرقيب بن هنا بن ثبت بن جرهم بن قحطان : أربعين سنة . انتهى .وذكر المسعودى ما يقتضى :أن مدة ملك جرهم لمكة دون ذلك .

وذكر أيضاً ما يقتضى : أن أول ملوكهم غير مضاض بن عمرو بن سعد ، لأنه ذكر : أن الحارث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هنا ابن ثبت بن جرهم : كان على جرهم حين أتوا من اليمن إلى مكة .

وذكر أن قدومهم إليها كان بعد أن سمعوا لما حصل بها من الخصب لمن تقدمهم من العماليق الذى كان عليها السميدع المذكور .

ثم قال : فكانت على الجرهميين . فافتضحوا وصارت ولاية البيت إلى العماليق ، ثم كانت لجرهم عليهم فأقاموا ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة انتهى .

وذكر ابن إسحاق مايخالف ذلك . لأنه ذكر مايقتضى : أن جرهما لما قدموا إلى مكة كان عليهم مضاض بن عمرو . وأنه وقومه تقاتلوا مع السميدع وقومه . فقتل السميدع وصار ملك مكة لمضاض .

وما ذكره ابن إسحاق هو المعروف . وما ذكره المسعودى غريب . والله أعلم بحقيقة الحال . وما ذكره فى نسب ملوك جرهم : ذكر السهيلى مايخالفه .

وكذلك فتح الأندلس . لأنه ذكر خبراً يتعلق بجرهم . وفيه : أن الحارث ابن مضاض الذى طالت غربته ، قال لإياد بن نزار بعد أن أوصله إلى مكة : أنا الحارث بن مضاض بن عبد المسيح بن نفيلة بن عبد الدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود عليه السلام . انتهى . والله أعلم .

وأما من أخرج جرهما من مكة وكيفية خروجهم منها ، فقد اختلفت الأخبار فى ذلك .

ففى بعضها : أن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وعيشان بن خزاعة ، لما رأوا استحلال جرهم لحرمة البيت وظلمهم بها قاتلوا جرهما . فغلبهم بنو بكر وعيشان ونفوا جرهما من مكة .

وفى بعضها : أخرجهم ثعلبة بن عمرو بن عامر ماء السماء .

وفى بعضها غير ذلك .

ومما قيل من الشعر عند خروجهم من مكة الأبيات التى أولها :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر

والأبيات التى أولها :

ياأيها النـاس سيروا إن مصـيركم ... أن تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا

الباب السادس والعشرون

فى ذكر شيء من خبر إسماعيل . وذكر ذبح إبراهيم لاسماعيل عليهما السلام

كان إبراهيم عليه السلام حمل إسماعيل ، وهو رضيع مع أمه هاجر إلى مكة وأنزلها عند الكعبة . وليس بها يومئذ أحد . وليس بها ماء . وفارقهما بعد أن وضع عندهما جوابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ، فجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء ، حتى نفد ما فى السقاء ، عطشت وعطش إسماعيل ، وجعلت تنظر إليه تتلوى — وقال : تتلبط — فمنَّ الله عليهما بزمزم ، سقيا لهما . فشربت وأرضعت ولدها : وقال لها الملك : لاتخافى الضيعة . فإن هذا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لايضيع أهله .

ثم نزل عليهما ناس من جرهم بأمر هاجر على : أن لاحق لهم فى الماء . وشب إسماعيل وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه امرأة منهم ، ثم طلقها بإشارة من أبيه لشكواها فى المعيشة .

ثم تزوج منهم أخرى ، وزاره أبوه فلم يجده أيضاً ، وأمره بإمساك زوجته لشكرها فى المعيشة .

ثم زاره الثالثة فبنيا البيت . فكان إبراهيم يبنى ، وإسماعيل ينقل الحجارة ويناولها له ، وهما يقولان (٢ : ١٢٧ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) .

وما ذكره من خبر إسماعيل وأمه وأبيه . ذكر البخارى مايوافقه .

وفى بعض الأخبار الواردة فى هذا المعنى مايخالف بعض ذلك . وقد بينا شيئا من ذلك فى أصله .

وأما ذبح إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام : فذكر الفاكهى فيه خبراً طويلا عن إسحاق يقتضى:أن إبراهيم لما أراد ذبح ابنه قال : أى بنى خذ الحبل والمدية ، — وهى الشفرة — ثم امض بنا إلى هذا الشعب لتحطب أهلك منه قبل أن يذكر له

ما أمر به . فعرض لهما إبليس ليصدهما عن طاعة الله فى ذلك فلم يقبلا منه .

فلما خلا إبراهيم فى الشعب . ويقال ذلك إلى ثبير . قال له (٣٧ : ١٠٢ يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) ثم أدخل الشفرة فى حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفائها فى يده . ثم اجتذبها إليه ونودى (٣٧ : ١٠٤ ، ١٠٥ أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا) . فهذه ذبيحتك . فداء لابنك فاذبحها دونه .

وقد تقدم الخلاف فى موضع ذبح هذا الفداء من منى فى الباب الحادى والعشرين .

واختلف فى الذبيح هل هو إسماعيل بن إبراهيم ، أو أخوه إسحاق بن إبراهيم

والصحيح أنه إسماعيل على ماقال الحافظ عماد الدين بن كثير .

ونقل ذلك النووى عن الأكثرين .

وكلام السهيلى يقتضى ترجيح : أنه إسحاق . وكذلك المحب الطبرى . والله أعلم .

و إسماعيل أول من ذللت له الخيل العراب . وأول من ركب الخيل ، وأول من تكلم بالعربية .

وقيل فى أول من تكلم بالعربية غير ذلك . والله أعلم .

وقال الفاكهى فى الأوليات بمكة : وأول من أحدث الأرجية يطحن بها بمكة إسماعيل بن إبراهيم النبى عليه السلام .

الباب السابع والعشرون

فى ذكر شىء من خبر هاجر أم إسماعيل عليه السلام . وذكر أسماء أولاد إسماعيل وفوائد تتعلق بهم وذكر شىء من خبر بنى إسماعيل . وذكر ولاية ثابت بن إسماعيل للبيت الحرام .

أما هاجر : فقال ابن هشام ـ بعد أن ذكر أن قبرها وقبر ابنها إسماعيل فى الحجر عند الكعبة ـ تقول العرب : هاجر وآجر . فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا هراق الماء وأراق الماء وغيره . وهاجر من أهل مصر .

وقال السهيلى : وهاجر أول امرأة ثقبت أذناها ، وأول من خفض من النساء ، وأول من جرت ذيلها .

وذلك : أن سارة غضبت عليها . فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها . فأمرها إبراهيم عليه السلام : أن تبر قسمها بثقب أذنيها ، وخفاضها . فصارت سنّة فى النساء .

وكانت هاجر أمة لبعض الملوك . فوهبها لسارة زوج الخليل ، وهى ابنة عمه فوهبتها للخليل . فولدت له إسماعيل ، وشجر بين سارة وهاجر أمر وساء ما بينهما فحمل الخليل هاجر مع ابنها إلى مكة على ما سبق .

وذكر الفاكهى عن بعضهم : أنه أوحى إليها . وهذا غريب . والله أعلم بصحته .

وسنّ للمحرم السعى بين الصفا والمروة لسعى هاجر بينهما لما طلبت الماء لابنها حين اشتد به الظمأ . وخبرها فى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما فى صحيح البخارى .

وأما أولاد إسماعيل عليه السلام : فقال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق قال : ولد إسماعيل بن إبراهيم اثنى عشر رجلا نابتا .

وكان أكبرهم : وقيدار ، وأربل ، ومشا ، وصمعا ، وماشى ، وذما ، وآزر ، وطسما وبطور ، ونبشا ، وقيدما ، وأمهم بنت مضاض بن عمرو الجرهمى . انتهى .

وذكر الأزرقى والفاكهى وغيرهما فى أسماء أولاد إسماعيل مايخالف هذا .
وذكرنا ذلك مع فوائد تتعلق لمعانى بعض أسمائهم وضبطها وغير ذلك فى أصل هذا الكتاب .

وأما خبر بناء إسماعيل عليه السلام :

فمنه : أن بنى إسماعيل والعماليق من سكان مكة ، ضاقت عليهم البلاد ، فتفسحوا فى البلاد والتمسوا المعاش . فخلف الخلوف بعد الخلوف ، وتبدلوا بدين إسماعيل وغيره ، وسلخوا إلى عبادة الأوثان . فيزعمون : أن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل : أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتملوا معهم من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة لمكة والكعبة حيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهدى البدن مع إدخالهم فيه ماليس منه .

وكان أول من غير دين إسماعيل : عمرو بن لحى ، وهذا الذى ذكرناه من خبر بنى إسماعيل . ذكره ابن إسحاق .

وإلياس بن مضر : هو الذى رد بنى إسماعيل إلى سنن آبائهم حتى رجعت سننهم تامة على أولها .

ذكر ذلك الزبير بن بكار .

وأما ولاية ثابت بن إسماعيل للبيت الحرام : فذكرها ابن إسحاق ، وقال : وليه ماشاء الله أن يليه .

الباب الثامن والعشرون

في ذكر ولاية إياد بن نزار بن معد بن عدنان للكعبة ، وشيء من خبره . وذكر ولاية بني إياد بن نزار الكعبة ، وشيء من خبرهم وخبر مضر ، ومن ولي الكعبة من مضر قبل قريش .

أما ولاية إياد فقال الزبير بن بكار : حدثنا عمر بن أبي بكر الموصلي عن غير واحد من أهل العلم بالنسب . قالوا : لما حضرت نزار الوفاة ، آثر إياداً بولاية الكعبة ، وأعطى مضر ناقة حمراء ، فسميت : مضر الحمراء . وأعطى ربيعة الفرس فرسه ، فسمي : ربيعة الفرس . وأعطى أنمار جارية تسمى : بجيلة ، فحضنت بنيه فسموا : بجيلة أنمار .

ويقال : أعطى إياداً عصاه وحلته .

ورأيت لإياد بن نزار وإخوته المشار إليهم خبراً يستظرف في ذكائهم ومعرفتهم بما أخبروا به من صفة البعير الذى سئلوا عنه مع كونهم لم يروه ، وغير ذلك .

وأما ولاية بني إياد بن نزار الكعبة : فذكر الفاكهي فيها خبراً طويلا . فيه : ثم وليت حجابة البيت إياد . وكان أمر البيت إلى رجل منهم يقال له : وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد . ثم قال ــ بعد أن ذكر شيئاً من خبره ــ : ثم إن مضر أديلت بعد إياد .

وكان أول من ديل منهم : عدوان وفهم ، وأن رجلا من إياد ورجلا من مضر خرجا يتصيدان فمرت بهما أرنب ، فاكتنفاها يرميانها ، فرماها الإيادى ، فنزل سهمه ، فنظم قلب المضرى فقتله . فبلغ الخبر مضر ، فاستغاثت بفهم وعدوان يطلبون لهم قود صاحبهم . فقالوا : إنما أخطأه . فأبت فهم وعدوان إلا قتله ، فتناوش الناس بينهم بالمدور ــ وهو مكان ــ فسمت مضر من إياد ظفراً ، فقالت لهم

إياد : أجلونا ثلاثاً ، فلن نسا كنكم أرضكم ، فأجلوهم ثلاثاً . فظعنوا قبل المشرق. وكانوا حسدوا مضر على ولاية الركن الأسود فدفنوه ، بعد أن لم يحملوه على شيء إلا رزح .

وافتقدت مضر الركن بعد يومين ، فعظم فى نفسهـا . ثم تخلوا عن حجابة البيت لخزاعة على أن يدلوهم على الركن . فدلوهم عليه ، لأن امرأة من خزاعة نظرت بنى إياد حين دفنوه وأعادوه فى مكانه . انتهى بالمعنى فى كثير منه .

وممن ولى الـكعبة من مضر أسيد بن خزيمة بن مدركة جد النبى صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع والعشرون

فى ذكر من ولى الإجازة بالناس من عرفة ومزدلفة ، ومنى ، من العرب فى ولاية جرهم ، وفى ولاية خزاعة وقريش على مكة .

قال ابن إسحاق : وكان العون بن مدين أو ابن طابخة بن إلياس بن مضر يلى الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده . وكان يقال له ولوالده صوفه ، ثم قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمى الجمار فأرادوا النَّفْر من مِنًى أخذت صوفة بجانبى العقبة . فحبسوا الناس ، وقالوا : أجيزى بنى صوفة ، فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا . فإذا نفذت صوفة ومضت خلى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم . فكانوا كذلك حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدة : بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وكانت من بنى سعد فى الصفوان بن الحارث بن شحنة .

قال ابن هشام : صفوان بن خباب بن شحنة بن عطارد بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة ابن تميم .

قال ابن إسحاق : فكان صفوان هو الذى يجيز الناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام : كرز بن صفوان .

وذكر ابن هشام : أن الإفاضة من المزدلفة : كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله عن محمد بن إسحاق : يتوارثون ذلك كابراً عن كابر . حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيارة عميلة بن الأعزل . انتهى باختصار .

وذكر الفاكهى خبراً يقتضى : أن أبا سيارة من بنى عبد بن معيص بن عامر ابن لؤى . وقيس أخواله .

وذكر أيضاً مايقتضى : أن الإجازة صارت من صوفة إلى عدوان . وهذا مع ماقبله يخالفان ماسبق والله أعلم .

وفى أصله فوائد تتعلق بهذه الأخبار .

منها : أن الناس إذا نفزوا من منى فأجازوا إلى الأبطح اجتمعت كندة إلى بنى بكر بن وائل فأجازوا بهم حتى يبلغوا البيت . ذكر ذلك الفاكهى وهو غريب .

الباب الثلاثون

فى ذكر من ولى إنساء الشهور من العرب بمكة ، وذكر صفة الإنساء ، وذكر الحمس والحلة ، والطلس .

اختلف الأخبار فى أول من أنسأ : ففى بعضها : أنه مالك بن كنانة . وهذا فى تاريخ الأزرقى .

وفى بعضها : أنه القلمس ، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة . وهذا فى السيرة لابن إسحاق . تهذيب ابن هشام . وفى بعضها غير ذلك .

وآخر من أنسأ أبو ثمامة جنادة بن عوف .

وقيل : إنه أنسأ أربعين سنة . والله أعلم .

وأما صفة الإنساء : فذكر الأزرقى مطولا ، والسهيلى مختصراً مفيداً ، لأنه قال : وأما نسؤهم الشهر الحرام : فكان على ضربين .

أحدهما : ما ذكره ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثأر .

والثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية . فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوماً أو أكثر قليلا حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة . فيعود إلى وقته . انتهى .

وفى الأزرقى مايقتضى أن الحج يستدير فى كل أربع وعشرين سنة . والله أعلم .

وأما الحمس : فروى الزبير بسنده إلى مجاهد قال : الحمس : قريش و بنو عامر ابن صعصعة ، وثقيف وخزاعة ، ومدلج وعدوان ، والحارث بن عبد مناة ، وعضل أتباع قريش .

وسائر العرب : الحلة .

وفى تاريخ الأزرقى مايقتضى : أن من الحمس ناساً غير هؤلاء . وذلك مذكور فى أصله .

واختلف فى سبب تسميتهم بالحمس . فقيل : سموا بالكعبة ، لأنها حمسا حجرها أبيض يضرب إلى السواد .

وقيل : لشدتهم فى دينهم . وقيل : لشجاعتهم ، والله أعلم .

وكان للحمس سيرة . منها : أنهم لايقفون إلا بالمزدلفة ، ولا يطوفون بالبيت عراة . وكانت الحلة تقف بعرفة مع وقوفها بالمزدلفة . وتطوف بالبيت عراة . وقد ذكرنا من سيرتهم الباطلة غير هذا .

وأما الطلس : فقوم كانوا يأتون من أقصى اليمن طلساً من الغبار فيطوفون بالبيت فى تلك الثياب الطلس . فسموا بذلك .

ذكره محمد بن حبيب فيما نقله عنه السهيلى .

الباب الحادى والثلاثون

فى ذكر شيء من خبر خزاعة ولاة مكة فى الجاهلية ونسبهم ، ومدة ولايتهم لمكة ، وأول ملوكهم بها ، وغير ذلك من خبرهم ، وشيء من خبر عمرو بن عامر ماء السماء الذى تنسب إليه خزاعة على ماقيل . وشيء من خبر بنيه وغير ذلك .

أما نسب خزاعة : فنهم من ولد قمعه بن إلياس بن نضر بن نزار بن معد ابن عدنان . هكذا قال جماعة من أهل العلم بالنسب . منهم : ابن حزم . واحتج لذلك بأحاديث تقوم بها الحجة. وقيل : إنهم من ولد الصلت بن النضر بن كنانة .

ذكر هذا القول ابن قتيبة . وقيل : إنهم من قحطان . وخزاعة تقول ذلك . لأن ابن هشام قال : وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث . وخندف أمناء فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . فقال : خزاعة بنو حارثة بن عمرو بن عامر . وإنما سميت خزاعة لأنهم يخزعون من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمر الظهران ، فأقاموا بها . انتهى .

وإذا كانت خزاعة من مضر فلا تظهر تسميتها بخزاعة معنى .

وإذا كانوا من قحطان . فذلك لانخزاعهم عن قومهم بمكة . والانخزاع : هو المفارقة . ومن ذلك يقول القائل :

فلما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة منا فى حلول كراكر

وأما ولاية خزاعة بمكة : فسبق فى باب أخبار خبرهم . وهو الباب الخامس والعشرون : أن بنى بكر بن عبد مناة وغبشان : من خزاعة . قاتلوا جرهماً وأخرجوهم من مكة . وهذا يقتضى : أنهم وليوا البيت ومكة .

وسبق فى الباب الثامن والعشرون : أن سبب ولايتهم للبيت إعلامهم مضر بموضع الحجر الأسود لما دفنته بنو إياد .

وفى الخبر الذى فيه ذلك : ووليت خزاعة عنـد ذلك البيت . ولم يبرح فى أيديهم حتى قدم قصى ، فكان من أمره ما كان . وهذا يخالف ماسبق فى سبب ولايتهم . والله أعلم .

وذكر ابن إسحاق مايقتضى أن غبشان من خزاعة انفردت بولاية البيت دون بكر بن عبد مناة .

ولم تزل خزاعة تلى البيت كابراً عن كابر حتى كان آخرهم خليل بن حبشية .

وأما مدة ولاية خزاعة بمكة : فروينا عن ابن إسحاق وابن سريج قالا : قامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت والحـكم بمكة ثلثمائة سنة .

وروينا عن أبى صالح قال : وكان عمرو بن لحى يلى البيت . وولده من بعده خمسمائة سـنة حتى كان آخرهم خليل بن حبشية بن سلول . وكانوا هم حجابه وخزانه والقوام به ، وولاة الحكم بمكة . انتهى باختصار .

وعمرو بن لحى المذكور فى هـذا الخبر : هو عمرو بن لحى . واسمه ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . كذا فى الخبر الذى فيه ذلك .

وأما أول من ولى البيت ومكة : ففى بعض الأخبار أنه عمرو بن لحى المذكور . وفى بعضها : أنه أبو ربيعة . وفى بعضها : أنه عمرو بن الحارث الغبشانى . والله أعلم .

وأما آخر من ولى ذلك من خزاعة : فخليل ابن حبشية . كما سبق .

وذكر الزبير : أن خليلا جعل إلى أبى غبشان فتح البيت وإغلاقه ، وأن قصياً اشترى ولاية البيت من أبى غبشان بزق خمر أو قعود . وقيل : بكبش وزق خمر . فقال الناس : أخسر من صفقة أبى غبشان . فصارت مثلا .

وأما خبر عمرو بن عامر ، الذى تنسب إليه خزاعة على ماقيل . وخبر بنيه . فمنه أنه كان يقال له : مزيقياً . لأنه كان يلبس فى كل يوم حلتين ، ثم يمزقهما

لئلا يلبسهما غيره . وكان ملك مأرب وهى بلاد سبأ المذكورة فى القرآن العظيم ، ثم تحول منها بعد أن باع أمواله بها لما أخبرته به طريفة الكاهنة من خرابها بسيل العرم .

وكان تحوله عنها بولده وولد ولده ، وساروا حتى نزلوا بلاد عك . وكان بينهم و بين عك حروب . ثم رحلوا عنها ، فتفرقوا فى البلاد على ماذكر ابن هشام .

وفى بعض الأخبار مايقتضى : أن تفرقهم كان بمكة لما أصابهم من الحماء . والله أعلم .

وخبر عمرو بن عامر و بنيه وخبز خزاعة أكثر من هذا .

الباب الثانى والثلاثون

فى ذكر شىء من أخبار قريش بمكة فى الجاهليــة . وشىء من فضلهم . وما وصفوا به ، و بيان نسبهم وسبب تسميتهم بقريش وابتداء ولايتهم الـكعبة وأمر مكة .

أما فضلهم . فمنه : قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة ــ الحديث » . وهو فى مسلم من رواية واثلة بن الأسقع عنه .

وقوله صلى الله عليه وسلم « إن هــذا الأمر فى قريش ، ولا يعاديهم أحد إلا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » . وهذا فى صحيح البخارى .

وأما ما وصفت به بطون قريش بأن بعضهم يعرف « بقريش البطاح » . وهم « بنو كعب بن لؤى » لأن قريشا حين قسموا بلادهم أصابت كعب الأباطح . و بعضهم يعرف بقريش « الظواهر » وهم : محارب والحارث ابنا فهر ، و بنو عامر بن لؤى ، والأدرم بن غالب . و بقيــة قريش إلا أن الحارث بن فهر دخل مكة من البطاح . و بعضهم يعرف « بقريش العارية » . وهم : ولد سامة بن لؤى بن غالب بن فهر . و بعضهم يعرف « بقريش العائدة » وهم : بنو خزيمة بن لؤى بن غالب بن فهر .

وأما نسب قريش : فاختلف فيه . فقيل : إنهم من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . ورجحه الز بير بن بكار وغيره . وقيــل : إنهم من ولد النضر ابن كنانة . ورجحه النووى . والله تعالى أعلم .

وأما سبب تسميتهم : بقريش . فقيل : سموا قريشاً من التقرش . والتقرش : التجارة والاكتساب . وقيل : لتفتيشهم عن حاجة الناس ، وسدهم لها . وقيل : بتجمعها من تفرقها . وقيل : غير ذلك . والله أعلم .

وأما ابتداء ولاية قريش للكعبة المعظمة وأمر مكة : فسببه **قصى بن كلاب** ابن مرة بن لؤى بن غالب . وذلك : أن الحليل بن حبشية جعل ذلك لقصى حين حضرته الوفاة . وكان قصى قد تزوج ابنتــه حبى . وولد له منها عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد بنو قصى .

ولمــا مات حليل أبت خزاعة أن تدع قصيا وذاك . وأخذوا المفتاح منه فاستنصر قصى برجال من قريش وكنانة فأجابوه . واستنصر أيضــاً بأخيه لأمه رزاح بن ربيعة . فخرج إليــه بإخوته ومن معهم من قضاعة . فقابل بهم قصى خزاعة بعد انقضاء الحج بمفضى مأذمى منى . فسمى ذلك المكان «المفجر» لما فجر فيه وسفك من الدماء ، بسبب الجراحات فى الفريقين . وكثرت القتلى فيهما ، ثم تداعوا إلى الصلح . فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن الليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وكان شريفاً . فحكم : بأن لاتباعد لأحد على احد فى دم . وحكم : بحجابة البيت وولاية أمر مكة لقصى دون خزاعة ، لمــا جعل له حليل . وأن لا تخرج خزاعة من مساكنها من مكة . فسمى يعمر يومئذ : الشداخ ، لأنه لما حكم قال : ألا إنى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمىّ هاتين .

وولى قصى حجابة البيت وأمر مكة . وجمع قومه من قريش من منازلهم إلى مكة ليستعزبهم : وتملك على قومه فملكوه .

وخبر ولايته طويل فى تاريخ الأزرقى . وهذا ملخص منه بالمعنى فيه مقنع .

وقد سبق فى الباب الذى قبله أن قصياً اشترى ولاية البيت من أبى غبشان بما سبق ذكره .

وذكر الزبير بن بكار خبراً يقتضى أن قصى بن كلاب : أول من ثرد الثريد فأطعم بمكة وسقى اللبن بعد بنت بن إسماعيل .

وذكر أيضاً خبراً يقتضى أن قصياً كان يعشر من دخل مكة من غير أهلها .

ومن خبر قصى بن كلاب : أنه أحدث وقود النار بالمزدلفة ، ليراها من دفع

من عرفة . وأنه : بنى قزح موضع الوقوف بالمزدلفة . وأنه : اتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة . ففيها كانت تقضى قريش أمورها .

وأن أمره فى قومه كدين المتبوع لا يعمل بغيره فى حياته ومن بعده .

وأنه مات بمكة فدفن بالحجون . فتدافن الناس بالحجون بعده .

وأنه أول بنى كعب بن لؤى . أصاب ملكاً أطاع له به قومه . والله أعلم .

الباب الثالث والثلاثون

فى ذكر شيء من خبر بنى قصى بن كلاب ، وتوليتهم لما كان بيده من الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، والقيادة . وتفسير ذلك .

اختلف فيما صنعه قصى فيما كان بيده من الأمور المشار إليها . فقيل : إنه جعل ذلك لابنه عبد الدار بن قصى لتلحقه فى الشرف بأخيه عبد مناف ، ثم إن بنى عبد منـاف بن قصى عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا ، أجمعوا على : أن يأخذوا ذلك من أيدى بنى عبد الدار لشرفهم وفضلهم فى قومهم على بنى عبد الدار . وكاد أن يقع بين الفريقين قتال . ثم اصطلحوا على : أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار .

فولى السـقاية والرفادة : هاشم بن عبد مناف ليساره ، واسمه عمرو . ويقال ماسمى هاشما إلا لهشمه الخبز بمكة لقومه . ويقال : إنه أول من أطعم الثريد بمكة وأنه أول من سن لقريش الرحلتين رحلة الشتاء والصيف .

ومات بغزة بالشام تاجراً ، فولى السقاية والرفادة بعد : عبد المطلب بن عبد مناف . وكان يسمى : الفيض . لسماحته وفضله .

ومات بردمان باليمن

فولى ذلك بعده عبد المطلب بن هاشم .

هذا ملخص بالمعنى مختصر مما ذكره ابن إسحاق فى خبر هذه الأمور .

وذكر الزبير بن بكار خبراً يقتضى أن قصى بن كلاب أعطى ابنه عبد مناف السقاية والندوة . وأعطى عبد الدار : الحجابة واللواء . وأعطى عبد العزى : الرفادة وأيام منى .

قال المروانى ــ شيخ الزبير ــ فى هذا الخبر : والرفادة : الضيافة . وأيام منى : كان الناس لا يجوزون إلا بأمره . وأعطى عبد بن قصى : جلهتى الوادى ، ولم أسمع

فى جلهتى الوادى بشىء ، انتهى باختصار .

وقيل : إن قصى بن كلاب أعطى عبد مناف : السقاية والرفادة والقيادة ، وأعطى عبد الدار : السدانة ، وهى الحجابة ، ودار الندوة ، واللواء . وهذا فى خبر الأزرقى عن ابن جريج ، وابن إسحاق . وفيه شىء من خبر هـذه الأمور . وقد ذكرنا ذلك فى أصله .

وقد ذكرنا فى أصل هذا الكتاب أخباراً مفيدة تتعلق ببنى عبد مناف وعبد المطلب . ومنها : مايخالف ماذكرناه من خبر هذه الأمور . ومنها : مايوافق والله أعلم .

الباب الرابع والثلاثون

فى ذكر شىء من خبر الفجار والأحابيش

كان الذى هاج حرب الفجار : أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، أجاز لطيمة للنعمان بن المنذر . فقال له ــ البراض بن قيس أحد بنى حمزة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ــ : أتجيزها على كنانة ؟ قال: نعم . وعلى الخلق . فخرج عروة الرحال ، وخرج البراض يطلب عزنة ، حتى إذا كان يتيمن ذى ظلال بالعالية ، قابله عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام . فلذلك سمى:الفجار . فأتى آت قريشاً . فقال : إن البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعكاظ . فارتحلوا وهوازن لا تشعر ، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوازن . ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما . وهذا الذى ذكرناه من خبر الفجار فى سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام .

وذكر ابن هشام : أن حرب الفجار هاجت لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة ، أو خمس عشرة سنة .

وذكر ابن إسحاق : أنها هاجت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة . وشهد النبى صلى الله عليه وسلم بعض أيام الفجار . وهى على ــ ما ذكر الفاكهى ــ خمسة أيام فى أربع سنين ، و بينها الفاكهى ، وذكرنا كلامه فى أصله .

وقال مغلطاى فى سيرته : وأيام الفجار أربعة . قاله السهيلى . والصواب : أنها ستة .

وأما الأحابيش : فهم بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، والحيا والمصطلق من خزاعة ، والقارة بنو الهون بن خزيمة . وكانوا خلفاء لقريش . وكانت قريش والأحابيش نداً . وقد أوضحنا من خبرهم أكثر من هذا فى أصله .

الباب الخامس والثلاثون

فى ذكر حلف الفضـول ، وخبر ابن جدعان الذى كان هذا الحلف فى داره . وذكر أجواد قريش وحكامهم فى الجاهلية ، وملك عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى عليهم ، وشىء من خبره .

كان سبب حلف الفضول : أن رجلا من بنى زبيد قدم مكة معتمراً فى الجاهلية ، ومعه تجارة له . فباعها من العاص بن وائل السهمى ، فآواها إلى بيته ، ثم تغيب وابتغى الزبيدى متاعه فلم يقدر عليه . فجاء إلى بنى سهم يستعين بهم على العاص فأغلظوا عليه . فعرف : أن لا سبيل إلى ماله ، فطوف فى قبـائل قريش يستعين بهم . فتخاذلوا عنه . فلما رأى ذلك أشرف على أبى قبيس حين أخذت قريش مجالسها . ثم قال أبياتاً .

فلما نزل من الجبل أعظمت ذلك قريش وتكلموا فيه . ثم اجتمع بنو هاشم ، و بنو المطلب ، و بنو أسد بن عبد العزى ، و بنو زهرة و بنو تيم فى دار عبد الله ابن جدعان ، وعمل لهم طعاماً ، وتحالفوا بالله : لايظلم أحد بمكة إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم ، حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريفاً ووضيعـاً ، منا أو من غيرنا . ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل . فقالوا : والله لا نفارقك حتى تؤدى إليه حقه . فأعطى الرجل حقه . فمـكثوا كذلك لايظلم أحد حقه بمكة إلا أخذه .

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحلف قبل أن يوحى إليه . واغتبط به فيما قيل .

وما ذكرناه من خبر حلف الفضول لخصناه من خبرين . ذكرهما الزبير بن بكار ، وذكر ما يوهم : أن سبب حلف الفضول غير ذلك . وقد أشرنا إلى شىء من ذلك فى أصله ، والمشهور ماذكرناه هنا .

وكان حلف الفضول فى شوال بعد انصراف قريش من الفجار . كذا فى

خبر . ذكره الفاكهى . قال : ويقال بعد فراغهم من بنيان الكعبة . انتهى .

وأما ابن جدعان المشار إليه : فهو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى المكى ، يكنى أبا زهير من رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وكان من رؤساء قريش وأجوادهم .

وله فى الجود أخبار مشهورة .

منها : أنه كانت له جفنة الأضياف يستظل بظلها فى الهاجرة .

ومنها : أنه كان له مناديان بأعلى مكة و بأسفلها . أحدهما يقول : ألا من أراد اللحم والشحم فليأت دار ابن جدعان . وهو أول من أطعم بمكة الفالوذج . وهو : لباب البر يلك بالعسل .

ولما مات ابن جدعان نعاه بعض الجن بأبيات إلى رفقة من أهل مكة مسافرين إلى الشام .

وذلك فى خبر . ذكره الفاكهى . ذكرناه فى أصله .

ومن خبر ابن جدعان : أنه دخل شقاً فى بعض شعاب مكة يرجو أن يكون فيه حية تقتله . فيستريح من تعب الفقر وغيره ، فظفر فيه بكنز عظيم .

وكان فى قريش أجواد . منهم المعروفون : بأزواد الركب: لكفايتهم من معهم المؤنة فى السفر . منهم : الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وأخوه زمعة ابن عبد المطلب ، ومسافر بن عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وأبو أمية بن المغيرة المخزومى .

وأما حكام قريش بمكة فى الجاهلية . فمنهم : عبد المطلب بن هاشم ، وأبناؤه الزبير ، وأبو طالب وآخرون . ذكرناهم فى أصله . ولم يكن أحد منهم متملكا على بقية قريش ، وإنما ذلك بتراضيهم عليه حسماً لمادة الشر .

وسيأتى ما يزيد ذلك قريبا .

وأما تملك عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى على قريش : فإن قيصر ملكه عليهم وكتب له إليهم . فتلطف بهم عثمان وخوفهم فى تجارتهم من قيصر إن لم يطيعوه ، فوافقوه على أن يعقدوا التاج على رأسه عشية ، وتملكوه ، ثم انتقضوا عن ذلك لتنفير ابن عمه أبى زمعة لقريش عن ذلك . فلحق عثمان بقيصر فأعلمه الخبر . فأمر قيصر عمرو بن جفنة الغسانى أن يحبس لعثمان من أراد حبسه من تجار قريش بالشام . ففعل ذلك عمرو .

ثم مات عثمان بالشام مسموما . وكان من أظرف قريش وأعقلها .

وخبر تملكه وما جرى له بعد رجوعه إلى قيصر ، أطول من هذا .

الباب السادس والثلاثون

فى ذكر شىء من فتح مكة المشرفة . وفوائد تتعلق بذلك

كان سبب فتح مكة أن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير فأصابوا منهم رجلاً وتحاوروا واقتتلوا . ورفدت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حازوا خزاعة إلى الحرم .

ثم خرج ناس من خزاعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستنصرونه ، لأن خزاعة فى صلح الحديبية : دخلت فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بنو بكر فى عقد قريش . فوعد النبى صلى الله عليه وسلم الخزاعيين بالنصر .

وقدم المدينة أبو سفيان بن حرب ليشد العقد ، ويزيد فى المدة . فلم ينل قصداً ، ورجع إلى مكة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله أن يجهزوه . ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتأهب . وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتحفز الناس .

ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة . كتب حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى قريش : يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى المسير إليهم ، ثم أعطاه امرأة . قيل : إنها مزينة . وقيل : إنها سارة — مولاة لبعض بنى عبد المطلب — وأعلم الله بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبعث على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام لإحضار الكتاب فأتيا به .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، وخرج لعشر مضين من شهر رمضان فصام وصام الناس حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وامج أفطر ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، وقريش لا تعلم بذلك .

ثم إن أبا سفيان بن حرب حضر عند رسـول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فأسلم . وكان خرج يتجسس الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأمّنَ النبي صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان ، ومن أغلق عليه بابه ، ومن دخل المسجد .

فلما جاء قومه أخبرهم الخبر ، وأن النبي صلى الله عليه وسـلم قد جاءهم بما لا قبل لهم به . فتفرق الناس إلى دورهم ، و إلى المسجد .

ولمـا انتهى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذى طوى ، أمر الز بير بن العوام : أن يدخل فى بعض الناس من كداء . وكان الز بير على المجنبة اليسرى . وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كداء .

وأمر النبي صلى الله عليه وسـلم خالد بن الوليد فدخل من الليط أسفل مكة فى بعض الناس

وكان خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى وفيها : أسلم ، وسليم ، وغفار ، ومزينة وجهينة ، وقبائل من قبائل العرب .

وأقبل أبو عبيـدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمـكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة . وضربت هنالك قبته .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو . وقد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا . فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال . فقتل كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر ، وحنيش بن خالد ابن ربيعة بن أصرم ــ حليف بنى منقذ ــ وكانا فى خيل خالد بن الوليد ، فشذا عنه ، فسلكا طريقاً غير طريقه ، فقتلا جميعاً .

وأصيب من جهينة سلمه الميلا من خيل خالد .

وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر ، أو ثلاثة عشر ، ثم انهزموا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ــ حين أمرهم أن يدخلوا ــ أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم . إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم : أمر بقتلهم ، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة . فقتل بعضهم واستؤمن لبعضهم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة واطمأن الناس : خرج حتى جاء البيت . فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن بمحجن فى يده . فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة . ففتحت له ، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان . فكسرها بيده ، ثم طرحها . ثم وقف على باب الكعبة . وقد استكف له الناس فى المسجد . فخطب خطبته المشهورة . وفيها : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خير . أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد . فقام إليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومفتاح الكعبة فى يده . فقال : يا رسول الله : اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان ابن طلحة ؟ فدعى له . فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، إن اليوم يوم بر ووفاء . وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يؤذن .

وكان أبو سفيان بن حرب ، وعتاب بن أسيد ، والحارث بن هشام جلوساً بفناء الكعبة . فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيد : أن لا يكون سمع هذا . فيسمع منه ما يغبطه .

وقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه بحق لاتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصا . فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : قد علمت الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم . فقال الحارث وعتاب:

تشهد أنك رسول الله ، والله ما اطلع على هذ أحد كان معنا . فنقول : أخبرك .

ولما طاف النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على راحلته كان حول البيت أصنام مشددة بالرصاص . فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام . ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع . فقال يميم بن أسد الخزاعى :

وفى الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشر ليلة يقصر الصلاة ، وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة .

وخبر فتح مكة أكثر مما ذكرناه ، وما ذكرناه ملخص مختصر مما ذكره أبو إسحاق فى سيرته ، بعضه بالمعنى وكثير منه باللفظ .

وأما الفوائد المتعلقة بخبر فتح مكة : فإن بعضها يخالف ماذكره ابن إسحاق وابن هشام من خبر الفتح . وبعضها يوضح بعض ما أبهماه فى ذلك .

فمنها : أن الفاكهى قال : الوتير : ماء بأسفل مكة ، فى المشرق عن يمين ملكان على ستة أميال منها .

وهذا يبيّن الوتير أكثر مما فى كلام ابن إسحاق .

ومنها : أن ابن أبى عقبة ذكر فى مقارنة مايقتضى أن إغارة بنى كنانة على خزاعة التى هى سبب فتح مكة كانت بعرفة .

وهذا يخالف ماذكره ابن إسحاق .

ومنها : أن الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى ، ذكر فى مبهماته حديثاً فيه « أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث علياً ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما لإحضار كتاب حاطب » .

وهذا يخالف ماذكره ابن إسحاق .

ومنها : أن فى البخارى « أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث لإحضار كتاب حاطب أبا مرثد مع على والزبير » .

وفى رواية فيه : المقداد ، بدل أبى مرثد ـ وكلام ابن إسحاق لا يفهم شيئاً من هذا .

ومنها : أن الحافظ بن عبد الغنى ذكر مايقتضى : أن حاملة كتاب حاطب : أم سارة مولاة لقريش ، وكلام ابن إسحاق يقتضى : أنها سارة .

وذكر مغلطاى أنها : أم سارة كنود المرينة ، والله أعلم .

ومنها : أن السهيلى ذكر شيئاً فى بيان ما كتبه حاطب ؛ لأنه قال : وقد قيل : إنه كان فى الكتاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم . فإنه منجز له ماوعده » .

وفى تفسير ابن سلام : أنه كان فى الكتاب الذى كتبه حاطب : أن محمداً قد نفر . إما إليكم وإما إلى غيركم ، فعليكم الحذر ، انتهى .

وكلام ابن إسحاق : ليس فيه شىء من هذا .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم صام حتى بلغ الكديد بين عسفان وامج .

وروى الفاكهى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه صام حتى بلغ عسفان .

وروى حديثاً عن جابر رضى الله عنه : أنه صام حتى بلغ كراع العميم .

وهذان الخبران مخالفان لما ذكره ابن إسحاق .

ومنها : أن كلام ابن إسحاق يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم فتحها من أذاخر .

وذكر ابن عقبة مايقتضى أنه دخلها من ثنية كداء بأعلى مكة .

وذكر الفاكهى عن ابن عمر رضى الله عنهما مايوافق ذلك .

ومنها : أن ابن عقبة قال : وقتل من بنى بكر قريباً من عشرين ، ومن هذيل : ثلاثة ، أوأربعة ، وانهزموا وقتلوا بالحزورة حتى بلغ قتلهم باب المسجد .

وقال ابن سعد : قيل أربعة وعشرون رجلا من قريش ، وأربعة من هذيل .

وروى الفاكهى خبراً فيه : فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة .

وجميع هذه الأقوال يخالف ما ذكره ابن إسحاق من : أن المقتولين من المشركين قريب من اثنى عشر ، أو ثلاثة عشر . والله أعلم .

ومنها : أن ماذكره ابن إسحاق يقتضى : أن الكعبة فتحت للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح .

وفى صحيح مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ مايقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم فتحها بنفسه يوم الفتح .

ومنها : أن ما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن على بن أبى طالب سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يجمع لبنى هاشم الحجابة مع السقاية .

وذكر الأزرقى عن الواقدى مايقتضى : أن العباس بن عبد المطلب هو الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك .

ومنها : أن ابن هشام ذكر أن أبا سفيان ، وعتاب بن أسيد ، والحارث بن هشام ، كانوا جلوساً بفناء الكعبة لما أذن بلال ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وأخبرهم بقولهم .

وذكر الفاكهى خبراً يقتضى : أنهم كانوا جلوساً فى الحجر ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم استدعاهم إلى الصفا وأخبرهم بقولهم . إلا أن الخبر الذى ذكره الفاكهى ليس فيه ذكر الحارث بن هشام . وفيه ذكر سهيل بن عمرو ، وصفوان

ابن أمية مع عتاب بن أسيد ، وأبى سفيان . ولايصح مافيه من : أن صفوان كان معهم لفراره إلى جده فى يوم الفتح .

وفى الأزرقى مايقتضى : أن عتاب بن أسيد لم يكن معهم ، وإنما كان معهم أخوه خالد بن أسيد مع الحارث ، وأبى سفيان ، وسهيل ، والحكم بن أبى العاص والله أعلم .

ومنها : أن ابن عقبة ذكر أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة اثنى عشر ألفاً ، على ماقيل . ونقل ذلك مغلطاى عن الحاكم جزما .

وما ذكره ابن إسحاق يقتضى : أنهم عشرة آلاف . والله أعلم .

ومنها : أنه اختلف فى مدة إقامة النبى صلى الله عليه وسلم بعد فتحها .

ففى البخارى : وأقام بها خمس عشرة ليلة .

وفى رواية : تسع عشرة .

وفى أبى داود : سبع عشرة .

وفى الأكمل : أصحها بضع عشرة يصلى ركعتين انتهى .

نقل هذه الروايات مغلطاى هكذا .

والذى ذكره ابن إسحاق خمس عشرة ليلة ، وذلك يخالف هذه الروايات . إلا الأولى التى فى البخارى .

ورأيت فى ذلك غير ماسبق ، لأن الفاكهى روى بسنده عن أنس رضى الله عنه ، قال : أقمنا بمكة عشراً . يعنى زمان الفتح . انتهى .

وقد أتينا فيما يتعلق بخبر الفتح الذى ذكره ابن إسحاق وابن هشام بفوائد أكثر من هذا فى أصله ، ومثل ذلك لا يوجد مجموعاً فى كتاب ، ويتعلق به مسائل كثيرة من الفقه واللغة والعربية ، تركنا ذكرها لكونها غير مقصودة بالذكر فى هذا التأليف ، وخيفة من التطويل . ونسأل الله تعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل .

الباب السابع والثلاثون

فى ذكر ولاة مكة المشرفة فى الإسلام

لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة ـ استخلف عليها عتّاب بن أسيد ـ بفتح الهمزة ـ ابن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى ، أميراً على من تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم من الناس حين خرج إلى حنين ، وذلك فى العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة .

ولم يزل عتاب أميراً على مكة إلى أن توفى بها بعد موت الصديق رضى الله عنه أو يوم جاء نعى الصديق إلى مكة .

وفى تاريخ ابن جرير ، وابن الأثير مايقتضى أنه ولى مكة لعمر رضى الله عنه .

وفى الاستيعاب ما يقتضى : أن الصديق عزله عن مكة ، وولاها للحارث ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم .

وفى مغازى موسى بن عقبة مايقتضى : أن النبى صلى الله عليه وسلم استخلف معاذ بن جبل على مكة لما خرج إلى حنين .

وفى الاستيعاب : أن النبى صلى الله عليه وسلم استخلف على مكة هبيرة بن شبل بن العجلان الثقفى .

والمعروف : استخلاف عتّاب ودوام ولايته حتى مات . والله أعلم .

وولى مكة : المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس نيابة عن عتاب فى سفرة سافرها .

ثم وليها فى أول خلافة عمر رضى الله عنه . المحرر المذكور ، ثم قنفذ بن عمير ابن جدعان التيمى ، ثم نافع بن عبد الحارث الخزاعى ، ثم خالد بن العاص ، ثم هشام بن المغيرة المخزومى .

وممن ولى مكة فى خلافة عمر رضى الله عنه : طارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناة ، وعبد الرحمن بن أبزى الخزاعى ـ مولاهم ـ نيابة عن نافع بن عبد الحارث لما خرج للقاء عمر رضى الله عنه إلى عسفان ، وأنكر عليه عمر رضى الله عنه استخلافه لابن أبزى ، وعزل نافعاً لكونه : استخلف على أهل الله مولى .

وقيل : إن الحارث بن نوفل ـ السابق ذكره ـ ولى مكة لعمر رضى الله عنه .

ثم ولى مكة فى أول خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه : على بن عدى ابن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ، ثم خالد بن العاص ـ السابق ـ ودامت ولايته إلى أن عزله منها علي بن أبى طالب رضى الله عنه .

ووليها لعثمان رضى الله عنه أيضاً : الحارث بن نوفل ـ السابق ـ وعبد الله ابن خالد بن أسيد ، وهو ابن أخى عتاب ، وعبد الله بن عامر الحضرمى . على ماذكره ابن الأثير .

ووليها أيضاً فيما قيل : نافع بن عبد الحارث السابق ـ ذكره .

ثم ولى مكة فى خلافة على رضى الله عنه : أبو قتادة الأنصارى ، حارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عزل خالد بن العاص ، ثم قثم بن العباس بن عبد المطلب ، ودامت ولايته إلى أن قتل على رضى الله عنه .

وقيل : إن معبد بن العباس بن عبد المطلب وليها لعلى رضى الله عنه .

ثم ولى مكة فى خلاف معاوية بن أبى سفيان : أخوه عتبة بن أبى سفيان ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص ، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، وابنه عمرو بن سعيد ، المعروف : بالأشدق ، وخالد بن العاص ، وعبد الله بن خالد ابن أسيد ـ السابق ذكرهما .

ثم ولى مكة فى خلافة يزيد بن معاوية جماعة . أولهم : عمرو بن سعيد الأشدق ، والوليد بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب، وعثمان بن محمد بن أبى سفيان

الأمويون . والحارث بن خالد بن العاص المخزومى ـ المقدم ذكر أبيه ـ وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، ابن أخى عمر رضى الله عنه ، ويحيى ابن حكيم بن صفوان بن أمية الجمحى .

ثم ولى مكة : عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما بعد موت يزيد ابن معاوية .

وبويع بالخلافة فى الحجاز والعراق واليمن وغير ذلك حتى كادت الأمة تجمع عليه .

ودامت ولايته على مكة حتى استشهد فى جمادى الأولى أو الآخرة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ، بعد أن حاصره الحجاج بن يوسف الثقفى أزيد من نصف سنة . وابن الزبير ينتصف منهم وتفضل عليهم .

وكان قد حارب قبل أن يلى الخلافة : الحصين بن نمير أشهراً بمكة . ثم تخلى الحصين عن الحرب لوصول نعى يزيد .

وولى مكة لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما : الحارث بن حاطب الجمحى .

ثم ولى مكة بعد قتل ابن الزبير فى خلافة عبد الملك بن مروان جماعة . أولهم : الحجاج بن يوسف الثقفى ، والحارث بن خالد بن العاص المخزومى ، وخالد بن عبد الله القسرى ، وعبد الله بن سفيان المخزومى ، وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بن أبى العيص ـ المقدم ذكر أبيه ـ ومسلمة بن عبد الملك بن مروان ، ونافع بن علقمة الكنانى ، ويحيى بن الحكم بن أبى العاص الأموى .

وولى مكة فى خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان : الإمام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ثم خالد بن عبد الله القسرى .

ثم ولى مكة فى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان : ثلاثة نفر خالد بن عبد الله القسرى ، ثم طلحة بن داود الحضرمى ، ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ـ السابق ذكره .

ثم ولى مكة فى خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان : عبد العزيز بن عبد الله ابن خالد ـ السابق .

وقيل : وليها لعمر بن عبد العزيز : محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعروة بن عياض بن عدى بن الخيار النوفلى ، وعبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وعثمان بن عبد الله بن سراقة العدوى .

ووليها : ابن سراقة لغير عمر ـ قبله ـ ولعل ولايتهم لعمر على مكة لما كان والياً عليها للوليد . والله أعلم .

ثم ولى مكة فى خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان . ثلاثة نفر . أولهم : عبد العزيز بن عبد الله ـ السابق ـ ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى ، ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى ـ بالنون ـ

ثم ولى مكة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان جماعة . أولهم : عبد الواحد المذكور . ثم إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ـ خال هشام بن عبد الملك ـ ثم أخوه محمد بن هشام .

وولى مكة فى خلافة هشام : نافع بن علقمة الكنانى .

وممن ولى مكة فى خلافة عبد الملك ، أو فى خلافة أحد من أولاده المذكورين أو فى خلافة عمر بن عبد العزيز ـ : أبو حراب محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر القرشى . وكان على مكة فى زمن عطاء بن أبى رباح .

ثم ولى مكة فى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك : خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفى ، ودامت ولايته إلى انقضاء خلافته .

ثم ولى مكة فى خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك : عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ـ فيما أظن ـ والله أعلم .

ثم وليها فى خلافة مروان بن محمد بن مروان ـ آخر الخلفاء الأمويين ـ

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ــ المقدم ذكره ــ ثم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، ثم أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى الأباضى بالتَّغَلُّبِ بعد الحج من سنة تسع وعشرين ومائة . وسار أبو حمزة إلى المدينة .

واستخلف على مكة أبرهة بن الصباح الحميرى ، وسار لحربه من الشام : عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى ، فالتقوا بالأبطح واقتتلوا إلى نصف النهار . وقل : أبرهة ، وأبو حمزة وخلق من جيشه .

وقيل : إن أبا حمزة قتل بوادى القرى ، قتله جيش بن عطية فى آخر هذا العام ، وهو عام ثلاثين ومائة ، راجعاً من اليمن ليقيم الحج بعد قتله لطالب الحق الذى يدعو أبو حمزة .

وكان قد استخلف على مكة ــ إذ سار إلى اليمن ــ رجلا من أهل الشام يقال له ابن ماعز .

وولى مكة لمروان : ــ السابق ذكره ــ الوليد بن عروة السعدى ــ ابن أخى عبد الملك ــ ودامت ولايته إلى انقضاء خلافة مروان .

ورأيت فى نسخة من كامل ابن الأثير : أن محمد بن عبد الملك بن مروان : كان على مكة والمدينة والطائف فى سنة ثلاثين ومائة ، وأنه حج بالناس فيها . ولم أر مايدل إلا لحجه بالناس دون ولايته . والله أعلم .

ثم ولى فى خلافة أبى العباس السفاح ــ أول الخلفاء العباسيين ــ : عمه داود ابن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ثم زياد بن عبد الله الحارثى خال السفاح ، ثم العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب .

وممن وليها للسفاح على ماقيل : عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن الخطاب .

ثم وليها فى خلافة أبى جعفر المنصور : العباس بن عبد الله بن معبد السابق ذكره ــ ثم زياد بن عبد الله الحارثى ، ثم السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، ثم محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن

أبى طالب بالتّغلُّبِ ، لأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، لما خرج بالمدينة على المنصور استعمله على مكة ، واستعمل على اليمن القاسم بن إسحاق ، فسار إلى مكة ، فلقيهما السرى بأذاخر ، فهزماه . ودخل محمد مكة ، وأقام بها يسيراً ، ثم سار عنها إلى المدينة لنصر محمد ابن عبد الله بن الحسن ، فأتاه بنواحى قديد نعى محمد بن عبد الله .

وفى كتاب الزبير بن بكار ما يقتضى : أن الذى ولاه محمد بن عبد الله بن الحسن مكة هو : الحسن بن معاوية ــ والد محمد بن الحسن السابق ذكره ــ والله أعلم .

ثم عاد السرى لولاية مكة .

ثم وليها بعده عبد الصمد بن على عم المنصور .

ثم وليها بعده محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس .

ثم وليها فى خلافة المهدى بن المنصور : إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، بوصية من المنصور ، ثم جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله ابن عباس ، ثم عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبد الله بن عباس .

وممن وليها للمهدى : محمد بن إبراهيم الإمام السابق ذكره ــ وكذا فيما أظن : قثم بن العباس ــ والد عبيد الله بن قثم .

وولايته لمكة ذكرها ابن حزم ، إلا أنه لم يذكر تاريخها .

ثم ولى مكة فى خلافة الهادى بن المهتدى : عبيد الله بن قثم ــ السابق ، والحسين بن على بن الحسين بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم بالتغلب . لأنه ثار بالمدينة ، واستولى عليها ، ثم سار إلى مكة واستولى عليها .

وقيل : فى حرب كان بينه و بين أصحاب الهادى بفخ ــ وهو وادى الزاهر ــ

يوم التروية من سنة تسع وستين ومائة . ولم يسهل بالهادى قبله . وكان كريما شجاعاً . وقبره معروف فى قبة عالية . والمقتولون من أصحابه : أزيد من مائة نفر .

وممن ولى أمر مكة فى خلافة الهادى ـ أو خلافة أخيه الرشيد ـ : محمد بن عبد الرحمن السفيانى .

ثم ولى مكة فى خلافة الرشيد ابن المهدى جماعة . وهم : أحمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس ، وحماد البربرى ، وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على ، والعباس بن موسى بن عيسى بن موسى ، والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام . وعبد الله بن محمد بن عمران بن إبراهيم التيمى ، وعبيد الله بن قثم بن العباس ـ السابق ، وعبيد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام ، وعلى بن موسى بن عيسى ـ أخو العباس السابق . والفضل بن العباس بن محمد بن على ، ومحمد بن إبراهيم الإمام ، ومحمد بن عبيد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمر بن عثمان بن عفان ، وموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على .

ثم ولى مكة فى خلافة الأمين ابن الرشيد : داود بن عيسى بن موسى بن محمد ابن على .

ثم ولى مكة فى خلافة المأمون بن الرشيد : داود بن عيسى ـ المذكور .

ثم وليها بالتغلب : الحسين بن الحسن بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف : بالأفطس فى أيام الحج من سنة تسع وتسعين ومائة ، بعد فرار داود ـ المذكور ـ ودامت ولايته إلى أن بلغه قتل مرسله أبى السرايا داعية بن طباطبا . و بدا من الحسن وأصحابه مالا يحمد .

ثم ولى مكة بعده : محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب الحسينى . الملقب : ـ بالديباجة ـ لجمال وجهه .

وبويع فيها بالخلافة فى ربيع الأول سنة مائتين .

ودامت ولايته إلى جمادى الآخر سنة مائتين .

واستولى عليها أصحاب المأمون بعد قتال جرى بينهم وبين العلوين ، انهزم العلويون لأجله . وفارق الديباجة مكة بأمان ، ثم عاد إليها بأمان ثانى . وطلع المنبر واعتذر عما وقع منه ، واستغفر وخلع نفسه ، ولحق بالمأمون ، فعفى عنه .

وولى مكة — بعد هزيمة العلويين — عيسى بن يزيد الجلودى .

ووليها للجلودى ابنه محمد ، ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى .

ووليها بعد عزل الجلودى : هارون بن المسيب .

ووليها فى خلافة المأمون : حمدون بن على بن عيسى بن ماهان ، وإبراهيم بن موسى بن جعفر الحسينى — أخو على بن موسى الرضا — وعبيد الله بن الحسن بن ابن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وصالح بن العباس ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وسليمان بن عبيد الله بن سليمان بن على ابن عبد الله بن العباس . وابنه محمد بن سليمان .

وممن وليها للمأمون : الحسن بن سهل ، إلا أنه لم يباشر ولايتها ، وإنما عقد له عليها الولاية .

ثم وليها فى خلافة المعتصم بن الرشيد : صالح بن العباس — السابق ، ثم محمد ابن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبيد الله بن عباس الملقب : ترنجة . ولعل ولايته دامت إلى أثناء خلافة المتوكل . والله أعلم .

وأشناس التركى — أحد قواد المعتصم — وولايته كانت عليها وعلى غيرها عقداً لا مباشرة .

ثم وليها فى خلافة المتوكل بن المعتصم : على بن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، ثم عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى — المقدم ذكر أبيه ، ثم عبد الصمد

بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام ، ثم محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام . المعروف : بالزينبى .

وولى مكة فى خلافة المتوكل : ابنه محمد المنتصر . وماأظنه باشر ذلك . و إنما عقد له بالولاية عليها مع غيرها ، و إيتاخ الخوزى ـ أحد قواد المتوكل ـ وولايته عليها وعلى غيرها عقد لامباشرة .

ثم ولى مكة فى خلافة المنتصر بن المتوكل : محمد بن سليمان الزينبى ـ السابق فيما أظن . والله أعلم .

ووليها فى خلافة المستعين : أحمد بن محمد بن المعتصم عبد الصمد بن موسى ـ السابق ، ثم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى المعروف شاشان ، ثم إسماعيل ابن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، بالتغلب والإحراق ، وحصر أهل مكة حتى ماتوا جوعاً وعطشاً . وذلك فى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

وقيل : إن قصته كانت فى سنة اثنين وخمسين ، وفيها أهلكه الله بالجدرى .

وولى مكة فى خلافة المستعين : ابنه العباس ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ولم يباشرا الولاية على مكة و إنما عقد لهما عليها الولاية مع بلاد أخر .

ثم ولى مكة فى خلافة المعتز بن المتوكل عيسى محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومى .

وممن ولى مكة فى خلافة المهتدى محمد بن الواثق ـ أو فى خلافة المعتمد أحمد ابن المتوكل محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور الملقب : كعب البقر .

وممن ولى مكة فى خلافة المهتدى : على بن الحسن الهاشمى .

ثم ولى مكة فى خلافة المعتمد ابن المتوكل جماعة . وهم أخوه أبو أحمد الموفق ابن المتوكل ، و إبراهيم بن محمد بن إسماعيل العباسى . الملقب : بزيه ، وأبو المغيرة

محمد بن عيسى بن محمد المخزومى ـ السابق ذكر أبيه ـ وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب المخزومى الفضل بن العباس بن الحسين بن إسماعيل العباسى ، وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ، وأحمد بن طولون صاحب مصر ، ومحمد بن أبى الساج ، وأخوه يوسف بن أبى الساج .

وباشر من هؤلاء ولاية مكة : إبراهيم ، وأبو المغيرة ، وأبو عيسى ، وهارون ، والفضل ويوسف . والشك فى الموفق ، هل باشر ولاية مكة أم لا ؟

وأما ابن طولون ، ومحمد بن أبى الساج : فلم أر مايدل على مباشرتهما .

ثم ولى مكة فى خلافة المعتضد : بن أبى أحمد الموفق بن المتوكل .

وفى خلافة أولاده : المكتفى ، والمقتدر ، والقاهر .

وفى خلافة الراضى : بن المقتدر .

وفى خلافة المتقى : بن المقتدر .

وفى خلافة المستكفى : بن المكتفى .

وفى خلافة المطيع بن المقتدر جماعة . وما عرفت منهم إلا عج بن حاج ، ومؤنس بن المظفر ، وابن ملاحظ ، وابن مخاب ، أو ابن محارب ـ على الشك منى ـ ومحمد بن طغج الأخشيد صاحب مصر ، وابنيه أبا القاسم ، أو نجور ، ومعنى أو نجور : محمود ، وأبا الحسن عليا ، والقاضى أبا جعفر محمد بن عبد العزيز العباسى وولايته فى زمن ولاية الإخشيد بمكة .

وما عرفت أن أحداً من هؤلاء باشر ولاية مكة غير عج بن حاج ، وابن ملاحظ ، وابن محارب ، أو ابن مخلب ـ على الشك فيما يعرف به .

ثم ولى مكة بالتغلب : جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى . هكذا نسبه ابن حزم فى

الجمهرة . وذكر أنه غَلَب على مكة أيام الإخشيدية . وأظن ذلك بعد موت كافور الإخشيدى وقبل استيلاء القائم جوهر خادم المعز العبيدى على مصر . والله أعلم .

وولى مكة بعد جعفر هذا : ابنه عيسى . ودامت ولايته على مكة إلى سنة أربع وثمانين وثلثمائة على ماذكر بعض مشايخنا .

وذكر أن أبا الفتوح الحسن بن جعفر ولي مكة فى هذا التاريخ . والله أعلم .

وولاية أبى الفتوح بمكة مشهورة . ودامت ولايته عليها فيما علمت إلى أن مات فى سنة ثلاثين وأربعمائة ، إلا أن صاحب مصر الحاكم العبيدى عزله .

وولى مكة عوضه ابن عم له يقال له أبو الطيب ؛ لأن أبا الفتوح خرج عن طاعة الحاكم . وبويع فى الحرمين بالخلافة ، ويلقب بالراشد ، وسار فى ألف عبد إلى الرملة لأن آل الجراح حملوه على ذلك ، ثم تخلوا عنه لاستمالة الحاكم لهم عنه بأموال عظيمة ، وشفعوا له عند الحاكم وأعادوه إلى ولاية مكة .

وكان ذلك من أبى الفتوح فى سنة إحدى وأربعمائة .

وقيل : فى سنة اثنين وأربعمائة .

ووليها بعده : شكر بن أبى الفتوح . ودامت ولايته ــ فيما علمت ــ إلى أن مات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، وآل أمر مكة بعد شكر إلى عبد له ، على ما ذكر أبو حزم فى الجمهرة .

وفى المرآة : مايقتضى أنه ولى مكة بعد شكر : بنو أبى الطيب الحسنيون ، ثم على بن محمد الصليحى صاحب اليمن ، ثم محمد بن جعفر بن أبى هاشم عن الصليحى ، ومحمد بن جعفر هذا أحد أمراء مكة المعروفين بالهواشم ، وهو أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم محمد بن الحسين بن محمد ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى .

وكان تأمير الصليحى له فى سنة ست وخمسين وأربعمائة .

ودامت ولاية ابن أبى هاشم ثلاثين سنة ، إلا أن بنى سليمان الحسينيين قصدوه مع حمزة بن وهاس ففر إلى ينبع ، لأنه لم يكن له بهم طاقة .

وذلك بعد سير الصليحى من مكة .

وكان سيره بعد يوم عاشوراء ، أو فى ربيع الأول من سنة ست وخمسين وأربعمائة .

وكان ملك الصليحى بمكة فى سادس ذى الحجة سنة خمس وخمسين ، وهرب ابن أبى هاشم فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة إلى بغداد لما وصل إلى مكة التركمان ، وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد قطعها من الحرمين نحو مائة سنة .

وولى مكة بعده : ابنه قاسم ، ثم أصبهيد بن سارمتكين .

ثم عاد قاسم المذكور لولايتها فى شوال سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، بعد أن هزم أصبهيد .

واستمر قاسم حتى مات فيما علمت ، وكان موته فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة .

وولى بعده : ابنه فليتة . ويقال : أبو فليتة . واستمر فيما علمت حتى مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

وولى بعده : هاشم ابنه . واستمر فيما علمت إلى سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وقيل : إلى سنة إحدى وخمسين .

وولى بعده : قاسم ابنه إلى وقت الموسم من سنة ست وخمسين .

ثم ولى عوضه : عمه عيسى بن فليتة .

ثم ولى قاسم مكة فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين ، ثم قتل بعد أيام يسيرة وعاد عمه عيسى إلى ولايتها .

واستمر فيما علمت حتى مات سـنة سبعين وخمسمائة ، إلا أن أخاه مالك ابن قتيبة استولى على مكة نحو نصف يوم .

وخرج من مكة : مالك بعد قتال جرى بين عسكره وعسكر أخيه . وذلك يوم عاشوراء من سنة ست وستين وخمسمائة .

ووليها بعد عيسى : ابنه داود ، ثم أخوه مكثر بن عيسى فى نصف رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة .

ثم وليها فى هذه السنة : الأمير قاسم بن مهنا الحسينى أمير المدينة ثلاثة أيام بعد الحج من هذه السنة . ثم رأى فى نفسه العجز عن القيام بذلك ، فرأى أمير الحاج طاشتكين داود بن عيسى . وكان الأخوان بعد ذلك يتداولان إمرة مكة يليها كل منهما زمناً ، ثم انفرد بها مكثر نحو عشر سنين متوالية . وبه انقضت ولاية الهواشم .

ووليها ـ فى ولاية أحدهما ـ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، صاحب مصر والشام فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

وولى مكة بعد مكثر : أبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى الينبعى فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة . وقيل : فى سنة ثمان وتسعين . وقيل : سنة تسع وتسعين .

واستمر حتى مات فى سنة سبع عشرة وستمائة . وقيل : سنة ثمان عشرة .

وامتدت ولايته إلى ينبع وإلى حلى . وحارب صاحب المدينة ، وغلب كل منهما الآخر حينا .

وولى مكة فى ولاية قتادة أقياش الناصرى العباسى ، ولم يباشر ولايتها ، و إنما عقد له مولاه الولاية على الحرمين ، و إمرة الحجاج .

وولى مكة بعد قتادة : ابنه حسين بن قتادة ، ودامت ولايته إلى سنة تسع عشرة وستمائة . وقيل : إلى سنة عشرين .

ووليها بعده : الملك المسعودى ، واسمه يوسف ، و يلقب : أقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب اليمن ، بعد أن حارب حسن بن قتادة بالمسعى ، وانهزم حسن .

ونهب عسكر الملك المسعودى مكة إلى العصر ، ودامت ولايته عليها حتى مات فى سنة ست وعشرين وستمائة .

ووليها نيابة عنه : نور الدين عمر بن على بن رسول الدين صار سلطاناً باليمن بعده ، والأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودى .

ووليها بعد المسعودى : والده الكامل صاحب مصر ، ودامت ولايته إلى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وستمائة .

ثم وليها الملك المنصور نور الدين ـ المذكور ـ بعد أن بويع بالسلطنة ببلاد اليمن ، لأنه أنفذ جيشاً إليها فيهم راجح بن قتادة ، فهرب منها طغتكين متوليها من قبل الكامل .

ثم استولى عليها مع جيش أمده به الكامل فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين ، وسمى ابن محفوظ المكى أمير مكة الكامل فى هذا التاريخ شجاع الدين الدغدكى وهو تصحيف . إنما هو طغتكين . والله أعلم .

وقيل : إن فخر الدين بن الشيخ على ، كان على مكة لما وصلها جيش المنصور فى سنة تسع وعشرين .

ثم وليها جيش المنصور مع راجح بغير قتال فى صفر سنة ثلاثين .

ثم وليها فى آخرها عسكر الكامل ، وأقام بها أمير من جهة الكامل يقال له ابن مجلى .

ثم وليها : عسكر المنصور مع راجح فى سنة إحدى وثلاثين .

ثم وليها فى سنة اثنين وثلاثين : عسكر الكامل ، وكان ألف فارس .

وقيل : سبعمائة . وقيل : خمسمائة ، وخمسة من الأمراء يقدمهم الأمير جفريل ودامت ولاية الكامل عليها إلى أن استولى عليها المنصور فى سنة خمس وثلاثين وستمائة ، وكان قد سار إليها بنفسه فى ألف فارس فيما قيل .

ودامت ولايته عليها إلى سنة سبع وثلاثين ، وترك بها مائة وخمسين فارساً . قدم عليهم ابن الوليد وابن التغرى .

ثم وليها : الملك الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر ، لأنه أنفذ إليها مع الشريف شيخه صاحب المدينة جيشاً فيه ألف فارس ، فاستولى على مكة بغير قتال فى سنة سبع وثلاثين .

ثم وليها : عسكر المنصور بعد مفارقة شيخه ، ومن معه بمكة وفيهم النصرى ، وراجح بن قتادة . وذلك فى سنة سبع وثلاثين ، أو ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم وليها : عسكر الصالح فى سنة ثمان وثلاثين ، وممن وليها له الأمير فخر الدين أحمد بن التركمانى .

ثم وليها المنصور فى سنة تسع وثلاثين وستمائة ، وسافر إليها بنفسه ، ودامت ولايته عليها حتى مات ، وأمر عليها فى هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين الشلاح ، وابن فيروز ، وجعل الشريف أبا سعد بن على بن قتادة بالوادى مساعداً لعسكره .

واستمر الشلاح على ولاية مكة إلى سنة ست وأربعين وستمائة ، على ماذكر بعض مؤرخى اليمن فى عصرنا .

ووجدت بخط الميورقى : أن ابن المسيب قدم مكة لعزل الشلاح فى منتصف ربيع الأول سنة خمس وأربعين ، والله أعلم بالصواب .

وولى مكة بعد ابن المسيب أبو سعد بن على ــ السابق ــ بعد قبضه على ابن المسيب فى ذى القعدة .

وقيل : فى شوال سنة سبع وأربعين وستمائه ، واستمر إلى أن قتل سنة إحدى وخمسين فى شعبان . وقيل : فى رمضان منها .

ثم وليها بعده ـ أحد قتلته ـ: جماز بن حسن بن قتادة ، واستمر إلى آخر يوم من الحجة سنة إحدى وخمسين .

ثم وليها بعده راجح بن قتادة ، واستمر إلى ربيع الأول سنة اثنين وخمسين .

ثم وليها بعده : ابنه غانم بن راجح ، واستمر إلى شوال منها .

ثم وليها بعده : إدريس بن قتادة ، وأبو نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على ابن قتادة بعد قتال مات فيه ثلاثة نفر .

ثم وليها : المبارز على بن الحسين بن برطاس ، وكان المظفر صاحب اليمن قد أنفذه إلى مكة فى مائتى فارس ، فقاتل إدريس وأبا نمى ، وظهر عليهما فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة اثنين وخمسين .

ثم وليها : إدريس وأبو نمى فى المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة بعد قتالهم لابن برطاس ، وكان أسر ففدا نفسه وفارق مكة بمن معه .

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة : انفرد أبو نمى بالإمرة بها ، ثم عاد إدريس لمشاركته فى ولايتها .

ثم وليها : أولاد حسن بن قتادة بست أيام من سنة ست وخمسين ، ثم أخرجهم منها أبو نمى . ودامت ولاية إدريس ، وأبو نمى إلى سنة سبع وستين .

ثم انفرد بها أبو نمى قليلاً ثم عاد إدريس إلى ولايتها واستمر إلى ربيع الأول سنة تسع وستين .

ثم انفرد إدريس بولايتها أربعين يوماً .

ثم قتل فى هذه السنة بخليص[1] فى حرب كان بينه و بين أبى نمى ، وانفرد أبو نمى بولايتها إلى سنة سبعين .

ثم وليها فى صفر : جماز بن شيحه صاحب المدينة . وغانم بن إدريس بن حسن

(١) قرية قريبة من مكة فى طريق المدينة .

ابن قتادة صاحب ينبع ، ثم عاد أبو نمى إلى ولايتها بعد أربعين يوما ، واستمر إلى سنة سبع وثمانين وستمائة .

ثم عاد جماز بن شيحه إلى ولاية مكة ، وأقام بها إلى آخر السنة . وذلك مدة يسيرة .

ثم وليها أبو نمى ، واستمر إلى أوائل صفر سنة إحدى وسبعمائة ، وفى رابعه مات .

وكان وليهـا فى حال ولاية أبو نمى وإدريس أمير يقال له : شمس الدين مروان نائب الأمير عز الدين أمير خازندار بأمر من الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر فى سنة سبع وستين وستمائة ، بسؤال من إدريس وأبى نمى للظاهر فى ذلك . ثم أخرج مروان من مكة فى سنة ثمان وستين .

ووليها ــ قبل موت أبى نمى بيومين ــ : ابناه حميضة ، ورميثة ، واستمر إلى أن قبض عليهما فى موسم سنة إحدى وسبعمائة .

ووليها بعدهما : أخواهما أبو الغيث ، وعطيفة ــ ابنا أبى نمى .

وقيل : وليها بعدهما أبو الغيث ، ومحمد بن إدريس بن قتادة .

ثم وليها : حميضة ، ورميثة فى سنة ثلاث وسبعمائة .

وقيل : فى سنة أربع وسبعمائة ، بولاية من الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر ، واستمرا إلى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

ثم وليها : أخوهما أبو الغيث ، بولاية من الناصر المذكور ، وجهز معه جيشاً كثيفاً ، واستمر شهرين وجمعة .

ثم وليها : حميضة بعد قتال كان بينه و بين أبى الغيث ، ثم ظفر به فى حرب آخر فقتله ، واستمر حميضــة إلى أن هرب إلى الحلف والحليف فى شعبان سنة خمس عشرة .

ووليها بعده : أخوه رميثة بولاية من الناصر المذكور ، واستمر إلى أن قبض عليه بعد انقضاء الحج من سنة ثمان عشرة وسبعمائة . إلا أن حميضة استولى على

مكة فى أوائل هذه السنة ، أو بعد الحج من التى قبلها بموافقة رميثة على ماقيل .

ووليها : عطيفة بن أبى نمى فى أوائل سنة تسع عشرة وسبعمائة ، بولاية من الناصر المذكور ، وجهز معه عسكراً . واستمر فى الولاية إلى أوائل سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، إلا أن رميثة شاركه فى ولاية مكة فى بعض سنى عشر الثلاثين.

ثم وليها : رميثة بمفرده فى ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، من سنة إحدى وثلاثين ، واستمر إلى سنة أربع وثلاثين .

ثم وليها : عطيفة شريكا لرميثة .

ثم انفرد رميثة بإمرتها ليلة رحيل الحاج من السنة المذكورة .

ثم وليها : عطيفة شريكا لرميثة فى الموسم من سنة خمس وثلاثين ، واستمر إلى أثناء سنة ست وثلاثين .

ثم سافر فأقام عطيفة بمكة ، ورميثة بالحديد بوادى مر ، فقصد رميثة مكة ودخلها ، وخرج منهـا غير ظافر ، وذلك فى رمضان من السنة المذكورة . وفى سنة سبع وثلاثين اصطلحا وتشاركا فى الإمرة .

ثم انفرد فيها : رميثة ، واستمر متولياً إلى أن ترك ولايتهـا فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة لولديه عجلان ، وثقبة . وأبى ذلك ولاة الأمر بمصر ، وكتبوا له بالولاية ، فاستمر رميثة إلى سنة ست وأربعين وسبعمائة .

ثم وليها فيها : ابنه عجلان فى حياة أبيه . وفيها مات أبوه ، واستمر عجلان إلى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

ثم وليها معه أخوه ثقبة ، ثم صارا يتداولان ولايتها كل منهما وقتاً .

ثم ولياها معاً باتفاقهما على ذلك فى أيام الموسم من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة.

ثم وليها بعدهما : أخوهما سند بن رميثة ، وابن عمهما محمد بن عطيفة فى أثناء سنة ستين وسبعمائة ، بولاية من الناصر حسن بن محمد بن قلاوون صاحب مصر ، وجهز من مصر عسكراً لتأييدهما . واستمرا على ولايتهما حتى انقضى الحج من سنة إحدى وستين وسبعمائة .

ثم وليها ـ عوض ابن عطيفة شريكا لسند ـ : أخوه ثقبة بن رميثة ، لأن الترك الذين قدموا فى موسم هذه السنة إلى مكة للإقامة بها عوض الأولين خرجوا من مكة على وجه مؤلم بسبب ما نالهم من بنى حسن من القتل والنهب .

وكان ابن عطيفة تخطى عن نصرة الترك فلم يستطع المقام بمكة بعد خروجهم منها ، فخرج منها خائفاً يترقب .

ووجدت بخط بعض الناس من أصحابنا ما يقتضى : أنه أقام بمكة بعد الترك . ولعله أقام قليلا ثم رحل .

ثم ولى عجلان إمرة ـ مكة عوض سند ـ شريكا لثقبة .

وكان بمصر حين ولايته لذلك ، فما وصل إلى وادى مر إلا وثقبة عايل مدنف ، فلما مات ثقبة فى شوال سنة اثنين وستين وسبعمائة ولى عجلان عوضه : ابنه أحمد بن عجلان ، وجعل له ربع الحاصل . ثم زاده بعد ذلك ربعاً آخر . ثم ترك عجلان الإمرة لابنه : أحمد ، على أمور اشترطها ، منها : دوام الدعاء مدة له حياته ، فوفى له بذلك ابنه .

واستمر منفرداً بالإمرة حتى أشرك معه فيها ابنه محمد بن أحمد بن عجلان فى سنة ثمانين وسبعمائة بولاية من صاحب مصر ، ولم يظهر لذلك أثر لصغر ابنه واستبداده هو بالأمور . واستمرا شريكين فى الإمرة ، حتى مات الأب فى العشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

ثم انفرد بها الولد مائة يوم ، ثم قتل فى مستهل الحجة من السنة المذكورة لما حضر لخدمة المحمل المصرى .

فوليها عوضه : عنان بن مغامس بن رميثة ، واستولى على مكة بعد قتال وقع بينه و بين بعض جماعة الأمير المقتول ، واستولى على جدة أيضاً ، ثم انتزعت منه فى أوائل سنة تسع وثمانين ، وأشرك معه فى الإمرة : ابنى عميه أحمد بن ثقبة ، وعقيل بن مبارك بن رميثة ، ثم على بن مبارك ليستظهر بهم على أعدائه . فما وجد بذلك راحة .

ونمى الخبر إلى السلطان الملك الظاهر برقوق بمصر فعزله ، وولى على بن عجلان بن رميثة .

وتحارب عنان وجماعته مع آل عجلان ، ومن معهم بأذخر فى سلخ شعبان سنة تسع وثمانين ، فكان الظفر لعنان وأصحابه .

ثم استولى على مكة : على بن عجلان فى موسم هذه السنة بعد مفارقة عنان وأصحابه لمكة ، ونزلوا بعد الموسم فى الوادى ، وكان له أمر بجدة . ثم فارقهم عنان ، وتوجه إلى مصر ، فأقام بها مدة مطلقاً ومعتقلا .

ثم ولى بعد إطلاقه : نصف إمرتها شريكا لعلى بن عجلان ، ووصل مكة فى نصف شعبان من سنة اثنين وتسعين . ودخل مكة بموافقة مع على بن عجلان وجماعته . واستمرا على الولاية إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة .

ثم استبد بها علي وأصحابه بعد أن هم بعضهم بالفتك بعنان بالمسعى فنجى ، ثم دخلها بعد أن أخليت له من جماعتهم لما عزم إلى التوجه إلى مصر مطلوباً ، وتوجه بعده : علي بن عجلان واجتمعا بمصر عند الملك الظاهر ، فعزل عنان .

وأقام بمصر حتى مات فى ربيع الأول سنة خمس وثمانمائة بالفالج .

وولى مكة : على بمفرده ، ووصل إلى مكة فى موسم سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، وقبض فى آخر يوم منها على جماعة من وجوه الأشراف والقواد ، ثم خودع فيهم فأطلقهم ، ثم شوشوا عليه كثيراً . فقصد التجار ينبع لقلة الأمن بمكة وجدة .

وآخر أمره أنه قتل ففاز بالشهادة فى تاسع شوال سنة سبع وسبعمائة .

ثم وليها عوضه : أخوه السيد حسن بن عجلان . وكان حين ولايته بمصر ، فدخل مكة فى رابع عشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة . فوجد المجاورين والحاج بولايته راحة ونفعاً ، لأنه لمصالحهم يرعى .

واستمر منفرداً بالإمرة إلى أن أشرك معه فيهـا : ابنه السيد بركات فى سنة تسع وثمانمائة بولاية من الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق صاحب مصر .

ثم سعى لابنه السيد أحمد فى نصف الإمرة الذى كان بيده ، فأجيب لسؤاله وولى هو نيابة السلطنة ببلاد الحجـاز . وذلك فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة .

وولى هو فى إمرة المدينة النبوية : عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة الحسنى .

وكان يقدم فى الخطبة بالمدينة على أميرها عجلان . ثم قطعت خطبته منها لما زال عجلان عن ولايتها فى العشر الأخير من ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وثمانمائة .

وفى شوال من هذه السنة عزل السيد حسن وابناه عن ولايتهم ، وأسَرَّ السلطان بمصر ذلك . ثم رضى عليهم وأعادهم إلى ولايتهم فى ثانى عشر ذى القعدة من السنة المذكورة . وبعث إليهم بالعهد والميثاق والتشاريف مع خادمه الخاص فيروز السـاقى ، فلبسوا ذلك وقرأ العهد بولايتهم فى أول ذى الحجة من السنة المذكورة . وأخمد الله بذلك فتنة عظيمة كادت أن تقع بين المذكورين ، وبين أمير الحاج المصرى يبسق .

واستمروا على ولايتهم إلى أوائل سنة ثمان عشرة وثمانمائة ، ثم عزلوا عن ذلك .

ووليه : السيد رميثه بن محمد بن عجلان بن رميثه فى هـذا التاريخ . ودخل مكة فى مستهل ذى الحجة سنة ثمان عشرة . وفيه قرىء توقيعه ودعى له على المنبر فى الخطبة فى سابع ذى الحجة . ثم عزل عن ذلك فى ثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة وثمانمائة .

وولى عمه السيد حسن : إمرة مكة ــ عوضه ــ ودخلها لابساً لخلعة الولاية بها بكرة يوم الأربعاء سادس عشرين شوال ، بعد حرب كان بين عسكر حسن ،

وابن أخيه فى اليوم الذى قبله ، استظهر فيه عسكر السيد حسن على من قاتلهم وفارقوا مكة .

واستمر الشريف حسن فى إمرة مكة حتى عزل منها بالشريف على بن عنان ابن مغامس بن رميثه بن أبى نمى . وجهز معه مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباى ــ نصره الله ــ عسكراً قوياً من القاهرة . فاستولوا على مكة بغير قتال فى سادس جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة . ثم على جدة .

وتوجه قبل ذلك الشريف حسن لصوب اليمن ، ثم أتى إلى مكة بأمان من مولانا السلطان . ودخلها مكرماً لابساً لخلعة الولاية فى أول ذى الحجة سنة ثمان وعشرين . وتوجه إلى القاهرة فأكرمه كثيراً مولانا السلطان وقرره فى إمرة مكة. وكان ذلك فى العشرين من جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو عليل .

واستمر كذلك حتى توفى فى السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بالقاهرة بعد أن تجهز للسفر إلى مكة . واستدعى مولانا السلطان ــ نصره الله ــ السيد بركات بن حسن بن عجلان . فوصل إلى الحضرة الشريفة فى الثالث والعشرين من رمضان . وفوضت إليه إمرة مكة فى السادس والعشرين من رمضان من السنة المذكورة .

واستقر أخوه السيد إبراهيم نائباً عنه . وخلع عليهما تشريفتين ، وتوجها إلى مكة المشرفة فى عاشر شوال من السنة المذكورة . فوصلا إليها فى أوائل العشر الوسط من ذى القعدة منها . وقرىء عهد الشريف بركات بالولاية ولبس الخلعة بذلك .

وقد ذكرنا من حال ولاة مكة أكثر من هذا فى أصله ، وبسطنا ذلك أكثر فى العقد الثمين ، ومختصره عجالة القرى . فمن أراد ذلك فليراجعهما ، يرى فيهما من هذا المعنى وفى غيره أخباراً مستعذبة وفوائد مستغربة . ونحمد الله على مامن به من ذلك من الإرشاد . ونسأله فى ذلك السداد .

الباب الثامن والثلاثون

فى ذكر شىء من الحوادث المتعلقة بمكة فى الإسلام

لاريب فى كثرة الأخبار فى هذا المعنى ، وأكثر ذلك خفى علينا لعدم العناية بتدوينه فى كل وقت ، وقد سبق مما علمناه أمور كثيرة فى مواضع من هذا الكتاب ، ويأتى إن شاء الله تعالى شىء من ذلك بعد هذا الباب .

والمقصود ذكره فى هذا الباب : أخبار تتعلق بالحجاج ، لها تعلق بمكة أو باديتها . وحج جماعة من الخلفاء والملوك فى حال ولايتهم ، ومن خطب له بمكة من الملوك وغيرهم فى خلافة بنى العباس ، وما جرى بسبب الخطبة بمكة بين ملوك مصر والعراق . وما أسقط من المكوسات المتعلقة بمكة .

فمن الأخبار المقصود ذكرها هنا : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، حج بالناس سنة اثنتى عشرة من الهجرة .

ومنها : أن الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه حج بالناس فى جميع خلافته إلا السنة الأولى منها .

ومنها : أن ذا النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه حج بالناس فى جميع خلافته إلا فى السنة الأولى والأخيرة .

ومنها : أن فى سنة أربعين من الهجرة : وقف الناس بعرفة فى اليوم الثامن من ذى الحجة ، وضحوا فى اليوم التاسع . وليس كل إنسان اتفق له ذلك ، والذين اتفق لهم ذلك طائفة كانوا مع المغيرة بن شعبة رضى الله عنه .

ومنها : أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما : حج بالناس سنتين .

ومنها : أن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما حج بالناس فى جميع خلافته إلا السنة الأخيرة منها . وهى سنة اثنتين وسبعين لحصر الحجاج بن يوسف الثقفى له فيها ، وحج بالناس سنة ثلاث وستين . فيكون حجه بالناس تسعاً بتقديم التاء .

ومنها : أن عبد الملك بن مروان حج بالناس سنتين .

ومنها : أن الوليد بن عبد الملك حج بالناس سنتين على ما قيل .

ومنها : أن سليمان بن عبد الملك ، حج بالناس مرة . وكذلك أخوه هشام ابن عبد الملك .

ومنها : أن فى سنة تسع وعشرين ومائة : وافى بعرفة أبو حمزة الخارجى على غفلة من الناس نخافوا منه . فسأله عامل مكة فى المسألة ، فوقع الاتفاق على : أنهم جميعاً آمنون حتى ينقضى الحج . ثم استولى ــ بغير قتال ــ أبو حمزة على مكة بعد الحج لفرار عاملها عنها .

ومنها : أن أبا جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين حج بالناس أربع سنين ، ورام الحج فى سنة ثمان وخمسين فما ناله لموته ببئر ميمون ظاهر مكة .

ومنها : أن المهدى بن المنصور العباسى حج بالناس سنة ستين ومائة .

وقيل : إنه حج بالناس سنة أربع وستين أيضاً .

وفى حجته الأولى : أنفق فى الحرمين أموالا عظيمة . يقال : إنها ثلاثون ألف ألف درهم وصل بها من العراق ، وثلثمائة ألف دينار وصلت إليه من مصر ، ومائتا ألف دينار وصلت إليه من اليمن ، ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب .

ومنها : أن الرشيد هارون بن المهدى العباسى حج بالناس تسع حجج ــ بتقديم التاء ــ ولم يحج بعده خليفة من العراق ، إلا أن الذهبى ذكر فى العبر فى أخبار سنة اثنتى عشرة ومائتين : أن المأمون بن هارون الرشيد حج فى هذه السنة ولم أر ذلك لغيره . والله أعلم . وفرق الرشيد فى حجاته أموالا كثيرة جداً فى الحرمين

ومنها : أن فى سنة تسع وتسعين ومائة ، وقف الناس بعرفة بلا إمام وصلوا بلا خطبة لفرار أمير مكة عنها ، متخوفاً من حسين الأفطس العلوى ، وكان وصوله إلى مكة فى آخر يوم عرفة ، وبها وقف ليلا .

ومنهـا : أن فى سنة مائتين من الهجرة نهب الحـاج بستان ابن عامر ، وأخذت كسوة الـكعبة ، ثم استنقذها الجلودى مع كثير من الأموال المنهوبة ، وبستان ابن عامر هو : بطن نخلة ، على ماذكر أبو الفتح بن سيد الناس عند ذكر سرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه إلى نخلة .

ومنها : أن فى سنة إحدى وخمسين ومائتين : لم يقف الناس بعرفة لا ليلا ولا نهاراً ، إلا أن إسماعيل بن يوسف العلوى وافى الموقف بعرفة فى يومها .

وقيل : من الحجاج نحو ألف ومائة وسلب الناس وهرب الناس إلى مكة .

ومنها : أن فى سنة خمس وتسعين ومائتين : وقع بمنى قتال بين الأجناد ، وبين عج بن حاج أمير مكة لطلبهم جائزة بيعة المقتدر ، فقتل منهم جماعة ، وفر الناس إلى بستان ابن عامر .

ومنها : أن فى سنة سبع عشرة وثلثمائة : وافى مكة أبو طاهر القرمطى ، فأسرف فى قتل الحاج وأسرهم مع هتكه لحرمة الـكعبة .

وذلك أنه قتل فى المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنسـاء ، وهم متعلقون بالـكعبة وردم بهم زمزم ، وفرش بهم المسجد ، وما يليه .

وقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان ، والمغـاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفاً ، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك ، وقد بطل الحج من العراق بسبب القرمطى ثلاث سنين متوالية من هذه السنة ، وبطل بعدها سنين كثيرة فى عشر الثلاثين ، وفى عشر الأربعين . وأوضحنـا هذه السنين فى أصل هذا الـكتاب ، وليس كل البطالة فيها لأجل القرمطى .

ومنها : أن فى سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، أو فى التى قبلها جرى قتال بين أصحاب ابن طغج والعراقيين بسبب الخطبة بمكة ، وجرى مثل ذلك فى سنة اثنين وأربعين ، وفى سنة ثلاث وأربعين .

ومنهـا : ـ أعنى سنة ثلاث ـ خطب بمكة والحجاز لمعز الدولة ، ولولده عز الدولة بختيار و بعدهم لابن طغج .

وذكر بعضهم أن فى هذه السنة : منع أصحاب معز الدولة أصحاب الإخشيد من الصلاة بمنى والخطبة ، وأن أصحاب الإخشيد منعوا أصحاب معز الدولة الدخول إلى مكة والطواف ، انتهى بالمعنى .

ومنها : أن كافور الإخشيدى صاحب مصر ، كان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز أجمع .

ومنها : أن فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة : خطب بالحرمين واليمن لصاحب مصر المعز العبيدى ، وقطعت خطبة بنى العبـاس . وفيها فرق قائد من جهته أموالاً عظيمة فى الحرمين .

ومنهـا : أن فى سنة تسع وخمسين وثلثمائة خطب بمكة للقرامطة الهجرتين مع المطيع العباسى . وقطعت خطبة المعز من مكة ، وخطب له بالمدينة ، وخطب للمطيع بظاهرها ، ثم خطب للمعز بالحرمين فى الموسم سنة ثلاث وستين .

ومنها : أن فى سنة خمس وستين خطب بالحرمين لصاحب مصر العزيز بن المعز العبيدى ، وضيق جيشه بالحصار فيها على أهل مكة ، ودامت الخطبة لهولولده ولولد ولده ولولد ولد ولده ، نحو مائة سنة ، كما سيأتى مبيناً إن شاء الله تعالى .

ومنها : أن فى سنة ست وستين وثلثمائة : حجت جميلة بنت ناصر الدولة ابن حمدان ، حجاً يضرب به المثل فى التجمل وأفعال البر ، لأنه كان معها على ماقيل : أربعمائة كجاوة . فلم يدر فى أيها هى لتساويها فى الحسن والزينة ، ونثرت على الكعبة لما رأتها ، وقيل : لمـا دخلتها عشرة ألف دينار ، وأغنت المجاورين بالحرمين .

ومنها : أن فى سنة أربع عشرة وأربعمائة ، حصل فى الحجاج قتل ونهب بمكة وبظاهرها ، وسبب ذلك : أن بعض الملحدة تجرأ على الحجر الأسـود فضربه

ثلاث ضربات بدبوس ، فقتل وقطع وأحرق ، وقتل ممن اتهم بمعاونته جماعة ، وكثر النهب فى المغاربة والمصريين وغيرهم . وهذه الحادثة أبسط من هذا فى أصله وذكرها الذهبى فى سنة ثلاث عشرة ، ونقل ذلك عن غيره ، والله أعلم .

ومنها : أن فى سنة خمس وخمسين وأربعمائة : حج على بن محمد الصليحى ، صاحب اليمن ، وملك فيها مكة ، وفعل فيها أفعالا حميدة ، من العدل والإحسان ومنع المفسدين ، فأمن الناس أمناً لم يعهدوه ، ورخصت الأسعار لأمره بجلب الأقوات ، وكثر البناء عليه .

ومنها : أن فى سنة اثنين وستين وأربعمائة : أعيدت الخطبة العباسية بمكة وخطب بها للقائم عبد الله العباسى ، ثم للسلطان البارسلان السلجوقى .

وذكر ابن كثير ما يقتضى : أن الخطبة العباسية : أعيدت بمكة فى سنة سبع وخمسين .

وذكر بعض مشايخنا : مايقتضى أن ذلك وقع فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

ومنها : أن فى سنة سبع وستين أعيدت الخطبة بمكة لصاحب مصر المستنصر العبيدى ، ثم خطب للمقتدر العباسى بمكة فى ذى الحجة سنة ثمان وستين .

ثم أعيدت الخطبة لصاحب مصر فى سنة سبعين . ثم أعيدت الخطبة للمقتدر فى سنة اثنين وسبعين .

ومنها : أنه خطب بمكة للسلطان محمود بن السلطان ملكشاه السلجوقى فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة .

ومنها : أنه خطب فى الحرمين لأخيه السلطان سنجر بن السلطان ملكشاه السلجوقى .

ومنها : أن فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة : نُهب الحجاج العراقيون ، وهم

يطوفون ويصلون فى المسجد الحرام ، لوحشة كانت بين أمير الحاج العراقى فى نظر الخادم وأمير مكة هاشم بن فايتة .

ومنها : أن السلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب دمشق وغيرها حج فى سنة ست وخمسين وخمسمائة . ثم خطب له بمكة بعد استيلاء المعظم توران شاه ابن أيوب ، أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على اليمن . واستيلاؤه عليه ، كان فى سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وقيل : فى سنة تسع وستين وخمسمائة .

ومنها : أن فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة : نهب أهل مكة للحجاج العراقيين نحو ألف جمل ؛ لفتنة كانت بين الفريقين ، قتل فيها جماعة منهما . وعاد جماعة من الحجاج قبل تمام حجهم .

ومنها : أن فى سنة إحدى وستين وخمسمائة : أعفى الحجاج من تسليم المكس كرامة لعمران بن محمد بن الذريع اليامى الهمدانى صاحب عدن لوصول تابوته فيها إلى مكة من عدن ، وإنما حمل إلى مكة لشغفه فى حياته بالحج ، فأحضر فى مشاعره وصلى عليه خلف المقام ، ودفن بالمعلاة .

ومنها : أن الحجاج مكثوا بعرفة إلى الصباح ، خوفاً من فتنة كانت بين عيسى بن فليتة — أمير مكة — وأخيه مالك بن فايتة ، وذلك فى سنة خمس وستين وخمسمائة . وبات الحجاج العراقيون بعرفة أيضاً فى سنة سبعين وخمسمائة . وهذا لأنهم إنما وصلوا إلى عرفة فى يومها .

ومنها : أن فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة : لم يوف أكثر الحجاج العراقى المناسك ، لأنهم ماباتوا بمزدلفة وما نزلوا بمنى ، ونزلوا الأبطح فى يوم النحر . وسبب ذلك فتنة عظيمة كانت بين طاشتكين أمير الحاج العراقى وبين مكثر بن عيسى بن فليته أمير مكة ، ظفر فيها طاشتكين ، وأمر بهدم القلعة التى كانت بمكة ، لمكثر على أبى قبيس ونهبت أموال كثيرة .

ومنها : أن فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة : أبطل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب المكس المأخوذ من الحجاج فى البحر إلى مكة على طريق عبدان . وكان ذلك معلوماً لأمير مكة . فعوضه السلطان صلاح الدين عن ذلك ألفى دينار ، وألف أردب قمح و إقطاعات بصعيد مصر وجهة اليمن . وقيل : إنه عوضه عن ذلك مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح يحمل إليه كل عام إلى ساحل جدة . والله أعلم . انتهى .

وكان يخطب بمكة للسلطان صلاح الدين المذكور بعد مكثر بن عيسى بن فليته أمير مكة ، وما علمت ابتداء وقت الخطبة له بمكة . والله أعلم .

ومنها : أن جماعة من الحجاج . وهم أربعة وثلاثون نفر ماتوا فى الكعبة المعظمة من الزحام فى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

ومنها : أن فى يوم عرفة من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، تحارب بعض الحجاج الشاميين والعراقيين فى عرفة . فغلب العراقيون الشاميين . وقتلوا منهم جماعة ونهبوهم .

ومنها : أن فى سنة ثمان وستمائة حصل فى الحجاج العراقيين قتل ونهب فاحش ، حتى قيل : إنه أخذ من المال والمتاع وغيره ما قيمته ألفا ألف دينار .

حكى ذلك أبو شامة ، وكانت هذه البلية بمكة ومنى . وهى بمنى أعظم .

وذكر ابن محفوظ : أنه كان بين العراقيين وأهل مكة فتنة بمنى فى سنة سبع وستمائة . ولم أر مايدل لذلك . والله أعلم .

ومنها : أن صاحب دمشق المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب : حج فى سنة إحدى عشرة وستمائة وتصدق فيها بالحرمين صدقة كبيرة .

ومنها : أنه كان يخطب بمكة لوالده الملك السلطان العادل أبى بكر بن أيوب أخى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر والشام .

ومنها : أن فى سنة سبع عشرة وستمائة : منع صاحب مكة حسن بن قتادة

الحجاج العراقيين من دخول مكة ، ثم أذن لهم فى ذلك بعد قتل أصحابه لأمير الحاج العراقى إقباش الناصرى مملوك الخليفة الناصر لدين الله لاتهامه بأنه يريد أن يولى راجح بن قتادة أخا حسن مكة عوضه .

وكان حسن متولياً لها بعد أبيهما قتادة . وفيها مات قتادة ونُصب رأس إقباش بالمسعى عند دار العباس ، ثم دفن مع جسده بالمعلاة .

ومنها : أن جماعة من الحجاج ماتوا بالمسعى من الزحام فى سنة سبع عشرة وستمائة .

ومنها : أن المسعود صاحب اليمن : حج من اليمن فى سنة تسع عشرة وستمائة وبدأ منه مالا يحمد ، من رميه حمام مكة بالبندق فوق زمزم ، ومن منعه اطلاع علم الخليفة الناصر العباسى جبل الرحمة بعرفة . وقيل : إنه أذن فى ذلك اليوم قبيل الغروب وغير ذلك من الأمور المنسوبة إليه .

وذكر ابن الأثير مايقتضى : أنه حج سنة ثمان عشرة . والله أعلم .

وسبق فى الباب قبله أنه ولى مكة ، وكان حال الناس بها حسناً فى ولايته لهيبته ، و إليه ينسب الدرهم المسعودى المتعامل به بمكة .

ومنها : أنه كان يخطب بها لوالده الملك الكامل ناصر الدين أبى المعالى محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب صاحب مصر . ولعل ذلك بعد ملك ولده المسعود لمكة . والله أعلم .

ومنها : أن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن : خطب له بمكة فى سنة تسع وعشرين وستمائه .

وفيها : ولى مكة بعد مبايعته بالسلطنة فى بلاد اليمن فى هذه السنة .

وحج الملك المنصور المذكور فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة على النجب حجاً هيناً . وحج أيضاً فى سنة تسع وثلاثين وستمائة . وصام رمضان فى هذه السنة بمكة .

ومنها : أن فى سنة سبع وثلاثين وستمائة : خطب بمكة لصاحب مصر الصالح أيوب بن الكامل .

وممن خطب له بمكة من بنى أيوب : صاحب مصر الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن المسعود أقسيس بن الكامل فى سنة اثنين وخمسين وستمائة .

وفيها : خطب معه لأتابكة المعز أيبك التركانى الصالحى .

وفيها : تسلطن المعز المذكور فى شعبان .

وممن خطب له بمكة من ملوك مصر : الظاهر بيبرس الصالحى ، ومن بعده من ملوك مصر، إلى تاريخه ، إلا المنصور عبد العزيز بن الظاهر برقوق لكونه لم يصل له نجاب[1] وأشك فى الخطبة بمكة لابنى الظاهر بيبرس والعادل كتبغا ، والمنصور لاجين . وأكبر ظنى أنه خطب لهم . والله أعلم .

وكان للناصر محمد بن قلاوون من نفوذ الكلمة بمكة واستبداده بأمر الولاية فيها مالم يكن لمن قبله من ملوك الترك بمصر . واستبد من بعده من ملوك مصر بالولاية بمكة .

ومنها : أن فى سنة تسع وثلاثين وستمائة : أسقط السلطان الملك المنصور صاحب اليمن عن مكة سائر المكوسات والجنايات والمظالم . وكتب بذلك مربعة وجعلت قبالة الحجر الأسود ، ودامت هذه المربعة إلى أن قلعها ابن المسيب لما ولى مكة فى سنة ست وأربعين وستمائة ، وأعاد الجنايات والمكوسات بمكة .

ومنها : على ماوجدت بخط الميورقى : لم يحج سنة خمس وخمسين وستمائة من الآفاق ركب ، سوى حجاج الحجاز . انتهى .

ومنها : أن الملك المظفر يوسف بن المنصور صاحب اليمن : حج فى سنة تسع وخمسين وستمائة ، وغسل الكعبة بنفسه وطيبها ، وما كساها بعد انقضاء الخلافة من بغداد ملك قبله . وقام أيضاً بمصالح الحرم وأهله ، وأوسع فى الصدقة حين حج

(١) رسول بريد .

ومن أفعاله الجميلة بمكة : أنه نثر على الـكعبة الذهب والفضة . وكان يخطب له بمكة فى غالب سلطنته . وخطب من بعـده لملوك اليمن من ذريته بعد الخطبة لصاحب مصر .

ومنها : على ماقال الميورقى : لم ترفع راية لملك من الملوك سنة ستين وستمائة . كسنة خمس وخمسين وستمائة . انتهى منقولا من خطه . وأراد بذلك : وقت الوقوف بعرفة .

ومنها : أن الحجاج العراقيين توجهوا إلى مكة فى سنة ست وستين وستمائة . وما علمت لهم بتوجه لهم قبل ذلك من بغداد بعد غلبة التتار عليها .

ومنها : أن الملك الظاهر بيبرس الصالحى ، صاحب مصر : حج سنة سبع وستين وستمائة ، وغسل الـكعبة وأمر بتسبيلها فى كل سنة وأحسن كثيراً إلى أميرى مكة بسبب ذلك وعظمت صدقته فى الحرمين .

ومنها : أن العراقيين حجوا من بغداد فى سنة تسع وستين وستمائة ، ولم يحج فيها من مصر أحد وحج من العراق ركب كبير فى سنة ثمان وثمانين وستمائة .

ومنها : أن الحجاج ازدحموا فى خروجهم إلى العمرة من باب المسجد الحرام المعروف بباب العمرة . فمات فى الزحمة منهم جمع كبير يبلغون ثمانين نفراً على ما قيل . وذلك بعد الحج من سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

ومنها : أن فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة : صد الحجاج عن دخول مكة ، ثم دخلوها هجماً فى يوم التروية، بعد ثقبهم السور وإحراقهم لباب المعلاة ، وفرار أبى نمى أمير مكة منها ، وهو : الصاد لهم ، لوحشة كانت بينه وبين أمير الحاج المصرى ، ثم اصطلحا . وقيل : فى سبب هذه الفتنة غير ذلك . والله أعلم .

ومنها : أن الحاج وأهل مكة تقاتلوا فى المسجد الحرام ، فقتل من الفريقين على ماقيل : فوق أربعين نفراً ، وشهر فيها فى المسجد الحرام من السيوف : نحو عشرة آلاف ، وانتهبت الأموال ، وتثبت أبو نمى فى الأخذ ، ولو قصد الجميع

لتم له ذلك . ذكر هـذه الحادثة بمعنى ماذكرناه الشيخ تاج الدين بن الفركاح . وذلك فى سنة تسع وثمانين وستمائة .

ومنها : أن الخليفة بمصر ، الملقب : بالحاكم أحمد العباسى : حج فى سنة سبع وتسعين وستمائة . وهو أول خليفة عباسى حج من مصر . وثانى خليفة عباسى بعد المستعصم . ونسبته تتصل بالمسترشد . فإنه : أحمد بن أبى على بن على بن أبى بكر المسترشد . وأعطاه لاجين المنصورى صاحب مصر سبعمائة ألف درهم لأجل حجه .

ومنها : أن صاحبى مكة حميضة ورميثة ابنى أبى نمى : أسقطا بعض المكوس فى سنة أربع وسبعمائة . وفى التى قبلها .

ومنها : أن الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر : حج فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة ، ومعه نحو أربعين أميراً ، وستة آلاف مملوك على الهجن ، ومائة فرس . وحج أيضاً فى سنة تسع عشرة وسبعمائة . وفى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة .

وكان معه لما حج فى سنة تسع عشرة وسبعمائة : نحو خمسين أميراً ، وأكثر فيها من فعل المعروف فى الحرمين .

وفيها : غسل الكعبة بيده .

وكان معه لما حج فى سنة اثنين وثلاثين : نحو سبعين أميراً وتصدق فيها بعد حجه .

ويقال : إن خطبته قطعت من مكة ، وخطب عوضه بها لأبى سعيد بن خربندا ملك العراقيين ، بأمر حميضة بن أبى نمى ، بعد أن رجع من العراق فى آخر سنة ست عشرة وسبعمائة . أو فى التى بعدها . والله أعلم .

ومنها : أن الحجاج فى سنة عشرين وسبعمائة : صلوا خمس صلوات بمنى . أولها : الظهر من يوم التروية ، وآخرها : الصبح من يوم عرفة . وساروا إليها بعد

طلوع الشمس ، وأحيوا هـذه السنة بعد تركها . وفعل مثل ذلك : الشاميون فى سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

ومنها : أن فى سنة عشرين وسبعمائة : شهد الموقف بعرفة عالم عظيم من جميع البلاد . وكان مع العراقيين محمل عليه حلى من الجوهر واللؤلؤ والذهب ، ما قوّم بمائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار من الذهب المصرى .

ذكر ذلك : الحافظ علم الدين البرزالى .

ومنها : أن الناصر محمد بن قلاوون ، صاحب مصر : أسقط المكس المتعلق بالمأكول بمكة ، وعوض أميرها عطيفة بن أبى نمى عن ذلك : ثلثى دماميل من صعيد مصر وذلك : سنة اثنين وعشرين وسبعمائة .

ومنها : أن ملك التكرور موسى : حج فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة فى أزيد من خمسة عشر ألف تكروريا .

ومنها : أن العراقيين: حجوا فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . ومعهم تابوت جوبان نائب السلطنة بالعراقيين ـ الذى أجرى عين بازان إلى مكة ـ وأحضر تابوته : الموقف بعرفة وطيف به حول الكعبة ليلا .

ومنها : أن فى يوم الجمعة الرابع عشر من ذى الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة : قتل أمير الحاج المصريين : الدمر وابنه خليل وغيرهما . ونهبت للناس أموالا كثيرة .

وذكر النويرى فى تاريخه : أن الخبر بهذه الحادثة وقع بمصر فى يوم وقوعها بمكة .

ومنها : أن فى سنة ثلاثين وسبعمائة : حج العراقيون بفيل بعث به ملكهم أبو سعيد بن خربندا . فحضروا به المواقف كلها ومضوا به إلى المدينة . فمات بالفرش الصغير بقرب المدينة بعد أن لم يستطع التقدم إليها خطوة .

ومنها : أن صاحب اليمن ، الملك المجاهد على بن الملك المؤيد داود بن الملك

المظفر : حج فى سنة اثنين وأربعين وسبعمائة ، فأطلع علمه جبل عرفات . وكان بنو حسن فى خدمته حتى انقضى الحج .

وحج الملك المجاهد أيضاً : فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، وقبض عليه المصريون بمنى فى النفر الأول بعد حرب كان بينهم و بين بعض عسكره . وتوقف هو عن الحرب رعاية لحرمة الزمان والمكان ، وسلم إليهم نفسه بأمان . فساروا به إلى مصر ، فأكرمه متوليها الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ورده إلى بلاده . ثم رد من الدهنا من وادى ينبع ، واعتقل بالكرك ببلاد الشام ، ثم أطلق وتوجه إلى مصر ، وتوجه منها على طريق عيذاب إلى اليمن . فوصل فى آخر سنة اثنين وخمسين وسبعمائة .

ومنها : أن الحجاج وأهل مكة تحاربوا كثيراً بعرفة فى يومها من سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . فقتل من الترك نحو ستة عشر . ومن بنى حسن ناس قليل ، ولم يتعرض للحاج بنهب ، وسافر الحاج أجمع فى النفر الأول ، وسلك أهل مكة فى نفرهم بعد عرفة طريق البئر المعروفة بالمظلمة . فعرفت هذه الوقعة عندهم : بسنة المظلمة .

ومنها : أن الحجاج العراقيين كانوا كثيراً فى سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وكان لهم أحد عشر سنة لم يحجوا من العراق ، ولم يحجوا أيضاً سنة خمس وخمسين وسبعمائة . وحجوا بعد ذلك خمس سنين متوالية . وكانوا كثيرين جداً فى سنة سبع وخمسين .

وتصدق فيها بعض الحجاج من العجم على أهل الحرمين بذهب كثير .

وفى سنة ثمان وخمسين : كان مع الحجاج العراقيين محملان ، واحد من بغداد وواحد من شيراز .

ومنها : أن فى آخر جمادى الآخرة ، أو فى رجب من سنة ستين وسبعمائة : أسقط المكس المأخوذ من المأكولات بمكة بعد وصول العسكر المجهز من مصر

إلى مكة لتأييد أميرها مسند بن رميثة ، ومحمد بن عطيفة . ودام هذا الحال إلى رحيل الحاج من سنة إحدى وستين وسبعمائة .

ومنها : أن فى سنة ست وستين وسبعمائة : أسقط المكس المأخوذ بمكة فى المأكولات جميعاً ، وعوض صاحب مكة عن ذلك : بمائة وستين ألف درهم من بيت المال ، وألف أردب قمح .

ومنها : أن فى أثناء عشر السبعين — بتقديم السين— وسبعمائة : خطب بمكة للسلطان شيخ أويس ابن الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد وغيرها . بعد أن وصلت منه قناديل حسنة للكعبة وهدية طائلة إلى أمير مكة عجلان ، وهو الآمر لخطيب مكة بالخطبة له .

ثم تركت الخطبة لصاحب العراق . وما عرفت وقت ابتداء تركها .

ومنها : أن الحجاج المصريين : قلوا كثيراً جداً فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة لرجوع جزيلهم من عقبة أيلة إلى مصر ، بسبب قيام الترك بها على صاحب مصر : الملك الأشرف شعبان بن حسين . وكان قد توجه فيها للحج فى أبهة عظيمة .

وكان من خبره : أنه رجع إلى مصر واختفى بها ، لأن الذين تركهم بها قاموا عليه بمصر وسلطنوا ولده عايساً ولقبوه بالمنصور . وظفر به بعد ذلك فأذهبت روحه ، وفاز بالشهادة فى ثامن ذى القعدة منها .

ومنها : أن فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة : حج بالناس من اليمن فى البر —مع محمل جهزه صاحب اليمن— الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل العباس ابن المجاهد . وجهز الملك الأشرف أيضاً محملا إلى مكة فى سنة ثمانمائة . وحج الناس معه أيضاً . وأصاب بعضهم شدة من العطش بقرب مكة . ومات بها جماعة ولم يصل بعدها إلى مكة محمل من اليمن .

وكان محمل اليمن منقطعاً عن مكة فيما علمت نحو ثمانين سنة قبل سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

ومنها : أن فى يوم التروية من سنة سبع وتسعين وسبعمائة : حصل فى المسجد الحرام جفلة ، بسبب منافرة حصلت من بعض أهل مكة والحجاج . فثارت الفتنة فنهبت أموال كثيرة للحجاج وقتل بعضهم . وتعرض الحرامية للحجاج ، فنهبوهم فى طريق عرفة عند مأزميها وغير ذلك . ونفر الحاج أجمع فى النفر الأول .

وفيها : وصل مع الحجاج الحلبيين : محمل على صفة المحامل . ولم يعهد ذلك إلا فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة . ولم يعهد ذلك قبلها .

وفيها : حج العراقيون فى غاية القلة بمحمل على العادة بعد انقطاعهم مدة يسيرة .

ومنها : أن فى سنة ثلاث وثمانمائة : لم يحج أحد من الشام على طريقتهم المعتادة لما أصاب أهل دمشق من القتل والعذاب ، والأسر ، وإحراق دمشق . والفاعل لذلك : أصحاب تيمورلنك صاحب الشرق .

ودام انقطاع الحجاج الشاميين من هذه الطريق سنتين ، ثم حجوا منها بمحمل على العادة فى سنة ست وثمانمائة وفى سنة سبع .

وانقطعوا عن الحج منها فى سنة ثمان وثمانمائة . ثم حجوا منها بمحمل على العادة فى سنة تسع وثمانمائة ، واستمر ذلك إلى تاريخه .

ومنها : أن الحجاج العراقيين : حجو من بغداد بمحمل على العادة فى سنة سبع وثمانمائة بعد انقطاعهم عن الحج منها تسع سنين ـ بتقديم التاء ـ متوالية .

والذى جهزهم فى هذه السنة متوليها من قبل تيمورلنك .

وفى شعبان منها : مات تيمورلنك .

وحج العراقيون من هذه الطريق بعد هذه السنه خمس سنين متوالية بمحمل على العادة . ثم انقطعوا منها ثلاث سنين متوالية .

أولها : سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بموت سلطان بغداد : أحمد بن أويس ، فى هذه السنة مقتولا . وهو الذى جهز الحجاج من بغداد فى بعض السنين السابقة

بعد سنة سبع وثمانمائة . ثم حج الناس من بغداد بمحمل على العادة سنة ست عشرة وثمانمائة . وفى أربع سنين متوالية بعدها ، ولم يحجوا من بغداد فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة . ولا فيما بعدها .

والذى جهزهم فى هذه السنين : متولى بغداد من قبل قرا يوسف التركمانى . وهو المنتزع الملك من أحمد بن أويس .

ومنها : أن الحجاج المصريين غير قليل منهم : تخلفوا عن زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمبادرة أميرهم بيسق بالمسير إلى مصر ، متخوفا من أن يلحقه أحد من أمراء الشام فيما بين عقبة أيلة ومصر . فإنه كان قبض بمكة على أمير الركب الشامى فى موسم هذه السنة ، وهى سنة عشر وثمانمائة .

وفيها : نفر الحاج أجمع فى النفر الأول .

ومنها : أن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة : حصل فى الحجاج المصريين قتل ونهب . وتعدى النهب إلى غيرهم . ومعظم النهب وقع فى حال توجه الناس إلى عرفة . وفى ليلة النحر بمنى : عقرت جمال كثيرة وعند مأزمى عرفة ، والفاعل لذلك : جماعة من غوغاء العرب .

والذى جرأهم على ذلك : أن صاحب مكة السيد حسن بن عجلان رحمه الله تعالى ، لم يحج فى هذه السنة . وإنما لم يحج فيها : لوحشة كانت بينه وبين أمير الركب المصرى بيسق . فإنه أعلن للناس فى الينبوع : أن صاحب مكة معزول ، وأنه يريد محاربته .

ثم إن صاحب مصر : الناصر فرج ، منعه من حرب صاحب مكة . وأعاده وأعاد بنيه إلى ولايتهم . ولولا أمر صاحب مكة بالكف عن أذاء الحاج لكان أكثرهم رفاتاً ، وأموالهم أشتاتا .

وهذه الحادثة أبسط من هذا بكثير فى أصله .

ومنها : أن فى هذه السنة : أقام الحاج بعرفة يومين لاختلاف وقع فى أول

ذى الحجة وأوقفت المحـامل بعرفة على العادة . ونفروا بها وقت النفر المعتاد إلى قرب العلمين ، ثم ردت إلى مواضعها .

وهـذا الوقوف فى اليوم الأول ، وفيه وصلوا عرفة ، وهو يوم التروية على مقتضى رؤية أهل مكة لذى الحجة .

ومنها : أن الحجاج لم ينفروا من منى فى سنة ثلاث عشرة : إلا وقت الزوال من اليوم الرابع عشر من ذى الحجة لرغبة التجار فى ذلك . فازدادوا فى الإقامة بمنى يوماً ملفقا .

وفى هذه السنة : حج صـاحب كلوه ، وأحسن إلى أعيان الحرم وغيرهم . وزار المدينة النبوية .

ومنها : أن فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وثمانمائة : خطب بمكة للإمام المستعين بالله أبى الفضل العباس ابن المتوكل محمد بن المعتضد أبى بكر بن المستكفى سليمان بن الحاكم أحمد ـ المقدم ذكر جده ـ لما أقيم فى مقام السلطنة بالديار المصرية والشامية ، بعد قتل الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق صاحب مصر . ودعى له على زمزم فى ليلة الخميس الحادى والعشرين من الشهر المذكور ، عوض صاحب مصر .

ودام الدعاء له عوض السلطان بمصر إلى أن وصل الخبر بأن الملك المؤيد أبا النصر شيخ : بويع بالسلطنة بالديار المصرية فى مستهل شعبـان من سنة خمس عشرة وثمانمائة . فدعى للملك المؤيد فى الخطبة وعلى زمزم فى شوال من السنة المذكورة .

ودعى قبله للمستعين : دعاء مختصر بالصلاح . ثم قطع الدعاء للمستعين بعد سنة ، ثم أعيد بعد أربعين يوماً ، ثم قطع بعد نحو خمسة أشهر .

ومنها : أن فى يوم الجمعـة خامس ذى الحجة سنة سبع عشرة وثمانمائة : حصل بين أمير الحاج المصريين جقمق المؤيدى ومن انضم إليه ، وبين القواد

العمرة : قتال فى المسجد الحرام ، وخارجه بالمسفلة . واستظهر الترك على القواد ، وأدخل أمير الحاج خيله إلى المسجد الحرام ، وجعلها بالجانب الشرقى قريباً من منزله . وأوقدت فيه مشاعله . وأوقدت أيضاً مشاعل المقامات ، ودام الحال على ذلك إلى الصباح .

وفى ضحوة يوم السبت : سكنت الفتنة واطمأن الناس .

وسبب هـذه الفتنة : أن أمير الحاج المصرى ، أدب غلاماً للقواد على حمله السلاح بمكة ، لنهى الأمير عن ذلك . فطلب مواليه أن يطلقه من السجن فأبى . فـكان من الفتنة ماذكرناه . فلما أطلقه : سكنت الفتنة .

ومات بسببها جماعة من الفريقين . وكثر بسببها انتهاك حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال والدم ، وروث الخيل ، وسمرت أبوابه إلا باب بنى شيبة والدريبة ، والمجاهدية

ومنها : أن فى هذه السنة أيضاً حصل خلاف فى هلال ذى الحجة هل أوله الاثنين أو الثلاثاء ؟ فحصل الاتفاق على أن الناس يخرجون إلى عرفة فى بكرة يوم الثلاثاء تاسع ذى الحجة ، على مقتضى قول من قال : إنه رئى بالاثنين ، وأن يقيموا بها ليلة الأربعاء ، ويوم الأربعاء ، ففعل معظم الناس ذلك ، ودفعوا من عرفة بعد الغروب ليلة الخميس إلى المزدلفة ، وباتوا بها إلى قرب الفجر ، ثم رحلوا إلى منى بعد رحيل المحامل . والمعهود أنها لا ترحل إلا بعد الفجر ، وكذا غالب الناس ، ففاتهم الفضيلة . وما تعرض لهم فى سيرهم من عرفة إلى منى أحد بسوء مما علمناه لعناية أمير الحاج لحراستهم ، وتعرض الحرامية للحجاج المكيين وغيرهم عندمأزمى عرفة فى توجههم إليها . وحصل للحجاج هؤلاء قتل ونهب وعقر فى جمالهم ، وحصل بمنى نهب كثير فى ليلة الأربعاء وليلة الخميس .

ومنها : أن فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة : أقام الحجاج بمنى غالب يوم التروية وليلة التاسع ، ثم مضوا من منى بعد طلوع الشمس إلى عرفة ، وأحيوا هذه السنة بعد إماتتها دهراً طويلا .

ومنها : أن فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة : مات كثير من الحجاج بمنى فى ليلة التاسع ، ومضوا منها إلى عرفات بعد طلوع الشمس صحبة محمل مصر والشام . والفاعل لذلك : أكثرهم من حجاج مصر والشام ، وأحيوا هذه السنة أثابهم الله .

ومما ينبغى إحياؤه من السنن بمنى : الخطبة بها فى أيام الحج ، فالله يثيب الساعى فى ذلك .

ومنها : أنه لم يخطب بمكة ولا فى غيرها لملك أصغر سناً من الملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ ، لأنه بويع له بالسلطنة بمصر والشام . وله من العمر سنة وثمانيــة أشهر وسبعة أيام ــ بتقديم السين ــ على ما وجدت فى تاريخ بعض أصحابنا .

وكانت البيعة له : فى ثامن المحرم ، سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، بعد موت أبيه .

واستمر حتى خلع فى السابع والعشرين من شعبان ، من السنة المذكورة بدمشق .

ومنهـا : أن الملك الظاهر أبا الفتح ططر ، لم يخطب له بمكة وهو حى ، إلا جمعة واحدة ، لأنه خطب له بمكة فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة أو ثالثه ، سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

ومات فى الرابع من ذى الحجة ، من السنة المذكورة .

واستمرت الخطبة له بمكة حتى وصل الخبر بموته فى أثناء شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، ولم يتفق ذلك لغيره .

وخطب بعد ذلك بمكة لولده الملك الصالح محمد .

وفى موسم سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، أبطل الملك الظاهر ططر بعض المكوسات المأخوذة بمكة فى الخضر وغير ذلك من المأكولات وغيرها .

وألزم به أمير مكة الشريف حسن بن عجلان ، فوافق على ذلك ، وكتب ذلك فى أساطين المسجد الحرام ، قبالة باب بنى شيبة وغيره .

ومنها : أن مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى ــ نصره الله وأيده ــ انفرد بالخطبة بمكة أشهراً ، ولم يخطب معه لصاحب اليمن ولا لغيره من الملوك ، وكانت العادة جارية بالخطبة بعده لصاحب اليمن . فترك ذكر صاحب اليمن فى الخطبة بمكة فى أيام الموسم ، فى سنة ست وعشرين وثمانمائة إلى جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

وفى سابعه أعيدت الخطبة بمكة لصاحب اليمن المشار إليه ، وهو الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف إسماعيل صاحب اليمن .

وأول ماخطب لمولانا السلطان الملك الأشرف برسباى بمكة فى الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وثمانمائة .

وكانت مبايعته بالسلطنة فى ثامن ربيع الآخر من السنة المذكورة بعد خلع الصالح محمد بن الظاهر ططر .

وكان الصالح ولى بعد أبيه ، وله من العمر عشر سنين فيما قيل ، وهو والمظفر حيان ، وابتدأ مولانا السلطان الملك الأشرف ــ نصر الله دولته الشريفة ــ بشىء حسن ، وهو : أنه منع من تقبيل الناس له الأرض بين يديه ، تديناً وتعظيما لله سبحانه وتعالى ، ولم يتفق ذلك لغيره من ملوك مصر .

وامتاز أيضا ــ نصره الله ــ بغزوة الفرنج فى بلادها بنواحى قبرص وغيرها ، وأظفره الله بهم ، لأن عسكر المنصور أسروا كثيراً من الفرنج ، وغنموا من أموالهم طائلا ، ووصلوا بذلك إلى مصر فى شوال سنة ثمان وعشرين وثمانمائة . وهابه الفرنج كثيراً ، ورغبوا أن يكون لهم من السوء مجيراً ، و بعثوا إليه بالهدية ليسعفهم بالأمنية .

ومن مزاياه على ملوك مصر ــ بعد الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ــ : أنه

أرسل إلى مكة المشرفة عدة عساكر براً وبحراً ، واستولوا عليها ، ولم يقاومهم أحد من بنى حسن ولا غيرهم . وساروا من مكة حتى قاربوا بلاد حلى ، فلم يتعرض لقتالهم أحد من الناس هيبة له . وعادوا إلى مكة المشرفة سالمين . وذلك فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

وفى ربيع الآخر منها : وصل طائفة من عسكره المنصور من مصر إلى مكة .

وفى سادس جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة : كان وصول طائفة من عسكره المنصور إلى مكة . فاستولوا عليها كما سبق ذكره فى آخر الباب قبله .

وفى شوال سنة ثمان وعشرين وثمانمائة : وصل طائفة من عسكره المنصور فى موكبين عظيمين إلى مرسى زبيد باليمن ، على ليلة منها وفى أحدهما هدية لصاحب اليمن ، فقوبل الرسول بالكرامة .

ومنها : أن فى سنة تسع وعشرين وثمانمائة : تخوف الناس فى أيام الموسم حصول فتنة بمكة ، وفى أيام الحج . وسلم الله وله الحمد .

وسبب ذلك : أنه قدم إلى مكة جماعة من الأمراء المقدمين وغيرهم من المماليك السلطانية الأشرفية فى أوائل العشر الأخيرمن ذى القعدة . وكان الشريف حسن بن عجلان غائباً عن مكة بناحية الخريفين فى جهة اليمن ، واستدعوه إلى مكة فلم يحضر لتخوفه ، وحضر إليهم ولده الشريف بركات وأكرموه .

ولما أيسوا من حضور الشريف حسن استدعوا سراً إلى مكة الشريف رميثة بن محمد بن عجلان ، وأطمعوه ولاية مكة . وذلك فى يوم عرفة أو يوم التروية ، فلم يستطع الوصول إليهم ؛ لأنه كان مقيما عند عمه ، ولعظم هيبة الأمراء جماعتهم لم يتظاهر الحرامية بنهب فى طرقات الحج بمكة .

وخرج الأمراء والترك والحجاج من مكة إلى منى فى يوم التروية . وباتوا بها إلى الفجر من اليوم التاسع أو قربه وساروا إلى عرفة فأقاموا بها إلى الغروب . ودفعوا إلى مزدلفة ، فلم يستطع أحد من الحرامية التعرض للحاج بسوء فى مأزمى

عرفة ولاغيره لعناية الأمراء وجماعتهم بحراسة الحاج ، وانقضت أيام الحج وأحوال الناس من الحجاج وغيرهم مستقيم .

وكان الأمراء يرجعون فى مصالح الحاج والرعية بمكة إلى رأى مولانا المقر الأشرف الكريم الزينى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة بالممالك الشريفة ـ أعلى الله قدره و بلغه وطره ـ لحسن تدبيره وجودة رأيه .

وكان مولانا السلطان الملك الأشرف برسباى صاحب مصر والشام ـ نصره الله ـ: قد فوض إليه أمر مكة ، وعمل المصلحة فيها ، لكفايته وعظم رتبته . فمشت الأحوال بمكة على السداد ـ بلغه الله المراد ـ و بدت منه على عادته بمكة صدقات مبرورة وأفعال مشكورة . وهده حجته الثانية .

وحج قبلها فى سنة سبع عشرة وثمانمائة ـ تقبل الله منه العمل ، و بلغه الأمل وفسح له فى الأجل ـ .

وهذا آخر ما قصدنا ذكره من الحوادث فى هذا الباب .

ونسأل الله تعالى أن يجزل لنا على ذلك الثواب . ولولا مراعتنا للاختصار فى ذكرها ، لطال شرح أمرها .

الباب التاسع والثلاثون

في ذكر شيء من أمطار مكة وسيولها ، في الجاهلية والإسلام ، وشيء من أخبار الصواعق بمكة ، وذكر شيء من أخبار الرخص والغلاء والوباء بمكة .

أما : أمطار مكة ، وسيولها ، في الجاهلية ، والإسلام . فذكر الأزرقي شيئاً من ذلك :

منها : في الجاهلية : سيلان .

أحدهما : كان عظيما ، ويعرف بسيل فارة ، على عهد خزاعة .

والآخر : كسى مابين الجبلين ، ولم يبين زمنه .

ومنها : سيول في الإسلام ، وهي السيل المعروف : بأم نهشل ، وهو الذي ذهب بالمقام من موضعه إلى أسفل مكة .

وكان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعده عمل الردم الذي بأعلى مكة صوناً للمسجد الحرام .

والسيل المعروف : بسيل الجحاف في يوم التروية سنة ثمانين من الهجرة ، ذهب بناس من الحجاج و بمتاعهم ، وخرب دوراً كبيرة شارعة على الوادي ، فهلك فيها أناس كثير .

وسيلان عظيمان .

أحدهما : يعرف : بالمخبل ؛ لأنه أصاب الناس بعده شبه الخبل ، وكانا في سنة أربع وثمانين ومائة .

وسيلان عظيمان كانا في خلافة المأمون .

أحدهما : يعرف : بسيل ابن حنظلة ، في سنة اثنين ومائتين .

والآخر : في شوال سنة ثمان ومائتين .

وكل هذه السيول دخلت المسجد الحرام ، وحالها أبسط من هذا في أصله .

وفي تاريخ الأزرقي من سيول مكة في الجاهلية والإسلام سوى ماذكرناه

ومن سيولها فى الإسلام ممـا كان قبل الأزرقى ، ولم يذكره : سيل عظيم كان فى سنة ثمان وثمانين من الهجرة .

ذكره ابن جرير الطبرى .

وسيل يعرف : بأبى شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، لأنه جاء فى سنة عشرين ومائة ، عقيب حجه بالناس . وحج أبو شاكر فى التى قبلها .

وسيل اللبيرى فى آخر المحرم سنة ستين ومائة .

ذكر هذين السيلين : الفاكهى .

وذكر سيولا أخر ثلاثة ، تحتمل أن تـكون فى زمن الأزرقى ، وأن يكون بعده واحد فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين . وواحد فى سنة اثنين وستين ومائتين. وواحد فى سنة ثلاث وستين ومائتين .

وكلها دخلت المسجد الحرام وأثرت فيه . وأوضحنا من خبرها فى أصله أكثر من هذا .

ومن أمطار مكة وسيولها بعد الأزرقى : أمطار كثيرة . سال بها وادى مكة أسيالا عظيمة ، وكثر فى بعضها ماء زمزم ، حتى لم يبق بينه و بين شفتها العليا إلا سبعة أذرع أو نحوها . وعذبت جـداً ، حتى كانت أعذب مياه مكة إذ ذاك . وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائتين ، وسنة ثمانين ومائتين .

ذكر ذلك : إسحاق الخزاعى راوى تاريخ الأزرقى ، وأدخله فيه .

ومنها : ماذكره المسعودى ، لأنه قال فى أخبار سنة سبع وتسعين ومائتين . ورد الخبر إلى مدينة السلام : بأن أركان البيت الحرام الأربع غرقت حتى جرى الغرق فى الطواف ، وفاض بئر زمزم . وذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان . انتهى .

ومنها : مطر فى جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، أقام سبعة أيام . فسقطت الدور وتضرر الناس به كثيراً .

ومنها : مطر فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، سال منه وادى إبراهيم ، ونُزل بَرَدٌ بقدر البيض وزن مائة درهم .

ومنها : مطر فى سنة تسع وستين وخمسمائة ، جاء سيل كثير ، ودخل السيل من باب بنى شيبة . ودخل دار الإمارة عنده . ولم ير مثله فى دخوله من هذه الجهة .

ومنها : فى سنة تسعين وخمسمائة : أمطار كثيرة وسيول ، سال منها وادى إبراهيم خمس مرات .

ومنها : فى ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة : سيل دخل الكعبة ، وأخذ أحد فرضتى باب إبراهيم ، وحمل المنبر ودرجة الكعبة .

ورأيت بخط بعضهم : مايقتضى أن هذا السيل دخل الكعبة . فبلغ قريباً من الذراع ، وحمل فرضتى باب إبراهيم وسار بهما . وهذا لايفهم مماذكرناه أولا .

ومنها : فى منتصف ذى القعدة سنة عشرين وستمائة : سيل عظيم قارب دخول الكعبة ولم يدخلها .

ومنها : سيل كبير فى سنة إحدى وخمسين وستمائة .

ومنها : سيل دخل الكعبة ، ومات منه عالم عظيم ، بعضهم حملهم و بعضهم طاحت الدور عليهم . ذكره الميورقى بمعنى هذا .

وذكر : أنه كان سنة تسع وستين وستمائة . فى ليلة منتصف شعبان .

ومنها : سيل عظيم بلا مطر فى سنة ثلاثين وسبعمائة بعد الحج .

ومنها : فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة : أمطار وصواعق .

منها : صاعقة على أبى قبيس فقتلت رجلا . وصاعقة بالخيف فقتلت رجلا . وأخرى بالجعرانة ، فقتلت رجلا .

ومنها : فى ليلة الخميس عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة : مطر عظيم ، وسيل هائل دخل الكعبة ، وعلا الماء فوق عتبتها شبرين ، وعبر فى ببعض قناديل المطاف منه فوقها . فأطفأها . وقلع من أبواب الحرم أماكن ،

وطاف بها المـاء ، وطاف بالمنابر كل واحد إلى جهة . وفعل أموراً أخر عجيبة . وخبره : أبسط من هذا فى أصله ، و يعرف : بسيل القناديل .

ولم يأت بعــده سيل يشبهه فيما علمت ، إلا سيل اتفق فى ليلة الخميس عاشر جمادى الأولى سنة اثنين وثمانمائة ؛ لأنه دخل الـكعبة وعلا فوق عتبتها ذراعاً أو أكثر على ماقيل . ورمى بدرجة الـكعبة إلى باب إبراهيم ، وهدم عمودين فى المسجد ، ودور للناس كثيرة . ومات تحت الهدم وفى الغرف منه نحو ستين نفراً على ماقيل . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وكان بعد مطر هائل كأفواه القرب .

ومن العجيب : اتفاق هذين السيلين باعتبار الليلة والشهر بأن كليهما فى ليلة الخميس عاشر جمادى الأولى . فسبحان الفعال لما يريد .

ومنها : فى آخر ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة سحراً : سيل هائل دخل المسجد الحرام من عدة أبواب ، وقارب باب الـكعبة المعظمة ، وعام فيه بعض المنابر . وألقى فى المسجد الحرام من الأوساخ شيئاً عظيما . جمع : فصـار أكواماً كبيرة . وأخرب فى سور باب المعلاة : جانباً كبيراً بين البابين اللذين فى هذا السور .

ومنها : سيل كان فى ليلة ثالث جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة : دخل المسجد الحرام ، وقارب الحجر الأسود ، وأخرب جانباً من سور باب الماجن ، وموضع الباب فى هذا السور .

وقد خفى علينا أشياء فى هذا المعنى لعدم ظفرنا بتأليف فى ذلك .

وأما أخبار الرخص والغلاء والوباء بمكة : فقد ذكرنا فى أصله أشياء كثيرة من ذلك لايوجد مثلها مجموعاً فى كتاب . ونشير هنا لشىء من ذلك .

فمن أخبار الرخاء : أن القمح المصرى بيع الأردب منه بثمانية عشر درهماً كاملية

وذلك فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة بساحل جده ، على ما ذكر ابن العديسة فيما نقله عنه المؤرخ شمس الدين الجزرى الدمشقى .

ومن ذلك : أن الغرارة المكية من الحنطة ـ المعروفة : باللقيمية ـ بيعت بأربعين درهما كاملية . وهذا أرخص شيء سمعناه فى سعر اللقيمية . وما عرفت متى كان ذلك . وأرخص ما بيعت به الذرة : الغرارة ثلاثة وثلاثين درهما كاملية وثلث درهم . وربما بيعت بثلاثين درهم كاملية فيما بلغنى . والأول شاهدناه .

وبيع المن السمن : باثنى عشر درهما كاملية ، وهو إثنى عشر أوقية ، كل أوقية رطلان مصريان ، ونصف رطل .

والعسل : كل مَنّ بدرهمين كاملين وهو ثلاثة أرطال مصرية .

واللحم : كل مَنّ بأربعة مسعودية ، وهو سبعة أرطال مصرية . إلا ثلث .

ومن أخبار الغلاء بمكة : أن الخبز بمكة بيع ثلاث أواق بدرهم ، واللحم بأربعة دراهم الرطل ، وكل شربة ماء بثلاثة دراهم . وذلك فى سنة إحدى وخمسين ومائتين .

ومن ذلك : أن الخبز بلغ عشرة أرطال بدينار مغربى . ثم تعذر وجوده وأشرف الحجاج والناس على الهلاك . وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

ومن ذلك : أن الناس أكلوا الدم والجلود بمكة لغلاء شديد كان بها فى سنة تسع وستين وخمسمائة . ومات كثير من الناس بسببه .

ومنها : أن بعض الناس بمكة أكلوا لحم بعض الحمير الميتة على ماقيل ، لغلاء شديد جداً بمكة . وذلك فى سنة ست وستين وسبعمائة . وتعرف هذه السنة عند المكيين بسنة أم جرب ؛ لأن المواشى عمها الجرب فيها . وأدخلت المسجد الحرام وقت الاستسقاء فيه . وجعلت فى صوب مقام المالكية ، وما يسر الله لهم سقيا ، ولكن وفق مدير المملكة بمصر الأمير يلبغا الخاصكى . فجهز إلى مكة من القمح الطيب براً و بحراً ما أنعشهم به . فالله تعالى يثيبه و يثيب من نبه على ذلك .

ومن ذلك : غلاء فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة : بلغت الغرارة الحنطة خمسمائة درهم كاملية . واختبز الناس القطانى وحب الثمام وأكلوها .

وهذا أعظم غلاء شاهدناه بمكة .

ومن ذلك : أن الغرارة الحنطة بيعت بعشرين افرنتيا ذهباً قبيل الموسم من سنة خمس عشرة وثمانمائة و بإثره .

ومن ذلك : غلاء فى النصف الثانى من سنة إثنين وعشرين وثمانمائة . بلغت الغرارة عشرين افلوريا وأزيد ، والذرة قريبا من ذلك .

وعم الغلاء سائر المأكولات وفحش فى السمن كثيراً ؛ لأن المن منه بلغ سبعة افرنتية ، ونصف فى آخر ذى القعدة .

وفى ذى القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة : عظم الغلاء جداً فى السمن بلغ المن أحد عشر افلوريا وأزيد . ولم يعلم مثل ذلك .

ومن أخبار الوباء : أنه وقع الوباء على رأس سنة ستمائه من الهجرة .

ومن ذلك : أن فى سنة إحدى وسبعين وستمائة : كان الفناء عظيما بمكة بلغت الموتى فى بعض الأيام اثنين وعشرين جنازة . وفى بعض خمسين . وعد أهل مكة مابين العمرتين من أول رجب إلى السابع والعشرين منه : ألف جنازة .

ذكر هذه الحادثة بهذا اللفظ غير قليل . فبالمعنى الميورقى . وكذا الأولى .

ومن ذلك : وباء فى سنة تسع وأربعين وستمائة . وكان عاما فى الغلاء ، وأعظم ما كان بديار مصر .

ومن ذلك : أن فى بعض الأيام على ماقيل : فى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة : بلغ الموتى بمكة أربعين نفراً .

ومنها : فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة وباء عظيم . عام لعل الموتى فيه ممن يعرف باسمه أو مكانه يزيدون على ألفين أو يقاربون ذلك . وكان كثيراً مايجتمع

من الجنائز عقيب صلاة الصبح أو العصر سبع أو أكثر . وكان يموت في كثير من الأيام بضع وعشرين في كل يوم أو أكثر غير الموتى الذى يؤتى به من بادية مكة إليها .

وقد اتضح بما ذكرناه من أخبار الرخص والغلاء والوباء أمور كثيرة .

الباب الأربعون

فى ذكر الأصنام التى كانت بمكة وحولها ، وشىء من خبرها ، وذكر شىء من خبر أسواق مكة فى الجاهلية والإسلام ، وذكر شىء مما قيل من الشعر فى الشوق إلى مكة الشريفة . وذكر معالمها المنيفة .

أما الأصنام المشار إليها : فإن منها الصنم المعروف : بهبل . وكان من أعظم أصنام قريش .

ومنها : أساف ونائلة ، وهما رجل وامرأة من جرهم مسخا حجرين ؛ لأن الرجل فجر بالمرأة فى الكعبة . وقيل : بل قبلها .

ثم كسرهما النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة مع ما كسر من الأصنام فى هذا اليوم .

ومنها : الخلصة بأسفل مكة ونهيك . ويقال له : محاذر الريح على الصفا ، ومطعم الطير على المروة .

وكان الذى نصب هذه الأصنام الثلاثة : عمرو بن لحى .

وكان جملة ما بمكة من الأصنام حول الكعبة فى يوم الفتح ثلثمائة وستون صنما ، على ما رويناه عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ونص حديثه ، قال « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما . منها ماقد شد بالرصاص . وطاف على راحلته ، وهو يقول (١٧ : ٨١ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ويشير إليها . فما من صنم أشار إلى وجهه إلا وقع على دبره ، ولا أشار إلى دبره إلا وقع على وجهه ، حتى وقعت كلها » هذا نص حديثه فى تاريخ الأزرقى . ومنه : لخصنا باختصار ما ذكرناه من خبر الأصنام .

وفيه : عن ابن إسحاق « لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يوم الفتح : أمر بالأصنام التي حول الكعبة كلها فجمعت ، ثم حرقت » .

ومنها : العزى . وكانت ثلاث شجرات بنخلة . وكان أهل الجاهلية إذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة ، لم يحلوا حتى يأتوا العزى ، فيطوفون بها و يحلون عندها ، و يعكفون عندها يوماً .

ثم أزال خالد بن الوليد رضي الله عنه العزى ، بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة . وذلك : لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان .

وخبر العزى ، وما ذكرناه من الأصنام : أبسط من هذا في أصله ، مع كون ذلك مختصراً من تاريخ الأزرقي وغيره .

وأما أسواق مكة في الجاهلية

فذكر الأزرقي فيها خبراً طويلا . ذكرنا طرفا منه في أصله . ونشير هنا إلى مانبين به المقصود منه بلفظه في البعض ، و بمعناه في البعض .

وذلك : أن أهل الجاهلية كانوا يصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة ، ثم يذهبون منه إلى مجنة بعد مضي عشرين يوماً من ذي القعدة . فإذا رأوا هلال ذي الحجة : ذهبوا من مجنة ، إلى ذي المجاز . فلبثوا به ثمان ليال ، ثم يذهبون إلى عرفة .

وكانوا لا يتبايعون في عرفة ولا أيام منى . فلما أن جاء الله بالإسلام : أحل الله عز وجل ذلك لهم بقوله : (٢ : ١٩٨ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) وفي قراءة أبي بن كعب (في مواسم الحج) يعني : منى وعرفة ، وعكاظ ، ومجنة ، وذي المجاز . فهذه مواسم الحج . ثم قال : وكانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذي المجاز : قائمة في الإسلام حتى كان حديثا من الدهر .

فأما عكاظ : فإنها تركت عام حج الحروري بمكة مع أبي حمزة المختار بن

عوف الأزدى الأباطى فى سنة تسع وعشرين ومائة . وخاف الناس أن ينتهبوا ، وخافوا الفتنة . فتركت حتى الآن .

ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك . واستغنوا بالأسواق بمكة ومنى وعرفة .

قال أبو الوليد الأزرقى : وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء فى عمل الطائف على بريد منها . وهى سوق لقيس غيلان ، وثقيف . وأرضها : لنصر .

ومجنة : سوق بأسفل مكة على بريد منها . وهى سوق لكنانة . وأرضها من أرض كنانة . وهى التى يقول فيها بلال رضى الله عنه :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بواد وحولى إذخر وجليل
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مجنة   وهل يبدون لى شامة وطفيل

وشامة وطفيل : جبلان مشرفان على مجنة .

وذو المجاز : سوق لهذيل عن يمين الموقف من عرفة ، قريب من كبكب على فرسخ من عرفة . انتهى .

وقد خولف الأزرقى فيما ذكره فى مجنة وشامة ، وطفيل من أوجه .

منها : أن فى كتاب الفاكهى عن ابن إسحاق : وكانت مجنة بمر الظهران إلى جبل يقال له : الأصغر . ومر الظهران : لايقال له : أسفل مكة . انتهى .

ومنها : أن القاضى عياض ـ رحمه الله ـ قال فى المشارق : طفيل وشامة ، جبلان على نحو من ثلاثين ميلا . انتهى .

وكلام الأزرقى يقتضى : أن مجنة على بريد من مكة . فيكون الجبلان كذلك من مكة على مقتضى قوله . وذلك يخالف ماقاله القاضى . والعيان يشهد لما قاله القاضى . والله أعلم .

ومنها : أن الخطابى قال فى شامة وطفيل : كنت أحسبهما جبلين حتى أثبت لى أنهما عينان . انتهى .

وكلام الأزرقى : يقتضى أنهما جبلان .

ومنها : أن الأزرقى قال : شامة ـ بالميم ـ وقيل فيها شابة ـ بالباء ـ ذكره ابن الأثير ، ورجحه الرضى الصنعانى اللغوى .

ومجنة ـ بفتح الميم وكسرها ، والفتح أكثر ـ على ماذكر المحب الطبرى . وألفيت فى القرى ما صورته . ومجنة : موضع بأعلى مكة ـ إلى آخر كلامه ـ وقوله : بأعلى مكة : مشكل لمخالفته ماذكره الناس . والله تعالى أعلم .

وأما ماقيل من الشعر فى التشوق إلى مكة الشريفة

وذكر معالمها المنيفة . فكثير جداً . وقد ذكرنا منه طرفا فى أصله . ونشير هنا لشىء من ذلك .

فمنه ماأنشدناه المسندان : محمد بن محمد بن داود الصالحى فى كتابه ، وأم الحسن بنت المفتى أبى العباس أحمد بن قاسم مشافهة : أن الإمام فخر الدين عثمان بن محمد ابن عثمان الأفريقى . أنشدها إذنا . قال : أنشدنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن رشيد البغدادى من قصيدة طويلة لنفسه . قال فيها :

على عرفات قد وقفنا بموقف ... به الذنب مغفور وفيه محوناه

ومنها :

فظل حجيج الله لليل واقفاً فقيـ ... ـل انفروا فالكل منكم قبلناه
أفيضوا وأنتم حامدون إلهكم ... إلى مشعر جاء الكتاب بذكراه
وسيروا إليه واذكروا الله عنده ... فسرنا ومن بعد العشا نزلناه
وفيه جمعنا مغرباً بعشائنا ... ترى عابد جمع بجمع جمعناه
وبتنا به ، منه التقطنا جمارنا ... وربا ذكرناه على ماهداناه
ومنه أفضنا حيث ما الناس قبلنا ... أفاضوا وغفران الإله طلبناه
ونحو منى ملنا بها كان عيدنا ... ونلنا بها ما القلب كان تمناه

فمن منكم بالله عيَّد عيدنا فعيدُ منى رب البرية أعلاه
وفيها رمينا للعقاب جمارنا ولا جُرم إلا مع جمار رميناه

ومنها :

وبالخيف أعطانا الإله أماننا وأذهب عنا كل ما نحن خفناه
وردت إلى البيت الحرام وفودنا رجعنا لها كالطير حن لمأواه
وطفنا طوافا للإفاضة حوله ولذنا به بعد الجمار وزرناه
ومن بعد مازرنا دخلناه دخلة كأنا دخلنا الخلد حين دخلناه
ونلنا أمان الله عند دخوله كذا أخبر القرآن فيما قرأناه

ومنها :

وبالحجر الميمون لذنا فإنه لرب السما فى الأرض للخلق يمناه
نقبله من حبنا لإلهنا فكم لثمة حال الطواف لثمناه
على لثمة للشعث والغبر رحمة فكم أشعث كم أغبر قد رحمناه
وذاك لنا يوم القيامة شاهد وفيه لنا عهد قديم عهدناه
ونستلم الركن اليمانى طاعة ونستغفر المولى إذا ما لمسناه
وملتزم فيه التزمنا لذنبنا عهوداً وعفو الله فيه لزمناه
وكم موقف فيه يجاب لنا الدعا دعونا به والقصد فيه نويناه
وصلى بأركان المقام حجيجنا وفى زمزم ماء طهور وردناه
وفيه الشفا ، فيه بلوغ مرادنا لما نحن ننويه إذا ماشربناه
وبين الصفا والمروة الحاج قد سعى فإن تمام الحج تكميل مسعاه

وأنشدنى محمد وفاطمة المذكوران أولا إذناً . قالا : أنشدنا الإمام فخر الدين المالكى إجازة . قال : أنشدنا الإمام أبو اليمن بن عساكر الدمشقى ، نزيل مكة لنفسه بقراءتى عليه بمسجد الخيف من منى :

ياحيرتى بين الحجون إلى الصفا شوقى إليكم مجمل ومفصل

أهوى دياركم ولى بربوعهـــا وجـد يثبطنى وعهـد أول
ويزيدنى فيهـا العدول صـبابة فيظل يغـــرينى إذا مايعـدل
ويقول لى لو قد تبدلت الهوى فأقول قد عز العــزاة تبدل
بالله قل لى كيف يحسن سلوتى عنها وحسن تصـبرى هل يجمل
هل فى البـــلاد محـلة معروفة مثـل المعرف أو محـل تحلل
أم فى الزمان كليلة النفر التى فيهـا من الله العوارف تجـزل
أم مثل أيام تقضت فى منى عمر الزمان بهـا أغر محجـل
فى جنب مجتمـع الرفاق ومنزع الأشواق حياها السحاب المسبل

وأنشدنى الإمام الأديب بدر الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المصرى الاثارى إذنا لنفسه :

بمكة قد طابت مجاورتى فيا إلهى فاجعلها مدى العمر سرمدا
فأنت الذى أحللتنى ساحة الهوى وعودت قلبى عادة فتعـودا

والأشعار فى التشوق إلى هذه المشاعر الشريفة كثيرة . ونسأل الله أن يجعل أعيننا بدوام مشاهدتها قريرة .

وقد انتهى العرض الذى أردنا جمعه فى هذا الـكتاب . ونسأل الله أن يجزل لنا فيه الثواب . بمحمد سيد المرسلين . وآله وصحبه الأكرمين .

ولنذكر فيه ما أشرنا إليه من السيرة النبوية :

فنقول : بعد حمد الله الذى لايخيب من سأله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير نبى أرسله .

فهذا ماوعدت بذكره فى كتابى « العقد الثمين . فى تاريخ البلد الأمين » من سيرة نبينا محمد المصطفى . زاده الله شرفا .

وذلك : فيما لخصته واختصرته من السيرة الصغرى للحافظ علاء الدين مغلطاى المصرى الحنفى رحمه الله وأكده بلفظه .

وقد أخبرنى بكتابه المذكور : شيخنا القاضى الإمام زين الدين أبو بكر ابن الحسين الشافعى سماعا وأجازه عن الحافظ علاء الدين مغلطاى سماعا كذلك . وإنما عولت على كتابه دون غيره من الكتب المصنفة فى هذا المعنى على كثرتها : لأن كتابه أكثرها فوائد . وفيه من الفوائد النفيسة ما لا يوجد فى كثير من الكتب المبسوطة فى هذا المعنى . وأضفت إلى ماذكرته من كتابه فوائد لم يذكرها . وأكثر ذلك مما ذكره شيخنا الحافظ زين الدين العراقى ــ سقى الله ثراه ــ فى كتابه الذى نظمه فى السيرة النبوية . وهو ألف بيت بدا فى كتاب مغلطاى فى كثرة الفوائد .

وقد رويت ذلك عن شيخنا العراقى إجازة . وكل ماأوردته من كتابه وغيره أجيزه بقولى : قلت فى ابتدائه ، وأجيز آخره بقولى : انتهى . وسميت تأليفى هذا « الجواهر السنية فى السيرة النبوية » .

﴿ ذكر أسمائه ونسبه وشىء من حاله من حين ولادته ﴾

(وإلى وفاته وغير ذلك من حال عمله)

للمصطفى : صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة تقرب من الثلثمائة على ماقال ابن دحية . وانتهى بها بعض المتصوفة إلى ألف .

وأشهرها : محمد ، وأحمد . وبهما سماه الله فى القرآن العظيم .

الماحى ، الحاشر ، العاقب .

يكنى : أبا القاسم ، وأبا إبراهيم .

ابن : عبد الله بن عبد المطلب . واسمه : شيبة الحمد . وقيل : عامر بن هاشم . واسمه عمرو بن عبد مناف . واسمه المغيرة بن قصى . وإسمه : زيد . وقال الشافعى : يزيد ــ فيما حكاه الحاكم أبو أحمد بن كلاب ــ واسمه حكيم . وقيل : عروة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وهو جماع قريش فى قول الكلبى ، وغيره

ابن : مالك بن النضر . واسمه قيس . وهو : قريش فى قول ابن اسحاق .

ابن : كنانة بن خزيمة بن مدركة . واسمه : عمرو . وقال ابن اسحاق : عامر بن إلياس . واسمه : حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

إلى هنا مجمع عليه . وما فوق ذلك : مختلف فيه .

وأشهره : ابن أدد . ويقال : أد بن أدد ابن مقوم ، بن ناحور ، بن تيرح ، ابن يعرب ، بن يشجب . وقيل : يشجب بن يعرب ، بن يشجب ، بن نابت ، ابن اسماعيل . وتفسيره : مطيع الله الذبيح . ويلقب : اعراق الثرى ، بن إبراهيم خليل الرحمن . ويكنى : أبا الضيفان ، وتفسيره : أب راحم ، بن تارح ، وهو : آزر ، بن ناحور بن ساروح ، بن راعوا . ويقال : ارغوا ، ومعناه : قاسم بن فالح . ويقال : فالع بن عيبر . ويقال عابر . وهو : هود عليه السلام ، ابن شالح . ومعناه : الرسول . ويقال : الوكيل ، بن إرنخشد . ويقال : الفخشيد . ويقال : الفخشد . ومعناه : مصباح مضيء ، بن سام ، بن نوح . واسمه : عبد الغفار بن لامك . ويقال : لمكان بن متوشلخ بن ، خنوخ . ويقال : أخنخ . ويقال : اخنوخ . ويقال : اهنخ . وهو : ادريس عليه السلام بن يرد . ويقال : يارد . ويقال : الزايد . ومعناه : الضابط ، بن مهليل . ويقال : مهلابيل . ومعناه : الممدح ، بن قينن ، ويقال : قينان . ومعناه : المستولى ، بن يانش ، ومعناه : الصادق ، بن شيث . ويقال : شاث . ومعناه : هبة الله . ويقال : عطية الله ، ابن آدم أبى البشر . ويقال : أبو محمد لمحمد ابنه عليهما السلام .

أمه عليه السلام : آمنة ، ابنة وهب ، بن عبد مناف ، بن زهرة بن كلاب ، ويقال : عبد مناف بن كلاب وزهرة : أمه . فيما قاله ابن قتيبة . والجوهرى . وفى ذلك نظر .

ولد صلى الله عليه وسلم بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ابن يوسف . ويقال : بالشعب . ويقال بالروم . ويقال : بعسفان .

قلت : قال السهيلى ، ولد بالشعب . وقيل : بالدار التى عند الصفا . وكانت بعد : لمحمد بن يوسف أخى الحجاج . ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت. انتهى .

والدار التى عند الصفا : هى دار الخيزران ، ودار ابن يوسف بسوق الليل ، وهى الموضع المعروف بمولده عليه الصلاة والسلام . وهذا الذى قاله السهيلى فى ولادته بالدار التى عند باب الصفا غريب . والله أعلم . انتهى .

يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول . وقيل : لثمان . وقيل : لعشر . وقيل : لثنتى عشر .

وحكى فيه ابن الجزار الإجماع . وفيه نظر . وقيل : لثمان عشرة . وقيل : لسبع عشرة . وقيل : لثمان بقين منه . وقيل : فى أوله حين طلع الفجر يوم أرسل الله الأبابيل ــ وهى : الجماعات . واحدها : أبول . وقيل : لا واحد لها ــ على أهل الفيل . وقيل : عام الفيل .

وحكى ابن الجزار فيه الإجماع . وفيه نظر . وقيل بعد الفيل بشهر . وقيل : بأربعين يوما . وقيل : بشهرين وستة أيام . وقيل : بخمسين يوما . وقيل : بخمسة وخمسين يوما . وقيل : بعشر سنين . وقيل : بثلاثين عاما . وقيل: بأربعين عاما. وقيل بسبعين . وقيل : لثنتى عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين . من غزوة أصحاب الفيل .

وقيل : ولد يوم عاشوراء . وقيل : فى صفر . وقيل : فى ربيع الآخر .

لم تجد لحمله ثقلا ولا وحماً . وفى حديث شداد عكسه.

وجمع بأن : الثقل فى ابتداء العلوق ، والخفة عند استمرار الحمل ، ليكون فى ذلك خارجا عن المعتاد . مختوناً ، مسروراً ، مقبوضة أصابع يده ، مشيراً بالسبابة كالمسبح بها . وقيل : إن جده ختنه صلى الله عليه وسلم يوم سابعه . وقيل : جبريل . وختم حين وضعه بالخاتم . ذكره ابن عابد .

وسماه الله محمداً . قالته أمه . وقيل : إن جده سماه فى سابعه .

واختلف فى مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم . فقيل : تسعة أشهر . وقيل : عشرة . وقيل : ثمانية . وقيل : سبعة . وقيل : ستة .

وتوفى أبوه وهو صلى الله عليه وسلم حمل . وقيل : بعد ولادته بشهرين . وقيل : بأكثر من ذلك .

وأرضعته صلى الله عليه وسلم : ثويبة عتيقة عمه أبى لهب بلبان ابنها مسروح

وأرضعته صلى الله عليه وسلم أيضاً : حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية .

وصحح ابن حبان وغيره : حديثاً ، دل على إسلامها بلبان ابنها عبد الله أخى أنيسة ، وجذامة . وهى الشماء القادمة عليه ؛ عليه السلام بحنين .

وقيل : بل كانت أمه صلى الله عليه وسلم حليمة أولا عند الحرث بن عبد العزى .

واختلف فى إسلامه : روى خالد بن معدان « أن نفراً من الصحابة رضى الله عنهم . قالوا يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم . أنا دعوة أبى إبراهيم ، بشر بى عيسى بن مريم ، ورأت أمى حين وضعتنى خرج منها نور أضاءت له قصور الشام — وذكر ابن حبان : أن ذلك كان فى المنام . وفيه نظر — واستُرضِعت فى بنى سعد بن بكر . فبينا أنا مع أخ لى خلف بيوتنا نرعى بُهماً لنا : أتانى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوء ثلجاً . فأخذانى فشقا بطنى ، فاستخرجا قلبى ، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها . ثم غسلا بطنى وقلبى بذلك الثلج . ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزنانى بهم ، فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته فوزنتهم . ثم قال : دعه ، فلو وزنته بأمته لوزنها » .

وذكر أبو نعيم : أن ذلك كان وعمره صلى الله عليه وسلم عشر سنين . وختم بخاتم النبوة بين كتفيه . وكان ينم مسكاً ، مثل زر الحجلة . ذكره البخارى .

وفى مسلم : جمع عليه خيلان ، كأنها الثآليل السود عند بعض طرفيه .

ويروى غضروف : وفى كتفه الأيسر .

وفى كتاب أبى نعيم : الأيمن .

وفى مسلم أيضاً : كبيضة حمامة .

وفى صفة الخاتم : اختلاف كبيره . ذكره مغلطاى .

وماتت أمه صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن أربع . وقيل : ست . وقيل : سبع وقيل : غير ذلك .

قلت : جزم شيخنا العراقى : بأن أمه صلى الله عليه وسلم توفيت وله ست سنين ومائة يوم . وهذا القول لم يذكره مغلطاى .

وحكى شيخنا القول بوفاتها : وله صلى الله عليه وسلم أربع سنين . ولم يحك غير ذلك .

وذكر شيخنا أيضاً : مايقتضى : أن أباه توفى ، وهو صلى الله عليه وسلم حمل ، على الصحيح . والله أعلم .

وهذا لايفهم مما ذكره مغلطاى . انتهى .

وكانت وفاتها : بالأبواء . وقيل : بشعب أبى دب بالحجون .

وكانت أم أيمن بركة : دايته وحاضنته صلى الله عليه وسلم بعد موت أمه .

ومات جده عبد المطلب كافله ، وله ثمان سنين . وقيل : غير ذلك .

فكفله أبو طالب ، واسمه : عبد مناف . وقيل : اسمه كنيته ، فيما ذكره الحاكم . وفيه نظر . بوصية أبيه عبد المطلب ، ولكونه شقيق عبد الله .

فلما بلغ صلى الله عليه وسلم ، اثنتى عشرة سنة . وقيل: تسعاً . وقيل اثنتى عشرة سنة وشهراً وعشرة أيام . وقيل : لعشر خلون من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من الفيل : خرج مع عمه أبى طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى ، فرآه بحيرا ، واسمه : جرجيس . فعرفه بصفته . فقال : وهو آخذ بيده : هذا سيد العالمين . هذا يبعثه الله رحمة للعالمين .

فقيل له : وما علمك بذلك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم به من العقبة ، لم يبق

شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي . وإنا نجده فى كتبنا . وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود .

وخرج الترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه : أن فى هذه السفرة : أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله صلى الله عليه وسلم . فاستقبلهم بحيرا . فقال : ماجاء بكم ؟ فقالوا : إن هذا النبي خارج فى هذا الشهر . فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس . فقال : أرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه . هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا : لا . قال : فبايعوه وأقاموا معه .

ورده أبو طالب ، و بعث معه أبو بكر بلالا . وفيه : وهمان . الأول : بايعوه على أى شيء . والثانى : أبو بكر رضى الله عنه لم يكن حاضراً ، ولا كان فى حال من يملك . ولا ملك بلالا إلا بعد ذلك بنحو ثلاثين عاما .

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عشرين سنة . وقيـل : أربع عشرة . حضر مع عمومته حرب الفجار . ورمى فيه بأسهم . وحضر حلف الفضول . وهو حلف عقدته قريش على نصر كل مظلوم بمكة .

وكان يرعى غنم أهله بأجياد على قراريط .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم ثانياً مع ميسرة ـ غلام خديجة ابنة خويلد بن أسد ـ فى تجارة لها . وكانت رضى الله عنها استأجرته على أربع بكرات . ويقال استأجرت معه رجلا آخر من قريش حتى بلغ سوق بصرى . وقيل : ســوق حباشة بتهامة . وله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك خمس وعشرون سنة لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة . فنزل صلى الله عليه وسـلم ، تحت ظل شجرة . فقال نسطور الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى . واستشكل . وفى رواية : بعد عيسى .

وكان ميسرة رضى الله عنه يرى فى الهاجرة ملـكين يظلانه من الشمس .

وتزوجها بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً فى عقب صفر سنة ست

وعشرين . وقيل : كان سنه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين سنة . وقيل : ثلاثين .

وقال ابن جريج : وله سبع وثلاثون سنة .

وقال البرقى : تسع وعشرون . قد راهق الثلاثين .

وخديجة رضى الله عنها يومئذ ابنة أربعين سنة . وقيل : خمس وأربعين . وقيل : ثلاثين . وقيل : ثمان وعشرين . وأصدقَها صلى الله عليه وسلم اثنى عشر أوقية ونشا . وقيل : عشرين بكرة .

ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة بنت قريش الكعبة .

وفى تاريخ يعقوب : كان بناؤه فى سنة خمس وعشرين من الفيل . ووضع عليه الصلاة والسلام : الركن اليمانى بيده يوم الاثنين .

فلما بلغ عليه السلام أربعين سنة . وقيل : أربعين يوماً . وقيل: وعشرة أيام . وقيل : وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان . وقيل: لسبع . وقيل : لأربع وعشرين ليلة .

وقال ابن عبد البر : يوم الاثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل . وقيل : فى أول ربيع .

وفى تاريخ النسائى : على رأس خمس عشرة سنة من بنيان الكعبة وضعفه .

وعن مكحول : بعد ثنتين وأربعين : جاءه جبريل بغار حراء . قالت عائشة رضى الله عنها » أول ما بدىء به عليه السلام من الوحى : الرؤيا الصادقة » .

وقال الواقدى ، وابن أبى عاصم ، والدولابى فى تاريخه : نزل عليه القرآن ، وهو ابن ثلاث وأربعين .

وفى كتاب العتيق : ابن خمس وأربعين ، لتسع وعشرين من رجب . قاله الحسين ، وجمع : بأن ذلك حين حمى الوحى وتتابع .

وقيل : إن إسرافيل عليه السلام وكل به صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين قبل جبريل عليه السلام .

وأنكر ذلك الواقدى ، وصححه الحاكم . فقال : «أبشر يامحمد ، وأنا جبريل أرسلت إليك . وأنت رسول هذه الأمة . ثم أخرج لى قطعة نمط . فقال : اقرأ . قلت : والله ما قرأت شيئاً قط . فقال : (٩٦ : ١ـ٥ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) ثم قال : انزل عن الجبل . فنزلت معه إلى قرار الأرض ، فأجلسنى على درنوك وعليه ثوبان أخضران ، ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء ، فتوضأ منها جبريل عليه السلام ، ثم أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، فتوضأ كذلك . ثم قام وصلى بالنبى صلى الله عليه وسلم . ثم انصرف جبريل . وجاء عليه السلام إلى خديجة رضى الله عنها . فأمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه السلام»

وكان ذلك أول فرض الصلاة ركعتين . ثم إن الله تعالى أقرها فى السفر ركعتين كذلك وأتمها فى الحضر .

وقال مقاتل: كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشى .

وذكر أبو نعيم « أن جبريل وميكائيل عليهما السلام : شقا صدره وغسلاه ، ثم قالا : (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم) » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما « أول شىء رأى النبى صلى الله عليه وسلم من النبوة أنه قيل : له استتر ـ وهو غلام ـ فما رؤيت عورته صلى الله عليه وسلم بعد » .

وكان أول من آمن بالله وصدق : خديجة رضى الله عنها .

ثم فتر الوحى فترة حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم وأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى .

وكان أول ذكر آمن بعدها : أبو بكر رضى الله عنه ، وقيل : علي رضى الله عنه ، ثم زيد بن حارثة رضى الله عنه ، ثم أسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وذكر مغلطاى : إسلام جماعة من جلة الصحابة رضى الله عنهم . ثم قال : ودخل الناس فى الإسلام أرسالا من الرجال والنساء .

ثم إن الله أمر رسوله بأن يصدع بما جاء به ، وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة . فبينا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى نفر يصلون فى شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون . فعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم . فضُرب سعد يومئذ بلحى بعير ، فشجه فكان أول دم هريق فى الإسلام .

فلما نادى النبي صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام لم تبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها .

قال العتقى : وكان ذلك فى سنة أربع ، فلما فعل أجمعوا على صلى الله عليه وسلم خلافه وعداوته إلا من عصم الله .

وحدب عليه أبو طالب فخف الأمر وتنابذ القوم ، ونادى بعضهم بعضا ، وتآمرت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم . ومنع الله رسوله بعمه أبى طالب ، وبنى هاشم ، غير أبى لهب وبنى المطلب . فرماه الوليد ابن المغيرة : بالسحر ، وتبعه قومه على ذلك . فنزل فيه (٧٤ : ١١ ذرنى ومن خلقت وحيدا ـ الآيات) . وفى النفر الذين تابعوه على قوله (١٥ : ٩١ الذين جعلوا القرآن عضين) .

ثم إن قريشاً اشتد عليهم الأمر ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون . وأغروا به سفهاؤهم ، حتى أخذ رجل منهم يوماً بمجمع ردائه فقام أبو بكر دونه ، وهو يبكى ويقول : أتقتلون رجلا أن يقول : ربى الله ؟.

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب عمه رضى الله عنه ، وكان أعز فتى فى قريش ،

وأشد شكيمة ، فعزَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكف عنه قريش قليلا .

قال العتقى : وكان إسلامه رضى الله عنه سنة ست ، وسألوه[1] إن كنت

(١) سياق الحديث يوهم أن السؤال لحمزة رضى الله عنه ولكنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ قال :

« فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

قال ابن إسحق : وحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً — قال يوماً — وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده — : يامعشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا . وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى ياأبا الوليد ، قم إليه فكلمه ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت : من السِّطةِ — أى المنزلة الرفيعة — فى العشيرة والمكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم . فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ياأبا الوليد أسمع » قال : ياابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . أو كما قال له ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال : « أقد فرغت ياأبا الوليد ؟ » قال : نعم ، قال « فاستمع منى » قال : افعل ، فقال (٤١ : ١—٥ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايسمعون ، وقالوا قلوبنا فى أكنة مماتدعونا إليه) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت =

تطلب مالا جمعنا لك مالا تكون به أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد الشرف فينا فنحن نسوِّدك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال لهم عليه السلام : مابى ماتقولون ، ولكن الله بعثنى رسولا ، وأنزل علىّ كتابه ، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

واشترى أبو بكر رضى الله عنه بلالا رضى الله عنه فأعتقه ، وكان يعذب فى الله .

وقتلت أم عمار بن ياسر : سمية رضى الله عنها فى الله ، فهى أول قتيل فى الإسلام .

وقيل : أول قتيل الحارث بن أبى هالة بن خديجة فيما ذكر العسكرى .

ثم أذن النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة إلى الحبشة فى رجب سنة

= لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال « قد سمعت ياأبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ماوراءك ياأباالوليد ؟ قال : ورائى أنى سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر، ولابالسحر ، ولابالكهانة يامعشر قريش أطيعون ، واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه ، فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم : فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا : سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيى فيه ، فاصنعوا مابدا لكم .

خمس من النبوة ، وعدتهم : اثنى عشر رجــلا وأربع نسوة . وقيل : أحد عشر وامرأتان .

وقال الحاكم : بعد موت أبى طالب .

وفى كتاب الاقتصار على صحيح الأخبار : كانوا عشرة رجال وأربع نسوة ، وأميرهم : عثمان بن مظعون رضى الله عنه ، وأنــكر ذلك الزهرى فقال : لم يكن لهم أمير غير ملـكها النجاشى ، واسمه : أصحمــة بن بحرى . وقيل : مكحول بن صصة ، نخرج المسلمون وهى أول هجرة فى الإسلام .

فلما رأت قريش استقرارهم فى الحبشة وأمرهم أرسلوا فيهم إلى النجاشى عمرو ابن العاص ، وعبد الله بن أبى ربيعة ليردهم إلى قومهم ، فأبى ذلك وردهما خائبين وكان حين ذلك مشركا ، ثم أسلم سنة سبع ، وتوفى فى رجب سنة تسع . وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسـلم ، ورفع إليه سريره حتى رآه . وقيل : لأنه كان عند الـكفار الذين لا يصلون عليه ، فلذلك صلى عليه .

وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة رضى الله عنهما بثلاثة أيام ، فيما قاله أبو نعيم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم أيد الإسلام بأبى جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب » .

وفى كتاب الحاكم « اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب » لم يذكر أبا جهل وكان رجلا لا يرام ماوراء ظهره ، فامتنع به وبحمزة الصحابة رضى الله عنهم .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : ما كنا نقدر على أن نصـلى عند الـكعبة حتى أسلم عمر رضى الله عنه .

فلما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم وعزة أصحابه فى الحبشة وفشو الإسلام فى القبائل : اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعـاقدوا فيه على بنى هاشم وبنى المطلب : أن لا ينــكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوا منهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم . وكتبوه فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة . وقيل : بغيض بن

عامر ، فشلت يده . وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع ، فانحاز الهاشميون غير أبى لهب ، والمطلبيون إلى أبى طالب ، فدخلوا معه فى شعبه ، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا .

وقال ابن سعد : سنتين حتى جهدوا ، وكانوا لايصل إليهم شىء إلا سراً .

ثم هاجر المسلمون الثانية إلى أرض الحبشة ، وعدتهم : ثلاثة وثمانون رجلا إن كان عمار بن ياسر فيهم ، وثمانى عشرة امرأة .

ثم قام رجال فى نقض الصحيفة فأطلع الله عز وجل نبيه على : أن الأرضة أكلت مافيها من القطيعة والظلم ، فلم يدع إلا اسم الله فقط . فلما أنزلت لتمزق ، وجدت كما قال صلى الله عليه وسلم . وذلك فى السنة العاشرة .

ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً ، مات عمه أبو طالب . وقيل : فى النصف من شوال من السنة العاشرة .

وقال ابن الجزار : قبل هجرته بثلاث سنين .

وماتت خديجة رضى الله عنها بعد ذلك بثلاثة أيام . وقيل : بخمسة فى رمضان . وقيل : ماتت قبل الهجرة بخمس ، وقيل : بأربع سنين . وقيل : بعد الإسراء . فكان عليه السلام يسمى ذلك العام : عام الحزن ، فيما ذكره صاعد .

وبعد أيام تزوج صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة سنة عشر . وقيل : بعد موت خديجة رضى الله عنها بسنة .

وقال ابن عقيل : تزوجها بعد عائشة رضى الله عنها .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى الطائف بعد موت خديجة رضى الله عنها بثلاثة أشهر ، فى ليال بقين من شوال سنة عشر ، ومعه زيد بن حارثة رضى الله عنه ، فأقام به شهراً يدعوهم إلى الله تعالى فلم يجيبوه ، وأغروا به سفهاءهم ، فجعلوا يرمونه بالحجارة ، حتى إن رجليه صلى الله عليه وسلم لتدميان وزيد رضى الله عنه

يقيه بنفسه ؛ حتى لقد شج فى رأسه ، ثم رجع فى جوار المطعم بن عدى ، ولم يستجب له إنسان .

فلما نزل صلى الله عليه وسلم نخلة ، وهو موضع على ليلة من مكة صرف إليه سبعة من جن نصيبين فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن .

وقيل : كان قدوم الجن مكة بعد خمسين سنة وثلاثة أشهر من مولده صلى الله عليه وسلم .

فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، وهو نائم فى بيته ، أتاه جبريل وميكائيل عليهما السلام ، فقالا : انطلق إلى ما كنت تسأل . وذلك أنه كان يسأل : أن يرى الجنة والنار . فانطلقا به إلى مابين المقام وزمزم ، فأتى بالمعراج ، فعرجا به إلى السماء السابعة وفرضت عليه الصلوات .

وقيل : كان المعراج قبل الهجرة بثلاث سنين . وقيل : ستة . وكان بعد النبوة بخمسة أعوام . وقيل بعام ونصف عام .

وقال عياض : بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً .

وقال الحربى : ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة .

وقيل : لسبع عشرة خلت من ربيع الأول .

وقال ابن قتيبة : بعد سنة ونصف من رجوعه من الطائف .

وقال الواقدى : ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بستة أشهر .

وقال ابن فارس : فلما أتت عليه صلى الله عليه وسلم إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر : أسرى به من زمزم إلى القدس .

وفى البخارى « بينا أنا نائم فى الحطيم — وربما قال : فى الحجر . ومنهم من قال : بين النائم واليقظان — إذا أتانى آت فشق ما بين هذه إلى هذه — يعنى : من ثغرة نحره إلى مراقه — فاستخرج قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً .

فغسل قلبي ، ثم حشى ، ثم أعيد . ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، وهو البراق ، يضع خطوه عنـد أقصى طرفه ، فحملت عليه . فانطلق بي جبريل إلى السماء ــ وذكر الأنبياء الذين رآهم في بيت المقدس والسماء . وذكر الجنة والنار وسدرة المنتهى والأنهار الأربعة ، والآنية الثلاثة : الماء ، والخمر ، واللبن ، وفرض الصلوات » .

واختلف في المعراج والإسراء : هل كانا في ليلة واحدة ، أم لا ؟

وهل كانا أو أحدهما : يقظة أو مناما ؟

وهل كان المعراج قبل الإسراء ؟

وهل كان المعراج مرة أو مرات ؟ .

والصحيح : أن الإسراء ، كان في اليقظة بجسده صلى الله عليه وسلم ، وأنه مرات متعددة ، وأنه رأى ربه عز وجل بعين رأسـه صلى الله عليه وسلم . ولما أصبح أخبر قريشاً بالإسراء ، فـكذبوه .

وارتد جماعة ممن كان أسلم وسألوه أمارة . فأخبرهم بقدوم العير يوم الأربعاء .

فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب ، فدعا الله ، فحبس الشمس حتى قدموا ، كما وصف .

قال ابن إسحاق : ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم ، وليوشع بن النون .

قال الواقدي : مكث صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة ، فدعى الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي الموسم كل عام يتبع الحاج إلى منازلهم بعكاظ ، ومجنة ، وذي المجاز ، يدعوهم إلى أن يمنعوه ، حتى يبلغ رسالات ربه ، فلم يجد أحـداً ينصره ولا يجيبه . إلى أن أراد الله عز وجل إظهار دينه ، ساقه الله عز وجل إلى هذا الحي من الأنصار ــ وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كانوا يسمون : أولاد قيلة ، والأوس ، والخزرج ــ فأسلم اثنان ، أسعد بن زرارة ، وذكوان بن عبد قيس .

فلما كان من العـام المقبل فى رجب : أسلم منهم ستة . وقيل : ثمانيـة . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى . فقالوا : يارسول الله : إنما كانت بعاث عام الأول يوم من أيامنا ، اقتتلنا به ، فإن تقدم ، ونحن كذا لايكون لنا عليك اجتماع ، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا ، وموعدك الموسم العام المقبل .

فـكان أول مسجد قرىء فيه القرآن بالمدينة : مسجد بنى زريق .

فلما كان العام المقبل لقيه اثنى عشر رجلا ، وفى الإكليل : أحد عشر . وهى العقبة الأولى ، فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء وغير ذلك . ولم يفرض يومئذ القتال ، ثم انصرفوا إلى المدينة . فأظهر الله الإسلام .

وكان أسعد بن زرارة رضى الله عنه يجتمع بالمدينة بمن أسلم .

وكتبت الأوس والخزرج إلى النبى صلى الله عليه وسلم : ابعث إلينا من يقرئنا القرآن ، فبعث صلى الله عليه وسلم إليهم مصعب بن عمير .

وقال ابن إسحاق : أرسله معهم ، وكان يسمى المقرىء . وهو أول من سمى به.

ثم قدم عليهم عبد الله ، ويقال : عامرُ بن أم مكتوم .

ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل فى ذى الحجة أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلا . وقال ابن سعد : يزيدون رجلا أو رجلين وامرتان .

وقال ابن إسحاق : ثلاثة وسبعون وامرتان .

وقال الحاكم : خمسة وسبعون نفساً فى نفر من قومهم وهم خمسمائة . فـكان أول من ضرب على يده عليه السـلام البراء بن معرور رضى الله عنه ويقال : أبو الهيثم رضى الله عنه ، ويقال : أسعد بن زرارة على : أنهم يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، وعلى حرب الأحمر والأسود .

فـكانت أول آية نزلت فى الإذن بالقتال (٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) .

وفى الإكليل (٩ : ١١١ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم) .

ونقب عليهم اثنى عشر منهم .

ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة عند إخوانهم الأنصار . وأقام بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الخروج .

ثم ذكر مغلطاى هجرة جماعة من جلة الصحابة رضى الله عنهم إلى المدينة ، ثم قال : حتى لم يبق معه عليه السلام بمكة إلا على بن أبى طالب ، والصديق رضى الله عنهما .

كذا قاله ابن إسحاق وغيره . وفيه نظر لما يأتى بعد .

فلما رأت ذلك قريش اجتمعوا ومعهم إبليس فى صورة شيخ نجدى فى دار الندوة ، يتشاورون فيما يصنعون فى أمره عليه السلام حين خافوه ، فأجمعوا على قتله . فأتاه جبريل . فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك . فأمر عليا رضى الله عنه فنام مكانه ، وغطى ببرد أخضر . فكان أول من شرى نفسه ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلم يره منهم أحد ، ونثر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رءوسهم كلهم ترابا كان فى يده .

وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، وأمره جبريل عليه السلام أن يستصحب أبا بكر رضى الله عنه واستأجر عبد الله بن الأريقط دليلا وهو على شركه ، وعامر بن فهيرة خادماً ، وذلك بعد العقبة بشهرين وليال .

وقال الحاكم : بثلاثة أشهر أو قريباً منها .

وكان مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين النبوة إلى ذلك الوقت بضع عشرة سنة . وفى ذلك يقول صرمة :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة   يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وقال عروة : عشراً . وقال ابن عباس خمسة عشر سنة .

وفى رواية عنه : ثلاث عشرة سنة .

قال الخوارزمى : ينقص يوماً واحداً .

ولم يعلم بخروجه عليه السلام إلا على وآل أبى بكر رضى عنهم . فدخل غاراً بثور جبل بأسفل مكة ، فأقام فيه ثلاثا . وقيل : بضعة عشر يوماً . فأمر الله العنكبوت فنسجت على بابه، والراة فنبتت ، وحمامتين وحشيتين فعششتا على بابه.

قال السهيلى : وحمام الحرم من نسلهما .

ثم خرج منه ليلة الاثنين لأربع ليال خلون من ربيع الأول على ناقته الجدعاء . قالت أسماء رضى الله عنهما : فمكثنا ثلاث ليال لا ندرى أين وجه النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنشد رجل من الجن شعراً سمعه الناس وما يرونه :

جزى الله رب الناس خير جزائه   رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحا   فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم   ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها   فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت   له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب   يدر لها فى مصدر ثم مورد

وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد . فمسح ضرع شاة مجهودة وشرب من لبنها وسقى أصحابه . واستمرت تلك البركة فيها . ولما مر بها قريش سألوها عنه ووصفوه . فقالت : ما أدرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحائل . فقالوا : ذاك الذى نريد .

وفى الإكليل قصة أخرى شبيهة بقصة أم معبد . قال الحاكم : فلا أدرى أهى هى أم غيرها ؟ .

فلما راحو من قديد تعرض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى ، فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه ، فطلب الأمان فأطلق ورد من وراءه .

وأقام على رضى الله عنه بعد مخرجه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ، ثم أدركهم بقباء ، وقد نزل صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم ـ وقيل : سعد بن خيثمة ـ يوم الاثنين سابع ، وقيل : ثامن عشر ربيع . وكان مدة مقامه هناك مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أو ليلتين .

وأمر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ ، فكتب من حين الهجرة .

قال ابن الجزار : ويعرف بعام الأول .

وقيل : إن عمر رضى الله عنه أول من أرخ وجعله من المحرم ، وقيل : يعلى بن أمية : إذ كان باليمن . وقيل : بل أرخ بوفاته صلى الله عليه وسلم .

وكان نزوله صلى الله عليه وسلم بقباء يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول وهو الرابع من برماه ، والعاشر من أيلول سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لذى القرنين ويقال : لاثنتى عشرة ليلة خلت منه حين اشتد الضحى ، ويقال : لهلال ربيع . ويقال فى أوله . فأقام بها أربع عشر ليلة ، ويقال : خمسا ، ويقال : أربعا ، ويقال : ثلاثا ، فيما ذكره الدولابى ، ويقال : اثنتين وعشرين ليلة . وأسس به مسجدا . وهو أول مسجد أسس فى الإسلام .

وفى كتاب ابن البرقى : قدمها ليلا ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع فى قول ابن الكلبى .

وقال ابن الجوزى : لليلتين خلتا منه . وفيهما نظر .

فجمع فى بنى سالم بن عوف ببطن الوادى .

ثم قدم المدينة . فبركت ناقته صلى الله عليه وسلم على باب مسجده ثلاث مرات ، وهو يومئذ مربد لسهل وسهيل ابنى عمرو ، يتيمين فى حجر أسعد بن زراة . ويقال معاذ بن عفراء ، فاشتراه صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير .

ونزل برحله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب لكونه من أخوال عبد المطلب

فأقام صلى الله عليه وسلم عنده سبعة أشهر ، وقيل : إلى صفر من السنة الثانية . وقال الدولابى : شهراً .

فكان أول كلمة سمعت منه عليه الصلاة والسلام « أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » .

وكان بالمدينة أوثان يعبدها رجال ، فأقبل حينئذ قومهم عليها فهدموها .

و بعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، وأبا رافع ببعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة ، فقدما بفاطمة ، وأم كلثوم ، وسودة بنت زمعة ، وأسامة بن زيد ، وأمه بركة ، المكناة : أم أيمن رضى الله عنهم .

وخرج عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما معهم بعيال أبيه .

وكان صلى الله عليه وسلم يصلى حيث أدركته الصلاة حتى بنى المسجد باللبن ، وسقفه بالجريد ، وجعل عمده خشب النخل ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باباً فى مؤخره ، و باباً يقال له : باب الرحمة ، والباب الذى يدخل منه .

وكان صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فى المسجد . فلما اتخذ صلى الله عليه وسلم المنبر ثلاث درجات بينه و بين الحائط ممر الشاة : خار عند ذلك الجذع كالبقرة أو الناقة : فنزل صلى الله عليه وسلم واحتضنه حتى سكن ، وقال « لو لم ألتزمه لحن إلى يوم القيامة » .

وكانت المدينة أوبأ أرض الله بالحمى ، فأصاب أصحابه رضى الله عنهم منها بلاء وسقم ، فدعى بنقل ذلك الوباء إلى مهيعة ، وهى الجحفة .

و بعد مقدمه بخمسة أشهر ، وقال أبو عمر : بثمانية : آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة أربعون . وقيل : مائة ، على الحق والمواساة والتوارث . وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر ﴿ ٣٣:٦ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين

إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطوراً) .

وكتب كتاباً بين المهاجرين وادع فيه يهود ، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم . واشترط عليهم ، وشرط لهم صلى الله عليه وسلم .

و بنى بعائشة رضى الله عنها على رأس تسعة أشهر . وقيل : ثمانية عشر شهراً فى شوال .

وأُرى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأذان . وقيل : كان ذلك فى السنة الثانية .

و بعد شهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة زيد فى صلاة الحضر ، لاثنى عشر خلت من ربيع الأول .

قال الدولابى : يوم الثلاثاء . وقال السهيلى : بعد الهجرة بعام أو نحوه .

وكانت الصلاة قبل الإسراء : صلاة قبل طلوع الشمس . وصلاة قبل غروبها

قال الدولابى : وروى عن عائشة وأكثر الفقهاء : أن الصلاة نزلت بتمامها .

وعلى رأس سبعة أشهر عقد صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة رضى الله عنه فى شهر رمضان لواء أبيض ، وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين . وقيل : ومن الأنصار . وقيل : فى ربيع الأول سنة اثنتين . وقيل : بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الأبواء . وقيل : بعد ربيع الآخر يعترض عيراً لقريش ، فيها أبو جهل فى ثلثمائة رجل . فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص ، فلما تصافوا حجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى .

ثم سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ فى شوال ، وتعرف : بودان ، فى ستين رجلا تلقى أبا سفيان ، وكان على المشركين . وقيل : مكرز بن حفص . وقيل : عكرمة بن أبى جهل . ورمى فيها سعد بن أبى وقاص بسهم ، فكان أول سهم رمى فى الإسلام .

وأما ابن إسحاق : فيزعم أن هذه أول راية عقدت . قال : وإنما أشكل

أمرها ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم شيعهما جميعاً .

وذكر أبو عمر : أن أول راية عقدت لعبد الله بن جحش .

ثم سرية ابن أبي وقاص إلى الخرار : واد بالحجاز نصب فى الجحفة فى ذى القعدة فى عشرين رجلا . وقال أبو عمر : كانت بعد بدر . وقال ابن حزم نحوه . وقال : كانوا ثمانية يعترض عيراً لقريش ، فخرجوا على أقدامهم فصبحوها صبح خامسة ، فوجدوا العير قد مرت بالأمس .

ثم غزوة الأبواء : جبل بين مكة والمدينة . و يقال لها : ودان ، فى صفر سنة اثنتين يعترض عيراً لقريش ، فغاب خمسة عشراً يوماً ، ولم يلق صلى الله عليه وسلم كيداً . ووادع صلى الله عليه وسلم بنى ضمرة .

ثم غزوة بواط : جبل لجهينة من ناحية رضوى بينه و بين المدينة أربعة برد فى ربيع الأول . وقيل : الآخر، فى مائتين يعترض عيراً فيها أمية بن خلف ، فرجع ولم يلق كيداً .

ثم غزا صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول يطلب كرز بن جابر الفهرى لإغارته على مرح المدينـة ، حتى بلغ صفوان من ناحية بدر فلم يلحقه . وتسمى : بدر الأولى . وذكرها ابن إسحاق بعد العشيرة بليال . قال ابن حزم : بعشرة أيام .

ثم غزا صلى الله عليه وسلم ذات العشيرة ، موضعاً لبنى مدلج بناحية ينبع فى جمادى الآخرة . وقيل : الأولى ، فى خمسين ومائة . وقيل : مائتى رجل ، ومعهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها يعترض عيراً لقريش ففاتته بأيام ، ووادع صلى الله عليه وسلم بنى مدلج . ورجع ولم يلق كيداً .

ثم سرية أمير المؤمنين المخدع فى الله ، عبد الله بن جحش رضى الله عنه . إلى نخله على ليلة من مكة فى رجب فى اثنى عشر مهاجراً . و يقال : ثمانين يترصد قريشاً ، فمرت به عيرهم تحمل زبيباً وأدماً من الطائف فيها عمرو بن الحضرمى . فتشاور المسلمون ، وقالوا : نحن فى آخر يوم من رجب ، فإن نحن قاتلناهم هتكنا

حرمة الشهر ، وإن تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة . فأجمعوا على قتلهم ، فقتلوا عمراً واستأسروا أسيرين ، وهرب من هرب . واستاقوا العير ، فكانت أول غنيمة فى الإسلام . فقسمها ابن جحش ، وعزل الخمس وذلك قبل أن تفرض . ويقال : بل قدموا بالغنيمة كلها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أمرتكم بالقتال فى الشهر الحرام » . فأخر أمر الأسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر ، فقسمها مع غنائمها .

وتكلمت قريش : بأن محمداً سفك الدم ، وأخذ المال فى الشهر الحرام . فأنزل الله تعالى (٢ : ٢١٧ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل قتال فيه كبير ، وصَدٌّ عن سبيل الله ، وكفر به،والمسجد الحرام وإخراج أهله منه : أكبر عند الله ، والفتنة : أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فَيَمُتْ وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

فلما كان يوم الثلاثاء ، الظهر نصف شعبان : حولت القبلة إلى الكعبة . وقيل يوم الاثنين بعد رجب . وفرض صيام رمضان . وزكاة الفطر قبل العيد بيومين .

وقال ابن سعد : قبل فرض زكاة الأموال . وقيل : إن الزكاة فرضت فيها . وقيل : قبل الهجرة .

ثم غزا صلى الله عليه وسلم بدر الكبرى : وتسمى : العظمى ، وتسمى : الثانية ، وتسمى : بدر القتال . يتلقى عيراً لقريش فيها أبو سفيان بن حرب ، يوم السبت لثنتى عشرة خلت من رمضان . ويقال : لثلاث خلون منه ومعه الأنصار . ولم يكن قبل ذلك خرجت معه وعدتهم ثلثمائة وخمسين ، وثمانية لم يحضروها ، إنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم فكانوا كمن حضرها .

ويقال : كانوا ثلثمائة وبضعة عشر . ويقال : وتسعة عشر . ويقال : وخمسة

عشر . ويقال: وثمانية عشر . ويقال: وأربعة عشر . ويقال : وستة عشر . معهم ثلاثة أفراس .

وكان المشركون ألفاً . ويقال : تسعمائة وخمسين رجلا ، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير .

وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان . وقيل : يوم الاثنين . وقيل : لإحدى عشرة بقيت أو لتسع عشرة خلت . ويقال : لاثنتى عشرة خلت ويقال : لثلاث خلون منه .

واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا . ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

وقتل من المشركين سبعون ، وأسر سبعون ، وانهزم الباقون . وغنم صلى الله عليه وسلم متاعهم .

وأرسل زيد بن حارثة رضى الله عنه بشيراً . فوصل المدينة يوم الأحد ضحى ، وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية ابنته صلى الله عليه وسلم .

وفودى بالأسرى بأربعة آلاف فما دونها .

سرية عمير

ثم سرية عمير بن عدى الخطمى لخمس ليال بقين من رمضان إلى عصماء بنت مروان ، زوج يزيد بن زيد الخطمى . وكانت تعيب الإسلام ، وتؤذيه صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه . فجاءها ليلا ، وكان أعمى فبعج بطنها بالسيف . وأخبره صلى الله عليه وسلم بذلك ، وقال : لا تنتطح فيها عنزان .

وفى أول شوال صلى صلاة الفطر .

غـــزوة بنى سليم

وفى أوله أيضاً ، ويقال : بعد بدر بتسعة أيام . ويقال : فى نصف المحرم سنة ثلاث . ويقال : لست خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة : خرج صلى الله عليه وسلم يريد بنى سليم ، فبلغ ماء يقال له : الكدر . ويعرف : بغزوة قرقرة . ويقال : قرارة الكدر . ويقال : نجران . فأقام عليه ثلاثا . ويقال : عشراً ، فلم يلق أحداً . ويقال : كانت غيبته خمس عشرة ليلة . وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق .

سرية أبى عفـــك

ثم سرية سالم بن عمير ، فى شوال إلى أبى عفك اليهودى . وكان شيخاً كبيراً يقول الشعر ، ويحرض على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقتله .

غزوة بنى قينقـــاع

ثم غزوة بنى قينقاع – بطن من يهود المدينة ، لهم شجاعة وصبر – وكانوا حلفاء عبد الله بن أبى ، وأول يهود نقضوا العهد وأظهروا البغى والحسد يوم السبت نصف شوال ، فحاصرهم خمس عشرة ليلة إلى هلال ذى القعدة . فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، ونزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم ، وأن له أموالهم ولهم النساء والذرية فلحقوا بأذرعات ، فما كان أقل بقائهم بها . وأخذ من حصنهم سلاحاً ، وآلة كثيرة .

قال الحاكم : هذه وبنى النضير واحدة ، وربما اشتبها على من لايتأمل .

غزوة السويق

ثم غزوة السويق ؛ لأنه كان أكثر زاد المشركين ، وغنمه منهم المسلمون يوم الأحد لخمس خلون من ذى الحجة .

وقال ابن إسحاق فى صفر ، يطلب أبا سفيان فى ثمانين راكباً ، لحلفه : أن لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمداً .

نخرج فى مائتى راكب ، وقيل : أربعين ، حتى أتى العريض ــ ناحية من المدينة على ثلاثة أميال ــ فحرق نخلا ، وقتل رجلا من الأنصار وأجيراً له ، ورأى أن يمينه قد حلت ، ففاته ورجع صلى الله عليه وسلم بعد غيبته خمسة أيام .

ثم سرية[1] .

وفى ذى الحجة صلى صلاة العيد وأمر بالأضحية .

سرية كعب بن الأشرف

ثم سرية محمد بن سلمة ، وأربعة معه إلى كعب بن الأشرف النضيرى . ويقال : النبهانى الشاعر ، لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، وكان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فقتله الله فى داره ليلا . فأصاب الحارث بن أوس ليلتئذ جراحة ، فتفل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلم تؤذه بعد . وخافت عند ذلك يهود .

غزوة غطفان

ثم غزا صلى الله عليه وسلم غطفان إلى نجد لثنتى عشرة مضت من ربيع الأول فى أربعمائة وخمسين فارساً .

قال ابن إسحاق : فى صفر ، وهى غزوة ذات آمر ، وسماها الحاكم : غزوة أنمار .

وفيها أراد دعثور بن الحارث المحاربى : الفتك به صلى الله عليه وسلم ، فمنعه الله منه ، ووقع السيف من يده ، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسلم دعثور . وقيل : كان ذلك فى ذات الرقاع . والله أعلم .

ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم بعد غيبته إحدى عشرة ليلة ، ولم يلق كيداً .

---

(١) بياض بالأصل قدر ثلاثة أسطر .

سرية القـــــــردة

ثم سرية زيد بن حارثة : فى مائة راكب إلى القردة . ويقال : بألف ـ ماء من مياه نجد ، بها مات زيد الخيل لهلال جمادى الآخرة . ذكرها ابن إسحاق قبل قتل أبى الأشرف ـ يعترض عيراً لقريش فيها صفوان بن أمية فأصابوها ، فبلغ خمسة وعشرين ألف درهم وأسر فرات ابن حيان ، فأسلم .

وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر رضى الله عنهما فى شعبان .

وقال ابن عبيدة : سنة اثنتين .

ويقال : بعد أحد ، لأن زوجها خنيس بن حذافة شهـد أحداً ، ومات فى تلك الأيام من جراحه .

وتزوج صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أم المساكين فى رمضـان قبل أحد بشهر .

غزوة أحـــــد

ثم غزوة أحد : جبل بالمدينـة على أقل من فرسخ منها ، به قبر هارون عليه السـلام . ويقال له : ذو عينين ، يوم السبت لسبع ليال خلون من شوال .

ويقال : لإحدى عشرة ليلة خلت منه . ويقال : للنصف منه .

قال مالك : كانت بعد بدر بسنة .

وعنه : كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة .

وذلك أن قريشاً تجمعت لقتاله صلى الله عليه وسـلم فى ثلاثة آلاف رجل منهم . فمنهم : سبعمائة دارع ، ومائتا فارس ، وثلاثة آلاف بعير ، وخمس عشرة امرأة . والمسلمون ألف رجل . ويقال : تسعمائة . فانخزل ابن أبى فى ثلاثمائة . ويقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لـكفرهم ، بمكان يقال له : الشوط . ويقال : بأُحُد عند التصاف .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للرماة « لا تتغيروا من مكانكم » فلما تغيروا هزموا . وقتل من المسلمين سبعون ، منهم : حمزة رضى الله عنه بحربة وحشي . وأسر سبعون . ويقال : خمسة وستون . وأصيب صلى الله عليه وسلم ، وشج جبينه وكسرت رباعيته إلى غير ذلك مماأصابه صلى الله عليه وسلم ، ولم يثبت معه صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا أربعة عشر رجلا . وقتل صلى الله عليه وسلم بيده أُبي بن خلف . وصلى الظهر يومئذ قاعداً . وانقطع سيف عبد الله بن جحش يومئذ فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عرجوناً فصار فى يده سيفاً ، ولم يزل يُتناول حتى اشتراه بغا التركى . وكذا جرى لعكاشة وسلمه بن أسلمة فى بدر .

وقتل من المشركين ثلاثة . ويقال : اثنين وعشرين رجلا .

وكان صلى الله عليه وسلم قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم .

وصلى صلى الله عليه وسلم على حمزة والشهداء من غير غسل . وهذا إجماع إلا ماشذ به بعض التابعين . ويقال : بل غسلوا .

وفى الكامل لأبى عدى : أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

ورجع النبي صلى الله عليه وسلم فى يومه آخر النهار .

غزوة حمراء الأسد

ثم غزا صلى الله عليه وسلم حمراء الأسد . وهى على ثلاثة أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة لطلب عدوهم بالأمس . ونادى صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج إلا من شهدا أُحداً . فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ودخل المدينة يوم الجمعة . وقد غاب خمساً .

وحرمت الخمر فى شوال ، ويقال : سنة أربع .

سرية قطن

ثم سرية أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد هلال المحرم إلى قطن ـ جبل بناحية فيد . وقيل : ماء من مياه بنى أسيد بنجد ـ معه مائة وخمسون رجلا لطلب طليحة ، وسلمة ابنى خويلد الأسديين فلم يجدوهما ، ووجدوا إبلا وشاء ولم يلقوا كيدا .

قال أبو عبيد البكرى : وقتل بها عروة بن مسعود .

سرية عرنة

ثم سرية عبد الله بن أنيس وحده إلى سفيان بن خالد الهذلى بعرنة ، وهو وادى عرفة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم ، لأنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنه يجمع لحربه . فقال له عبد الله : جئتك لأكون معك . ثم اغتره فقتله ، وغاب ثمان عشرة ليلة . وقدم يوم السبت لسبع بقين منه .

سرية بئر معونة

ثم سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة لبنى عامر بن صعصعة . وقيل : قرب حرة بنى سليم فى صفر على رأس ستة ثلاثين شهراً من الهجرة . وقيل : أربعون معه القراء وهم سبعون . وقيل : أربعون . وقيل : ثلاثون ، أرسلهم مع أبى براء ملاعب الأسنة ليدعو أهل نجد إلى الإسلام . فخرج عليهم عامر بن الطفيل بجمع من بنى عامر ورعل وذكوان وعصية ، فقتلوهم من عند آخرهم ، إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمرى . فكان عليه السلام يدعو عليهم فى صلاته حينا .

غزوة الرجيع

ثم سرية مرثد بن أبى مرثد الغنوى إلى الرجيع ـ ماء لهذيل بين **مكة وعسفان** بناحية الحجاز ـ فى صفر . وعدتهم : عشرة . ويقال : ستة .

وذلك أن رهطا من عضل والقارة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم من يعلمهم شرائع الإسلام . فلما كانوا بين عسفان ومكة غدروا بهم فقتلوهم إلا خبيب بن عدى . وزيد بن الدثنه . فإنهم أسروهما و باعوهما فى مكة . فقتلا بها . وصلى خبيب قبل قتله ركعتين . فكان أول من سنهما . وقيل : بل أسامة ابن زيد حين أراد المكرى الغدر به .

قلت : روى ابن عبد البر فى الاستيعاب بسنده إلى الليث بن سعد قال : بلغنى أن زيد بن حارثة اكترى من رجل بغلا من الطائف . فاشترط عليه المكرى أن ينزله حيث شاء . قال : فمال به إلى خربة . فقال : انزل ، فإذا فى الخربة قتلى كثيرة . قال : فلما أراد أن يقتله . قال له : دعنى أصلى ركعتين . قال : صل ، فقد صلاهما قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا . انتهى .

وفى الخبر : أنه نجا بعد أن قال : يا أرحم الراحمين ثلاث مرات . وليس فيه ذكر لأسامة . فتكون القصة لأبيه . ولا يعرف لأسامة فى هذا قصة . والله أعلم .

غزوة بنى النضير

ثم غزوة بنى النضير : فى ربيع الأول سنة أربع وجعلها ابن اسحاق بعد بئر معونة، والزهرى بعد بدر بستة أشهر . فحاصرهم خمسة عشر يوما . وقيل: ستة أيام . لأنهم نقضوا عهده وأرادوا قتله . فخرب وحرق ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب . فأجلاهم إلى خيبر .

غزوة بدر الصغرى

ثم غزوة بدر . الموعد ، وهى الصغرى هلال ذى القعدة . ويقال : فى شعبان بعد ذات الرقاع . وذلك : أن أبا سفيان قال يوم أحد : الموعد بيننا و بينكم بدر رأس الحول . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم .

فخرج ومعه ألف وخمسمائة وعشرة أفراس ، فأقاموا بها ثمانية أيام ، وباعوا مامعهم من التجارة ، فربحوا الدرهم درهمين . وخرج أبو سفيان ومعه ألفان حتى إذا انتهى إلى مر الظهران . وقيل : عسفان رجع ؛ لأنه كان عام جدب ، فأنزل الله تعالى فى المؤمنين (٣:١٧٤ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) .

غـــــــزوة ذات الرقاع

ثم غزوة ذات الرقاع وسميت بذلك : لأنهم رقعوا راياتهم . وقيل : شجرة تعرف بذات الرقاع . وقيل : بجبل أرضه متلونة .

وفى البخارى : لأنهم لفوا على أرجلهم الخرق لما نقبت . قال الداودى : لأن صلاة الخوف كانت فيها . فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها .

وكانت الغزوة فى المحرم يوم السبت لعشر خلون منه . وقيل سنة خمس . وقيل : فى جمادى الأولى سنة أربع .

وذكرها البخارى بعد غزوة خيبر مستدلا بحضور أبى موسى الأشعرى فيها . وفى ذلك نظر ، لإجماع أهل السير على خلافه .

ويقال : قبل بدر الموعد . وقيل : فى ربيع الأول .

وذلك : أن النبى صلى الله عليه وسلم بلغه أن أنمار بن ثعلبة قد جمع الجموع . فخرج فى أربعمائة . وقيل : سبعمائة . فوجد أعراباً هربوا فى الجبال ونسوة فأخذهن وغاب خمسة عشر يوما .

غزوة دومة الجنـــــدل

ثم غزوة دومة الجندل ــ مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبعدُها من المدينة : خمس أو ست عشرة ليلة ــ سميت بدومة ابن إسماعيل ، لخمس ليال بقين من ربيع الأول ، لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعاً كبيراً يظلمون الناس فلم

يجد بها إلا نعما وشـاه . فأصاب منهم ، وأقام بها أياما ، و بث السرايا فرجعوا ، ولم يصب منهم أحد .

ووادع صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزارى .

وكان دخوله المدينة فى العشرين من ربيع الآخر .

وماتت أم عائشة ، رضى الله عنها .

وفى ليال بقين من شوال تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة هند ابنة أبى أمية ابن المغيره . و يقال : تزوجها سنة اثنتين بعد بدر . و يقال : قبل بدر .

وفى ذى القعدة من هذه السنة تزوج ابنة عمته زينب بنت جحش . و يقال : تزوجها سنة ثلاث ، و يقال : سنة خمس .

قلت : جزم شيخنا العراقى بأنه تزوجها سنة ثلاث مع زينب بنت خزيمة . والله أعلم . انتهى .

ونزلت آية الحجاب .

وفى هذه السنة : أمر زيد بن ثابت بتعليم كتاب اليهود ، ورجم اليهودى واليهودية .

وفى جمادى الآخرة : خسف القمر وصلى صلى الله عليه وسلم صلاة الخسوف وزلزلت المدينة . وسابق بين الخيل . وقيل فى سنة ست وجعل بينهما سبقا ومحللا .

غـــــزوة المريسيع

ثم غزوة المريسيع ، ماء لخزاعة بينه و بين الفرع نحو من يوم ، و بين الفرع والمدينة نحو ثمانية برد . و يقال لها : غزوة بنى المصطلق ، وهم بنو جذيمة بن سعد بطن من خزاعة يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس .

وقال البخارى : كانت سنة ست .

وقال عقبة : كانت سنة أربع . وكان الحارث بن أبى ضرار . وكان معه

صلى الله عليه وسلم بشر كثير . ومعهم ثلاثون فرسا . وأم سلمة وعكاشة . وتكلم أهل الإفك ، وأسر من الكفار جمع عظيم .

وتزوج جويرية بنت الحارث رئيسهم حين جاءته تستعينه فى كتابتها ، فأعتق الناس ما بأيديهم من الأسرى بمكان جويرية . وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون يوما .

غزوة الخندق

ثم غزوة الخندق . وتسمى الأحزاب : فى ذى القعدة .

وقال ابن عقبة : فى شوال سنة أربع .

وقال ابن اسحاق : فى شوال سنة خمس .

وذكرها البخارى قبل غزوة ذات الرقاع .

وكان المشركون عشرة آلاف عليهم الحارث بن عوف النضرى . والمسلمون ثلاثة آلاف .

وحفر النبى صلى الله عليه وسلم الخندق فى ستة أيام بمشورة سلمان .

وتداعوا إلى البراز وأقاموا على ذلك بضع عشرة ليلة ، فمشى نعيم بن مسعود الأشجعى إلى الكفار — وهو مخف إسلامه — فثبط قوما عن قوم . وأوقع بينهم شراً لقول النبى صلى الله عليه وسلم له « الحرب خدعة » .

وأرسل الله تعالى ريحا هزمهم بها . وأقام صلى الله عليه وسلم بالخندق خمسة عشر يوما ، وقيل : أربعا وعشرين يوما . وفرغ منه لسبع ليال بقين من ذى القعدة . وقال « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا » ودخل المدينة يوم الأربعاء .

غزوة بنى قريظة

ولما انصرف ووضع السلاح جاءه جبريل عليه السلام الظهر . فقال : إن الملائكة ما وضعت السلاح بعد ، إن الله تعالى يأمرك أن تسير إلى بنى قريظة ،

فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم فحاصرهم خمسة عشر يوما : وقيل : خمسا وعشرين .
ونزلوا على حكم النبى صلى الله عليه وسلم . فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان ضعيفاً .
فحكم بقتل الرجال ، وقسم الأموال ، وسبى الذرارى والنساء . فقال عليه السلام
لقد حكمت فيهم بحكم الملك .

وفرغ منهم يوم الخميس لخمس ليال خلون من ذى الحجة ، واصطفى لنفسه
منهم ريحانة فتزوجها . وقيل : كان يطؤها بملك اليمين .

وفى هذه السنة فرض الحج . وقيل : سنة ست . وقيل : سنة سبع ، وقيل :
سنة ثمان . ورجحه جماعة من العلماء . وقيل : غير ذلك .

سرية القرطاء

ثم سرية محمد بن مسلمة فى ثلاثين راكباً إلى القرطاء من بنى أبى بكر بن كلاب
بناحية ضرية بالبكرات ، على سبع ليال من المدينة ، لعشر ليال خلون من المحرم
سنة ست ، ويقال : على رأس تسعة وخمسين شهراً من الهجرة . فلما أغار عليهم
هرب سائرهم ، وغنم منهم غنائم . وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم، ومعه ثمامة
ابن أثال الحنفى أسيراً . وكانت غيبته تسع عشرة ليلة .

غزوة بنى لحيان

ثم غزوة بنى لحيان فى مائة رجل فى ربيع الأول .

وذكرها ابن إسحاق فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من قريظة .

قال ابن حزم : الصحيح أنها فى الخامسة ، حتى انتهى إلى غران ـ وادٍ بين
أمج وعسفان ـ وهناك أصيب أهل الرجيع ، فرحم عليهم . وسمعت به صلى الله
عليه وسلم بنو لحيان فهربوا فلم يقدر منهم على أحد . فأقام يوما أو يومين يبعث
السرايا فى كل ناحية ، فأتى عسفان فبعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى كراع
الغمة ، فلم يلق أحداً فانصرف إلى المدينة . وقد غاب تسع عشرة ليلة ، وهو يقول
« آيبون تائبون ، لربنا حامدون » .

غزوة الغـــــابة

ثم غزوة الغابة ، وتعرف بذى قرد ، ماء على بريد من المدينة فى ربيع الأول .

وقال أبو عمر : بعد بنى لحيان بليـال . فأغار على المدينة عيينة بن حصن الفزارى ليلة الأربعاء فى أربعين فارسا فاستاق نعما .

وقتل ابن أبى ذر وآخر من غفار وسبوا امرأته .

وقال البخارى : كانت قبل خيبر بثلاثة أيام . وفى مسلم نحوه . وفى ذلك نظر لإجماع أهل السير على خلافهما .

فخرج عليه السلام فى خمسمائة . وقيل : سبعمائة . وخلف صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة فى ثلاثمائة يحرسون المدينة .

وصلى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف . وأقام يوماً وليلة . ورجع وقد غاب خمس ليال .

سرية غمر مرزوق

ثم سرية عكاشة بن محصن إلى غمر مرزوق ، ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد فى ربيع الأول ومعه أربعون رجلا . فغنم ولم يلحق كيداً .

سرية ذى القصــــــة

ثم سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصة موضع بينه و بين المدينة أربعة وعشرون ميلا فى ربيـع الأول ، ومعه عشرة إلى بنى ثعلبة ، وكانوا مائة ، فقتلوهم إلا ابن مسلمة . فبعث النبى صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى ربيع الآخر . ومعه أربعون رجلا إلى مصارعهم فوجد هناك رجلا أسلم حين أسر ونعما وشاء فغنموه .

سرية بنى ســـــليم

ثم سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بالجموم . ويقال : بالجموح — ناحية ببطن نخل — من المدينة على أربعة أميال فى ربيع الآخر . فغنموا نعما وشاء .

ثم أرسله أيضاً إلى العيص على أربعة أميال من المدينة فى جمادى الأولى . ومعه سبعون راكبا يعترض عيراً لصفوان بن أمية فأسر منهم ناساً ، منهم : أبو العاص بن الربيع فأجازته زوجته زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم . ورد عليه ما أخذه .

وذكر ابن عقبة : أن أسره كان على يد أبى نصير بعد الحديبية . وقد تقدم .

ثم أرسله إلى الطرف ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة فى جمادى الآخرة . ومعه خمسة عشر رجلا إلى بنى ثعلبة . فأصاب نعما وشاء .

ثم أرسله أيضاً إلى حسمى — وراء ذات القرى — فى جمادى الآخرة ، ومعه خمسمائة رجل إلى قوم من جذام قطعوا على دحية بن خليفة الطريق . فقتل فيهم زيد قتلا ذريعا ، وأصاب مغانم كثيرة . فرحل زيد بن رفاعة الجذامى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكره بكتابه الذى كان كتبه لقومه . فرد النبي صلى الله عليه وسلم ما أخذ زيد كله عليهم .

ثم أرسله إلى وادى القرى فى رجب فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد .

سرية دومة الجندل

ثم سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل فى شعبان يدعوا أهلها إلى الإسلام فأسلم أناس كثير . منهم : الأصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانياً . فتزوج ابنته تماضر . فولدت له أبا سلمة ومن لم يسلم ضرب عليه الجزية .

سرية بنى سعد

ثم سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه فى شعبان ، ومعه مائة رجل إلى بنى سعد بن بكر بفدك لتجمعهم لإمداد اليهود . فغنم نعما وشاء .

سرية أم قرمة

ثم سرية زيد بن حارثة إلى أم قرمة فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية بناحية

وادى القرى على سبع ليال من المدينة فى رمضان . فأخذها فربطها بين بعيرين حتى ماتت .

وفى مسلم : كان أمير هذه السرية أبو بكر رضى الله عنه .

سرية ابن أبى الحقيق

ثم سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع عبد الله . ويقال : سلام بن أبى الحقيق فى رمضان . وقيل : فى ذى الحجة سنة خمس . وقيل : فى جمادى الآخرة سنة ثلاث .

وقال الزهرى : بعد قتل ابن الأشرف . ومعه أربعة منهم : عبد الله بن عتبة فيما ذكره البخارى . قيل : فيه نظر . وصوابه عبد الله بن أنيس . فقتلوه فى داره ليلا بخيبر . ويقال : بحصنه بالحجاز .

سرية ابن رزام

ثم سرية عبد الله بن رواحة فى ثلاثين رجلا إلى أسير بن رزام اليهودى بخيبر فى شوال ؛ لأنه سار فى غطفان لجمعهم لحرب النبى صلى الله عليه وسلم . فقتل وقتل معه نحو ثلاثون .

سرية العرنيين

ثم سرية كرز بن جابر فى عشرين رجلا ، ويقال : جرير بن عبد الله البجلى وفيه نظر ؛ لأن إسلام جرير كان بعد هذا بنحو أربع سنين .

وقال ابن قتيبة : كان أميرهم سعيد بن زيد ، فى شوال إلى العرنيين الذين قتلوا يسار راعى النبى صلى الله عليه وسلم . واستاقوا اللقاح ، فأتى بهم — بعد قربهم من بلادهم — فقطع أيديهم وسمل أعينهم . وكانوا ثمانية . ويقال : سبعة . فأنزل الله تعالى (٥ : ٣٣ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً الآية) .

سرية أبى سفيان

ثم سرية عمرو بن أمية الضمرى ، ومعه سلمه بن أسلم . ويقال : جبار ابن صخر إلى أبى سفيان ليغتراه فيقتلاه ، بفعله مثل ذلك مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل . وفُطن بعمرو فهرب وقتل فى طريقه أربعة رجال .

غزوة الحديبية

ثم غزوة الحديبية على مقربة من مكة يوم الاثنين هلال ذى القعدة فى ألف وأربعمائة ويقال : خمسمائة وخمسة وعشرون رجلا . ويقال : ثلاثمائة . ويقال : ستمائة .

وبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى مكة رسولا ليعرفهم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأت إلا للزيارة . فاحتبسته قريش عندها . فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضى الله عنه قد قتل . فدعا الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت ، وقيل : على أن لا يفروا . وجاء سهيل بن عمرو فوادع النبى صلى الله عليه وسلم على صلح عشرة أعوام ، وأن لا يدخل البيت إلا العام القابل . ويقال : إنه كتب هذه الموادعة بيده .

وحلق النبى صلى الله عليه وسلم هناك والناس ، فأرسل الله تعالى ريحا حملت شعورهم فألقتها فى الحرم . وأقام بالحديبية بضعة عشر يوما . وقيل : عشرون يوما . ثم قفل . فلما كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح .

غزوة خيبر

ثم غزوة خيبر وبينها وبين المدينة ثمانية برد فى جمادى الأولى سنة سبع .

قال ابن اسحاق : وأقام بعد الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وخرج فى بقية منه إليها . ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهر وأيام . واستخلف

نميلة بن عبد الله الليثى . ومعه ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس . وفرق الرايات . ولم تكن الرايات إلا بها ، وإنما كانت الألوية .

وقاتل بها النبى صلى الله عليه وسلم أشد القتال . وقتل من أصحابه عدة . وفتحها الله عليه حصناً حصيناً . وقلع على رضى الله عنه باب خيبر . ولم يفعله سبعون رجلا إلا بعد جهد .

واستشهد من المسلمين خمسة عشر . وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون .

وفى هذه الغزوة : سمت النبى صلى الله عليه وسلم زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم . فقتلها صلى الله عليه وسلم ببشير بن البراء بن معرور الآكل معه . وقيل : لم يقتلها ، وأمر بلحم الشاة فأحرق .

وفيها نام صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر لما وكل به بلالا .

قال البيهقى : كان ذلك فى تبوك .

وقدم جعفر ومن معه من الحبشة .

وتزوج صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيى . وكانت عند كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق . وكانت قبل رأت أن القمر قد سقط فى حجرها . فتؤول بذلك . وقال الحاكم : كذا جرى لجويرية رضى الله عنها .

وسأل أهل فدك النبى صلى الله عليه وسلم أن يحقن لهم دماءهم ويخلوا له الأموال . ففعل فكانت خالصة له ، وقسمها نصفين : الأول : له وللمسلمين . والثانى : لمن نزل به من الوفود والنوائب .

غزوة وادى القـــــرى

ثم فتح وادى القرى فى جمادى الآخرة بعد ما أقام بها أربعا يحاصرهم. ويقال: أكثر من ذلك وصالحه أهل تيما على الجزية .

سرية بدنة

وأرسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى بدنة على أربعة أميال من المدينة فى شعبان فى ثلاثين راجلا ، فلم يلق بها أحداً .

سرية بنى فزارة

ثم سرية أبى بكر رضى الله عنه إلى بنى كلاب . ويقال : فزارة ، بناحية ضرية فى شعبان ، فسبى منهم جماعة وقتل آخرين .

سرية بنى مرة

ثم سرية بشير بن سعد إلى بنى مرة بفدك فى شعبان ، ومعه ثلاثون رجلا فقتلوا وارتث بشير .

سرية المنفعـــــة

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى إلى المنفعة ـ بناحية نجد ـ من المدينة على ثمانية برد فى مائة وثلاثين رجلا فى رمضان . فقتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد قوله : لا إله إلا الله .

وفى الإكليل : فعل أسامة ذلك فى سرية كان هو أميراً عليها سنة ثمان .

سرية يمن وجبـــــار

ثم سرية بشير أيضاً : إلى يمن وجبار ـ أرض لغطفان ـ ويقال : لفزاره وعذره فى شوال . ومعه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا بالحباب للإغارة على المدينة . فلما بلغهم مسير بشير هربوا . فغنم منهم غنائم ، وأسر رجلين فأسلما .

عمـــــــرة القضية

ثم عمرة القضية . وتسمى : عمرة القضاء ، وغزوة القضاء ، وعمرة الصلح ، فى هلال ذى القعدة . ومعه صلى الله عليه وسلم ألفان ، وساق ستين بدنة ، وأقام بمكة ثلاثة أيام .

وتزوج بميمونة بنت الحارث الهلالية بسرف ، وهو محرم .

سرية بنى سليم

ثم سرية الأحزم . الذى يقال له : ابن أبى العوجاء السلمى إلى بنى سليم فى ذى الحجة . ومعه خمسون رجلا . فأحدق بهم الكفار وقتلوهم عن آخرهم . وخرج ابن أبى العوجاء .

كتبه صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

وقدم حاطب من عند المقوقس ملك مصر ، واسمه : جريج بن مينا . وأهدى هدايا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، منها : مارية .

وأرسل صلى الله عليه وسلم الرسل إلى الملوك . فبعث ابن حذافة إلى كسرى ، فمزق كتابه ، فدعى عليه بتمزيق ملكه .

وعمرو بن العاص إلى ملكى عمان عبد وجبقر ابنى الجُلَندى ، فأسلما .

وسليط بن عمرو إلى هودة بن على باليمامة .

وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك البلقاء .

والعلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى بالبحرين ، فأسلم .

وأبا موسى الأشعرى ، ومعاذاً إلى اليمن بعد .

وعمرا الضمرى إلى مسيلمة ، وأردفه بكتاب آخر مع السائب بن العوام .

وعياش بن أبى ربيعة إلى الحارث ، ومسروح ، ونعيم بن عبد كلال .

وكتب أيضاً إلى جماعة كثيرة يدعوهم إلى الإسلام .

سرية الكديد

ثم سرية غالب إلى بنى الملوح بالكديد فى صفر سنة ثمان . فغنم غنائم .

وقال الحاكم : سنة سبع .

سرية مصـــاب

ثم سرية غالب أيضاً إلى مصاب : أصحاب بشير بفدك فى صفر ومعه مائتا رجل فقتلوا قتلى ، وأصابوا نعما .

سرية بنى عامر

ثم سرية شجاع بن وهب الأسدى إلى بنى عامر بالسبى : ماء من ذات عرق إلى وجرة ، على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة ، وخمس من المدينة ، فى أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن . فغنموا غنائم .

سرية ذات الطلاع

ثم سرية كعب بن عمير الغفـارى إلى ذات الطلاع ـ وراء ذات القرى ـ فى ربيع الأول ، ومعه خمسة عشر رجلا . فقتلهم كفار قضاعة إلا رجلا واحدا ، قيل : هو الأمير .

سرية مـــؤتة

ثم سرية مؤتة ـ من عمل البلقاء بالشام ـ دون دمشق فى جمادى الأولى . وذلك : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحارث بن عمير بكتاب إلى ملك بصرى ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف رجل . وقال : إن قتل فجعفر ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم .

فلما وصلوا إلى مؤتة وجدوا بها نحو مائة ألف رجل . فلما تصافوا قتلوا كما رتبهم النبى صلى الله عليه وسـلم . فأخذ الراية ثابت بن أقرم العجلانى إلى أن اصطلحوا على خالد بن الوليد رضى الله عنه .

قال الحاكم : فلما قاتلهم خالد قتل منهم مقتلة عظيمة . وأصاب غنيمة .

وقال ابن سعد : إنما انهزم بالمسلمين .

وقال ابن اسحاق : انحازت كل طائفة من غير هزيمة . ورفعت الأرض للنبي صلى الله عليه وسلم حتى رأى معترك القوم وأخبر به .

سرية ذات السلاسل

ثم سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل . ويقال : السلسل — ماء وراء وادى القرى ، من المدينة على عشرة أيام — فى جمادى الآخرة ، ومعه ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصارإلى جمع من قضاعة تجمعوا للاغارة ، ثم أمده بأبى عبيدة فى مائتين . فهزم الله عدوهم حين الحملة .

سرية الخبــــط

ثم سرية أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فى ثلاثمائة . فيهم : عمر بن الخطاب رضى الله عنهم. وتعرف : بسرية الخبط ، فى رجب تلتقى عيراً لقريش.

ويقال : إلى حى من جهينة بساحل البحر على خمس ليال من المدينة : وزودهم جرابا من تمر ، فلما نفذ أكلوا الخبط ، فأخرج الله تعالى لهم من البحر دابة تسمى العنبر ، فأكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيداً .

سرية خضرة

ثم سرية أبى قتادة رضى الله عنه إلى خضرة : أرض محارب بنجد فى شعبان ، ومعه خمسة عشر رجلا . فقتل منهم وسبى وغنم . وكانت غيبته خمس عشرة ليلة .

سرية بطن أضم

ثم أرسله إلى بطن أضم فيما بين ذى خشب وذى المروة — من المدينة على ثلاثة برد — أول رمضان ، فى ثمانية نفر . فلقوا عامر بن الأضبط ، فسلم عليهم بتحية الإسلام ، فقتله محلم بن جثامة . فأنزل الله تعالى (٤ : ٩٤ فتبينوا ولا تقولوا لمن

ألقى إليكم السلام لست مؤمناً) فلما وصلوا إلى حيث أمروا بلغهم خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة فساروا إليه .

ونسبها ابن اسحاق لابن أبى حدرد ومعه رجلان إلى الغابة لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن رفاعة بن قيس تجمع لحربه . فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره . وغنموا غنيمة عظيمة .

فتح مكة

ثم فتح مكة فى رمضان ، لنقض قريش العهد من غير إعلام أحد بذلك .

فكتب حاطب كتابا وأرسله مع أم سارة كنود المزنية ، فأطلع الله رسوله على ذلك ، فبعث عليا والزبير والمقداد ، فاستخرج الكتاب من قرون رأسها .

وخرج من المدينة ومعه عشرة آلاف رجل . وقال الحاكم : اثنا عشر ، يوم الأربعاء بعد العصر لعشر مضين من رمضان . فلما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد أفطر .

قال : فلما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس رضى الله عنه لأهل مكة ، فخرج ليلا راكباً بغلة النبى صلى الله عليه وسلم لكى يجد أحداً ، فيعلم أهل مكة بمجىء النبى صلى الله عليه وسلم ليستأمنوه . فسمع صوت أبى سفيان ابن حرب ، وحكيم بن حزام ، و بديل بن ورقاء فأركب أبا سفيان خلفه ، وأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة بمجى النبى صلى الله عليه وسلم .

ونادى مناديه صلى الله عليه وسلم « من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن إلا المستثنين » .

وذكرهم مغلطاى .

وطاف النبى صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان . وحوله ثلاثمائة وستون صنما ، فكلما مرّ بصنم أشار إليه بقضيبه قائلا (١٧ : ٨١ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) . فيقع الصنم لوجهه .

قال البخارى : وأقام صلى الله عليه وسلم بها خمس عشرة ليلة . وفى رواية : تسع عشرة . وفى أبى داود : سبع عشرة . وفى الترمذى : ثمان عشرة .

وفى الإكليل : أصحها : بضع عشرة ، يصلى ركعتين .

قلت : رأيت فى مدة مقام النبى صلى الله عليه وسلم بمكة غير هذا ، لأن الفاكهى روى بسنده عن أنس رضى الله عنه قال « أقمنا بمكة عشراً ـ يعنى : زمان الفتح » انتهى .

وبث صلى الله عليه وسلم السرايا خارج الحرم . وكانوا يغنمون .

وبعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد لخمس ليال بقين من رمضان إلى العزى بنخلة ، ومعه ثمانون فارساً فهدمها .

وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى صواع ـ صنم لهذيل برهط ـ على ثلاثة أميال من مكة . فهدمه .

وبعث صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأشهلى إلى مناة ـ صنم للأوس والخزرج ـ بالمشلل ، فى عشرين فارساً . فهدمها .

سرية خالد

ثم سرية خالد إلى بنى جذيمة ـ بناحية يلملم ـ فى شوال . ويعرف بيوم العميصاء ، ومعه ثلاثمائة وخمسون رجلا ، داعياً لا مقاتلا . فقتل بعضهم .

وبعث صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه ، فودى لهم قتلاهم .

غزوة حنين

ثم خرج صلى الله عليه وسلم لست ليال خلون من شوال . ويقال : لليلتين بقيتا من رمضان إلى حنين ـ واد . ويقال : مابينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف ـ سمى بحنين بن قانية بن مهلاييل .

قلت : حنين على أقل من ليلة من مكة ، وهو إليها أقرب من الطائف على

ماهو المعروف عند الناس فى حنين ، إلا أن يكون الموضع المعروف بحنين غير هذا المذكور فى هذه الغزوة ، ويكون حنين اسماً لموضعين فلاإشكال له . قاله مغلطاى والله أعلم . انتهى .

واستعمل صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضى الله عنه .

وذلك : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض وحشدوا ، وكان رئيسهم مالك بن عوف النضرى ، وله ثلاثون سنة . فوصلها صلى الله عليه وسلم مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال.

ورأى أبو بكر رضى الله عنه — وقيل : غيره — كثرة العساكر ، فقال : لن نغلب اليوم من قلة . ولما تصافوا للقتال ظاهر صلى الله عليه وسلم بين درعين وركب بغلة له بيضاء تسمى : دلدل . فشد عليهم الكفار شدة واحدة ، فانكشفت خيل بنى سليم وتبعهم أهل مكة والناس . ولم يثبت معه حين ذاك إلا عشرة . وقيل : ثمانية .

ونادى العباس رضى الله عنه بالناس فأقبلوا ، وتناول صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب ، وهو على ظهر بغلته فاستقبل بها وجوه الكفار ، فلم يبق عين إلا دخل فيها من ذلك التراب . فأنزل الله تعالى (١٧:٨ ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

واستشهد من المسلمين أربعة . وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلا . وأفضى المسلمون فى القتل إلى الذرية . فنهاهم عن ذلك .

ونادى مناديه صلى الله عليه وسلم « من قتل قتيلا فله سلبه » .

وبعث صلى الله عليه وسلم عبيداً أبا عامر الأشعرى ، حين فرغ من حنين إلى أوطاس ، لطلب دريد بن الصمة وأصحابه . فهزمهم وقتلهم . وقتل أبو عامر بعد قتله جماعة منهم . وكان فى السبى : الشيماء أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .

سرية ذى الكفين

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى ، فى شوال إلى ذى الكفين ـ صنم من خشب ، كان لعمرو بن حممة ـ فهدمه . وقدم معه من قومه أربعة مسلمين على النبى صلى الله عليه وسلم بالطائف .

غزوة الطائف

ثم غزوة الطائف فى شوال ، فمر فى طريقه بقبر أبى رغال ، وهو أبو ثقيف ، فيما يقال . فاستخرج منه غصناً من ذهب .

وحاصر صلى الله عليه وسلم الطائف ثمانية عشر يوماً . وقيل : خمسة عشر يوماً . وقيل : عشرون .

وقال ابن حزم : بضع عشرة ليلة .

ونصب عليهم المنجنيق ، وهو أول منجنيق رمى به فى الإسلام . وكان قدم به الطفيل الدوسى معه .

وتدلى ثلاثة وعشرون عبداً من سوره إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، منهم : أبو بكرة .

واستشهد من المسلمين اثنا عشر رجلا .

وقاتل النبى صلى الله عليه وسلم فيه بنفسه ، ولم يؤذن له فى فتحه .

فرجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، بعد غيبة شهرين وستة عشر يوماً . فقدم عليه وفدهم وهو بها . فأسلموا .

سرية اليمن

وبعث قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن فى أربعمائة فارس وأمره أن يطأ صدا . فقدم زياد بن الحارث الصدائى ، فسأل عن ذلك البعث فأخبر .

فقال ، يا رسـول الله ، أنا وافدهم ، فاردد الجيش وأنا لك بقومى . فردهم النبى صلى الله عليه وسلم من قناه . وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوماً فأسلموا .

واتخذ النبى صلى الله عليه وسـلم زياد مؤذناً مع بلال ، وابن أم مكتوم ، وسعد القرظ .

سرية القـــرطا

وبعث الضحاك بن سفيان الـكلابى فى آخر سنة ثمان فيما ذكره الحاكم .

وفى الطبقات : كانت فى ربيع الأول سنة تسع ، إلى القرطا . فهزموهم وغنموا .

وفى هذه السنة : أراد صلى الله عليه وسلم طلاق سودة لـكبرها ، فوهبت يومها لعائشة رضى الله عنها .

وأخذ صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر .

وعمل له منبر . فخطب عليه ، وهو أول منبر فى الإسلام .

فلما رأى صلى الله عليه وسلم هلال المحرم سنة تسع بعث المصـدقين لأخذ الصدقات .

سرية خثعم

ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم ، بناحية بيشة من مخاليف مكة فى صفر ومعه عشرون رجلا . فقتلوا منهم وغنموا .

سرية الحبشـــة

ثم سرية علقمة بن محرز المدلجى إلى الحبشـة ، فهربوا منه ، وكانت فى ربيع الآخر .

وقال الحاكم : فى صفر ، فى ثلاثمائة .

سرية القلمس

ثم سرية على رضى الله عنه : فى ربيع الآخر إلى القلمس ـ صنم طى ـ ومعه مائة وخمسون رجلا .

وقال ابن سعد : مائتان .

فهدمه وغنم غنائم . منها : سفانة بنت حاتم أخت عدى ، فمن عليها النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك : سبب إسلام أخيها .

وقال ابن سعد : الذى سباها كان خالد بن الوليد رضى الله عنه .

سرية الجباب

ثم سرية عكاشة فى ربيع الآخر إلى الجباب ـ أرض عذره و بلى ـ وقيل : أرض غطفان . وقيل : أرض فزارة وكلب ، ولعذره فيها شركة .

ثم قدم وفد بنى أسد ، فقالوا : جئنا قبل أن يرسل إلينا رسولا ، فنزلت (٤٩ : ١٧ يمنون عليك أن أسلموا) .

غزوة تبوك

غزوة تبوك ، وتعرف بغزوة العسرة ، وبالفاضحة . من المدينة على أربع عشرة مرحلة فى رجب يوم الخميس ، وكان الحر شديداً والجدب كثيراً ، فلذلك لم يُوَرِّ عنها كعادته فى سائر الغزوات .

وذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم : أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل ، وتخلف كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، من غير شك حصل لهم ، وفيهم نزل (٩ : ١١٨ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا) وأبو ذر وأبو خيثمة ثم لحقاه صلى الله عليه وسلم بعد .

ولما رأى أبا ذر قال صلى الله عليه وسلم : يمشى وحده ، ويعيش وحده ، ويموت وحده . فكان كذلك .

وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون ألفاً .

وفى الإكليل : أكثر من ثلاثين .

وقال أبو ذرعة : سبعون ألفاً ، وفى رواية عنه : أربعون ألفا .

ولما انتهى إلى تبوك وجد هرقل بحمص ، فأرسل خالد إلى أكيدر بن عبد الملك النصرانى . وقال : إنك ستجده ليلا يصيد البقر ، فوجده كذلك فأسره ، وقتل أخاه حساناً ، وصالح أكيدر على فتح الحصن .

وصالحه صلى الله عليه وسلم يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة على الجزية ، وعلى أهل جرباء وأذرح — بلدين بالشام — وأهدى له صلى الله عليه وسلم بغلة ، وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة .

وقال ابن سعد : عشرون . وبها مات عبد الله ذو البجادين رضى الله عنه .

وانصرف صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيداً ، وبنى فى طريقه مساجد .

فلما قدم صلى الله عليه وسلم فى رمضان أمر بمسجد الضرار أن يحرق ، وقدم عليه وفد ثقيف ، وتتابعت الوفود ، وسماهم مغلطاى ، ثم قال : ومن الوفود ، السباع والذئاب .

وبعث صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم الطاغية وغيرها ، فهدماها ، وأخذا مالها .

ثم حج أبو بكر ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة ، لينبذ إلى كل ذى عهد عهده ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

فلما نزل العرج أدركه على رضى الله عنه مبلغاً لا أميراً . وكان حجهم فى ذلك العام فى ذى القعدة .

وآلا صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا .

ثم أرسل صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى ربيع الأول سنة عشر .

وفى الإكليل : ربيع الآخر . وقيل : جمادى الأولى ، إلى بنى عبد المدان حران . فأسلموا .

سرية اليمن

ثم سرية على رضى الله عنه إلى اليمن فى رمضان ، ومعه ثلاثمائة رجل ، فقتل وغنم .

حجـــــة الوداع

ثم حجة الوداع . قال ابن الجزار : وتسمى البلاغ وحجة الإسلام . يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

وقال ابن حزم : الصحيح لست بقين ، ومعه سبعون ألفا . و يقـال : مائة وأر بعة عشر ألفا . و يقال : أ كثر من ذلك . حكاه البيهقى .

سرية أبنـــا

ثم سرية أسامة رضى الله عنه إلى أهل أبنا ، بالسراة ـ ناحية بالبلقاء ـ يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة، لغزو الروم مكان قتل أبيه .

وفاته صلى الله عليه وسلم

فلما كان يوم الأر بعاء : بدأ بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه ، فحم وصدع . فتوفى عليه الصلاة والسلام شهيداً حين زاغت الشمس من ذلك اليوم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول حين اشتد الضحى .

وقال ابن سعد : حين زاغت الشمس .

قال السهيلى : لايصح أن يكون وفاته يوم الاثنين إلا فى ثانى الشهر أو ثالث عشره ، أو رابع عشره ، أو خامس عشره .

واستدل على ذلك بتاريخ الوقفة فى العام العاشر . وهو دليل صحيح .

وذ كر الـكلبى وأبو مخنف أنه توفى صلى الله عليه وسلم فى الثامن من ربيع .

وقال الخوارزمى : توفى أول ربيع .

قلت : قيل : إنه توفى فى ثامن ربيع الأول ، وصححه ابن حزم ، وإلى ذلك أشار شيخنا العراقى بقوله . وقيل : بل فى ثامن بالجزم . وهو الذى صححه ابن حزم . انتهى .

ودفن ليلة الأربعاء . وقيل : ليلة الثلاثاء . وقيل : يوم الاثنين عند الزوال . قاله الحاكم وصححه .

وكانت مدة علته صلى الله عليه وسلم اثنا عشر يوماً . وقيل : أربعة عشر يوماً . وقيل : ثلاثة عشر : وقيل : عشرة أيام .

وغسله على والعباس وابنه الفضل يعينانه ، وقثم وأسامة وشقران يصبون الماء .

وغسل صلى الله عليه وسلم فى قميص من بئر يقال لها : بئر الفرس ، ثلاث غسلات بماء وسدر . وجعل على رضى الله عنه على يده خرقة ، وأدخلها تحت القميص .

وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ـ بلدة باليمن ـ ليس فيها قميص ولا عمامة .

وروى : أن واحداً منها حبرة .

وفى رواية : فى حلة حبرة وقميص .

وفى رواية : فى حلة حمراء نجرانية وقميص . وقيل : إن الحلة اشتريت له صلى الله عليه وسلم فلم يكفن فيها .

وفى الإكليل : كفن فى سبعة أثواب ، وجمع بأنه ليس فيهما قميص ولا عمامة محسوب .

قلت : ذكر شيخنا العراقى أن ماذكره الحاكم شاذ ، وأشار إلى ذلك بقوله :
وقد روى الحاكم أن قد كفن فى سبعة و بالشذوذ هنا . انتهى .

وفى حديث تفرد به يزيد بن أبى زياد . وهو ضعيف « كفن صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب : قميصه الذى مات فيه ، وحلة نجرانية » .

وحنط صلى الله عليه وسلم بكافور . وقيل : بمسك .

وصلى عليه المسلمون أفرادا . وقيل : بل كانوا يدعون و ينصرفون .

قلت : ذكر شيخنا العراقى أن هذا القول ضعيف . والله تعالى أعلم انتهى .

وقال ابن الماجشون : لما سئل كم صلى صلى الله عليه وسلم عليه صلاة ؟ . فقال : اثنتان وسبعون صلاة . كحمزة رضى الله عنه . فقيل : من أين لك هذا ؟ فقال : من الصندوق الذى تركه مالك بخطه عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها .

قال أبو عمر : ثم أخرجت ؟ لما فرغوا من وضع اللبنات التسع .

ودخل قبره صلى الله عليه وسلم العباس ، وعلى ، والفضل ، وقثم ، وشقران ، وابن عوف ، وعقيل ، وأسامة ، وأوس رضى الله عنهم .

قال الحاكم : فكان آخرهم عهداً به قثم . وقيل : على رضى الله عنهما .

وأما حديث المغيرة : فضعيف .

وكان الذى حفر له صلى الله عليه وسلم أبو طلحة ؛ لأنه كان رضى الله عنه يلحد .

وكان عمره صلى الله عليه وسلم إذ توفى : ثلاث وستون فيما ذكره البخارى . وثبته ابن سعد وغيره .

وفى مسلم : خمس وستون . وصححه أبو حاتم فى تاريخه .

وفى الإكليل : ستون . وفى تاريخ ابن عساكر : ثنتان وستون ونصف .

وفى كتاب ابن أبى شيبة : إحدى أو اثنتان ، لا أراه بلغ ثلاثاً وستين .

فصل فى أولاده صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم من الولد : القاسم . ولد قبل النبوة . ومات وله سنتان . وقيل : غير ذلك .

وفى مسند الفريابى : مايدل على أنه توفى فى الإسلام .

ثم زينب رضى الله عنها . قال الكلبى : هى أول ولده .

قال السراج : ولدت سنة ثلاثين وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها . وابن خالتها أبى العاص ، يعنى ابن الربيع .

ثم رقية رضى الله عنها : تزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه . فماتت عنده . وتوفيت رضى الله عنها والنبى صلى الله عليه وسلم ببدر .

وفى كتاب التفرد ليعقوب : مايخالف ذلك . وفيه نظر .

ثم فاطمة رضى الله عنها ، وكنيتها : أم أبيها : تزوجها على رضى الله عنهما . ولدت سنة إحدى وأربعين . وتزوجها ولها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف .

وقال ابن الجوزى : ولدت قبل النبوة بخمس سنين — أيام بناء البيت — وتوفيت بعده صلى الله عليه وسلم بستة أشهر . وقيل : غير ذلك . ولها تسع وعشرون سنة . وقيل : غير ذلك .

ثم أم كلثوم رضى الله عنها : تزوجها عثمان سنة ثلاث فى جمادى الآخرة . وتوفيت فى شعبان سنة تسع .

ثم عبد الله : وهو الطيب والطاهر . مات بمكة .

قال القاضى بن وائل : قد انقطع ولده . فهو أبتر . فأنزل الله تعالى (١٠٨ : ٣ إن شانئك هو الأبتر) .

وروى الهيثم بن عدى — وهو متهم بالكذب — أنه كان له صلى الله عليه وسلم ابن يقال له عبد العزى ، وطهره الله منه وأعاذه .

ثم إبراهيم — فمن مارية — توفى وله سبعون يوماً . وقيل : غير ذلك . وكان مولده فى السنة الثامنة من الهجرة فى ذى الحجة .

فصل فى أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم

أما أعمامه : فهم : حمزة والعباس رضى الله عنهما : أسلما . والحارث وأبو طالب ، والزبير . وعبد الكعبة ، والمقوم . ويقال : هما واحد ، وحجل ، واسمه : المغيرة ، والفيداق . ويقال : هما واحد ، وقثم . ومنهم من أسقطه ، وضرار ، وأبو لهب ، واسمه : عبد العزى ، وكنى بذلك لجماله . وصار فى الآخرة لماله.

وعماته صلى الله عليه وسلم : صفية ، وعاتكة ، وأروى : أسلمن . وفى ذلك خلاف إلا صفية ، وأميمة ، وبرة ، وأم حكيم البيضاء .

فصل فى زوجاته صلى الله عليه وسلم

نقدم اللاتى دخل بهن صلى الله عليه وسلم . وأولهن : خديجة ، ثم سودة ، ثم عائشة ، ثم حفصة ، ثم زينب بنت خزيمة ، ثم أم سلمة ، ثم زينب بنت جحش ، ثم جويرية بنت الحارث ، ثم ريحانة القريظية . وقيل : كان صلى الله عليه وسلم يطؤها بملك اليمين ، ثم صفية بنت حيى ، ثم ميمونة الهلالية .

وفى بعض هذا الترتيب خلاف .

قلت : لم أر فى سيرة مغلطاى تزويجه صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة بنت أبى سفيان ، ولعله سقط من النسخة التى رأيتها منها .

وتزويجه صلى الله عليه وسلم لها : متفق عليه .

ومن زوجاته صلى الله عليه وسلم اللاتى دخل بهن فيما قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : فاطمة بنت شريح . وذكر أنها الواهبة نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم .

نقل ذلك عنه : شيخنا العراقى . وذكر : أنه لم يجدها فى شىء من كتب الصحابة .

قال شيخنا : ولعلها التى استعاذت منه . وذكر : أنها ابنة الضحاك ، وأنها بانت عنه . والله أعلم . انتهى .

وأما زوجاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللاتى عقد عليهن أو خطبهن ، أو عرضن عليه . ولم يدخل صلى الله عليه وسلم بهن: فخمسة وثلاثون منهن : مليكة بنت كعب وقال الواقدى : دخل بها وتوفيت عنده فى شهر رمضان سنة ثمان . انتهى .

قلت : قال شيخنا العراقى : إن عدة هذه النسوة نحو ثلاثين يختلف . انتهى .

فصل فى خدامه صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم من الخدام : ثمانية وعشرون رجلاً ، أو سبعة وعشرون . ومن النساء : إحدى عشرة .

فمن الرجال : أنس بن مالك الأنصارى ، وربيعة بن كعب صاحب وضوئه ، وأبو مسعود صاحب نعليه ، وعقبة بن عامر يقود بغلته ، وبلال مولى أبى بكر ، وأبو ذر الغفارى ، وأيمن بن أم أيمن صاحب مطهرته .

ومن النساء : بركة أم أيمن هذا .

قلت : قال شيخنا العراقى : إن من خدامه من النساء : خمسة ، ذكرن فى مواليه . وبينهم شيخنا فى نظمه . انتهى .

فصل فى مواليه صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم من الموالى : ثلاثة وستون رجلا . منهم : أسامة بن زيد ، وأبوه زيد بن حارثة ، وثوبان ، وشقران ، وأبو رافع قبطى[1] ، كان على ثقله صلى الله عليه وسلم . وكذلك كركرة ، وسفينة ، وسلمان الفارسى .

فصل فى إمائه صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم من الإماء : عشر . منهم : ربيحة . ويقال : هى ريحانة السرية.

---

(١) كذا بالأصل ، وفى البداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٣١٩ : ومنهم مابور القبطى .

فصـــــل

فى خيله ، وبغاله ، وحميره ، ولقاحه ، وغنمه صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم من الخيل ؟ ثلاث وعشرون .

ومن البغال : ست . منها : واحدة أهداها إليه كسرى .

قلت : قال شيخنا العراقى : فى التى من كسرى نظر . وذلك لما عد بغاله قال : خمسة أو ست .

وذكر شيخنا خلافا فى خيله إلا سبعة فلا خلاف فيها ، وأشار إليها بقوله :

سكب ، لزاز ، طرف ، سبحة   مرتجز ، ورد ، لحيف : سبعة

وليس فيها عندهم من خلف   والخلف فى ملاوح والطرف

ومن الحمير : ثلاثة . وقيل : اثنان .

ومن اللقاح : اثنا عشر . وقيل : أربعة عشر .

ومن الغنم المعروفة أسماؤها : عشرة .

وذكر له ابن حبان : مائة شاة .

فصل فى سلاحه صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم من الرماح : أربعة . ومن القسى : ستة . ومن الأتراس : ثلاثة . ومن الأسياف : تسعة . وقيل : ثمانية . ومن الأدراع : ستة .

قلت : ذكر شيخنا العراقى : أن أدراعه : سبعة ، وأن قسيه : خمسة . انتهى .

وله صلى الله عليه وسلم سلاح غير ذلك ، وثياب وأمتعة وغير ذلك مذكور فى سيرة مغلطاى .

فصل فى كتّابه صلى الله عليه وسلم

كان له صلى الله عليه وسلم من الكتاب : اثنان وأربعون كاتباً . منهم : الخلفاء الأربعة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وزيد بن ثابت رضى الله عنهم .

قلت : ذكر الحافظ عبد الغنى المقدسى : أن معاوية وزيد بن ثابت ألزمهم لذلك ، وأخصهم به .

وذكر شيخنا العراقى : أن زيد بن ثابت أكثرهم عنه كتابة ، ثم معاوية . انتهى .

فصل فى عدد رسله صلى الله عليه وسلم

للنبى صلى الله عليه وسلم من الرسل إلى الملوك : أربعة عشر رسولا معروفة أسماؤهم . وله رسل أخر أسماؤهم غير معروفة .

ولم يذكر مغلطاى من رسله المعروفة أسماؤهم إلا أحد عشر ، وماذكرناه من عددهم : ذكره شيخنا العراقى .

فصل فى عدد أمرائه صلى الله عليه وسلم على البلاد

للنبى صلى الله عليه وسلم من الأمراء على البلاد خمسة عشر أميراً . وهؤلاء غير أمراء السرايا والبعوث ، وغير من ولى الأخماس ، والقضاء ، والصدقة ، وغير من أمّره على المدينة النبوية فى غزوة . وما ذكرناه فى عدد أمراء البلاد وذكره شيخنا العراقى ، ولم أر لغيره عناية بذلك .

وقد رأيت زيادة فى ذلك ، وهى اثنان ، وهما : معاذ بن جبل الأنصارى رضى الله عنه ، قيل : إنه ولى مكة للنبى صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى حنين ، وهبيرة بن شبل بن العجلان الثقفى ذكر ابن عبد البر عن الطبرانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم : استخلفه علىّ على مكة لما خرج إلى الطائف .

وذكر ابن عقبة ولاية معاذ على مكة . والمعروف : ولاية النبى صلى الله عليه وسلم لعتاب بن أسيد على مكة بعد الفتح حين خرج إلى حنين . والله أعلم .

فصل فى عدد مغازيه صلى الله عليه وسلم

للنبى صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون غزوة على المشهور ، فيما قال الحافظ

عبد الغنى المقدسى . وقيل : سبع وعشرون غزوة . وسبق فى هذا التأليف مايوافق هذا القول بزيادة واحدة . وسبب الزيادة : الخلاف فى بنى النضير ، وبنى قينقاع هل هما واحدة ؟ ورجحه الحاكم ، أو اثنتان .

وفى كل هذه الغزوات : خرج فيها النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وقاتل فيها فى بدر ، وأحد ، والخندق ، وبنى قريظة ، وبنى المصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

وقيل : إنه صلى الله عليه وسلم قاتل فى بنى النضير ، وفى الغابة ، ووادى القرى . والله أعلم .

فصل فى عدد بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم

عدد بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم : ستون .

وقال ابن نصر : إن ذلك فوق سبعين .

وفى الإكليل : أن البعوث فوق المائة .

قال شيخنا العراقى : ولم أجد ذا لسواه .

ومن كلام شيخنا : لخصت هذا الفصل .

فصل فى حجه وعمره صلى الله عليه وسلم

أما حجه صلى الله عليه وسلم — بعد هجرته إلى المدينة — : فواحدة فى سنة عشر ، وتعرف : بحجة الوداع .

وأما حجه قبل الهجرة : فثنتان . وقيل : أكثر ، وقيل : واحدة ، ولا يصح شىء فى عدد حجه قبل الهجرة ، ولا فى عُمَره قبل الهجرة .

وأما عمره — بعد الهجرة — : فثلاث . الأولى : عمرة الحديبية فى سنة ست . والثانية : عمرة القضية فى سنة سبع . والثالثة : عمرة الجعرانة فى سنة ثمان . وكلها فى ذى القعدة .

وقيل : إنه اعتمر مع الحج فى سنة عشر ، فتصير عمره أربعاً . والله أعلم .

فصـــــل فى أخلاقه صلى الله عليه وسلم

للنبي صلى الله عليه وسلم أخلاق شريفة جميلة .

منها : مارواه أنس عنه صلى الله عليه وسلم قال « فضلت على الناس بأربع ، بالسماحة ، والشجاعة ، وكثرة الجماع ، وشدة البطش » قالت عائشة رضى الله عنها « كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ، ويرضى لرضاه » انتهى .

وكان صلى الله عليه وسلم : يألف أهل الشرف ، ويكرم أهل الفضـل ، ولا يطوى بشره عن أحد ولا يجفو عنه ، ولا يستنـكف أن يمشى مع الأرملة والعبد ، ويحب الطِّيب ، ويكره الريح الكريهة .

وكان صلى الله عليه وسلم : يحب الحلواء والعسل ، وما عاب صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، فإن لم يشتهه تركه .

وكان صلى الله عليه وسلم : يخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم فى مهنة أهله ، إلى غير ذلك من أخلاقه الطيبة .

فصـــــل فى فضائله صلى الله عليه وسلم

للنبي صلى الله عليه وسلم فضائل عظيمة لا تحصى .

منها : أن الله تعالى أعطاه الـكوثر ، واصطفاه : بالمحبة ، والخلة ، والقرب ، والدنو ، والمعراج ، والصلاة بالأنبياء عليهم السلام ، والشهادة بينهم ، ولواء الحمد ، والبشارة والنذارة ، والهداية ، والإمامة ، ورحمة للعالمين ، وأعطى العفو عما تقدم وتأخر ، وأوتى الـكتاب والحـكمة ، وصـلاة الله والملائـكة ، وإجابة دعوته ، وإحياء الموتى ، وإسماع الصم ، والاطلاع على الغيب ، إلى غير ذلك ممـا أعد الله تعالى له فى الدار الآخرة من الـكرامة والسعادة .

فصل فى معجزاته صلى الله عليه وسلم

للمصطفى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام : معجزات باهرات . وقد سبق منها أشياء . ومما لم يسبق : نبع الماء ، وكفاية الكثير من الخلق بالقليل من الماء والطعام .

ففى البخارى من حديث جابر رضى الله عنه « نبع الماء من بين أصابعه بالحديبية فتوضئوا وشربوا منه . وهم : خمس عشرة مائة » وأطعم أهل الخندق . وهم : ألف من صاع شعير وبهمة فى بيت جابر فشبعوا وانصرفوا . والطعام أكثر ما كان ، وعند أبى نعيم « وأطعمهم أيضاً من تمر يسير لم يملأ كفيه صلى الله عليه وسلم أتت به ابنة بشير بن سعد إلى أبيها وخالها » .

ومنها : أنه أطعم فى منزل أبى طلحة ثمانين رجلاً أقراص شعير جعلها أنس تحت إبطه حتى شبعوا ، و بقى كما هو .

وعند أبى نعيم « وأطعم الجيش من مزود أبى هريرة رضى الله عنه حتى شبعوا كلهم ، ثم رد مابقى فيه . ودعا له » فأكل منه مدة حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم . فلما قتل عثمان ذهب وحمل منه نحو خمسين وسقا فى سبيل الله .

ومنها : تسبيح الحصى فى كفه . وكذلك الطعام كان يسمع تسبيحه ، وهو يؤكل .

ومنها : أنه رد عين قتادة بن النعمان بعد ذهابها . فكانت أصح عينيه وأحدّهما .

قال السهيلى : فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

إلى غير ذلك من معجزاته الكثيرة العدد . ومن أجلها : القرآن العظيم .

وله صلى الله عليه وسلم خصائص . وهى على أضرب .

الأول : الواجبات : الضحى ، والأضحية ، والوتر ، والتهجد ، وغير ذلك .

الثانى : مااختص به من المحرمات . فيكون الأجر فى اجتنابه أكثر . وهو قسمان :

أحدهما : فى غير النكاح . فمنه : الشعر والخط والزكاة وغير ذلك .

الثانى : فى النكاح وغيره : فمنه : إمساك من كرهت نكاحه . وقيل : تكرما . ونكاح الكتابية ، والأمة المسلمة وفيها خلاف .

الثالث : المباحات : فمنه : الوصال فى الصوم . واصطفاء ماأبيح له من الغنيمة قبل القسمة ، ودخول مكة بلا إحرام ، وإباحة القتال فيها ساعة ، والقضاء بالعلم والحكم لنفسه وولده وغير ذلك .

الرابع : ما اختص به من الفضائل والإكرام ، فمنه : أن أزواجه اللاتى توفى عنهن محرمات على غيره أبداً . وفيمن فارقها فى حياته أوجه . أصحها : التحريم وغير ذلك .

قال مؤلفه محمد بن أحمد الحسينى الفاسى المكى .

وهذا آخر ماأردنا اختصاره من السيرة النبوية .

وهذا أوان الشروع فى التراجم التى أشرنا إليها على الترتيب السابق ذكره .

المحمـــــــــــدون

من اسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم

١ — محمد بن أحمد بن الرضى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم .

يلقب : بالرضى الطبرى المكى الشافعى ، إمام مقام الخليل عليه السلام بالمسجد الحرام .

ولد : فى سنة عشرين وسبعمائة .

سمع من : عيسى الحجى ، وجماعة من شيوخ أخيه شيخنا محب الدين الآتى ذكره .

وأجاز له معه جماعة من شيوخه الشاميين والمصريين .

وخلف أباه فى الإمامة بالمقام فيها .

وخطب بالمسجد الحرام فى المدة التى صد عنها الضياء الحموى عن الخطابة . وهى من موسم سنة تسع وخمسين وسبعمائة إلى وصول العسكر فى جمادى الآخرة سنة ستين وسبعمائة بمكة .

ودفن بالمعلاة عن سبع وثلاثين سنة أو نحوها .

٢ — محمد بن أحمد بن الرضى إبراهيم بن محمد الطبري المكى .

أخو الرضى السابق ، شيخنا الإمام محب الدين أبو البركات إمام المقام .

ولد : سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

وأجاز له من دمشق : أبو العباس الحجار ، وأحمد بن المحب المقدسى ، وأحمد ابن الفخر عبد الرحمن البعلى ، وأيوب الكحال ، وآخرون من دمشق ومصر

يأتى إن شاء الله تعالى بعضه فى ترجمة أخيه شيخنا أبى اليمن ، والشريف أبى الفتح الفاسى .

وأجاز له من ثغر الأسكندرية : جماعة منهم : وجيهة بنت على الاسكندرية .

وسمع على : عيسى بن عبد الله الحجى صحيح البخارى . وعلى الزين الطبرى ، وعثمان بن الصفى ، وأبى طيبة محمد بن أحمد بن أمين الأقهرى : سنن أبى داود بفوت من باب التختم فى اليمين أو اليسار إلى آخرها . ثم سمعها كاملة على عثمان بمفرده .

وعلى أبى عبد الله الوادياشى : أكثر الموطأ رواية يحيى بن يحيى ، والتيسير للدانى . وعلى المعظم عيسى بن عمر بن أبى بكر الأيوبى : الأحاديث السباعية والثمانية ، تخريج ابن الظاهرى لمؤنسة خاتون بنت العادل أبى بكر بن أيوب . وغير ذلك على جماعة ، وبعض ذلك بقراءته وحدث .

سمع منه الأعيان . منهم : شيخنا القاضى جمال الدين ابن ظهيرة ، وحدث عنه وقرأت عليه ، وسمعت منه أشياء .

وخلف أخاه الرضى فى الإمامة ، ثم تركها لابنه الإمام رضى الدين أبى السعادات محمد فى أواخر عمره بنزول منه .

وخطب فى وقت نيابة عن صهره القاضى كمال الدين أبى الفضل النويرى ، وناب عنه فى العقود وعن أبيه القاضى محب الدين النويرى . ثم ترك .

وكان فيه خير وإحسان إلى جيرانه ، وكان يتأثر على تشييع الجنائز . ثم حصل له بآخرة كسر من فرس رفسته . وتعلل بذلك مدة ، ثم شفى على عرج أصابه ، صار بسببه يمشى على عصاتين .

وتوفى ليلة الأحد العشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين وسبعمائة بمكة ودفن صبيحتها بالمعلاة .

أخبرنى الإمام محب الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن الشيخ رضى الدين

الطبرى ، بقراءتى عليه بمنزله بالسويقة بمكة : أن أبا العباس أحمد بن أبى طالب الصالحى أنبأه إذناً مكاتبة .

وقرأت على مسند العصر أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقى بها و بالمسجد الحرام : أخبرنا أبو العباس الحجار سماعاً ، وأقرَّ به عن أبى إسحاق إبراهيم بن عثمان الكاشغرى ، والأنجب بن أبى السعادات الحمامى ، وثامر بن مسعود بن مطلق ، وأبى طالب عبد اللطيف بن محمد بن القبيطى ، وأبى الحسن على بن محمد بن كبه ، وأبى الفضل محمد بن محمد بن السباك ، وزهرة بن محمد بن أحمد البغدادى . قالوا : أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقى .

زاد الكاشغرى ، وأبو الحسن على بن عبد الرحمن قالا : أخبرنا مالك بن أحمد البانياسى . قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن الجبر . قال : أخبرنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى . قال : حدثنا أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحياء من الإيمان » .

أخرجه البخارى عن عبد الله بن يوسف التنيسى . وأبو داود عن عبد الله ابن مسلمة القعنبى عن مالك . وأخرجه النسائى عن هارون بن عبد الله الحمال ، عن معن بن عيسى ، وعن الحارث بن مسكين المصرى عن عبد الرحمن بن القاسم الفقيه كلاهما عن مالك ، فوقع لنا بدلا للبخارى عالياً بدرجة ، ولأبى داود بدرجتين وغالباً بدرجتين بالنسبة إلى رواية النسائى رحمهم الله تعالى .

٣ — محمد بن أحمد بن الرضى إبراهيم الطبري .

أخو الرضى والمحب المقدم ذكرها .

يكنى : أبا اليمن ، و يلقب أمين الدين .

سألته عن مولده فذكر ما يقتضي : أنه فى سنة ثلاثين وسبعمائة .

وأجاز له من مصر مع إخوانه : مسندها يحيى بن يوسف بن المصرى ، وأحمد ابن أحمد الشارعى ، وإبراهيم بن الخيمى وآخرون من أصحاب النجيب الحرانى ، وأخيه العز ، والمعين الدمشقى ، وابن عزون وغيرهم .

ومن الشام : أبو بكر بن الرضى ، وزينب بنت الكمال والحافظان البرزالى والمزى وآخرون من أصحاب ابن عبد الدايم وغيره ، يأتى ذكر بعضهم فى ترجمة شيخنا الشريف أبى الفتح الفاسى وغيره من شيوخنا .

ومن مكة : جماعة ، منهم : عيسى بن عبد الله الحجى .

وسمع منه : بعض الترمذى غىر معين .

وسمع من عثمان بن الصفى الطبرى : سنن أبى داود فى سنة سبع وأربعين .

وسمع على الزين الطبرى والأقهرى ، وابن المكرم : سنن النسائى بفوت غير معين .

وسمع على ابن المكرم : فضل رجب للقطب القسطلانى ، بسماعه منه وغير ذلك .

وعلى عثمان بن شجاع الدمياطى : سيرة الحافظ الدمياطى عنه .

وسمع عليه أيضاً : المسلسل بالأولية ، بسماعه من الدمياطى .

وعلى الفخر النويرى ، والسراج الدمنهورى : موطأ بن بكير .

وعلى أبيه الإمام شهاب الدين الطبرى ، والجمال الواسطى : مسند الشافعى .

وعلى المشايخ الأربعة : القاضى عز الدين بن جماعة ، وتاج الدين ابن بنت أبى سعد ، والشيخ نور الدين الهمدانى ، والشيخ شهاب الدين الهكارى : بعض الترمذى ، بسندهم الآتى ذكره .

وتفرد بالسماع من : الحجى والآقشهرى ، والزين الطبرى ، وعثمان الدمياطى ، وعبد الوهاب الواسطى . وتفرد بإجازتهم خلا الحجى ، وبإجازة جماعة منهم :

قاضى المدينة شرف الدين الأميوطى ، ومؤذنها الجمال المطرى ، و برهان الدين المسرورى ، وخالص البهائى ، وعلى بن عمر بن حمزة الحجار ، والحسن بن على ابن إسماعيل الواسطى ، والعلامة مصلح الدين موسى بن أمير حاج الرومى ، المعروف بملك العلماء شارح « البديع » لابن الساعاتى ، وخضر بن حسن النابتى وغيرهم وحدث .

قرأت عليه كثيراً من الكتب والأجزاء ، وسمعت منه .

وسمع منه : صاحبنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر وغيره من المحدثين . وكان مشهوراً بالخير يقصد للزيارة والتبرك . له وقع فى قلوب الناس مع الانقباض عنهم . وصحب جماعة من الفقراء والصالحين ، وعادت عليه بركتهم . وكان منور الوجه .

وأخبرنى صاحبنا الفقيه شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المرشدى عن الفقيه أبى السعود محمد بن حسين بن على بن ظهيرة الآتى ذكره أنه قال له ـ ما معناه ـ: رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم بالحطيم حول الكعبة . فقال صلى الله عليه وسلم : سلم على هذا . وأشار بيده إلى أبى اليمن الطبرى المذكور ، وهو يطوف . فإنه من أهل الجنة . أو قال « من سلم عليه دخل الجنة » هذا معنى ما حكاه لى شهاب الدين المرشدى عن أبى السعود .

وفى ذلك منقبة للشيخ أبى اليمن المذكور .

دخل أبو اليمن ديار مصر غير مرة . منها : فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة . وفيها : ولى الإمامة بمقام إبراهيم بعد أخيه المحب شريكا لابن أخيه الرضى بن المحب

وكان ينوب عن أخيه المحب فى الإمامة ، ويؤم الناس فى صلاة التراويح فى كل سنة غالباً . واستمر على ذلك حتى نزل عن الإمامة عند وفاته لابنه الإمام أبى الخير .

توفى فى تاسع عشر صفر سنة تسع وثمانمائة بمكة المشرفة ، ودفن بالمعلاة .

أخبرنى الشيخ الصالح الإمام أبو اليمن محمد بن أحمد بن الشيخ رضى الدين

الطبرى قراءة عليه وأنا أسمع : بانتخاب صاحبنا الإمام صلاح الدين خليل بن محمد الأقفهسى .

٤ — محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يعقوب بن أبى بكر جمال الدين

المعروف : بابن البرهانى ، الطبرى ، المكى ، الشافعى ، الفقيه ، المفتى .

سمع من الصفى والرضى الطبريين : صحيح البخارى . وغير ذلك على الرضى وغيره .

وتفقه على : الشيخ نجم الأصفوانى وغيره .

وأخذ الفرائض عن الشيخ عبد الله اليافعى .

ومن شيوخه فى العلم : العلامة مصلح الدين موسى بن أمير حاج الرومى ، المعروف بملك العلماء .

وكان فقيهاً فاضلاً ديناً ، صالحاً مباركاً مشهوراً بالخير .

درس بالحرم الشريف وأفتى وحدث .

سمع منه المحدث جمال الدين بن عبد الله بن حديده فى سنة سبع وأربعين وسبعمائة . وشيخنا ابن شكر بعد ذلك وغيره من شيوخنا .

وناب فى الخطابة عن التاج الخطيب الطبرى . وعن القاضى تقى الدين الحرازى .

وناب فى العقود عن القاضى شهاب الدين الطبرى ، والقاضى أبى الفضل النويرى .

توفى ظهر يوم الخميس الثانى عشر من القعدة سنة خمس وستين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاه . هكذا وجدت تاريخ وفاته بخط شيخنا ابن شكر .

٥ — محمد بن أحمد بن أحمد .

يلقب : بالجمال بن الشهاب بن الشهاب . ويعرف : بقمر الدولة .

نقلت هذا كله من حجر قبره بالمعلاة ، وترجم فيه كل من والده وجده : بالقاضى .

وفيه : أنه توفى يوم الأربعاء سابع شوال سنة ست وخمسين وسبعمائة .

٦ — محمد بن أحمد بن إدريس بن عمر أبو بكر .

ذكره ابن زبر فى وفياته .

وذكر أنه توفى فى ذى الحجة سنة سبع وستين ومائتين بمكة . ولم يذكر من حاله سوى هذا .

وماعرفت من حاله غير ذلك .

٧ — محمد بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد .

يلقب : بشرف الدين . ويعرف : بالبدماصى المصرى .

نزيل مكة .

ذكر لنا : أنه من ولد أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأنه تعدل بالقاهرة . وجلس للشهادة فى بعض الحوانيت بظاهرها . وجلس لذلك بمكة . وكتب الوثائق كثيراً ولم يحمد فى ذلك .

وسمع بمكة من : شيخنا ابن صديق وغيره من شيوخنا بمكة .

وبها توفى فى حادى عشر ذى الحجة من سنة ثمان وثمانمائة بمكة ودفن بالمعلاة بعد أن جاور بمكة نحو عشر سنين متصلة بموته . وقد جاوز الأربعين فيما أحسب .

٨ — محمد بن أحمد بن إسماعيل الدمشقى .

يلقب : شمس الدين . ويعرف : بابن الصعيدى ، وبالأحدب المقرىء .

جاور بمكة مدة سنين ، وانتصب للإقراء بالمسجد الحرام . وكان خيراً مباركا . توفى يوم الجمعة السادس عشر من جمادى الأولى سنة تسع وثمانمائة بمكة . ودفن بالمعلاة . وقد بلغ الخمسين أو قاربها .

٩ — محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن سعاد الآقشهرى .

يلقب : بالجلال ، ويكنى : أبا عبد الله وأبا طيبه .

روى عن الأستاذين : أبى جعفر بن الزبير الغرناطى ، وناصر الدين أبى على المسدالى ، وجماعة من أهل المغرب سماعاً وإجازة عن جماعة من أهل المشرق منهم : العز الفاروقى .

وسمع الكثير بالحرمين على : الصفى والرضى . ومن جماعة كثيرين . عاش منهم بعده غير واحد . وخرج لبعضهم . وله عناية كبيرة بهذا الشأن ، إلا أنه لم يكن فيه نجيباً ؛ لأن له تعاليق مشتملة على أوهام فاحشة .

وله مجاميع كثيرة ، وإلمام بالأدب ، وحظ وافر من الخير .

وقد حدثنا عنه غير واحد من شيوخنا .

وجاور سنين كثيرة بمكة والمدينة .

وبها مات فى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . وهو فى أثناء عشر الثمانين ؛ لأنه ولد سنة أربع وستين وستمائة . كذا وجدت مولده بخط الذهبى . وترجمه : بنزيل مكة .

١٠ — محمد بن أحمد بن أبى بكر بن محمد بن سالم بن إبرهيم .

وقيل : أبو بكر بن أحمد بن سالم الحرانى شمس الدين المعروف : بابن القزاز .

سمع من : عبد الأول بن على الواسطى جزءاً من حديث طلحة بن يوسف .

ومن محمد بن مقبل بن المنى : جزء ابن مقسم .

ومن ابن الخيِّر ، ويحيى بن قميره : ببغداد .

وبمصر : من ابن رواح ، وابن الحميرى ، والمرسى .

وبحلب : من الحافظ يوسف بن خليل .

وبحرّان : من المجد ابن تيمية .

وبالحجاز وديار بكر ، وحدث .

سمع منه : أبو العلاء الفرضى ، والمزى ، والبرزالى . وذكره فى معجمه وأثنى

عليه . فقال : كان من أهل القرآن وكثير التلاوة ، يتلوه فى غالب أيامه كل يوم ختمة ، متعبداً حسن السمت ، مليح الشيبة . ذا وقار وسكون .

جاور بمكة زماناً وحج مرات . وقال : قرأت داخل الكعبة ألف وثلاثمائة وأربعا وخمسين ختمة . انتهى .

وذكره الذهبى فى معجمه ، وقال : كان حفظه للحكايات والملح ، إلا أنه لا يوثق بنقله وسماعاته فصحيحة . انتهى باختصار .

وتوفى فى العشر الأخير من ذى الحجة سنة خمس وسبعمائة بمكة برباط رامشت .

ومولده بحران سنة ثمان عشرة وستمائة .

ولشيخنا محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن عوض البيطار الصالحى منه إجازة .

١١ — محمد بن أحمد بن أبى بكر الخراسانى .

أبو بكر ، الصوفى ، النجار .

نزيل بغداد .

وسمع بمكة شيئاً فى سنة أربع وخمسمائة .

وروى عنه : أبو سعد السمعانى . وقال : كان رفيقى فى سفره إلى الشام ، وخرجنا صحبته إلى زيارة القدس ، وما افترقنا إلى أن رجعنا إلى العراق . وكان نعم الرفيق ، شيخ ، صالح ، قيم بكتاب الله ، دائم البكاء ، كثير الحزن ، جاور بمكة مدة .

توفى فى ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. وله ثمانون سنة ، انتهى .

١٢ — محمد بن أحمد بن جار الله بن زائد السنبسى المكى .

يلقب : بالجمال ابن الشهاب .

ولد – فيما بلغنى – سنة ثمانين وسبعمائة .

وعنى بحفظ القرآن الكريم ، وتعلم الكتابة حتى انصلح خطه ، وصار يكتب به الوثائق لنفسه وغيره .

وعنى بالتجارة فحصل نقداً طائلا فيما قيل ، وعقاراً ، وناله تعب فى بعض الأحايين – لغناه – من الدولة .

ولما مرض مرضه الذى مات به : لقي فيه ألماً عظيما لحرارة عظيمة اعترته فى جوفه . وأقام لذلك أياماً وليالى منغمساً فى الماء ، جالساً فى قدر من نحاس يسع جزوراً فيما قيل ، وهو مع ذلك لا يستطيع شرب الماء ، وامتنع من شربه اثنى عشر يوماً ، يؤتى به إليه ينظره ولا يكاد يسيغه .

وفى مرضه هذا : طلق إحدى زوجتيه ثلاثاً ، قاصداً بذلك حرمانها الميراث من مخلفه ، وتخصيص زوجته الأخرى بذلك . وبعد وفاته : ادعى عندى وكيل شرعى لزوجته التى طلقها بما صدر منه . فأجاب وكيل الزوجة الأخرى بإنكار ماادعاه ، وقال : طلقها فى صحته . فشهد عندى جماعة من الفقهاء : بطلاقه لزوجته ثلاثاً فى حال مرضه ، قاصداً بذلك حرمان المطلقة من الميراث . فحكمت لها بالميراث من مخلفه . ورام وكيل الزوجة الأخرى دفعها عن الميراث بزعمه أن المذكور كان طلق زوجته المشار إليها ثلاثاً فى صحته ، وأن عنده بذلك بينة . فلم يفده ذلك ؛ لأن فى شرح ابن الحاجب الفرعى تحليل الجندى المالكى ما نصه :

فرع : قال الباجى : لو مات فشهد الشهود أنه كان طلقها البتة فى صحته ، فقد جعله ابن القاسم كالمطلق فى المرض ، لأن الطلاق إنما يقع يوم الحكم ، ولو لم يقع يوم الحكم لكان فيه الحد إذا أقر بالوطء وأنكر الطلاق . وهذا الذى علل به الباجى فى المدونة نحوه . انتهى باختصار .

وكانت وفاة المذكور فى أوائل النصف الثانى من يوم الجمعة الرابع والعشرين

من جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بمكة المشرفة ، ودفن بالمعلاة بكرة يوم السبت . سامحه الله تعالى .

١٣ — محمد بن أحمد بن جعفر بن على الديوانى المكي .

كان خدم عنان بن مغامس بن رميثة أمير مكة فى ولايته الثانية على مكة . وخدم غيره من أمراء مكة .

وبها توفى فى سنة ست وثمانمائة فى غالب الظن ، وإلا ففى التى بعدها . ودفن بالمعلاة .

من اسمه محمد بن أحمد بن الحسن

١٤ — محمد بن أحمد بن الحسن بن عتبة بن إبراهيم بن أبى خداش ابن عتبة بن أبى لهب القرشى الهاشمى .

هكذا نسبه ابن حزم فى الجمهرة ، وقال : ولي الصلاة بمكة . انتهى .

ومراد ابن حزم بذلك : الإمامة بالمسجد الحرام ، والله أعلم .

١٥ — محمد بن أحمد بن الحسن السجزى ، أبو عبد الله المكى المقرى .

ويعرف : بجو بكار .

روى عن : الحافظ أبى موسى المدينى وغيره .

سمع منه : ابن أبى الصيف .

وحدث بالحرمين ، وجاور بها حتى مات .

ذكره ابن الدبيثى فى تاريخ بغداد . فإنه لم يذكر متى كانت وفاته ولا محلها وما عرفت وقتها ، إلا أنه كان حياً فى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، لأن سليمان ابن خليل العسقلانى قرأ فيهما عليه رواية حفص عن عاصم ، وأجاز له . كذا ذكر ابن مسدى فى معجم شيوخه .

وهو معدود فى مشيخة الحرم بمكة ، وبها توفى . لأنى وجدت بالمعلاة حجراً ملقى مكتوب فيه : هذا قبر الشيخ الصالح الإمام فخر الدين محمد بن أحمد بن حسين يعرف بجو بكار السجزى رحمه الله تعالى وهو المذكور .

وتسمية جده : بحسين فى هذا الحجر تخالف ما ذكرناه أولا ، والله أعلم بالصواب .

١٦ — محمد بن أحمد بن الحسن بن الزين محمد بن عبد الله بن أحمد ابن محمد القسطلاني المكى ، الحنفى .

يلقب : بالجمال .

سمع بمكة : من الشيخ جمال الدين الأميوطى ، وعبد الله النشاورى وغيرهما .

وسمع بمصر : من بعض شيوخنا بالسماع ، وبالشام من بعض شيوخنا بالإجازة وأظنه سمع بمكة من عبد الرحمن بن الثعلبى .

وله اشتغال بالعلم ونباهة . وكتب بخطه عدة كتب ، وكتب الوثائق أيضاً .

توفى فى حادى عشر ذى الحجة سنة إخدى وثمانمائة بمنى ، ودفن بالمعلاة فى صبيحة اليوم الثانى فى مقبرة أسلافه ، وقد بلغ الأربعين أو قاربها .

١٧ — محمد بن أحمد بن سالم بن ياقوت المكي .

المؤذن بالحرم الشريف .

سمع من : عيسى الحجى به ، والزين الطبرى .

ومات فى حياة أبيه فى عشر السبعين وسبعمائة بالقاهرة بالخانقاة الصالحية . سعيد السعداء . سامحه الله تعالى .

١٨ — محمد بن أحمد بن أسعد ، الإمام أبو عبد الله بن الفراء المعافرى ، الأندلسى ، الجيانى ، المقرىء .

أخذ القراءات عن مكى بن أبى طالب ، وقرأ عليه جماعة .

ومات بمكة سنة تسع وستين وأربعمائة بعد الحج والمجاورة .

ذكره الذهبي في طبقات القراء وتاريخ الإسلام ، ومنها لخصت هذه الترجمة .

١٩ — محمد بن أحمد بن سعيد بن فرقد أبو عمرو المخزومي

مؤذن مسجد جدة .

عن : عمر بن حفص البصري .

وعنه : ابن الأعرابي في معجمه .

٢٠ — محمد بن أحمد بن أبي سعيد المكي .

أظن ظناً غالباً : أن المكي اسم لا صفة . وعليه قد لا تكون الترجمة هذه من شرط كتابنا هذا . فيحرر .

الإمام أبو الفرج الأعرجي ، شمس الأئمة ، الخطيب ، الفقيه ، الحاسب ، المدرس ، المفتي ، المناظر ، الواعظ ، الرئيس ، المقدم ، ذو المحاسن العديدة .

وكان شيخ العلماء بخوارزم غير منازع ، أكثر من خمسين سنة .

وكان مائلا إلى الحديث .

سمع من : شيخ القضاة إسماعيل بن البيهقي ، ومن الزمخشري وغيره .

وكان ثقة عدلا .

مات في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وتزاحموا على سريره ، وجاوز الثمانين .

نقلت هذه الترجمة هكذا من خط الحافظ الذهبي ، فيما انتقاه من المجلد الأول من تاريخ خوارزم للحافظ الرحال محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي . وذكر أنه نحو من ثمان مجلدات كبار . انتهى .

٢١ — محمد بن أحمد بن سنان بن عبد الله بن عمر بن مسعود العمرى ، المكى .

كان من أعيان القواد العمرة .

توفى فى آخر سنة أربع ، أو فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة مقتولا فى الحمام بمكة ، قتله بعض الأشراف .

٢٢ — محمد بن أحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشى المخزومي ، المكى .

الخطيب كمال الدين أبو الفضل بن قاضى مكة وخطيبها شهاب الدين .

ولد فى حادى عشر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبعمائة بمكة .

وسمع بها على الفقيه خليل المالكى : جانباً معيناً من آخر الموطأ ، رواية يحيي ابن يحيي . وعلى القاضى عز الدين بن جماعة : منسكه الكبير على المذاهب الأربعة والأربعين التساعية له ، وجزء ابن نجيد ، والبردة للبوصيرى عنه إجازة . وعلى ابن جماعة ، والقاضى موفق الدين عبد الله الحنبلى : مسند عبد بن حميد بفوت ، وعلى محمد بن أحمد بن عبد المعطى : صحيح ابن حبان .

وأجاز له من مصر : ابن القطروانى ، وابن الرصاص ، والجزائرى ، وناصر الدين الفارقى ، وناصر الدين التونسى ، وفتح الدين القلانسى ، وآخرون .

ومن دمشق : عبد الله بن قيم الضيائية وآخرون .

وحدث بمسموعاته أو أكثرها ، و بأشياء كثيرة عن شيوخه بالإجازة .

وناب فى الخطابة بمكة عن أبيه ، وعن القاضى عز الدين النويرى . وباشر فى الحرم . وأضر بأخرة سنين ، وكان دائم الدهر ملازماً لبيته ، كافياً للناس خيره وشره .

وتوفى فى آخر ليلة الأحد خامس صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة .

من اسمه محمد بن أحمد بن عبد الله

٢٣ — محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن إبراهيم .

قاضى مكة : جمال الدين بن الشيخ محب الدين الطبرى المكى الشافعى . يكنى : أبا عبد الله ، وأبا محمد ، وأبا أحمد .

ولد يوم السبت سادس صفر سنة ست وثلاثين وستمائة بمكة .

وسمع بها من ابن أبى حربى : صحيح البخارى . ومن شعيب الزعفرانى ، وابن الجميزى : الأربعين الثقفية ، والأربعين البلدانية للنسفى . وعلى ابن الجميزى : معجم الإسماعيلى ، وسنن الشافعى رواية المزنى ، وغير ذلك . وعلى جماعة .

وحدث ، وأفتى ، ودرس .

وله تآليف ، منها : التشويق إلى البيت العتيق فى المناسك ، ونظم كفاية المتحفظ فى اللغة . وله نظم حسن .

وناب فى الحكم بمكة عن قاضيها عمران بن ثابت الفهرى .

ثم ولى قضاءها بعد عمران فى صفر سنة ثلاث وسبعين وستمائة .

ثم عزل نفسه سنة خمس وسبعين .

ثم جاء أمر الملك المظفر صاحب اليمن بعوده فى سنة ست وسبعين .

واستمر حتى مات فى غالب الظن ، وولايته لبعض هذه المدة محققة .

وقد أثنى عليه غير واحد . منهم : البرزالى ، لأنه ترجمه : بالقاضى ، العلامة . قال : وكان فقيهاً فاضلا ، وله شعر جيد . ومنهم : الحافظ الذهبى ، لأنه قال : كان متقناً للفقه والعربية. ومنهم : أحمد بن أيبك الدمياطى ، لأنه قال : كان فاضلا فى علوم وترجح على والده .

وذكر أنه توفى فى ذى القعدة سنة أربع وتسعين وستمائة .

وهكذا ذكر وفاته البرزالى نقلاً عن الشيخ عبد الله بن خليل المكى . وذكر أنه توفى بمكة ، وأنه كان قاضياً بها مدة سنين . انتهى .

وأرخ وفاته بهذه السنة الذهبي فى العبر ، وفى تاريخ الإسلام ، إلا أنه قال فى تاريخ الإسلام : مات فى ذى القعدة أو قبلها بعد أبيه بيسير . وقال فيه أيضاً : أصابه فالج جده .

وجزم فى العبر بوفاته قبل أبيه ، وتبعه على ذلك الإسنائى فى طبقاته ، وهو وهم منهما . لأنى وجدت بخط القاضى نجم الدين بن القاضى جمال الدين الطبرى المذكور كتاباً ذكر فيه : أن المظفر صاحب اليمن زاد جده المحب الطبرى والد المذكور فى معلوم التدريس فى المدرسة المنصورية بمكة . ولم يزل ذلك مستمراً إلى أن مات أخذها الولد كذلك . والدلالة من هذا الكلام على أن المذكور توفى بعد أبيه ظاهرة .

أنشدنى القاضيان أبو محمد بن أحمد بن عبد العزيز ، وأبو العباس أحمد بن أبى عبد الله القرشيان إذناً بخطهما عن القاضى نجم الدين محمد بن القاضى جمال الدين محمد بن الشيخ محب الدين الطبرى ، إجازة إن لم يكن سماعاً .

قال : أنشدنا والدى لنفسه قصيدة نبوية أولها :

أنخ أيها الصادى الشديد ظماؤه ... ورد منهلا أحلا من الشهد ماؤه
وسل عند باب المصطفى أى حاجة ... أردت وما تهوى ، فرحب فناؤه
ولاتخش إذ أصبحت جاراً لمن غدا ... كفيلاً بأمن الخائفين التجاؤه

ومنهـــا :

ليهنك ياقلبى فذا ثَمرُ المـنى ... بســاحة خير المرسلين اجتنــاؤه
و بشراك يا من حل فى ذاك الحمى ... و بل غليلا وانجلت برحاؤه
فيا قاصـــدنه قم أمام ضريحه ... وحسبك فخراً أن حواك إزاؤه
وقبل، وضع فى الترب خدك خاضعاً ... ولذ عائذاً واطلب وسل ماتشاؤه

فنى ذلك النادى منى كل آمل ... وفيه لمن وافى عليلا شفاؤه
لعمرك قد حلت مفاخر أحمد ... ونمت أياديه وعم ثناؤه
ولم لا وهذا المجتبى من ذرى العلا ... وبيت لمحض المكرمات بناؤه
خلاصة عز من لؤى بن غالب ... وجوهر إفضال تبدّا صفاؤه
تغذى لبان المجد طفلاً فأصدرت ... موارده ما كان منه ارتواؤه
سما فى سمٰوات السمو فأشرقت ... شموس سناه واستبان بهاؤه

٢٤ — محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد المعطى بن مكي بن طراد الأنصارى ، المكى ، جمال الدين .

يكنى : أبا الفضائل ، وأبا عبد الله ، المعروف : بابن الصفى .

ولد فى سادس صفر سنة اثنتين وسبعمائة بمكة .

وأجاز له من شيوخها فى سنة ثلاث وسبعمائة : أمين الدين بن القطب القسطلانى ، والشرف يحيى بن محمد بن على الطبرى ، وتفرد بإجازتهما وغيرهما من شيوخ مكة وغيرها .

وسمع بها على الفخر التوزرى : الموطأ ، رواية يحيى بن يحيى ، ورواية أبى مصعب وصحيح مسلم ، وجامع الترمذى ، والشمائل له ، والملخص للقابسى ، والشفا للقاضى عياض ، والثقفيات ، والخلعيات ، والقبلانيات ، والقصائد الوترية لابن رشيد عنه ، ومشيخة ابن الحميرى ، والفوائد المدنية من حديثه عنه . وعلى جده لأمه الصفى الطبرى — و به عرف — وأخيه الرضى : صحيح البخارى ، وصحيح ابن حبان ، خلا من قوله : ذكر البيان بأن عند وقوع الفتن على المرء محبة غيره مايحبه لنفسه، إلى آخر الكتاب . فعلى الرضى فقط وعليهما : الثقفيات ، والسادس ، والسابع ، والثامن من المحامليات ، وثانى حديث سعدان ، وجزء سفيان بن عيينة .

وراجع الإعراب للنسائى ، وفوائد العرائس للنقاش وغير ذلك .

وعلى الرضى فقط جامع الترمذى بفوت ، وتاريخ مكة للأزرقى وغير ذلك .

وعلى أبى عبد الله بن محمد بن على بن قطرال ، وأبى عبد الله محمد بن محمد بن حريث : كتاب الشفا للقاضى عياض .

وعلى فاطمة وعائشة بنتى القطب القسطلانى : سداسيات الرازى وغير ذلك .

وعلى الرضى على بن بجير الشيبى : فضل رمضان لأبى اليمن بن عساكر ، وغير ذلك على جماعة آخرين .

وحدث بكثير من مسموعاته . وتفرد منها بأشياء .

سمع منه جماعة من شيوخنا . منهم : الحافظان العراقى ، والهيثمى ، ونور الدين الفوى ، وابن شكر ، ووالدى ، والقاضى جمال الدين بن ظهيرة وجماعة .

وكان رجلا صالحاً ديناً . ولزم الشيخ عبد الله اليافعى مدة ، وأخذ عنه الفرائض ، وبرع فيها . واشتغل بالفقه كثيراً ، ولم يتميز فيه .

توفى فى تاسع عشر شهر رجب ، سنة ست وسبعين وسبعمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة .

٢٥ — محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد القاشانى

الفقيه أبو زيد ، المروزى ، الشافعى .

روى عن محمد بن يوسف الفربرى : صحيح البخارى . وحدث عنه بمكة .

وجاور بها سبع سنين .

وسمع من : أصحاب على بن حجر .

روى عنه : الدارقطنى وغيره .

وأخذ الفقه عن : أبى إسحاق المروزى . وعنه أخذ القفال المروزى .

قال الخطيب : كان أحد أئمة المسلمين ، حافظاً لمذهب الشافعى ، حسن النظر ، مشهوراً فى الزهد والورع .

توفى يوم الخميس ثالث عشر شهر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة بمرو ، قاله أبو نعيم .

ومولده سنة إحدى وثلاثمائة ، انتهى .

وما ذكرناه من مجاورته بمكة سبع سنين ذكره صاحب المرآة نقلا عن الخطيب البغدادى ، ولم أره فى تاريخه . وكذلك ذكره أيضاً الإسنائى .

٢٦ — محمد بن أحمد بن عبد الرحمن القرشى

العلامة الكبير ، شمس الدين ، المعروف : بابن خطيب بيرود ، الدمشقى ، الشافعى .

ولد سنة إحدى وسبعمائة .

سمع على ماذكر من الحجار ووزيره : صحيح البخارى .

وتفقه على فقيه الشام البرهان بن الفركاح وغيره .

وأخذ الأصول عن : الشيخ شمس الدين الأصبهانى ، شارح مختصر ابن الحاجب وكانت له فيه يد طولى مع معرفة جيدة بالفقه والأدب .

وأفتى ودرس بمشهد الإمام الشافعى رضى الله عنه ، بالقرافة و بالجامع الحاكمى ، بعد الشيخ شمس الدين بن اللبان .

ثم ترك ذلك للشيخ بهاء الدين أحمد بن الشيخ تقى الدين السبكى . وعوضه عنه أخوه القاضى حسين بن القاضى تقى الدين السبكى بدرس الشامية البرانية ظاهر دمشق . فباشرها مدة سنين ، ثم تركها .

وتوجه إلى الحجاز فى موسم سنة ستين وسبعمائة .

وجاور بمكة نحو ثلاث سنين ، على ما أخبرنى به بعض أقاربه .

وكان جاور بها قبل ذلك فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة . ثم توجه إلى مصر ، ثم عاد إلى مكة وجاور بها ، ثم عاد إلى مصر ، ثم توجه إلى مكة .

وقد ولى قضاء المدينة بعد الحكرى . وباشره نحو سنتين ثم عاد إلى مصر بعد الحج من سنة ثمان وستين . وولى بها تدريس مدرسة أم الملك الأشرف صاحب مصر . ثم توجه إلى دمشق فى سنة إحدى وسبعين . وعاد فى آخرها إلى تدريس الشامية البرانية بعد موت القاضى تاج الدين السبكى . واستمرت معه حتى مات .

وكان سئل فى تركها لمن فيه أهلية وافرة من جهة العلم على عوض . فتوقف تورعا .

وكانت وفاته فى سادس عشر شوال سنة سبع وسبعين وسبعمائة بدمشق ، ودفن بباب الصغير . سامحه الله تعالى .

٢٧ — محمد بن أحمد بن عبد الرحمن

الدمشقى الأصل ، **المدنى المولد** والدار ، الشافعى الإمام ، المفنن ، أبو الفضائل جمال الدين . المعروف : **بابن الشامى** .

سمع بالمدينة من : العفيف المطرى ، وتخرج به ، وبدمشق من عمر بن أميلة . وبمصر من جويرية بنت الهكارى وغيرها . وله عناية بهذا الشأن . وكتب فيه طباقا عديدة .

وأخذ الفقه عن : العلامة عماد الدين إسماعيل بن خليفة الجبانى بدمشق ، وأذن له فى الإفتاء والتدريس .

وكان فاضلا فى فنون ، وله خط حسن .

وتوفى فى يوم الثلاثاء فى نصف صفر سنة تسع وسبعين بمكة . ودفن بالمعلاة ، ولم يكمل الأربعين .

٢٨ — محمد بن أحمد بن الوجيه عبد الرحمن بن عبد المعطى بن مكي ابن طراد الأنصارى ، الخزرجى ، المكى .

المعروف : بالوجيه . وهى شهرة جده .

سمع على الشيخ خليل المالكى وغيره بمكة .

وتوفى بها فى أوائل شعبان سنة ست وثمانمائة ، ودفن بالمعلاة عن أربع وثمانين سنة . لأنه ولد فى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، على ما أخبرت به عنه ، وكان يدعى بآخره سناً أعلا من هذا . والله أعلم .

٢٩ — محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله ، الهاشمي ، العقيلى .

قاضى مكة ، وخطيبها ، وعالمها ، كمال الدين أبو الفضل ، النويرى ، الشافعى .

ولد ليلة الأحد مستهل شعبان سنة اثنين وعشرين وسبعمائة بمكة .

وسمع بها من جده لأمه القاضى نجم الدين الطبرى : بعض السيرة لابن إسحاق تهذيب ابن هشام .

وأجاز له ومنه القاضى زين الدين الطبرى ، وعيسى الحجى ، وغيرهما : جامع الترمذى . وعلى الحجى : صحيح البخارى ، فى سنة ثلاث وثلاثين .

وبالمدينة من الزبير الأسوانى : الشفا للقاضى عياض ، وغير ذلك على غيرهم بالحرمين . كما سيأتى فى ترجمة أخيه القاضى نور الدين النويرى .

ثم رحل فى طلب العلم . فسمع بدمشق من مسندها أحمد بن على الجزرى : جزء آدم بن أبى إياس . وعلى الحافظ أبى الحجاج المزى : مجلسا من أماليه ، فيه حديث « الأعمال بالنيات » . ومقطوعان له أحدهما : فى ثواب عيادة المريض . والآخر : فى مذاكرة العلم .

وحدث عنه بصحيح البخارى سماعا ، خلا فوتاً شملته الإجازة . وعلى القاضى

شمس الدين محمد بن أبى بكر النقيب : الأربعين الحديثية ، لشيخه شيخ الإسلام محيي الدين النواوى، عنه .

وتفقه عليه ، وعلى قاضى دمشق العلامة تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى .

وأخذ العلم أيضاً عن : التاج المراكشى بدمشق .

وبمكة عن : الشيخ جمال الدين بن هشام ، أخذ عنه العربية .

والشيخ ولى الدين المعروف بالمنفلوطى ، أخذ عنه فنوناً من العلم ، وانتفع به فى ذلك كثيراً ، وبالتاج المراكشى .

وحصل من العلم على أوفر نصيب ، رقى به أعلا الذروة ، واشتهر ذكره ، وبعد صيته ، وصار المنظور إليه ببلده ، بل بالحجاز كله ، ودرس ، وأفتى ، وناظر ، وحدث .

وناب فى الحكم عن خاله القاضى شهاب الدين الطبرى .

ثم ولى قضاء مكة بعد صرف القاضى تقى الدين الحرازى ، فى أثناء سنة ثلاث وستين وسبعمائة . وباشر ذلك من استقبال رمضان هذه السنة . واستمر على ذلك حتى مات .

وولى مع ذلك خطابة الحرم ونظره .

وكان يعبر عن نظره فيما مضى بمشيخة الحرم وحسبة مكة ، وتدريس الثلاثة مدارس التى لملوك اليمن بمكة . وهى المنصورية ، والمجاهدية ، والأفضلية . وهو أول من درس بالأفضلية .

وكان يسكن بها ، وإليه نظر هذه المدارس .

وولى تدريس درس بشير الجمدار مشافهة منه . ودرس الحديث لوزير بغداد . ودرس الفقه للملك الأشرف شعبان ، صاحب مصر . ولم تجتمع هذه الوظائف لأحد قبله من قضاة مكة . وبعضها لم يكن إلا فى زمنه .

واستمر على ولايته لجميع ذلك إلى أن مات . إلا أنه صرف عن المدارس قبيل وفاته ، ولم يصل الخبر بذلك إلا بعد مماته .

وكان السبب الأعظم فى عزله عن المدارس : أنه منع القاضى زكى الدين الخروبى تاجر الخواص السلطانية بالديار المصرية ، إذ كان مجاوراً بمكة فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة من تحصيب المسجد الحرام . وقال له : لا يكون هذا إلا من مال السلطان ، يعنى : صاحب مصر .

وعارضه أيضاً فى غير ذلك من مراده بمكة ، فشق ذلك على الخروبى كثيراً وأحب إيذاء المذكور ، وما وجد إلى ذلك سبيلا إلا من جهة المدارس بمكة ، وأمرها لصاحب اليمن . وكان إذ ذاك الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس ابن المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول.

وكان للخروبى عند الأشرف مكانة لقيامه بمصالحه فى التجارة وغيرها بمصر . ولما عرف الأشرف رغبته فى ذلك : عزل المذكور عن ذلك .

وكان قبل ذلك وشى إليه بعض الناس بهذا القاضى . فما قبل فيه قول الواشى ، وكتب إليه بخطه يقول له : أنت على نظرك وتدارسك ، لا يقبل فيك نقل ناقل ، كيف والقول فيه مكذوب . هذا معنى مابلغنى من كتابة الأشرف إلى القاضى .

وكان يصل إليه من الأشرف صلة طائلة فى موسم كل سنة ، بسبب خطبته له بمكة ، وقيامه بالهدى عنه بمنى ، وهدية يهديها القاضى إليه .

وبلغنى : أنه وصل إليه من الأشرف بسبب ذلك فى بعض السنين سبعة وعشرون ألف درهم . وما ظفر بذلك من صاحب اليمن قاض بعده . وغاية ماظفر به بعضهم نحو ثلث ذلك وأقل .

ثم انقطع ذلك مع ما كان يصل لأمير مكة والمؤذنين ، وما جرت به العادة من مدة خمس سنين متوالية ، أولها : سنة أربع عشرة وثمانمائة ، لتغير صاحب

اليمن الملك النـاصر أحمد بن الأشرف على صاحب مكة . وكان أميراً بمكة فى عصر عجلان وابنه أحمد يراعيانه كثيراً ، لتحققهما أن له عند المصريين قدراً خطيراً وكان يراعيهما فيما ليس فيه ملامة ، لأنهما سألاه فى الخطبة بمكة لصاحب العراق شيخ أويسى لما وصلهما منه هدية سنية ، ففعل ذلك وقتاً ، ثم ترك ذلك حتى الآن.

وكان يقول لولاة الحكم بمكة أمر أهل الحرم إلى ، فلا يعرضوا لهم بحكومة ، ويكفهم عن ذلك كثيراً . فعز أهل الحرم عند الدولة بذلك .

وكان السيد أحمد بن عجلان يتردد إليه كثيراً لما يعرض لهمن الحوائج عنده ، فيجتمعان بأسفل الأفضلية ، وربما أمر القاضى باطلاعه إليه إلى مجلسه بوسط الأفضلية ، فيفعل ذلك السيد أحمد بن عجلان بمشقة عظيمة لثقله باللحم . وأثر ذلك فى نفسه شيئا مع تأثيره من معارضة القاضى له فى بعض مقاصده ، وحمله مافى نفسه من الأثر على : أن مكن بعض الناس من الإساءة بالقول على القاضى بحضرتهما وحضرة ملأ من الناس . فعرف القاضى : أن ذلك أمر صنع بليل ، وأنه عليه كثير الميل . فألزم نفسه الصبر ، ليفوز بمـا فيه من الأجر ، وكان على الأداء صبوراً ، وعند الناس مشكوراً ، ولم يكن يطمع بوظيفة القضاء فيما مضى .

وبلغنى : أنه قال للنجاب حين جاءه مبشراً بذلك : المراد غيرى — يعنى الحرازى — لأنه ظن أن الذى مع النجاب استمرار الحرازى . فما كان إلا له ، وصدق بذلك مابشره به خطيب دمشق جمال الدين محمود بن جملة ، لأنه كان قال له فى حياة خاله : بينا أنا بين الركنين خطر لى أنك تـكون قاضياً بمكة ، فاستبعد ذلك لضعف حاله ، فلما مات خاله جاءه كتاب المذكور من دمشق يقول له فيه : بلغنا موت القاضى شهاب الدين الطبرى ، وصلينا عليه صلاة الغائب ، وما كان لك سوف يصلك على ضعفك وإن كرهت ، أوقال : وإن عجزت . هذا معنى ما بلغنى من كتابه .

وأول ماسعى له فى الخطابة بمكة ، وكتب له محضراً ليقف عليه من له الكلام

فى الولاية فيعرف أهليته لذلك ، وكتب فيه جماعة من جلة علماء الديار المصرية — إذ ذاك — وهم : الشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب صاحب مختصر الكفاية ، والشيخ جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى صاحب المهمات وغيرها ، والشيخ بهاء الدين بن الشيخ تقى الدين السبكى ، وهو المحرك لهذه القضية .

ولما سعى له فى الخطابة عند من له الكلام ، قال : إن كان يصلح لجميع الوظائف فيولاها . فعرف بأهليته لذلك ، فأشار بولايته لجميع ذلك ، فتم ذلك .

وكان ذا يد طولى فى فنون من العلوم مع الذكاء المفرط والفصاحة والإجادة فى التدريس والإفتاء والخطبة ، ووفور العقل والجلالة عند الخاصة والعامة . ومع ذلك فهو كثير التواضع مع الفقراء وأهل الخير ، مكرماً لهم . وحصل له بذلك خير كثير ولأولاده .

وكان كثير المروءة والمكارم ، لأنه كان يخدم الأعيان الواردين إلى مكة بما يليق بجلالهم ، وربما هادى بعضهم إلى بلده .

وكان يديم البر لجماعة من أقاربه وغيرهم من أهل الخير .

وكان يقوم بكلفة كثير ممن يسافر معه إلى الطائف و إن كثروا ، وتكرر ذلك منه مرات .

وقام أيضاً عمن سافر معه إلى المدينة النبوية بكثير من الكلف ، وآخر قدماته إليها فى موسم سنة ثمانين وسبعمائة ، وجاور بها إلى أثناء السنة التى بعدها وخطب فى بعض هذه المدة بالحرم النبوى ، وأم الناس به نيابة عن ولده خال قاضى الحرمين محب الدين النويرى .

وكان إذ ذاك قاضى المدينة وخطيبها و إمامها ، وقل أن اتفق ذلك لغيرهما ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وتيسر لكل منهما مالم يتيسر للآخر . فما تيسر للأب سعة الرزق عليه بأخرة ، بحيث إنه مات ولا دين عليه ، وهذه نعمة عظيمة ، سيما ببلاد الحجر ، فقل أن اتفق ذلك فيه لرئيس ، وخلف تركة غير طائلة ، وهو جدى لأمى .

توفى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب سنة ست وثمانين وسبعمائة ، وهو متوجه من الطائف إلى مكة . فنقل إليها . ودفن بالمعلاة بعد الصلاة عليه بالحرم الشريف .

وكان يخيل له : أنه يموت فى مرضه هذا ، لأن منجماً بالشام أخبره بنيله رياسة بلده فنال ما سبق ، و بمبلغ سنه . فذكر قوله لما ابتدأ به المرض ، وحسب عمره فإذا هو موافق لقول المنجم ، فتم عليه الفناء المتحتم .

أخبرنى جدى لأمى قاضى القضاة كمال الدين أبو الفضل النويرى إذناً ، وأخوه القاضى نور الدين على ابن أحمد سماعا غير مرة :أن المعظم عيسى بن المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب : أخبرها سماعا بالحرم الشريف . قال : أخبرتنا السيدة مؤنسة خاتون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب سماعا ، قالت : أخبرتنا أم هانى عفيفة بنت أبى بكر أحمد بن أبى عبد الرحمن بن أبى بكر محمد الاصبهانية إجازة من أصبهان قالت : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت أحمد بن القاسم الجوزدانية ، قراءة عليها وأنا أسمع . قالت : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة التاجر . قال : أخبرنا أبو القاسم سليمان ابن أحمد بن أيوب بن مطير الطبرانى الحافظ . قال : حدثنا أبو مسلم الكشى قال : حدثنا أبو عاصم الضحاك ابن مخلد عن أيمن بن نايل عن قدامة بن عبد الله رضى الله عنه . قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى جمرة العقبة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك » .

و به إلى مؤنسة قالت : وأخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد بن على الطوسى النيسابورى فى كتابه إلينا من نيسابور . قال : أخبرنا فقيه الحرم الشريف أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد الصاعدى الفراوى . قراءة عليه وأنا أسمع بنيسابور .

و به إلى مؤنسة قالت : وأخبرنا أبو روح عبد العزيز بن محمد بن أبى الفضل الهروى البزاز فى كتابه إلينــا من هراه . قال : أخبرنا أبو القاسم تميم أبى سعيد الجرجانى قراءة عليه وأنا أسمع بهراه .

و به إلى مؤنسة . قالت : وأخبرتنا أم المؤيد زينب بنت أبى القاسم عبد الرحيم بن الحسن الشعرى الجرجانى فى كتابها إلينا من نيسابور . قالت : أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن أبى القاسم بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن القارىء . قراءة عليه وأنا أسمع بنيسابور . قالوا : أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد بن مسرور الزاهد . قال : أخبرنا أبو عمرو إسماعيل بن مجيد بن أحمد السلمى . قال : حــدثنا أبو مسلم الــكجى . قال حدثنا أبو عاصم عن أيمن بن نايل عن قدامة بن عبد الله رضى الله عنه . قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسـلم على ناقة صهباء يرمى الجمرة ولا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك » .

وأخبرنيه بهذا العلو مع الاتصال : أم عيسى مريم بنت أحمد بن محمد الأذرعى بقراءتى عليها بمنزلها ظاهر القاهرة فى الرحلة الأولى : أن أبا الحسن على بن عمر بن أبى بكر الصوفى أخبرها سماعا فى الخـامسة وتفردت عنه . قال : أخبرنا العلامة شرف الدين محمد بن عبد الله بن أبى الفضل المرسى. قال : أخبرنا الأشياخ الثلاثة المؤيد بن محمد الطوسى ، وأبو روح عبد العزيز محمد الهروى ، وأم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الشعرى بسندهم السابق .

أخرجه الترمذى فى الحج من جامعه عن أحمد بن منيع عن مروان بن معاوية .

وأخرجه النسائى فيه من سننه عن إسحاق بن إبراهيم .

وأخرجه ابن ماجة فيه من سننه عن أبى بكر بن أبى شيبة كلاهما عن وكيع كلاهما عن أيمن بن نايل . فوقع لنا عاليا بحمد الله ومنه .

أنشدنى جدى لأمى القاضى أبو الفضل النويرى إجازة ، وأبو عبد الله محمد

ابن على البكرى بقراءتى عليه : أن الحافظ أبا الحجاج المزى أنشدهما لنفسه ، سماعا لجدى و إجازة للبكرى :

من حاز العلم وذاكره صلحت دنياه وآخرته

فأدم للعلم مذاكرة فحياة العلم مذاكرة

وأنشدنى المذكوران كما سبق ذكره : أن الحافظ أبا الحجاج المزى أنشدهما لنفسه :

إن عاد يوماً رجل مسلم أخاً له فى الله أو زاره

فهو جدير عند أهل النهى بأن يحط الله أوزاره

٣٠ — محمد بن أحمد بن عبد القوى

نجم الدين ابن ضياء الدين الإسنائى .

ذكره الشيخ جمال الدين الإسنائى فى طبقاته . فقال : كان عالماً فاضلا فى علوم كثيرة ، صالحاً ، زاهدا ، قواما فى الحق .

قرأ فى صباه بقوص على : قاضيها نور الدين الإسنائى ، ثم رحل إلى القاهرة . فلازم الاشتغال بها ملازمة كثيرة شديدة ، بحيث كان يبحث فى اليوم والليلة على المشايخ نحو اثنا عشر درساً فى عدة من العلوم ، ويحرر فى باقى الليل ما كان قد بحثه فى ذلك اليوم .

وأقام على ذلك مدة ، ثم عاد إلى بلده ودرس فيها بالمدرسة الافرمية المعزية ، و بالمدرسة المحدثة ، و بجامعها العتيق .

وانتصب للاقراء والتصنيف ، فانتفع به كثيرون .

وصنف تصانيف كثيرة فى علوم متعددة . منها : كتاب جامع الأصول على أبواب الفقه . ثم ترك ذلك .

وجاور بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ ولزم العبادة ، وخشونة العيش ، ومجاهدة النفس ، ومجالسة أهل القلوب. إلى أن توفى بمنى ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وسبعمائة عن نحو سبعين سنة . ونقل إلى المعلاة وشهد جنازته خلق كثير . انتهى .

وذكره الشيخ زين الدين العراقى فى ذيله على ذيل والده على العبر للذهبى

٣١ — محمد بن أحمد بن عثمان بن عِجلان ـ بكسر العين ـ القيسى الأشبيلى .

ولد سنة ثمان وأربعين وستمائة فى صفر .

وأجاز له ـباستدعاء أبيهـ مسند تونس : أبو الحسين أحمد بن محمد بن السراج وحدث عنه ببعض الروض الأنف للسهيلى عنه .

سمع ذلك منه بمصر : الحافظ أبو الفتح بن سيد الناس اليعمرى بقراءته .

وحكى عنه : أنه قيد جده عجلان ـ بكسر العين ـ .

وذكر ابن سيد الناس أنه توفى سنة أربع وعشرين وسبعمائة بمكة بعد الحج .

وذكر القطب الحلبى فى تاريخه : أنه توفى بمكة فى آخر عام أربع وعشرين وسبعمائة أو فى أوائل عام خمسة وعشرين وسبعمائة .

ووجدت بخط المحدث جمال الدين إبراهيم بن القطب الحلبى ، فى تاريخ أبيه فى ترجمة المذكور : أنه توفى وهو متوجه إلى الحج قريباً من عقبة أيلة ، فى سنة أربع وعشرين .

ونقل ذلك عن أبى البركات الفاسى .

٣٢ — محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسى

العلامة ، المفنن ، البارع ، أبو عبد الله . المعروف : بالوانوغى .

نزيل الحرمين الشريفين .

ولد — فى غالب ظنى — سنة تسع وخمسين وسبعمائة بتونس ، ونشأ بها .

وسمع بها من مسندها ومقرئها : أبى الحسن بن أبى العباس البطرنى فى خاتمة أصحاب الأستاذ أبى جعفر بن الزبير بالإجازة . وله من البطرنى إجارة بجميع مايرويه .

وسمع من مفتى تونس وعالمها : الشيخ أبى عبد الله محمد بن عرفة الورغمى . وأخذ عنه : التفسير والفقه فى التهذيب للبرادعى . وفى مختصرى ابن الجلاب وابن الحاجب . وفى تأليف شيخه ابن عرفة فى الفقه . سمع عليه أكثره .

وأخذ عنه : المنطق والأصلين .

وأخذ عن القاضى : ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون : المنطق والأصلين وعلوم الحساب والهندسة .

وأخذ عن الشيخ أبى العباس : القضاء ، والنحو فى عدة كتب . وأخذه عن غيره . وله بالعلم أتم عناية .

وكان ذا معرفة بالتفسير ، والأصلين ، والمنطق ، والعربية ، والفرائض ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة .

وأما الفقه : فمعرفته به دون ما سبق .

وكان إذا رأى شيئا وعاه وقرره ، وإن لم يسبق له به عناية .

وكان يعينه على ذلك ما منحه من شدة الذكاء وسرعة الفهم .

وكان حسن الإيراد للتدريس والفتوى ، وعلى كثير من الكلام يقوى . ويحفظ نكتاً ظريفة وأشعاراً لطيفة ، وينشدها بصوت حسن . وفيه مروءة ولطف فى المعاشرة .

وله تأليف على قواعد شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام الشافعى . ذكر أنه زاد عليه فيما أصله فوائد كثيرة . ورد عليه كثيراً مما قاله ، وأوقفنى

على موضع من ذلك يتعلق بفضل مكة والمدينة . فرأيت فيه ما ينتقد فى مواضع منه ، ولا أبعد أن يكون فيه كثير من هذا المعنى .

وله سؤالات فى فنون من العلم ، تشهد بفضله . وهى عشرون سؤالاً بعثها من المدينة يتعرف جواب علماء الديار المصرية عنهـا . فتصدى للجواب عنها : مولانا وشيخنا قاضى القضاة شيخ الإسـلام جلال الدين بن مولانا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى . أمتع الله بحياته ، ورد عليه كثيراً مما قاله فيها . ووصل ذلك إلى المذكور . فذكر لى أنه رد ما ذكره شيخ الإسلام .

وله فتاوى كثيرة متفرقة لم يسدد فى كثير منهـا لمخالفته فى ذلك المنقول ، ومقتضى القواعد .

وقد بينت أشياء من ذلك فى عدة من أجوبته ، وما وقف إلا على بعض ذلك . وأجاب عنه بما لايخلو من نظر ، وثم عليه فى بعضها تناقض ظاهر لاختلاف جوابه فى الواقعة الواحدة . ويقال : إنه كان يقصد بذلك مراعاة خواطر السائلين . وهذا مما عيب عليه . وعيب عليه أيضاً كثرة إطلاقه للسانه فى أعيان من العلماء . وقد سمعت منه أشياء من ذلك .

منها : أنه قال : إن شراح مختصر ابن الحاجب فى الفقه لم يفهموه .

وسمعت بعض الناس يذكر له كلاماً للشيخ أبى محمد بن أبى حمزة فى الإعراض عن كتاب الزمخشرى فى التفسير والإقبـال على تفسير ابن عطية وغيره من علماء السنة . فقال : هذا الـكلام مايسوى حبة . وسألته عن كلام العراقى فى الأصول فلم يحمده . وسمعته كثيراً لا يثبت لشيخه ابن عرفة فى أكثر الفنون كثير معرفة .

وكان لتآليف ابن عرفة يعيب . وأكثر ظنى : أنه فى ذلك غير مصيب .

ووجدت بخط الوانوغى من الزلل فى حق العلماء أكثر مما سمعت منه . وذلك فى وريقات ذكر فيها اشتغاله بالعلوم لسؤال بعض الناس له عن ذلك . فما فيها — بعد ذكره مختصر ابن الحاجب الفرعى — : ولم يوفق أحد من شراحه إلى

شرحه كما ينبغى ، بل كلها أفسده وأفسد مسائله . و بادر إلى الاعتراض عليه و إلى تخطئته ، ولم يقع على الغرض الذى قصده المصنف . ثم قال : وله اصطلاحات وعبارات شرحها الشراح مفرقة ، وشرحها بعضهم مجموعة لم يصادفوا فيها المقرر ، ولا أصابوا شاكلة الرمى .

وقد سمعت قراءة هذا الكتاب على الشيخ ابن عرفة مراراً . وكانت قراءته فيه هينة ، وقراءته للمدونة أحسن ، وكان مولعاً بالرد عليه وعلى شارحه ابن عبد السلام .

وسمعت على الشيخ ابن عرفة كتاب : مسلم ، سماع تفهم و بحث .

ولم يكن له اشتغال بعلم الحديث فلم ينظر فيه نظر المحدث باصطلاح المعروف إنما يتكلم عليه ببعض ما ذكره صاحب الإكمال ، وهو أحسن ما عليه . و بعده القرطبى على مختصره .

وأما شرح النووى : فقليل الفائدة مع الطول المسئم .

وسمعت ابن عرفة يقول : لقد أتعب النـاس فى نسخه ، فهلا كتب كراسة فقط بما زاد على القاضى من ضبط الأسماء المشكلة ، وكفى الناس المؤنة . وفيه مواضع كنت أنبه عليها وقت القراءة .

ثم قرأت مختصر ابن الحاجب فى الأصول على أشياخ ، وما رأيت منهم من شق له غباراً . و إنما يقرؤنه بالسلاطة وقوة الجأش .

ثم قال : وعلى كثرة شروحاته ، فهو محتاج إلى الشرح ؛ لأنهم فى مواضع لا يفصحون بشرحها ، بل يتركونها كما هى بينهم عموم وخصوص فى تفسير المسائل .

وقد تكلمنا على كثير من مسائله المشكلة المهملة عند الشراح .

وقد ألف الناس بعده فلم يبلغوا شأوه . ألف البيضاوى : كتاب المنهاج ، سلك فيه طريقة الإمام الرازى على عادته .

وألف ابن الساعاتى ، وتبع فى ذلك طريقة الآمدى . وقصد حل كثير من أسئلة ابن الحاجب والرد عليه فى كثير من الأدلة بزعمه . فلم يصادف الغرض .

وأصعب الطرق فى الأصول طريقة الحنفية . قرأت فيه كتاب ابن الساعاتى وأقرأته ، وللتفتازانى على كتاب التوضيح لصدر الشريعة كتاب جليل .

و إنما أتوا فى طريقهم من النظر فى الألفاظ مجردة عن اعتبار ما سيقت له ، ومن عدم مساعدة الطبع والذوق . وليحترز الناظر فى البرهان من زلة ذكرها فى أول كتابه يقول : إنه اجتمع يوماً مع ابن سينا ، فتكلم معه فى تعليق العلم القديم بالجزئيات ، فأورد عليه شبهة عجز عن حلها . فألزمه إنكار ذلك فأنكره ، وكتبه هناك . ولعلها دست عليه فى كتابه . وقد اختصره ابن المنير فأبدع .

وكذلك يحترز الناظر فى شراح ابن الحاجب . وفى كتب المتأخرين فى علم أصول الدين من زلة أطبقوا عليها لسبب مخالطتهم لكتب الفلاسفة . ومن ذلك كان يقول بعض الأشياخ : فيهم : أفراخ الفلاسفة . وقد أوضحت فساد قولهم وزللهم فيما كتبت على المختصر .

ثم قال بعد ذكره : قرأته فى علم أصول الدين والمدخل لقراءة هذا العلم عند أشياخنا : كتاب الإرشاد . وليس فيه شفاء العليل .

ثم قال ــ بعد ذكره لعلم البيان ، وما قرأ فيه ــ : وكان الشيخ أبو حيان على جلالته فى علم العربية : ينبوا عنه طبعه .

ثم قال ــ بعد ذكره لتلخيص المفتاح ــ : وعليه شروحات كثيرة ، منها شرح السبكى وهو اسم شرح بلا مسمى . وفيما كتب المذكور بخطه غير هذا من هذا المعنى . وفيه أسطر مسودة لا يعرف ما فيها .

وأخبرنى المكتوب إليه ذلك : أن فى المواضع المسودة كلاما نال فيه كثيراً من شيخه ابن عرفة . وكل ما رأينا من السواد هو عند ذكره ابن عرفة .

وذكر لى الشيخ خليل بن هرون الجزائرى نزيل مكة ، وهو المكتوب

إليه على ماذكر لى: أنه الذى سود ذلك : لأنه لم يستطع أن يرى ذماً فى ابن عرفة لجلالة قدره . وليس كل مانقلناه من خط الوانوغى فى كتبه مجتمعاً على ماذكرناه وإنما أكثره مفرق بخطه ، ومراده بالبرهان : البرهان إمام الحرمين . وبالإرشاد : الإرشاد له .

ووجدت بخطه على سؤال ذكر لى فيه : أن الشيخ الإمام تقى الدين السبكى يرى أن من يقدمه الأب على ابنه عند غيبة الجد أولى من الحاكم ما نصه بعد رده لكلام السبكى :

والحاصل : أن فهم الشيخ مخالف للقواعد . واطلاقات الأئمة ، وتأويل على المذهب ، أو مذهب على خلاف القواعد المجمع عليها . فلا يعتمده الحاكم ، ولا يراعى ما وافقه من الحكم . والله أعلم . انتهى .

فانظر إلى ما فى هذا اللفظ من عدم تحسين الخطاب فى حق الإمام السبكى وإلى ما فيه من التكرار بلا فائدة ، أو عدم استقامة قوله . فإنه قال : والحاصل أن فهم الشيخ مخالف للقواعد .

ثم قال : أو مذهب على خلاف القواعد المجمع عليها . فإن أراد بقوله : القواعد فى الموضعين : قواعد الشافعية . كان أحد اللفظين تكرار بلا فائدة . وإن أراد بذلك : قواعد الشافعية وغيرهم لم يكن ذلك مستقيما ؛ لأن مذهب مالك لا ولاية للجد على ابن ابنه . وسبب تجريه بالولاية عليه لوصيه إن كان وإلا فللحاكم : على الزلل فى حق العلماء . فإنه كان كثير العجب بنفسه ؛ بحيث يرى : أنه لو لقى مالكا وغيره من الأئمة لحاجهم .

وبلغنى عنه أنه كان يقول : لى أن أفتى بالشىء وضده ، ولا أُسأل عن ذلك ونحى فى ذلك إلى نيله لرتبة الاجتهاد .

ولم يكن لأهل عصره بكثير فضل معترفا ، ولا كان فى البحث منصفاً لحرصه على ترويج حجته ، وإعلاء رتبته . وكان يسارع إلى دعوى اتفاق أهل مذهبه

ولدعوى الإجماع ، ولايخلو فى ذلك من نزاع ، ولو أعرض عن جميع هذه الأمور ؛ وعن إدخال نفسه فيما بين الناس من الشرور ، وعماينسب إليه من اتباع الهوى فى الفتن : لـكان الثناء عليه أكثر وأجمل ، ولعل لخدمته للعلم يعفى عنه كل زلل .

وقد درس بالحرمين ، وأفتى فيهما كثيراً . وكنت أتعرف رأيه فى كثير من مسائل الفقه ، لما فى كثير منهــا من الغموض . وكان يستحسن تقريرى للسؤال عنها ، وما أشير إليه من أثناء السؤال من الجواب عنه .

وقد سوغ لى الإفتاء والتدريس فى المذهب ، ورواية ما له من مروى ومصنف . وكتب لى خطه بذلك ، وصورة ما كتبه :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سـيدنا محمد وآله وسلم . يقول كاتبه العبد الفقير إلى ربه : محمد بن أحمد الوانوغى : أنه لمـا منّ الله سبحانه علي بالتردد إلى مكة المشرفة حاجاً ومعتمراً ومجاوراً ، وطلبت الاجتماع بعلمائهــا وفضلائها وصلحائها وحكامها . كان ممن اجتمت به وذاكرته وباحثته مراراً عديدةفى مسائل كثيرة من مسائل الفقه وغوامضه ، وما يتعلق بها . وتــكررت أسئلته عن ذلك كله ، وباحثته فيها مرة بعد أخرى : السيد الفقيه الفاضل ، الأعدل ، الأكمل ، الجامع للصفات الكاملة الحسنى ، الأصيــل ، القاضى تقى الدين محمد بن الشيخ الحسيب ، الأصيل شهــاب الدين أحمد بن على الفاسى . نفع الله بفوائده وعلومه الجليلة .وقد ورد علينا بالمدينة المشرفة ، وحضر معنا درس الفقه والأصول، وأبدى فيه من فوائده ومبــاحثه الجليلة ما يليق بعمله وفضله على طريقة أهل الفنون والمباحثة . فرأيته بذلك كله أهلا للتدريس ، والفتوى ، والحكم ، وإفادة الطالبين مع ما جبل عليه من حسن الفهم ، وحسن الإيراد ، وسعــة التأنى فى البحث والمراجعة فيه . فأوجب ذلك كله : الإذن له فى التدريس ، والفتوى ، وإفادة الطلبة وحثه على الاشتغال بذلك كله ، والملازمة له . لينتفع به الناس عموماً وأهل بلده خصوصاً . فإنى لم أر فى فقهاء المالـكية بالحجاز كله من يقاربه فى جميع ما ذكر

ـ نفع الله به ـ ولا فى اتصافه فى العلم ، ولا فى الفهم عن الأئمة ـ زاده الله و إيانا فقهاً وعلماً ـ فليتجرد ـ أعزه الله تعالى ـ لذلك ، و يأخذ فيه بالحزم ، والعزم لمسيس الحاجة فى ذلك ، وافتقار الناس إليه زماناً ومكاناً . والله سبحانه يسدده ، و يوفقه للخير ، والفهم ، والجد فى العلم بمنه وكرمه .

وقد أجزت له مع ذلك أن يروى عنى جميع ما يصح لى روايته من مروى ومصنف بشرطه . قاله وكتبه العبد المسمى أوله : محمد بن أحمد الوانوغى المالكى . نزيل الحرمين الشريفين بتاريخ ثانى عشر من ذى الحجة الحرام سنة ثلاث عشرة وثمانمائة . انتهى .

وكان حوى كتباً كثيرة ودنيا فيها سعة ، بالنسبة إلى مثله فأذهبها بتسليفها لمن لايتيسر منه كثير خلاص لفقره مع معرفته بحاله ، ولكن يحمله على ذلك ما يلتزم له به المتسلف من الربح الكثير . وما حصل له من ذلك إلا اليسير .

واتفق له فى طلب ذلك مالا يليق بأهل العلم من كثرة التردد للباعة للمطالبة و إعراض بعضهم عنه فى حال طلبه واتفق ذلك له بالحرمين .

وأول قدومه إليها سنة ثمانمائة فحج فيها وعاد إلى مصر ، ثم عاد قبيل رمضان من التى بعدها إلى مكة . فجاور وحج فيها . وسار إلى المدينة ، وتوصل منها إلى مصر بعد الحاج بمدة ، فى أثناء سنة اثنين وثمانمائة . وحج فيها ، ومضى إلى المدينة واستوطنها . وصار يتردد إلى مكة فى كثير من السنين .

ثم قدم مكة بأهله فى سنة خمس عشرة . فجاور بها نحو أربعة أشهر قبل الموسم وقبل فيها ما يقبله الحجازيون من الفتوح لضيق حاله .

ومضى بعد الحج إلى المدينة وترك أهله بمكة . وصار يتردد إلى المدينة لما يعرض له فيها من الحوائج .

وأدركه الأجل بمكة ـ بعد علة طويلة بالإسهال والاستسقاء ـ فى سحر يوم الجمعة تاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وثمانمائة . وصلى عليه

بالحرم الشريف عند باب الكعبة . وذهب به إلى المعلاة من باب بنى شيبة .

ودفن بها قريباً من قبر الشيخ أبى الحسن الشولى فى ضحى اليوم المذكور . سامحه الله تعالى .

ووجدت بخطه تنبيهات تتعلق بكتب فى المذهب وغيره .

منها : وفى ابتداء قراءتى لعلم النحو ابتدأت قراءة الفقه على الشيخ أبى عبد الله ابن عرفة . فقرأت عليه كتاب ابن الجلاب فى أول العام ، وكان يكره منا مطالعة شىء من مشروحاته كما كان يكره مطالعة شىء من مشروحات الرسالة عدا شرح القاضى عبد الوهاب .

ويحكى عن الشيخ ابن عبد السلام وغيره من الأشياخ : أنهم لايعتمدون على شىء من مشروحات الكتابين ، ولا على ما ينقلونه ، ويقولون : إنه لو لم يثبت عندهم : أن أحداً منهم فى طبقة من يعتمد عليه فى الفهم والنقل . انتهى .

وفى هذا نظر بالنسبة إلى بعض شراح الكتابين . فإن الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى : ممن شرح ابن الجلاب ، والشيخ تاج الدين عمر بن على الفاكهانى : ممن شرح الرسالة ، وهما بالفضل مشهوران ، لاسيما القرافى . ولعل شرحاهما لم يبلغا المغرب فى زمن من قال ذلك . وليس على الرسالة أحسن من شرح الفاكهانى وكثرة فوائده ، وقل أن لايعزوها . والله أعلم .

ومنها : وكان الشيخ ابن عبد السلام يقول : من لا يختم المدونة فى كل سنة لا تحل له الفتوى منها .

ومنها : وكان الشيخ ابن عبد السلام يقول : ينبغى للطالب أن يحترز فى نظر كتاب ابن عطية أكثر من كتاب الزمخشرى . فإن الزمخشرى : عدو ظاهر ، ينفر الناس من قبول كلامه ببادىء الرأى ، فلا يسكن إليه إلا بعد العلم بحاله .

وأما ابن عطية : فالنفس سريعة القبول بكلامه ببادى الرأى . وفيه كثير من تفاسير المعتزلة ينقلها ، ويظن أن ليس فيها شىء وتحتها السم القاتل . انتهى .

ووجدت بخطه فى سؤال يسأل فيه عما نقله ابن عبد الرفيع عن الشيخين أبى عمران الفاسى ، وأبى بكر بن عبد الرحمن من انفساخ الإجارة بالبيع الواقع بعدها فى المستأجَر ـ بفتح الجيم ـ وعما فى الجواهر لابن شاس من عدم الفسخ فى ذلك ما نصه :

وأما صاحب الجواهر : فالظاهر أن ما لا يقف على نص فيه و يجده منصوصاً للشافعية ولا يظهر له مخالفته للمذهب ينقله نصاً فى المذهب .

والظاهر : أن أمره فى هذه المسألة كذلك ؛ لأنه لو وقف على النص فلا يتركه . وأشياخنا ينقلون عن أشياخهم : أنه ينقل عن الشافعية كثيراً . وأنه لا يبلغ رتبة من يعتمد على فهمه فى المذهب و إن عزاه . و يصرحون بمنع الفتيا والحكم منه ، وما لا يعزوه أشد فى ذلك . والله أعلم . انتهى .

٣٣ — محمد بن أحمد بن عَجلان ـ بفتح العين ـ ابن رميثة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله ابن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب ، الحسنى ، المكى .

يلقب : جمال الدين .

أمير مكة .

ولى إمرة مكة ثمان سنين شريكا لأبيه ، غير مائة يوم من آخرها . فإنه استقل بها بعد أبيه .

وأول ولايته : فى سنة ثمانين وسبعمائة .

وكان يصل إليه من صاحب مصر سبب ذلك : تقليد وخلعه فى كل موسم .

على ما ذكر لى والدى ، وهو المخبر لى بولايته فى سنة ثمانين . ولم يكن لولايته فى حياة أبيه أثر ؛ لأن أباه كان يقوم بمصالح العسكر ، وهو الذى ينظر فى الأمور إلى أن مات . فعند ذلك نظر فيها ولده مع عمه كبيش وكان لا يفصل أمراً دون كبيش ، وإلى كبيش معظم النظر فى الأمور .

وبعث محمداً — بعد موت أبيه — إلى الملك الظاهر صاحب مصر كتاباً يخبر فيه بموت أبيه ، ويسأل استقراره عوضه فى إمرة مكة ، ومحضراً فيه خطوط أعيان أهل الحرم بسؤال ولايته .

فأجاب السلطان إلى ذلك . وبعث إليه تقليداً وخلعه بالولاية مع رسوله عطيفه بن محمد بن عطيفه بن أبى نمى . فبلغ مكة فى آخر شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، أو فى أول ذى القعدة منها .

وفى ليلة العشرين من شعبان هذه السنة : مات أحمد . فلبس ابنه خلعة الولاية وقرأ تقليده بالإمرة بالحرم الشريف على رؤوس الأشهاد .

وكان السلطان ولاه ذلك وهو متغير عليه لما بلغه عنه من موافقته على كحل الأشراف الذين مات أبوه ، وهم فى سجنه ، وهم : عمه : محمد بن عجلان ، وخالاه : أحمد ، وحسن ابنا ثقبة ، وابن خاله على بن أحمد بن ثقبة . لأن السلطان المذكور كان سأل أباه فى إطلاقهم فامتنع فأضمر السلطان ولاية عنان بن مغامس ابن رميثة لإمرة مكة عوض محمد هذا ، وسيره مع الحاج المصرى ، ولم يطلعه على ذلك . وأمر أمير الحاج بعدم الاحتفال به لئلا يشوش من إكرامه محمد بن أحمد فينفر فيفوت المراد منه .

وعرف السلطان الأمير جركس الخليلى أميراخور المالكى الظاهرى بما فى نفسه فى حق محمد وعنان . وكان من الحجاج فى هذه السنة — وهى حجته الأولى وحجته الثانية فى سنة تسعين وسبعمائة — فلما وصل إلى مكة خدمه محمد وأمه السيدة فاطمة بنت ثقبة كثيراً . وبعثت إليه أمه تسأله عن حال ابنها وعنان .

فذكر لها أنه لايعلم على ابنها سوءاً . وربما قيل : إنه حلف لها على ذلك . فانشرح لذلك خاطرها وحسنت لابنها الإقدام على ملاقاة المحمل المصرى لخدمته على عادة أمراء الحجاز . وكان محجماً عن ذلك لإشارة كبيش عليه بعدم ملاقاة المحمل ، وما زالت به أمه حتى وافقها على مرادها .

فخرج فى عسكره إلى أن حضر عند المحمل . فلما أخذ يقبل خف الجمل على العادة : وثب عليه باطنيان فجرحاه جرحات مات بها من فوره .

وذلك : فى يوم الاثنين مستهل الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وله نحو عشرين سنة ، ونقل إلى المعلاة ، ودفن بها بعد الصلاة عليه وغسله وتكفينه . وتوجع الناس عليه كثيراً ، سيما أمه .

ويقال : إنها كانت دعت عليه بالهلاك بعد أن عرفت بكحل أخويها . ومن ذكرمعهما لعظم ألمها لذلك وألم الناس أيضاً لكحلهم . فإن صح عنها ذلك : فقد استجيب دعاؤها وما خطر لها ببال قتله .

وكان كبيش يتوقع له ذلك ، ولذلك نهاه عن ملاقاة المحمل . وكانت أمه لا تظن يصيبه من السوء فى ملاقاة المحمل غير اعتقاله ، وغلب على ظنها سلامته لما ذكر لها الخليلى .

ويقال : إن الخليلى عوتب على ما ذكره لأمه ، لأنه ظهر بعد ذلك ما يدل على علمه للسوء فيه . فاعتذر بعدم قدرته على إفشاء السر . وقال : كان ينبغى لهم أن يفطنوا للملازمة جماعتنا لحمل السلاح . وما كان لمحمد فى كحل المذكورين راحة ؛ لأنه ابتلى بفقد الحياة . ويستبعد أن يكون للمذكورين على ذلك قدرة إلا أن يشاء الله وكل ما يسدونه إليه من الأذى يسير بالنسبة إلى ما أصابه من البلاء .

ويقال : إنه لم يوافق على كحلهم ، حتى عظم عليه فى التخويف من شرهم . فما نفعه الحذر من القدر ، ولكنه فاز بالشهادة .

ولما قتل أعلنت ولاية عنان بمكة عوض المذكور .

ودخل مكة مع الترك ، وهم متسلحون حتى انتهوا إلى أجيـاد . فحاربوا من ثبت لهم من جماعة محمد ، ثم ولوا . وترك الترك الحرب مع التيقظ مخافة العدو .

وانقطع بقتل محمد ولاية أولاد أحمد .

ويقال : إن أحمد بن عجلان : رأى فى المنـام أن عنانا جب ذكره . فذكر ذلك أحمد لبعض النـاس . فقال له : يقطع عنان ذكر ولدك المذكور . فـكان كذلك ؛ لأن محمداً قتل ولم يترك ولداً ذكراً ، وما ترك أبوه ذكراً غيره .

وكان أحمد قد منح ابنه محمداً هذا ثلاثة خيول ، أحياها بوادى مر وهى : البثنى ، والبحرين ، والحميمة .

وثبت إقرار أحمد بملك ابنه محمد لذلك عند قاضى مكة محب الدين النويرى بشهادة عمه القاضى نور الدين النويرى على أحمد بن عجلان بذلك ، ويمين ابنه محمد على صحة ذلك عند الحجر الأسود .

وكان أبوه زوجه على ابنة على بن مبارك بن رميثة بن سعدانة بنت عجلان .

واحتفل أحمد بالنفقة فى عرس ولده عليها احتفالا عظيما ، ورزق منها بنتا تسمى : شمسية ، هى الآن زوجة السيد رميثة بن محمد بن عجلان أمير مكة ، فى سنة تسع عشرة وثمانمائة . فالله يسدده وإلى الخير يرشده .

٣٤ — محمد بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق

القرشى ، المـكى ، المخزومى .

سمع من : عيسى الحجى ، والآقشهرى ، والشريف أبى الخير الفاسى ، وموسى الزهرانى . وما علمته حدث .

وأجاز له من دمشق : القاضى سليمان بن حمزة وجماعة .

وذكر لى شيخنا أبو حامد بن ظهيرة : أنه توفى فى أواخر ذى الحجة سـنة تسع وأربعين وسبعمائة بمكة .

٣٥ — محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد ابن ميمون بن راشد القبسى ، الشيخ قطب الدين ، أبو بكر بن الشيخ أبى العباس القسطلانى ، المكي ، الشافعى .

ولد فى السابع والعشرين من ذى الحجة سنة أربع عشرة وستمائة بمصر .

وحمل فى موسم سنة تسع عشرة إلى مكة . فنشأ بها .

وأجاز له من شيوخها : الحافظ أبو الفتح الحصرى ، إمام الحنابلة .

وسمع بها من : أبى الحسن بن البنا جامع الترمذى .

ومن أبى طالب عبد المحسن بن أبى العميد الحقيقى ، إمام مقام إبراهيم بمكة أربعين عبد المنعم الفراوى عنه .

وعلى الشيخ شهاب الدين السهروردى كتابه : عوارف المعارف فى التصوف ولبس منه خرقة التصوف .

وعلى جماعة من شيوخ ولده أبى المعالى ، الآتى ذكره بطلبه .

ثم رحل فسمع بدمشق من : إسماعيل بن أحمد العراقى ، وأحمد بن المفرح ابن مسلمة الأموى ، وغيرهما .

و ببغداد فى سنة خمسين وستمائة من : إبراهيم بن أبى بكر الزغبى ، وأبى السعادات عبد الله بن عمر البندنيجى ، وفضل الله بن عبد الرزاق الجيلى ، وموهوب ابن أحمد الجواليقى ، ويحيى بن قميرة ، وغيرهم .

وسمع أيضاً بالكوفة ، ومنبج ، وحران ، وحمص ، والمعرة ، ودنيس ، والقدس ، ومصر ، والمدينة ، واليمن . وعنى بهذا الشأن . فكان فيه من ذوى الحفظ والإتقان .

وقرأ الشيخ قطب الدين القسطلانى — على ما ذكر — الفقه والتفسير والخلاف ،

وأنواع العلوم ، على : شيخ الحرم نجم الدين بشير بن حامد التبريزى .

ودرس — على ماذكر — بمدرسة دار زبيده بالحرم بحضرة والده .

وأفتى فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . وأفتى فيما بعد ذلك كثيراً . وحدث بكثير من مسموعاته ، و ببعض تآليفه .

ومن تآليفه شىء يتعلق بتاريخ اليمن ، ومختصر فى علم الحديث سماه « المنهج المبهج عند الاستماع لمن رغب فى علوم الحديث على الاطلاع » ومختصر فى الأسماء المبهمة فى الحديث ، وارتقاء الرتبة فى اللباس والصحبة ، ومجلس فى فضل رمضان ، ومجلس فى فضل ذى القعدة .

ومن تآليفه على ما ذكره ابن رشيد الفهرى فى رحلته : كتاب فى المناسك . ذكر أنه وقف عليه ، وعقيدة سماها : « لسان البيان عن اعتقاد الجنان » واختصر هذه العقيدة ، وحمل الإيجاز فى الإعجاز بنار الحجاز ، وفواضل الزمن فى فضائل اليمن . ولعله الذى ذكرناه أولا . ومنهاج النبراس فى فضائل بنى العباس . ورسالة الحمالة جزء ، وجلالة الدلالة على إقامة العدالة ، وتأنيس النضارة على إقامة الوزارة ، وكتاب النصح من موارد المتالف فى الاقتداء بالمواقف والمخالف ، ومسألة تكلم فيها على مسألة عز الدين — يعنى — ابن عبد السلام فى تفضيل الأنبياء .

ثم قال : ألفيت أسماء هذه « التصانيف » بخط أبى إسحاق البلقينى .

وذكر ابن رشيد أيضاً : أن من تصانيف القطب : كتاب « الورد الزائد فى بر الوالدين » .

وذكر أنه قرأ عليه مختصر العقيدة له ، انتهى .

وحدث الشيخ قطب الدين القسطلانى قديماً .

سمع منه فى سنة تسع وأربعين وستمائة بدمشق جماعة كبار من محدثيها إذ ذاك منهم : شقيشقه ، والمعين الدمشقى ، والزين النابلسى ، وغيرهم .

وسمع منه : رفيقه الحافظ شرف الدين الدمياطى ، والحافظ قطب الدين الحلبى .
وقال : كان إماماً ، عالماً ، محدثاً ، حافظاً ، مفتياً ، ثقة ، حجة ، حسن الأخلاق ، سخياً ، عفيفاً ، مكرماً للواردين عليه ، حسن الاستماع لما يقرأ عليه ، كثير السعى فى حوائج الناس ، وذكر ثناء آخر .

وسمع منه أيضاً : الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس . وقال فى جواب مسائل سئل عنها : وأما المسئول عن أحفظ من لقيت ، فأولهم فى التقديم ، وأولاهم بالتعظيم : الشيخ الإمام ، قدوة الناسكين ، عمدة السالكين ، قطب الدين بقية العلماء العاملين.

وسمع منه غيرهم من الأعيان ، وأثنوا عليه كثيراً . وهو حرى بذلك .

فقد ذكر جد أبى : الشريف أبى عبد الله الفاسى ، أحد تلامذة القطب القسطلانى هذا : أن الشيخ قطب الدين القسطلانى هذا . قال : كنت أقرأ على شيخنا أبى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبى بالمدينة النبوية ، فجئته يوماً وأنا فى وقت خلوة ، وأنا يومئذ حديث السن . فخرج إلىّ وقال : من أدبك بهذا الأدب وعاب علىّ ؟ فذهبت عنه ، وأنا منكسر ، فدخلت المسجد ، وقعدت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم . فبينا أنا جالس على تلك الحال ، وإذا الشيخ ـ رضي الله عنه ـ قد جاءنى وقال : قم . فقد جاء فيك شفيع لا يرد . انتهى . وهذه منقبة عظيمة .

وذكر جدى أنه سمعه أيضاً يقول : عاهدت الله تعالى أن لا أرد سائلا . انتهى .

وهذه خصلة حسنة مستلزمة لمحبته ومدحه .

وكان عين لقضاء مكة فى سنة خمس وأربعين وستمائة ، فتوقف . وفضائله كثيرة .

وتوفى ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وثمانين وستمائة

بمنزله بالكاملية ، ودفن بالقرافة . وشهد جنازته خلق كثير وضجوا عليه بالبكاء .

وكان طلب من مكة بعد موت أخيه التاج القسطلانى لمشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة . فوليها حتى مات .

وقال الأديب ناصر الدين أبو على شاور طرخان الكنانى . المعروف بابن النقيب فى القطب القسطلانى لما توجه إلى القاهرة بعد موت أخيه التاج :

استوحشت مكة من قطبها ... واستأنست مصر به والديار
شيخ شيوخ الحرم المقتدى برأيه ... عند الأمور الكبار
فياله قطب مدار العلا عليه ... والقطب عليه المدار

أنشدنى إبراهيم بن محمد الصوفى بقراءتى عليه بالحرم الشريف سابع عشر رجب سنة خمس وثمانمائة : أن الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور الحلبى أنشده إذناً وجماعة ، قالوا : أنشدنا الشيخ قطب الدين القسطلانى لنفسه إجازة إن لم يكن سماعاً فى لزوم مالا يلزم . وكتب ذلك عنه الحافظ الدمياطى :

ألا هل لظل بالأراك معاد ... وهل ذلك العيش الهنى يعاد ؟
وهل زائر الزوراء زائر أبطح ... وخيف منى دار تحل سعاد ؟
وهل لطوى والمأزمين ومشعر ... تدانٍ فقد أضنى الفؤاد بعاد ؟
وهل مدنف باك تكدر عيشه ... وأقلقه داعى الغرام يعاد ؟
وهل ذلك السر الذى كان بيننا ... وما فطن الواشى لذاك يعاد ؟

ومن شعره ماروبناه بالإسناد المذكور ، وسمعه منه أيضاً الدمياطى :

أراعك وشك البين أم أنت غافل ... أم القلب فى إثر الظعائن راحل ؟
لقد لج هذا الوجد حتى كأنه ... يحاول ثأراً عند من هو قاتل
تحيرت حتى لو سئلت عن الهوى ... لفرط الجوى لم أدر ما أنا قائل
أجبنا بنا بالجزع عن أيمن الحمى ... ترى هل لما أدرى من الشوق ناقل ؟

تمنع من أهوى علىّ بوصـــله — فعندى من الوجد المبرح شاغل
كتمت هواه برهـة فنمت به — دموع على خدى هوام هوامل
رعى الله هاتيك المعاهد كم بهـا — عهود بقلب أحرقته البــلابل

ومن شعره أيضاً مارويناه عنه بالإسناد المذكور :

ألا هل عشيات الأراك رواجع — فتنعم عينـــاً والعيون هواجع
ونرفل فى ذيل من القرب سابل — ويسكن نصب حركته القواطع
ونرفع جرم الهجر عنا بوصلهـا — عوامل لما أن عداها التقاطع
غريب له مذ بان بان برامه — فؤاد معنى أزعجته المطـــامع
يبيت يناجى النجم والطرف ساهر — بجنب قريح قد جفته المضاجع
له مذ رأى الأحباب سفح مدامع — وزفرة مصمود وهل ذاك نافع ؟
تشـاغل دهراً بالحديث يظنه — يشتت همـاً وهو للهم جامع
ولم يثنه قول الوشـــاة بأنه — وإن ظن عاص فهو بالقطع طائع
تبدل من مر التصـــابى حلاوة — فلذ له ماطال فيــه التنـــازع
دعوا العتب فيما قد مضى وتصدقوا — ببذل الرضى فالعمر لولاه ضـــائع
ومن لى بوصـــل أرتجيه وإننى — بطيف خيال فى المنـــام لقـــانع
أجيروا من الجور المفرق للمنى — بجمع على مر الدهور يطاوع

ومنه بهذا الإسناد :

إذا طاب أصل المرء طابت فروعه — ومن عجب جاءت يد الشوك بالورد
وقد يخبث الفرع الذى طاب أصله — ليظهر صنع الله فى العكس والطرد

ومنه بهذا الإسناد :

ألا هل لهجر العامرية إقصـــار — فيقضى من الوجد المبرح أوطار
ويشفى غليلا من عليل مُوَلَّهٍ — له النجم والجوزاء فى الليل سمـار

أغارَ عليه السقم من جنبـاته　　وأغراه بالأحباب نأى وتذكار
ورق له ممـا يلاقى عـذوله　　وأرقه دمع ترقرق مـدرار
يحن إلى برق الأثير وقلبـه　　ويخفق إن ناحت حمام وأطيار
عسى مامضى من خفض عيش على الحمى
يعود فلى فيـه نجوم وأقمـار

ومنه بهذا الإسناد :

حقيق على المشتاق تعفير خده　　بباب الذى يهواه فى السر والجهر
وإيثار مايرضاه فى السخط والرضى　　وإيثار مايرضيه فى النفع والضر

ومنه بهذا الإسناد :

علم الحديث مفيد كل مكرمة　　فادأب فديتك ياذا الجد والأدب
واعـكف على الدرس ليلا إن أردت علا
فالعـلم يعـلى دنى الأصـل فى الرتب

ومنه بهذا الإسناد :

ستأتى من الرب الرحيم لطائف　　توسع ماقد ضاق فى السر والجهر
فـكن واثقـاً بالله وارض نواله　　تنل ما تشا من مالك الخلق والأمر

ومنه بهذا الإسناد :

إذا كان أنسى فى التزامى لخلوتى　　وقلبى عن كل البرية خالى
فما ضرنى من كان لى الدهر قالياً　　ولا سرنى من كان فىّ موالى

ومنه بهذا الإسناد :

لأجهدن على أن لا أرى أحداً　　وأنثنى خالياً عن قرب من بعدا
وأعمـل الفـكر فيما أستفيد به　　يوم النشور غداً عنـد الإله يدا
إنى اعتبرت بنى الدنيا فما ظفرت　　كفى بود امرىء ألقـاه معتمدا

لا فى الشـــدائد أعوان على زمن ولا الرخاء أياديهم تمـــد يدا
ومن تصـــدى إلى إتيان بابهم أهـين حيناً وألفى منهم نـكدا
والحر يأنف عن ذل يفيـــد به عزاً فـكيف بذل قاصراً بدا
العز ترك بنى الدنيـــا بأجمعهم لاعن هوان بهم بل ترك من زهدا

وقد كتب هذه الأبيات عنه ابن رشيد ، وذكرها فى رحلته مع تخميسها للشيخ قطب الدين القسطلانى .

وذكر فى رحلته سؤالاً سئل عنه : الشيخ قطب الدين القسطلانى ، وأجاب عنه بجواب مفيد ، وقد رأيت أن أذكره لما فى ذلك من الفائدة ، كما هو فى رحلة ابن رشيد .

قال فى ترجمة الشيخ قطب الدين أبى بكر بن القسطلانى ، وحضرت شيخنا الإمام أبى بكر . وقد ورد عليه هـذا السؤال ، فأجاب عليه ، وقرأت عليه السؤال والجواب ، وكتبته عنه ، وكتب لى خطه عليه . ونص ذلك :

مايقول السادة الفقهاء ــ وفقهم الله لطاعته ، وأعانهم على مرضاته ــ فى الدروزة. هل هى مباحة مطلقاً أو لا تباح إلا مع الضرورة ؟ وهل تبـاح مع القدرة على الـكسب أم لا ؟ وهل تبـاح مع استغراق الزمان فى العلم ما يعنى به العلم الذى هو فرض عين ، وإنمـا يعنى به العلم الذى هو فرض كفاية أم لا ؟ وإذا قلنا بإباحتها ، فهل يقتصر فيها على الـكفاية ؟ أم يجوز الادخار ؟ وهل يجوز فيهـا أكل الطيبات ولبس الناعم من الثياب ؟ أم يجوز فيها الاقتصار على الخشن من الثياب وأكل الخبز الخشكار بلا أدم ، أم يجوز معه إدام ؟ وهل إذا كان له عائلة ولا يطيقون الفاقة وكسبه ما يفى بأودهم . فهل له أن يدروز بحقهم أو حق من تلزمه نفقتهم ؟ أفتونا وأوضحوا إيضاحاً شافياً أوضح الله لـكم الطريق ورزقـكم فيها التوفيق .

الجواب : الله الموفق والمعين .

أصل السؤال عند الضرورة مشروع ، وعند الاستغناء عنه ممنوع ، هذا إذا كان يسأل لنفسه ، أما من كان يسأل لغيره فيجوز له السؤال . وقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد لغيره .

وأما الدروزة فى مصطلح أهل الطريق : فهى لأجل الغير مباحة ، بل مندوب إليها مع الغنى والفقر فى الطالب لها تأسياً بفعله عليه السلام .

وأما لنفسه : فإن كان لضرورة ، فهى مباحة ، و إن كان مع غنى فحرام فى أخذ فرض الزكاة مكروه فى صدقة التطوع .

وأما أخذ صدقة الفرض مع الغنى بالمال أو القوة على الكسب ممن له بالمهنة عادة : فحرام .

وأما إذا تعارض الاشتغال بالعبادة مع السؤال ، أو الاشتغال بالكسب : فبين أهل الطريق فيه اختلاف . والذى يظهر لى أن عمارة الزمن بالعبادة مع تضييع زمن يسير فى السؤال لتحصيل قيام النية أولى .

وأما الاشتغال بعلم فرض الكفاية : فإنه أولى من الاشتغال بالسبب مع الجهل ، و إذا أبيح السؤال ، وحصل مايزيد على الكفاية ، فإن ادخره لغيره فلا بأس .

وأما لنفسه ، فحكمه فى طريق القوم : المنع ، كان عليه السلام لا يدخر شيئاً لغد .

وأما أكل الطيب ، ولبس الناعم : فعند قصده لذلك ، فهو ممنوع منه . و إن وقع شىء من ذلك ، فإن اختار التقشف و إيثار الغيرية ، كان فى حقه أولى ، و إن وافق وأخذ بقدر الضرورة ، فلا بأس . وله أن يأكل بإدام ، وله أن يدروز لعائلته ما يتم به كفايتهم . وكذلك لمن يرد عليه من الفقراء .

وحمل الزنبيل له فى الطريق شروط :

أحدها : خلوه عن الحظ فيه ، بل يمتثل مايؤمر به من المتقدم عليه .

وثانيها : إحضار ما طرح فيه بين يدى من أقامه فى تلك الخدمة .

وثالثها : وجود الأمانة فيما يحمله إلى الجماعة حتى يأتى به موفراً لا يخرج شيئاً منه لا لنفسه ولا لغيره .

ورابعها : أن يخرج وهو آيس من تعلق الأمل لجهة معينة ، بل يقصد الله تعالى فى تيسير طلبه .

وخامسها : إن سأل شخصاً معيناً فلايقف عنده بعد رده إما بإباحة أو منع ، ولا يفعل كما يفعل العوام من السؤال . و يقول : عاودوهم ، فإن القلوب بيد الله تعالى .

وسادسها : إن سأل وهو مار فى طريقه فايأخذ مايعطاه وهو مقبل ، ولا يرجع لمن يريد أن يعطيه شيئاً إذا ولى عنه ، بل إن أراد المعطى يتبعه حتى يعطيه ذلك القدر . فإن رجع وأخذ منه كان خللا فيما التزمه من طريقه .

وسابعها : أن يقصد بسعيه ذلك : وجه الله و إدخال الراحة والمسرة على قلوب إخوانه .

وثامنها : أن يرى لهم الفضل عليــه فيما أقاموه فيه . فإنهم اعتقدوا فيه أهلية لما أقاموه فيه .

وتاسعها : أن لايلتفت إذا مشى ، بل يجعل نظره إلى أمامه حيث يضع قدمه .

وعاشرها : إن اختــار أن يذكر عند حمل الزنبيل ذكراً معيناً . كقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، شيء لله . أو غيره من الأذكار مع قوله : شيء لله . أو يمشى ، وهو ساكت .

وصورة المشى فيه كافية فى الطلب ، أو يجعل الزنبيل على كتفه و يتمشى ، فمن وقع له فيه خاطر أن يسأله سأله . فكل ذلك واسع والاعتبــار فيه بالعوائد والنيات . والله الموفق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات . و إنما لكل امرىء ما نوى » انتهى السؤال والجواب .

وقال ابن رشيد ، وكان كثير البدار إلى الفتوى . فكثرت أجو بته .

٣٦ — محمد بن أحمد بن على بن عمر الأنصارى ، المصرى ، شمس الدين .

المعروف بابن جن البير .

نزيل مكة المشرفة .

سمع من : ابن عبد المعطى ، وابن حبيب ، وغيرهما بمكة .

جاور بمكة مدة مستوطناً فيها . وكان يتجر بها ، و يتولى صدقة الخبز للأمير جركس الخليلى وأمثاله على حواصله .

وكان بينه و بين الشريف أحمد بن عجلان ــ صاحب مكة المشرفة ــ ملاءمة كثيرة . فلما ولي مكة عنان بن مغامس بعد محمد بن أحمد بن عجلان . نهبت داره بمكة ، وخرج هو إلى نخله . ثم عاد إلى مكة بعد ذلك بأشهر فى السنة التى جرى عليه فيها ما ذكرناه . وهى سنة تسع وثمانين وسبعمائة .

وحضر الوقعة التى كانت بأذاخر فى آخر شعبان من هذه السنة بين عنان وآل عجلان . فلما حصل الظفر فيها لعنان . قبض على المذكور ؛ لأنه لم يستطع الهزيمة . وتمت عليه فى هذا اليوم إهانة عظيمة .

وتوفى يوم الأحد تاسع عشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

نقلت نسبة هذا من خط الشيخ نور الدين الفيومى .

٣٧ — محمد بن أحمد بن على المكي

المعروف : بالغنومى .

سمع من : الشيخ خليل المالكى . ولم يحدث فيما علمت . وكان نجاراً خيراً .

توفى فى سنة ست وتسعين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

٣٨ — محمد بن أحمد بن على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن أحمد بن على بن عبد الرحمن بن سعيد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن على بن حمود بن ميمون بن إبراهيم بن على ابن عبد الله بن إدريس بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبى طالب .

يكنى : أبا عبد الله ، وأبا الطيب . وبها اشتهر أخيراً .

ويلقب : تقى الدين الحسينى ، الفاسى ، المكى ، المالكى . قاضى المالكية بمكة . مؤلف هذا الكتاب .

ولد فى ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأول سنة خمس وسبعين وسبعمائة بمكة .

ونقل مع والدته وأخيه نجم الدين بن عبد اللطيف ـ الآتى ذكره ـ إلى المدينة النبوية ؛ لأن خالهما قاضى الحرمين محب الدين النويرى كان بها ـ إذ ذاك ـ قاضياً فى سنة تسع وسبعين أو فى سنة ثمانين .

وسمع بها المذكور الحديث على : أم الحسن فاطمة بنت الشيخ شهاب الدين الحرازى فى سنة ثلاث وثمانين .

ومن مسموعه عليها : الثقفيات العشرة .

ودرس القرآن العظيم ، حتى جود حفظه .

ثم قرأ فى سنة سبع وثمانين : الأربعين للنووى . وباب الإشارات معها . ثم كتاب الرسالة لابن أبى زيد المالكى ، وأكمل حفظه فى سنة ثمان وثمانين وعرضهما بالمدينة النبوية .

وفى شوال من سـنة ثمان وثمانين : انتقل المذكور وأخوه ووالدتهما من المدينة إلى مكة ، بعد وصول خالهما إليها قاضياً بها وخطيبا .

وقرأ المذكور بها : عمدة الأحكام ، حتى حفظها وعرضها فى سنة تسع وثمانين .

وفيها صلى بالناس التراويح بمقام الحنابلة بالمسجد الحرام .

وفيها ابتدأ يدرس مختصر ابن الحاجب الفرعى ، وأكمل حفظه فى سنة اثنين وتسعين وسبعمائة .

وفيها عرضه ، وحبب إليه فيها سماع الحديث النبوى . فسمع بها على المسند أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقى . المعروف : بابن الرسام : المنتخب من مسند عبد بن حميد ، ثم صحيح البخارى ، ومسند الدارمى .

وعلى القاضى نور الدين على بن أحمد النويرى : الموطأ لمـالك ، رواية يحيى ابن يحيى ، والشفا للقاضى عياض . وغير ذلك .

وسمع فى سـنة ثلاث وتسعين ، على الشيخ القدوة : شهاب الدين بن الناصح القرافى المصرى ، لما جاور بمكة : صحيح مسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن أبى داود وغير ذلك على غيره .

وفيها أكمل حفظ الألفية فى النحو لابن مالك ، وعرضها ودرس حفظاً جانباً كبيراً من مختصر ابن الحاجب الأصلى .

وفيها قرأ بحثاً : الورقات فى أصول الفقه ، لإمام الحرمين ، على : فتح الدين صدقة الترمنتى المصرى .

وفيها أو فى التى قبلها : قرأ فى الرسالة تفقهاً على ابن عم أبيه : الشريف عبد الرحمن بن أبى الخير الفاسى . وحضر دروسه فى ابن الحاجب الفرعي ، وابن الجلاب وغير ذلك

وسمع فى سنة أربع وتسعين : على ابن صديق عدة أجزاء وغير ذلك .

وفى سنة خمس وتسعين : قرأ فى التنقيح للقرافى بحثاً على الشيخ شمس الدين القليوبى . وحضر دروسه فى العربية ، وغير ذلك بمكة .

وفيها : قرأ على ابن صديق سنن ابن ماجة .

وفى سنة ست وتسعين : سمع على المحدث شمس الدين بن سكر أجزاء كثيرة . وسمع عليه قبل ذلك .

وفيها : قرأ سنن النسائى على ابن صديق .

وفيها : خرج جزءاً حديثياً لشمس الدين ابن الحبشى . ثم خرج جزءاً آخر لابن سكر فى سنة سبع وتسعين . وخرج قبل ذلك لغيرهما .

وفى سنة ست وتسعين : سمع بالمدينة على قاضيها برهان الدين إبراهيم بن فرحون : تاريخ المدينة للمطرى ، بسماعه منه . وعلى عبد القادر الحجار المدنى عدة أجزاء .

وفيها : سمع وقرأ أكثر مختصر الشيخ خليل الجندى فى الفقه على مذهب مالك رحمه الله ، على تلميذه القاضى زين الدين خلف بن أبى بكر التحريرى المالكى بحثا .

وسمع عليه دروساً فى مختصر ابن الحاجب الفرعى ، ومنهاج البيضاوى بالحرم النبوى فى مدة أشهر .

وفى سنة سبع وتسعين : قرأ على مفتى الحرم وقاضيه جمال الدين أبى حامد محمد بن عبد الله بن ظهيرة ، القرشى ، الشافعى ، أحاديث مشيخة ابن البخارى عن ابن أميلة ، وابن أبى عمر عنه . ومعجم ابن جميع عن ابن أميلة والاسكندرى وغير ذلك من الأجزاء العوالى وغيرها . وتبصر بها فى متعلقات الحديث .

وفيها رحل وأخوه عبد اللطيف بعد الحج إلى الديار المصرية ، وقرأ بها ، وأخوه يسمع شيئاً كثيراً على : البرهان إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد البعلى ، المعروف بالشامى ، والزين عبد الرحمن بن أحمد العربى المعروف : بابن الشيخة ،

وأم عيسى مريم بنت أحمد بن القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم الأذرعى ، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى ، والإمام سراج الدين عمر ابن أبى الحسن الأنصارى ، المعروف : بابن النحوى ، وابن الملقن ، والحافظين : زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى ، ونور الدين على ابن أبى بكر الهيثمى ، وأبى المعالى عبد الله بن عمر الحلاوى ، وأحمد بن حسن ، المعروف : بالسويداوى ، وخلق .

وقرأ على العراقى : شرحه لألفيته فى الحديث ، المسماة : بالتبصرة ، حتى أكمل قراءته بحثاً وفهماً فى سابع عشر جمادى الآخرة من سنة ثمانمائة .

وأذن له الحافظ زين الدين العراقى فى أن يدرس ويفيد فى علم الحديث . وكتب له بذلك خطه .

وفى شعبان سنة ثمان وتسعين . رحل من القاهرة إلى دمشق لسماع الحديث .

وفى العشر الأخير من المحرم منها : كان قدومه إلى القاهرة من مكة .

وقدم دمشق فى آخر شعبان ، وقرأ بها وبصالحيتها وغير ذلك من غوطتها أشياء كثيرة من الكتب والأجزاء على جماعة كثيرين من أصحاب الحجار ، وغيره منهم : على بن محمد بن أبى المجد الدمشقى . قرأ عليه صحيح البخارى بسماعه له على وزيره ، ومن كتابه : الإكراه إلى آخره ، على الحجار . وغير ذلك من الأجزاء.

ومنهم : مسند الدنيا أبو هريرة عبد الرحمن بن الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى ، قرأ عليه بكفر بطنا : الأربعين ، التى خرجها له أبوه ، وعدة أجزاء متصلة بالسماع من حديث أبى الوقت السجزى ، والحافظ أبى طاهر السلفى ، وأجزاء أخر عالية من حديث غيرها .

فمن ذلك : المائة الشريحية ، وجزء بنى الهرثمية ، وثانى حديث ابن مسعود لابن صاعد ، وأحاديث الترمذى ، من ذم الكلام للهروى ، والبعث والنشور لابن أبى داود ، والثقفيات العشر ، و بعض الشيرازيات ، وجميع الخلعيات بسماعه

لأجزاء منها : على يحيي بن سعد عن ابن صباح ، وإجازته لباقيها من : ابن سعد عن ابن صبـاح ، وجزء مأمون بن هارون ، ومشيخة السهروردى ، عن ابن الشيرازى عنه ، ومجلس رزق الله التميمى وغير ذلك .

ثم توجه إلى القاهرة فى صفر من سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، وزار المسجد الأقصى ، وسمع به على مسنده : أبى الخير أحمد بن الحافظ صـلاح الدين خليل ابن كيكلدى العلائى الأربعين ، التى خرجهـا له المحدث أبو حمزة أنس بن على الأنصارى ، والنصف الأول من الجزء الأول الـكبير من حديث المخلص بسماعه على الحجار عن القطيعى وغير ذلك ، وعلى غيره .

و بغزة على أحمد بن محمد بن عثمان الخليلى : المسلسل بالأولية ، وجزء ابن عرفة ، والبطاقة ، بسماعه لذلك كله على الميدومى .

وقدم القاهرة فى ربيع الأول منها . فسمع بها على : على ابن أبى المجد وغيره أشياء كثيرة . منها على ابن أبى المجد : العوارف للسهروردى بإجازته من القاضى سليمان بن حمزة ، وأبى نصر بن الشيرازى عنه .

وحضر دروس القاضى تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز المالـكى بالحجازية مدة.

وأذن له فى سنة ثمانمائة فى جمادى الآخرة فى الإفتاء والتدريس .

وفى هذه السنة : رحل إلى دمشق ، وسمع بها أشياء كثيرة من الـكتب والأجزاء لم يكن سمعها قبل ذلك . وسمع بها فى هـذه الرحلة على شيوخ لم يكن سمع عليهم . منهم : أم القاسم خديجة بنت إبراهيم بن سلطان البعلى ، روت له عن القاسم بن عسا كر حضوراً . وتفردت عنه وغيرها من أصحاب الحجار وغيره .

وعاد منها إلى القاهرة فى رمضان من سنة ثمانمائة وحج فيها .

وحضر فى سنة إحدى وثمانمائة مجلس الشريف عبد الرحمن الفاسى فى الفقه . وأذن له فى التدريس والإفتاء فى هذه السنة . وقرأ فيها : صحيح البخارى ،

والموطأ رواية يحيي بن يحيي ، على : الإمام برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أيوب الانباسى الشافعى .

وقرأ عليه قبل ذلك بزاويته بالمقسم ظاهر القاهرة شيئاً من الحديث ، ومن منهاج البيضاوى فى الأصول بحثاً .

وتوجه بعد الحج من سنة إحدى وثمانمائة إلى القاهرة . فوصلها فى العشر الأخير من المحرم سنة اثنتين وثمانمائة .

وسمع بها فى هذه السنة : غالب مسند الإمام أحمد بن حنبل بقراءة صاحبه الحافظ الحجة شهاب الدين أحمد بن على بن حجر ، على أبى المعالى عبد الله بن عمر الحلاوى ، ثم أكمل عليه ما فاته منه .

ورحل فى هذه السنة إلى الاسكندرية ، ولم يقدر له بها سماع .

وكان رحل إليها فى رمضان سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

وسمع بها على الهزبر رئيس المؤذنين بالجامع الغربى بقراءته : مشيخة الرازى عن ابن المصفى .

ورحل أيضاً فى سنة اثنين وثمانمائة إلى دمشق ، صحبة الحافظ الحجة ابن حجر . فسمع بسرياقوس ، على : الإمام صدر الدين الابشيطى جزء البطاقة .

و بغزة على : أحمد بن عثمان الخليلى ، السابق ذكره .

و بالرملة على : المحدث شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد ، المعروف : بالمهندس .

و بزعلش : المسلسل بالأولية ، وما فى مشيخة ابن البخارى من جزء الأنصارى .

وعلى المفتى عبد الله بن سلمان المصرى المالكى ، المعروف : بابن شحاده : حديث ابن ماسى فى جزء الأنصارى ، بسماعهما لذلك من الميدومى .

ثم سمع بدمشق وصالحيتها : بقراءة ابن حجر ، والإمام خليل بن محمد بن محمد

الآقفهسى . وبقراءة غيرها وقراءة نفسه أشياء كثيرة جداً من الكتب والأجزاء والمنتخبات على : فاطمة بنت ابن المنجا وغيرها من أصحاب الحجار وغيره . وكان مبدأ ذلك فى رمضان سنة اثنتين وثمانمائة .

وفى أوائل المحرم من سنة ثلاث : توجه إلى القاهرة فى صحبة الحافظ ابن حجر وخليل الآقفهسى ، ووصلوا إليها فى آخر المحرم من سنة ثلاث ، بعد أن سمع أشياء بنابلس والقدس وغيره .

وسمع بالقاهرة فى سنة ثلاث ، وفى سنة أربع : أشياء كثيرة .

وفى سنة أربع : أذن له القاضى زين الدين خلف فى الإفتاء والتدريس . وكذلك القاضى تاج الدين بهرام المالكى ، بعد قراءته عليه جميع كتابه الفائق . المسمى : بالشامل ، الذى اختصر فيه شرح ابن الحاجب الفرعى ، لشيخه الشيخ خليل الجندى المالكى ، المسمى : بالتوضيح ، قراءة تصحيح و بحث لما أشكل . وكتب له بهرام عليه إجازة قال فيها :

إنه قرأ عليه كتابه « الشامل » قراءة بحث وتفهم . وقد أفاد فى ذلك أكثر مما استفاد . وقد أذنت له أن يرويه عنى ، مع جميع ما ألفته فى الفقه والنحو ، والأصول من منظوم ومنثور ، وفى الفرائض ، والعروض وغير ذلك ، وما قرأته على الأشياخ ، أو سمعته من حديث وتفسير ، وغير ذلك من العلوم . وأجزته بالفتيا والتدريس فى جميع ذلك ، لعلمى : أنه أهل لذلك ، مستحق لأن ينظم فى سلك أهل العلم . انتهى باختصار .

وحج فى هذه السنة . وأقام بمكه حتى حج فى سنة خمس وثمانمائة .

وقرأ فى هذه السنة : صحيح مسلم ، على قاضى الحرم : جمال الدين بن ظهيرة . وأذن له فى التدريس فى علم الحديث .

ثم توجه بعد الحج من سنة خمس وثمانمائة إلى اليمن .

وسمع بها بعدن على : الوجيه عبد الرحمن بن حيدر الشيرازى ، من حديث الفخر ابن البخارى يسيراً .

وتوجه منها إلى مكة . فبلغها فى أواخر ذى القعدة فى سنة ست وثمانمائة .

ومضى بعد الحج إلى المدينة النبوية ، ثم إلى دمشق فى الدرب الشامى ، على طريق تبوك . فبلغها فى الرابع والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانمائة .

وسمع بها على : خطيبها ومفتيها شهاب الدين أحمد بن حجى . وأذن له ابن حجى فى التدريس فى علم الحديث ، ونحويها نور الدين الأنبارى وغيرهما . وعلق بها واستفاد .

وتوجه منها فى يوم الجمعة ، الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وثمانمائة إلى القاهرة على طريق الغور وبيسان .

ووصل القاهرة فى جمادى الآخرة .

وسمع بها على الحافظ نور الدين الهيثمى : جانباً كبيراً من كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وغير ذلك .

وفى شوال منها : ولى قضاء المالكية بمكة ، من قبل الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق . ولم يل القضاء بمكة قبله أحد مستقلا ، ورتب له على ذلك معلوم .

وتوجه مع الحجاج المصريين إلى مكة . فبلغها فى آخر ذى القعدة من سنة سبع وثمانمائة .

وفى أوائل ذى الحجة قرىء توقيعه بالولاية بالمسجد الحرام خلف مقام الحنفى بعد صلاة العصر بحضرة أمير الحاج المصرى الأمير كزل العجمى وغيره من أعيان الحجاج وأهل مكة .

وفى سنة اثنتى عشر وثمانمائة زار المدينة النبوية ، وحضر بها مجلس الإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد الوانوغى فى الأصول والفقه وغير ذلك .

وأذن له الوانوغى فى الإفتـاء والتدريس . وكتب له خطه بذلك بمنى فى أيامها من سنة ثلاث عشرة .

ومما كتبه الوانوغى فى إجازته للمذكور ـ بعد أن ذكر طلبه للاجتماع بعلماء مكة ـ :

كان ممن اجتمعت به وذاكرته ، وباحثته مراراً عديدة فى مسائل كثيرة من مسائل الفقه وغوامضه ، وما يتعلق بها . وتكررت أسئلته عن ذلك كله ومباحثه فيها ، مرة بعد أخرى : السيد الفقيه ، الفاضل ، الأعدل ، الأكمل ، الجـامع للصفات الفاضلة ، الحسيب الأصيل ، القاضى تقى الدين محمد بن الشيخ الحسيب الأصيل شهاب الدين أحمد بن على الفاسى . نفع الله بفوائده وعلومه الجليلة .

وقد ورد علينا بالمدينة الشريفة ، وحضر معنا درس الفقه والأصول ، وأبدى فيه من فوائده ومباحثه الجليلة ما يليق بعلمه وفضله على طريقة أهل الفنون والمبـاحث . فرأيته فى ذلك كله : أهلا للتدريس ، والفتوى ، والحـكم ، وإفادة الطالبين ، مع ما جبل عليه من حسن الفهم ، وحسن الإيراد ، وسعة البـال فى البحث والمراجعة فيه .

فأوجب ذلك كله : الإذن له فى التدريس ، والفتوى ، وإفادة الطلبة ، وحثه على الاشتغال بذلك كله ، والملازمة له : لينتفع به النـاس عموماً ، وأهل بلده خصوصاً . فإنى لم أر من فقهاء المالـكية بالحجاز كله من يقاربه فى جميع ما ذكرناه ـ نفع الله به ـ ولا فى اتصافه فى العلم ولا فى الفهم عن الأئمة . انتهى بنصه باختصار من أوله وآخره .

وسبق صورة جميع ما كتبه الوانوغى فى ترجمة الوانوغى .

وفى سنة أربع غشرة وثمانمائة درس للمالـكية بالمدرسة السلطانية الغياثية البنجالية ، التى بالجانب اليمانى من المسجد الحرام عند باب الحزورة .

ودرس قبل ذلك بالمسجد الحرام مدة . وأفتى كثيراً من سنة ثمان وثمانمائة وإلى تاريخه .

واستمر متوليا لتدريس البنجالية ولقضاء المالكية ، حتى صرف عن ذلك فى الرابع والعشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة بقريبه الشريف أبى حامد ابن الشريف عبد الرحمن الفاسى .

وفى ابتداء العشر الأول من ذى القعدة منها : عاد إلى ولاية قضاء المالكية بمكة وأتى الخبر بذلك والتوقيع فى ليلة الخامس عشر من ذى الحجة . فباشر الأحكام ، وامتنع منها قريبه المذكور .

وكان مدة مباشرة قريبه لذلك : نحو اثنى عشر يوماً .

واستمر صاحب هذه الترجمة مباشراً إلى سابع عشر المحرم سنة عشرين وثمانمائة لوصول توقيع بوظيفة قضاء المالكية للإمام شهاب الدين أحمد بن القاضى نور الدين على النويرى ، مبنياً على إنهاء فاسد بسعى بعض أهل الهوى .

وتاريخ التوقيع : عاشر ذى الحجة سنة تسع عشرة وثمانمائة . ولم يباشر ذلك شهاب الدين النويرى المذكور لاختفائه خوفاً من تعب يناله من وجه آخر .

فلما كان الرابع من جمادى الأولى سنة عشرين وثمانمائة : وصل توقيع شريف يتضمن استقرار صاحب هذه الترجمة . واستمراره فى وظيفته قضاء المالكية بمكة وأعمالها ، وما كان معه قبل ذلك . فباشر الأحكام وغيرها إلى تاريخه وهو شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة . ولم يخل فى خلال مباشرته من خيِّر منصف : يحمده و يذكر محاسنه ، ولا من بذىء متحامل : يغض منه بالهوى . وقد بلى بمثل ذلك الأخيار فى جميع الأعصار .

وشيوخ صاحب هذه الترجمة كثيرون جداً . ولعلهم نحو خمسمائة شيخ بالسماع والإجازة .

ومن شيوخه بالإجازة : التاج أحمد بن محمد بن عبد الله بن محبوب ، والزين عبد الرحمن بن الأستاذ الحلبى .

وقد سمع المذكور بالحرمين ، وديار مصر ، والشام ، واليمن .

ومن شيوخه باليمن : المقرىء شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن عياش الدمشقى . سمع منه أحاديث من جزء ابن عرفة عن على بن العز عمر ، حضوراً عن أحمد بن عبد الدايم بزبيد فى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة .

وسمع بها أيضاً فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة .

ومن مؤلفات صاحب هذه الترجمة : أربعون حديثاً متباينة الإسناد والمتون بالسماع المتصل من حديث العشرة المشهود لهم بالجنة ، والصحابة الذين انتهى إليهم العلم ، والصحابة المكثرين ، والعبادلة الأربعة ، والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة ، وفيها من النفائس غير ذلك .

وكان ابتداء تخريجه لها فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة بالقاهرة .

ومنها فهرست تشتمل على ذكر أشياء من مروياته بالسماع والإجازة ، ولم يذكر فيها من الأجزاء إلا ما كان مترجماً باسم الكتاب ، وهو قليل .

وذكر فى أوائلها أحاديث عالية من مروياته .

وكان تأليفه لها فى أوائل سنة اثنتى عشرة وثمانمائة . وهى فى عدة كراريس .

وسبب تأليفه لها : أن الشيخ الإمام البارع عطا الله الهندى الحنفى سأله فى ذلك ، وسأله أن يسوغ له التدريس والفتوى فى مذهب مالك . فأجابه صاحب هذه الترجمة لسؤاله .

ومنها : تواريخ لمكة المشرفة . بعضها على نمط تاريخ الأزرقى ، جمع فيها بين ما ذكره الأزرقى من أخبار عمارة الكعبة المعظمة ، وخبر حليتها ، ومعاليقها وكسوتها ، وخبر الحجر الأسود والحِجْر — بسكون الجيم — والمقام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، والمسجد الحرام ، وزمزم ، وسقاية العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه ، والصفا والمروة ، وحدود الحرم ، والأماكن المباركة بمكة المشرفة ، وحرمها المعروف بعضها : بالمساجد ، وبعضها : بالمواليد ، وبعضها : بالدور ، وأمطار مكة فى الجاهلية والإسلام وغير ذلك . وبين ما كان بعد الأزرقى من الأخبار الملائمة لذلك .

وأضاف إلى ذلك أحاديث وآثاراً فى فضائل الكعبة والأعمال المتعلقة بها . وفى فضل الحجر الأسود والركن اليمانى ، والحِجْر – بسكون الجيم – والمقام ، والمسجد الحرام ، ومكة ، والحرم ، وزمزم ، وغير ذلك من المواضع المباركة بمكة وحرمها ، مما ذكره الأزرقى . وأضاف إلى ذلك أموراً كثيرة مفيدة لم يذكرها الأزرقى . فى بعضها ما عنى بجمعه الأزرقى ، و بعضها لم يعن به .

فمن الأول : أحاديث نبوية ، وآثار عن الصحابة والسلف ، وأخبار جاهلية لها تعلق بمكة وأهلها ، وولاتها ، وملوكها .

ومن الثانى : مسائل فقهية وحديثية ، وما علمه من المآثر بمكة وحرمها . كالمدارس والربط وغير ذلك ، وما علمه من ولاة مكة فى الإسلام على سبيل الإجمال . وأخبار إسلامية تتعلق بمكة وأهلها وولاتها والحجاج ، و يسير من هذه الأخبار ذكرها الأزرقى .

وذكر أيضاً بعض المآثر ، و بعض المسائل الفقهية . وهذا القسم مما يكثر الاغتباط به لأن غالبه لم يحوه كتاب ، و إليه تشرق ذوو الألباب .

وهذه التآليف خمسة . أكبرها : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، فى مجلدين .

ثم مختصره المسمى : تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام . فى نحو نصف أصله . و إلى الآن لم يكمل تأليفهما بالكتابة .

ثم مختصره : تحصيل المرام ، من تاريخ البلد الحرام .

ثم مختصره : هادى ذوى الأفهام ، إلى تاريخ البلد الحرام .

ثم مختصره : الزهور المقتطفة ، من تاريخ مكة المشرفة .

ومنها ، تاريخ يسمى : العقد الثمين ، فى تاريخ البلد الأمين ، يشتمل بعد خطبته على الزهور المقتطفة ، ثم سيرة نبوية مختصرة من سيرة مغلطاى . وفيها زيادات عليها كثيرة مفيدة .

ثم تراجم جماعة من ولاة مكة ، وقضاتها ، وخطبائها ، وأئمتها ، ومؤذنيها .

وتراجم جماعة من العلماء والرواة من أهل مكة وغيرهم ، ممن سكنها مدة سنين ، أو مات بها .

وتراجم جماعة وسعوا المسجد الحرام ، أو عمروه .

وتراجم جماعة عمروا أشياء من الأماكن المباركة بمكة وحرمها . كالمساجد والمواليد وغير ذلك .

وتراجم جماعة عمروا أشياء من المآثر بمكة . كالمدارس ، والربط ، والآثار والسبل ، والبرك ، والمطاهر ، وغير ذلك .

وتراجم جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ذكروا مع غير أهل مكة لسكناهم غيرها . وإنما ذكرهم فى تأليفه لكونهم مكيين ؛ لأن مكة دارهم — بلا ريب — وسكناهم غيرها إنما كان بأخرة ، ولا يخرجهم ذلك عن كونهم مكيين ، وهم الصحابة رضى الله عنهم من قريش وأبناؤهم ، وإن لم يثبت لبعض الأبناء صحبة ، أو ولد بغير مكة ؛ لأنهم تبع لآبائهم .

وكذلك الصحابة من بنى كنانة وخزاعة لمشاركتهم قريشا فى الدار ، وهى مكة ، أو باديتها ، كما بينه فى تأليفه ، وإن كانوا عدوا مع غير أهل مكة ؛ لأن المعنى فى عدهم مع غير أهل مكة ما ذكره فى قريش .

وكذلك الصحابة من موالى قريش وكنانة وخزاعة ؛ لأنهم فى حكمهم .

وكذلك الصحابة من خلفاء قريش .

وكذلك الصحابة من أهل الطائف من ثقيف ومواليهم ، ومن غيرهم ؛ لأن الطائف من عمل مكة من قديم الزمان ، حتى الآن .

وكان ابتداء تأليف التراجم المذكورة فى العقد الثمين على الوجه المذكور فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ، وإلى الآن لم يكمل تأليفها ؛ لأن أكثر أهل الكنى من الرجال والنساء المسميات والمكنيات لم يكتب تراجمهم . وكذلك عدة تراجم

فى حرف الياء المثناة من تحت ـ يسر الله تأليف ذلك كله وتحريره .

وهـذا التأليف : يكون فى خمس مجلدات ، مع مرعاة الاختصار ، بترك إخراج الأحاديث فى كل ترجمة وغير ذلك .

ولم يخل هذا التأليف من أحاديث وآثار وحكايات وأشعار . وكل ذلك بالإسناد والتراجم المذكورة على ترتيب حروف المعجم ، خلا المحمدين والأحمديين فإنهم مقدمون على غيرهم لشرف هذين الإسمين على غيرهما من الأسماء .

وكان قد ألف فى سنة خمس وثمانمائة مجلدا فى هذا المعنى ، غير أنه لم يذكر فيه من الصحابة المشار إليهم إلا نفراً يسيراً جداً .

ثم اختصره باليمن فى سنة ست وثمانمائة .

ثم اختصر المختصر وأكمل تأليفه بدمشق فى سنة سبع وثمانمائة . وجعل فى أوله مقدمة لطيفة تتضمن أشياء من أخبار الكعبة المعظمة ، والمسجد الحرام ، والأماكن المباركة بمكة وحرمها ، وحدود الحرم وغير ذلك .

ووقف عليه خطيب دمشق ومفتيها القاضى الإمام شهاب الدين أحمد ابن حجى وغيره من فضلاء دمشق .

وكتب كل منهم بخطه ثناء على ذلك المختصر ومؤلفه .

ثم وقف عليه الحافظان العلامة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن حافظ الإسلام زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى ، وأبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى بالقاهرة فى سنة سبع وثمانمائة .

وكتب كل منهما ثناء على ذلك المختصر ومؤلفه .

وكان ابتداء عنايته بتحصيل تراجم غير الصحابة فى سنة اثنتين وثمانمائة بالقاهرة ، ثم ظفر منها بجانب كبير بدمشق فى هذه السنة ، ثم صار يزداد معرفة فى ذلك ، وعلق جميع ما علمه من ذلك من غير ترتيب ، ثم ألفه ورتبه كما سبق بيانه .

وكان أراد أن يجعل التاريخ الكبير الذى ألفه على نمط تاريخ الأزرقى مقدمة للعقد الثمين . فلما عرف أنه يجىء كبيراً ، وأنه يكون مع التراجم فى مجلدات كثيرة : أفرد التاريخ الذى على نمط تاريخ الأزرقى عن التاريخ الذى فيه التراجم ، وضم إلى الذى فيه التراجم المختصر الأصغر المسمى : بالزهور ، ليحصل للناظر فى التاريخ الذى فيه التراجم معرفة ما اشتمل عليه الزهور والتراجم .

وكان تأليفه للزهور فى سنة تسع عشرة وثمانمائة .

وكان — لما استطال التاريخ الذى على نمط تاريخ الأزرقى — : اختصر منه قبل أن يفرده عن التراجم مختصراً سماه : تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام . يكون فى مجلد . ورتبه على أربعة وعشرين باباً ، وجاء الباب الأخير منه قدر ثلث الكتاب لكون الكلام انجر فيه من شىء إلى شىء . ثم جعل الباب الأخير بما ضمه إليه من الفوائد الكبيرة ، والأخبار المتعلقة بفتح مكة وولاتها والحجاج وغير ذلك : خمسة عشر بابا فى شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ومختصره المسمى : تحفة الكرام ، بأخبار البلد الحرام .

فلما اختصر المختصرات بعد ذلك : جاءت أبوابها أربعين باباً .

وفى كل من هذه المختصرات من الفوائد والأخبار ماليس فى الآخر .

ومنها : تأليف يسمى : عجالة القرى للراغب فى تاريخ أم القرى . اختصره من العقد الثمين ولم يكمله . وأكثر تراجمه مؤلفة . ويكون — إن شاء الله تعالى — فى مجلدين أو أكثر .

ومنها : فى التاريخ الذى لا يختص لمكة تأليف . سماه : بغية أهل البصارة فى ذيل الإشارة . فى خمسة عشر كراساً صغاراً .

والإشارة المذكورة : تأليف للحافظ أبى عبد الله الذهبى . ذكر فيه جماعة من أعيان العلماء والرواة وغيرهم . واختصر فيه فى الغالب على اسم الإنسان ، وأبيه وجده ، وما يعرف به . وقد يذكر شهر وفاته . وابتدأ فيه من السنة الأولى من الهجرة . وانتهى فيه إلى سنة إحدى وسبعمائة .

فذيل عليه صاحب هذه الترجمة من سـنة إحدى وسبعمائة وإلى تاريخه على النمط الذى ذكره الذهبى . وأبسط قليلا وجاهد الذيل فى قدر الإشارة ، ثم أوضح التراجم المذكورة فى هذا الذيل إيضاحاً مناسباً بزيادة تراجم ، وإلى الآن لم يكمل تأليفه لذلك . والبـاقى منه أكثر التراجم من سنة إحدى وسبعمائة ، وإلى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، لأنه ابتدأ من أول القرن التاسـع ، ثم ما قبله حتى انتهى إلى سنة أربعين .

ومنها : تأليف لطيف نحو ثلاثة كراريس . سماه : إرشاد ذوى الأفهام إلى تـكميل كتاب الأعلام بوفيات الأعلام للحـافظ الذهبى ، ويسمى أيضاً : درة التاريخ . ابتدأ فيه الذهبى من السنة الأولى من الهجرة . وانتهى فيه إلى سـنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

واختصر فيه الذهبى فى الغالب على مايعرف به الإنسان ، وذيل عليه صاحب هذه الترجمة ذيلا أبسط منه مناسباً له .

ومنها : اختصار كتاب « حياة الحيوان » للشيخ كمال الدين موسى بن محمد الدميرى ـ الآتى ذكره ـ . ونبه فيه على أشياء كثيرة مفيدة تتعلق بما ذكـره الدميرى فى ذلك .

وفرغ من اختصاره مع الشبهات المشار إليهـا من غير استقصاء فى آخر ذى القعدة سنة اثنين وعشرين وثمانمائة . وسمى هذا المختصر « مطلب اليقظان ، من كتاب حياة الحيوان » .

ومنها : فى الفقه عدة تآليف ، منها فى المناسك : ثلاثة تآليف ، الأصغر منها : كراس صغير ، والأوسط : كراسان صغيران ، وكلاهما على مذهب مالك والشافعى رضى الله عنهما . والأكبر لم يكمل تأليفه . وسنذكـر فيه إن شاء الله تعالى مذهب أبى حنيفة وابن حنبل رحمهما الله تعالى واسمه : إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك .

ومنها عدة تآليف فى مسائل مفردة ، حصل فيها نزاع بينه و بين غيره من المعاصرين له . منهـا : الإيقاظ من الغفلة والحيرة فى مسألة إقرار ظهيرة . وهى : أن ظهيرة حصل منه إقرار مولج . فحكم نائب صاحب هذه الترجمة ببطلان ذلك الإقرار .

فأفتى الشيخ أبو عبد الله الوانوغى ـ السابق ذكره ـ فى ذلك الحكم بما لم يسدد فيه .

وألف صاحب هذه الترجمة فى الرد على الوانوغى التأليف المشار إليـه ، ثم اختصره فى مختصرين .

ووقف على المختصر الأصغر من ذلك قاضى القضاة بالقاهرة ، وشيخ المالكية بها : جمال الدين عبد الله الآقفهسى رحمه الله . وكتب عليه ما نصه :

لقد حقق وأجاد فيما أتى به من السداد ، كل ذلك بفضل الكريم الجواد . وكتبه عبد الله الآقفهسى المالكى .

ثم وقف عليه الإمام عالم فاس وابن عالمها : أبو القاسم بن موسى بن محمد بن موسى العبدوسى ، الفاسى المالكى بمكة ، لما قدمها حاجاً فى سنة عشرين وثمانمائة وكتب عليه ما نصه :

الحمد لله ، يقول كاتبها أبو القاسم العبدوسى ـ لطف الله تعالى به ـ وقفت على ماأفتى به سيدنا الإمام ، العالم ، العامل ، الحافظ ، القدوة ، تقى الدين محمد بن أحمد ابن على الحسنى . فوجدته : الحق الذى لا يشك فيه ، وما سواه من الجواب غيره هذيان لاأدرى كيف صدر من كاتبه . والله يرشد من يشاء إلى فضله بمنه ورحمته.

وكتب الإمام أبو القاسم العبدوسى المذكور بعد أن مر على شفاء الغرام . تأليف صاحب هذه الترجمة ثناء كثيرا على نحو صالحه .

وسمع على صاحب الترجمة أربعة أحاديث من أول أربعينه المتباينة . وهى أحاديث الخلفاء الأربعة الراشدين . وسيأتى ما كتبه على شفاء الغرام إن شاء الله تعالى .

وكتب العلامة الكبير الحافظ ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ زين الدين العراقى فى سنة سبع وثمانمائة على المختصر الأصغر من كتاب التراجم الذى فى أوله : المقدمة اللطيفة المشار إليها مانصه فى أول ورقة منه ترجمة له « عجالة القرى ، فى مختصر تاريخ أم القرى » تأليف الشيخ الإمام العالم الحافظ زين المحدثين ، مفيد الطالبين ، مفتى المسلمين ، ذى الفوائد العديدة ، والمناقب الحميدة تقى الدين محمد بن أحمد بن على الحسنى الفاسى المكى المالكى . أمتع الله ببقائه ، وزاد فى علوه وارتقائه آمين .

ثم كتب أيضاً على التأليف المذكور فى ورقة غير هذه الورقة ما نصه :

أما بعد حمد الله الذى شرف ماشاء من البقاع . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى شُرفت بمنشئه ومدفنه تلك الأصقاع ، وعلى آله وصحبه الذين جمعوا بين شرفى العلوم والاتضاع .

فقد وقفت على هذا التأليف الجارى على القوانين والأوضاع ، والتصنيف البديع الذى ليس فيه ابتداع . والجمع الذى يشهد لجامعه بحسن الاختراع ، والمجموع الجامع لصدق النقل وحسن الانتزاع ، والتاريخ الذى انعقد على فضيلة الإجماع ، والروض الذى ضاع نشره وما ضاع منه بل حفظ وذاع . فانتفعت به أحسن الانتفاع ، والتقطت من فوائده ما ليس فى حسنه نزاع ، واعترفت لجامعه بحسن الجمع وكثرة الاطلاع ، وسعة المعرفة والاضطلاع . فهو إمام له فى المشكلات انبساط ، وعلى العلم انجماع ، وحافظ فى حفظه اتساع ، وثقة فيما ينقله عن كتاب أو سماع ، وعالم له مع تواضعه ارتفاع . ومتقن ضم إلى حضور القلب حسن الاستماع . والله تعالى يحفظ عليه ما من به عليه من التقى فهو خير زاد ، وغنى النفس فهو خير متاع ، ويديم النفع به حتى يأتى أمر الله الذى ليس له دفاع .

كتبه أحمد بن عبد الرحيم العراقى الشافعى ــ لطف الله به وبوالديه ومشايخه ــ حامداً ومصلياً ومسلماً فى ليلة الأربعاء الثانى والعشرين من شوال سنة سبع وثمانمائة بمنزلى بشاطىء النيل المبارك بظاهر القاهرة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكتب الحافظ شهاب الدين ابن حجر على هذا التأليف . مانصه :

الحمد لله الذى جعل من تولاه بعنايته تقيا ، وفضل بعض خلقه على بعض ، فرقى منهم سعيداً وأردى منهم شقياً ، وشرف بعض الأمكنة على بعض ، فاختص البلد الحرام بالأمن والمحبة والبركة ، وكفى بذلك فخراً مرضياً .

وصلى الله على سيدنا محمد أرفع العالمين قدراً علياً . وعلى آل محمد وصحبه الأبرار الذين حفظوا السنن ونقلوها ، وعرفوا معانيها وعقلوها ، ونظروا إلى الدنيا بعين الازدراء فما مقلوها . صلى الله عليهم أجمعين ، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد وقفت على هذا التأليف البديع وصفا ، الغريب صنفاً . فوجدته فاق المصنفات فى هذا الفن ،لصدق مغزاه ، وتخصص بالشرف المطلق لفظه ومعناه . فهو تصنيف شريف ، فى معنى شريف ، لبلد شريف . اختاره الله وارتضاه .

حبّره وأجاد فى تأنيقه السيد الإمام الأوحد ، البارع المتقن ، ذو الأصل الزكى ، والذهن الوقاد الذكى . تقى الدين ، مفتى المسلمين ، حامى حمى الفقه والحديث ، مع ما انضاف إلى ذلك من تقوى صدقت لاسمه مسماه ، وعبادة وزهادة ، وتواضع لائق بمن اصطفاه الله . فالله تعالى يلهمه شكر هذه المنة ، و يبقيه لحفظ السنة .

قاله وكتبه أحمد بن على العسقلانى .

وكتب عليه خطيب دمشق ومفتيها : القاضى شهاب الدين أحمد بن الإمام علاء الدين حجى السعدى الشافعى ما نصه :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فقد وقفت على مختصر التاريخ لمكة المشرفة ، الذى جمعه السيد الشريف ، الإمام ، المحدث ، الفقيه ، العالم ، البارع فى فنون العلم ، المفيد ، المؤرخ الأوحد ، الضابط ، المتقن ، الثقة ، اليقظ ، جمال المحدثين ، تقى الدين أبو عبد الله

محمد بن السيد الشريف ، الإمام العـالم شهاب الدين أبى العباس أحمد الحسنى ، الفاسى المـكى المالـكى . متع الله به ونفعه ، وأعلاه ورفعه .

فرأيته قد أبان فيه عن حفظ واطلاع ، ومعرفة واضطلاع ، وضبط لما يكتبه ويمليه ، وتحرير لما ينقله ويرويه . فأفدت منه أشياء مفيدة ، وعلقت منه تراجم وأسمـاء عديدة ، وذاكرنى بمواضع من لفظه ، معتمداً على فهمه وحفظه ، وإنى لأرجو إن طال أجله ، ودام عمله : أن يصـير ممن يعتمد عليه ، ويشار بالأصابع إليه والله تعالى المسؤل أن يزيد فى حياته ويوفقنى وإياه لمرضاته .

قال ذلك وكتبه : أحمـد بن حجى بن موسى بن أحمـد بن سعد السعدى الشافعى . حامداً لله تعالى مصلياً على نبيه محمد وآله وصحبه ومسلما ، فى الثامن من جمادى الأولى سنة سبع وثمانمائة . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد أحسن فى الثناء على هذا التأليف ، وعلى مؤلفه من فضلاء المحدثين : بدر الدين أبو حمزة أنس بن على بن محمـد بن أحمد الأنصـارى الدمشقى ، وصلاح الدين ـ ويقال : غرس الدين ـ خليل بن محمد بن محمد بن عبـد الرحيم الآقفهسى المصرى ، وشمس الدين محمد بن أبى بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسى الدمشقى ، المعروف : بابن ناصر الدين .

وكتب كل منهم خطه بذلك . وصورة ما كتبوه موجود فى التـاريخ المذكور ، وترك ذكره اقتصاراً .

وكتابة : أنس ، وابن ناصر الدين فى سنة سبع وثمانمائة .

وكتابة : غرس الدين خليل فى سنة ثمان وثمانمائة ، بعد أن قرأ التأليف المذكور على مؤلفه .

وكتب العلامة ولى الدين أبو زرعة ابن العراقى على ما وقف عليه من إيضاح ذيل الإشارة ، المسمى « بغية أهل البصارة » تأليف صاحب هذه الترجمة . وذلك فى سنة إحدى وسبعمائة ، وإلى سنة عشرين وثمانمائة ما نصه :

وقفت على هذا التاريخ المفيـد ، والتأليف الفريد ، فوجدته قد اشتمل على نبأ من حضرنا ومن غاب عنا ، وملك قلب كل تاريخى منا ، واستوجب الثناء الجميل منا ، واسـتفدت من فوائده ، وعلقت بعض ما احتجت إليه من فرائده . وكيف لا ، وجامعه محدث كبير ، وحافظ خطير ، يعتمد على ما قال ، و يتلقى بالقبول ، ولا يطرح كطرح القيل والقال . هـذا مع تفنن فى العلوم ، و براعة فى المنطوق والمفهوم . وكم له من إفادة مشتملة على الحسنى وز يادة . فالله يشـكر سعيه ، و يديم رعيه ، و يمتع بحياته و يعيد من بركاته .

كتبه أحمد بن العراقى . غفر الله له . انتهى .

وكتب تحت ذلك : الحافظ شـهاب الدين ابن حجر . أحسن الله إليـه ما صورته كذلك :

يقول فقير رحمة ربه أحمد بن على العسقلانى .

وكتب على ذلك أديب اليمن ، وفخر العلمـاء به ، القاضى شرف الدين إسماعيل بن أبى بكر ، المعروف : بابن المقرى اليمني . ما نصه :

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وقفت على هذا التأليف التالى فوائد العبر ، والآتى بأحاديث الموعظة الحسان بأصح خبر . فلله در مصنفه من إمام حافظ ، و بحر بجواهر العلوم لافظ ، ولاحق برز على السـابق ، و بذل فى علو المرتبة الأعلام الحفاظ موافق . بلغه الله غاية الأمنية وأجزل ثوابه على هذا المقرون بحسن النية . آمين آمين .

كتبه العبد الفقير إلى الله تعـالى إسماعيل بن أبى بكر المقرى اليمنى . عفا الله عنه .

وكتب الحافظ أبو زرعة ، على الزهور المقتطفة تأليف صاحب هذه الترجمة ما صورته :

الحمد لله ، و به نستعين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

و بعد : فقد وقفت على هذا التأليف البارع ، والمختصر الجامع . فرأيته قد حوى من العلم فنوناً ، وفجر من بحار العلم عيوناً ، وسلك فيه أحسن طريقة ، وغرس فيه رياضاً أنيقة ، وقام بما يجب من حق البلد الحرام ، و بلغ طالب ذلك مع اختصاره أقصى المرام ، إن تكلم فى الفقه فبحر زاخر ، و إن حرر التاريخ حوى أقوال الأوائل والأواخر .

وقد وقفت قديماً على تاريخه الكبير ، واعترفت له بالفضل الكثير . فشكر الله سعيه وأدام رعيه ، وحمى به تلك البقاع الشريفة . فلقد صار بها بعد أصحابنا الماضين أحسن خليفة .

كتبه أحمد بن عبد الرحيم بن العراقى الشافعى : غفر الله له ولوالديه ولمشايخه . آمين .

وكتب الحافظ شهاب الدين ابن حجر ــ أبقاه الله تعالى ــ على هذا التأليف أيضاً ما صورته :

الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، للشيخ الإمام الحافظ الأوحد الشريف ، تقى الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن على الفاسى ، ثم المكى . قاضى المالكية بمكة المشرفة .

وكتب أيضاً :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فقد وقفت على هذا التصنيف المفيد ، والعقد الفريد ، فرأيته قد أجاد تلخيصاً وتهذيباً ، وفاق ترتيباً وتبويباً ، جمع جامعه ــ حفظه الله ــ فيه أشتات الفوائد ، ومزج الأخبار التاريخية بالمسائل الحكمية ، مزج العقيان بالجواهر فى القلائد . فلقد أبقى لما ألف للبلد الأمين ذكر مخلداً ، وارتقى بما انتقى درجا

يعسر على من رام اللحاق بها المدى . فالله المسئول أن يحرسه بعينه ، ويمده بعونه ، ويحفظ نفسه ، ويحمى حماه ، ويوليه الثواب الجزيل على من تولاه .

قال ذلك محبــة : الصادق أحمد بن على العسقلانى حامداً الله تعالى ، مصلياً على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه ، مسلماً .

وكان ذلك فى شعبان سنة عشرين وثمانمائة

وكتب القاضى شرف الدين إسماعيل المقرى اليمنى ، على هذا التأليف مانصه :

الحمد لله وحده ، وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه وسلم .

وقفت على هذا التصنيف البديع ، والترصيف الذى تضمنت فصوله زهر الربيع المشتمل على فرائد الفوائد . وفوائد الفرائد ، الجامع لنوادر المحاسن ، المفيد منها للأوابد ، فرأيت عقود لآلٍ أو نجوم ليال ، تشهد أن مصنفها الإمام الذى كل فضل خلفه يصلى جار بيت الله الحرام ، الذى هو لذخائر المشكلات مجلى . فلقد أبدع وأغرب ، وذهب فى الإحسان كل مذهب ، وأبقى له فى الصالحات ذكراً ، ومن الحمد والأجر كنزاً وذخراً ، جعله الله للمتقين إماماً ؛ وبلغه من كل خير مراماً آمين .

كتبه العبد الفقير إلى الله تعالى إسماعيل بن أبى بكر المقرى اليمنى . ألهمه الله رشده .

وكتب الحافظ ولى الدين أبو زرعة بن العراقى الشافعى ، على تحصيل المرام ؛ تأليف صاحب هذه الترجمة ، ما صورته :

تحصيل المرام ، من تاريخ البلد الحرام ، تأليف الشيخ الإمام العلامة الحافظ قاضى القضاة ، مفتى المسلمين تقى الدين محمد بن الإمام العلامة شهاب الدين أحمد الحسنى الفاسى الأصل ، ثم المكى المالكى ، أدام الله فوائده ونفع به آمين .

كتب هذا على ظهره فى أول ورقة منها .

وكتب أيضاً :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

و بعد : فقد وقفت على هذا التأليف البديع ، المحتوى على أحسن الترتيب وجودة الترصيع ، فوجدته جامعاً للمعارف ، يجتمع على قبوله الموافق والمخالف ، إن طلبت منه تحقيق التاريخ ظفرت بالمطلوب ، و إن رمت معرفة الأحكام الشرعية وجدتها على أحسن أسلوب ، و إن رغبت فى نقل الأحاديث وتمييز صحيحها من سقيمها حصلت على ذلك المرغوب ، فهو لكل فن جامع ، ولفضائله على كل ذى فضل خاضع . والله يشكر سعى مفيده فيانعم ماأفاد ، و ياحسن ما أبدى وأعاد ، وكيف لا ، وهو الإمام الحافظ الجامع لأنواع الفضائل ، والآخذ من كل علم بسهم غير عائل ، جمع الله له خيرى الدنيا والأخرى وجعل نعمه عليه تترى .

كتبه فقير رحمة الله تعالى أحمد بن عبد الرحيم بن العراقى ، الشافعى . غفر الله له . انتهى .

وكانت كتابته لذلك فى سنة عشرين وثمانمائة .

وكتب الحافظ أبو زرعة أيضاً على تحفة الكرام الأولى ، وهى التى أبوابها أربعة وعشرون باباً فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة مانصه :

كتاب : « تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام » تصنيف الشيخ ، الإمام ، العالم ، العلامة ، الحافظ ، مفتى المسلمين ، قاضى القضاة السيد الشريف تقى الدين أبى الطيب محمد بن أحمد بن على الحسنى الفاسى المكى المالكى . أدام الله النفع بفوائده آمين .

كتب ذلك فى أول ورقة منه بظهره .

ثم كتب فى الورقة نفسها . مانصه :

الحمد لله ، وقفت على هذا التأليف البديع ، المنسوج على هذا المنوال المنيع ، ومررت عليه سطراً سطراً ، فوجدته فى معناه بحراً ، قد أتى فيه مصنفه بكل غريب ، ورصعه بكل معنى عجيب ، وكيف لا ، وهو إمام له بهذا الفن أتم إلمام

قد رحل فيه وجال ، ولقى أعلام الرجال ، وفى هذا النوع الخاص قد سمع وطالع وحرر وراجع ، فشكر الله سعيه وأحسن رعيه ، وأدام النفع بفوائده ، وأجزاه منه على أجمل عوائده . قد قلت إذ رأيته نخبة هذا الزمن ، لا تحسبن حسنه قد جاء سوى من حسن .

كتبه أحمد بن عبد الرحيم بن العراقى فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

وكتب عليه الحافظ شهاب الدين ابن حجر مانصه :

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وقفت على هذا التأليف الشريف ، وعرفت فضل مافيه من التنويع والتصريف ، فوجدت مجموعا جامعاً ، وأعجوبة حوت الحسن والحسنى معاً ، قد حرر مؤلفه وأتقن ، وغاص على الدر من مظانه فأمعن ، فجزاه الله عن بلده الحرام ، ومشاعره العظام : أحسن جزاء ، وكفاه جميع ما يتوقاه من الأسواء ، آمين آمين .

قاله الفقير المعترف بالتقصير : أحمد بن على القسطلانى ، الشهير : بابن حجر .

وكتبه فى الشهر المذكور أعلاه من سنته ، حامداً لله تعالى ، ومصلياً على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومسلماً .

وكتب الإمام العلامة المفنن أبو الفضل محمد بن ابراهيم التلمسانى الشهير : بابن الإمام المالكى . نزيل القاهرة المحروسة فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة بالقاهرة على نسخة من هذا ، ومن تحفة الكرام الأولى ما نصه :

ياروض آداب ومعدن حكمة ... وصباح إرشاد وبحر علوم

ياشمس ذاك القطر ، نورك قد جلا ... من أفق ذاك القطر كل بهيم

جمعت فضائلك الفضائل كلها ... من حادث لك فى العلا وقديم

خذها أبا عبد الإله وسيلة ... لنظام حب كان غير زنيم

وعليكم مني السلام مرددا عن محض ود في الفؤاد مقيم

ماعسى أن يطنب في وصف هذا الموضوع ألسنة الأقلام ، أو يعبر عن هذا الكلام فنون الكلام ، فهذا هو الفرا الذي في جوفه كل الصيد ، والأمنية التي لايتعاطاها عمرو ولا زيد ، وهذه هي الموهبة التي حسبناها على صنائع الله تميمة لاتقلع بعدها عين ، وقلادة على حلل المفاخر لا تحتاج معها زين ، رأينا منه إنشاء أخدم اليراع بين يديه وشاء . وسئل عن معاينة الاختراع . فقال (٥٦ : ٣٥ إنا أنشأناهن إنشاء) فأهلا به من عربي عراف يصف السانح والبانه ، ويبين فيحسن الإبانة ، أدى الأمانة ، وحاز بخدمة التعريف شرف السدانة ، فلله دره من قلم دبج تلك الحلل ، ونقع محاج الدواة من المسترشدين العلل ، وجمح بفرط تحصيله وفهامته ، وذهب حيث لاحيث لمضاء ذهنه وشهامته ، وأجاد في الأوصاف ، واعتمد التحقيق والإنصاف ، وجاء بما ليس في طوق غيره من الوطاف ، فمالك أيها الفاضل من مساجل ولامفاضل ، ولا منازع ، ولا مناضل . لقد وصلت المنازل الوسام ، الوافرة الحظوظ في الفخر والأقسام ، كيف لا ، وثمر الجنة ليس من سائر الثمر ، ولا ينظر السها إلا من سها عن القمر ، وإذا ذكر الصالحون فحيهلا عمر ، وإن ذكرت المدن والقرى ، قلنا : هذه أم القرى ، فليس كل الخطب خطبة المنبر ، ولا لسائر الأيام كيوم الحج الأكبر ، وإذا وصف قطرا من وصفه أو عرفه من عرفه ، فقل له : إنما الحج عرفه ، والسلام على سيادة من يقف عليه .

قال ذلك وكتبه أبو الفضل محمد بن إبراهيم الإمام المغربي التلمساني مولداً . كان الله له ولطف به وتاب عليه آمين .

وكتب قاضي مكة وخطيبها ومفتيها وحافظها : جمال الدين أبو حامد محمد ابن عبد الله بن ظهيرة القرشي الشافعي على هذا التأليف مانصه :

الحمد لله الذي منح الفتوحات المكية من كان تقياً ، وفتح له أبواباً كانت مغلقة فولجها ، وأظهر منها جواهر وحليا ، وادخر لمن اختاره من المتأخرين ماعجز

عنه كثير من المتقدمين ، وكان عليهم خفياً . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وما كان ربك نسياً .

والصلاة والسلام على خير الخلائق سيدنا محمد الذى ختم الله به الأنبياء ، فلم يبعث بعده نبياً ، وعلى آل سيدنا محمد الطيبين وأصحابه المنتخبين . صلاة وسلاماً يتعاقبان بكرة وعشياً .

أما بعد : فقد وقفت على هذا التأليف العظيم ، والتصنيف الذى لم ينسج على منواله فى الحديث والقديم . فألفيته قد احتوى على أنواع العجائب ، واشتمل على الفوائد النفيسة ، وجمع أشتات الغرائب . واجتمع لمؤلفه ـ أبقاه الله تعالى ـ فيه ما لم يجتمع لمؤرخ من المفاخر . وأذكرنى قول من قال من أهل الأدب : كم ترك الأول للآخر . وذكرت قول ابن مالك ـ رحمه الله ـ فى خطبه الجميلة . وناهيك بأثر عبد الله فى دقيق العلم وجليله ، وإذا كانت العلوم منحاً إلهية ، ومواهب اختصاصية : فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ماعسر على كثير من المتقدمين. وكيف لا ، ومؤلفه كما قيل :

* ابن جلا وطلاع ثنايا العلا *

فاق أهل زمانه فى الفضائل ، وجمع أشتات العلوم ونفائس العقائل ، ورحل إلى البلاد الشاسعة ، لحصل العلوم النافعة ، وعاد بأشرف الوسائل ، وأفاد من علومه الجمة وفوائده المهمة ، ما سار فى البلدان والقبائل ، مضافاً إلى النسب الشريف العالى ، والحسب المنيف الغالى ، والأخلاق الجميلة ، والصفات الحسنة الجليلة والسجايا الطاهرة ، والمزايا الباطنة والظاهرة (١٩ : ٦٣ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً) .

أبقاه الله تعالى للمسلمين ، وأدام به النفع للمستفيدين . بمنه وكرمه آمين .

كتبه العبد الفقير إلى عفو الله تعالى ولطفه : محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى الشافعى لطف الله تعالى به آمين . بالمسجد الحرام ، تجاه الكعبة المعظمة

فى يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة وثمانمائة . أحسن الله عاقبتها .

والحمد لله . اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى ، وعلى آل سيدنا محمد وصحبه وسلم . حسبنا الله ونعم الوكيل . انتهى .

وكتب السيد الإمام البارع عز الدين محمد بن إبراهيم بن على بن المرتضى الحسنى الصنعانى ـ أبقاه الله تعالى ـ إذ كان مجاوراً بمكة على هذا التأليف مانصه :

يا تقى الدين أحسنت قرى أم البلاد وحزت الثنا بالعقد الثمين المستجاد

بتواريخ ملاح شافيات كل صاد وأحاديث فصلت ذات جياد

لو درى الركب بهذا ماسرى الركب بحادى

أو درى ماذا جمادها أشواق الجماد

زادنى شكراً على جيرتها بعد البعادى

فامتلا قلبى بحبى وفؤادى بودادى

فهى سعداى وسعدى وسعودى وسعاد

فهنيئاً لتقى الدين تشويق العبادى

بعبادات وفضل وصلاح ورشاد

قلت لما أن هدانى وهو عندى خير هادى

أبلغ العلم وأشفاه لأدواء الفؤادى اختصار فى جلاء و بلوغ فى مرادى

كتبه مطالعة العبد الداعى ومستمد الدعا : محمد بن إبراهيم الحسنى السنى . سامحه الله تعالى . انتهى بحروفه .

وكتب على هذا التأليف أيضاً بمدينة شيراز : قاضيها الإمام المفنن المقرىء المحدث شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد الدمشقى . المعروف : بالجزرى الشافعى . ما نصه :

قد وقف العبد على فرائدى لحسنها يا صاح ألف زائد

فقلت من شوق إذ وقفت　　وقد ذكرت معهداً غرست
يا حبذا من تحفة الكرام　　حوت حديث البلد الحرام
فقف على ساكن ذاك المربع　　واعطف على مرفوع ذاك الموضع
فإنها منازل الأحباب　　وموطن الوحى من الكتاب
ما مثل ذا فى نوعه مصنف　　لله ما أحرزه المؤلف
العالم العلامة الإمام　　الكامل الأعجوبة الهمام
قاضى القضاة العادل الزكى　　محمد بن أحمد التقى
العلوى الحسنى المالكى　　أحسن به من سيد ومالكى
بيض وجهه به هذا التقى　　شتان بينه وبين الأزرق
أود لو يتحفنى بنسخه　　منها لأبقى من كرام العترة
وإن تكن تشرفنى بالذكرى　　فيها فغاية ارتفاع قدرى
بالله ما ألف شخص مثله　　فالله يبقيه ويبقى فضله
ويجمع الشمل به فى الحرم　　رب أجب فأنت أهل الكرم
والطف بنا وارحم ومُنَّ واسترى　　كتبه محمد بن الجزرى
محمدلاً مصلياً محسبلاً　　بديهة بلا ترو عجلا
خامس شوال ضحى من عام　　ضوء يرى هدًى لذى الأفهام

وكتب الإمام أبو القاسم بن الإمام موسى العبدوسى الفاسى المالكى ـ السابق ذكره ـ على شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لصاحب هذه الترجمة ما نصه :

الحمد لله : يقول كاتبه أبو القاسم بن موسى بن محمد بن موسى بن معطى عرف : بالعبدوسى ـ لطف الله تعالى به .

وقفت على ماألفه سيدنا ، الإمام ، العالم ، العامل ، القدوة ، المصنف ، قاضى قضاة المالكية : تقى الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن على الحسنى المالكى ـ نفع الله تعالى به ـ فى تعريفه بحال مكة المعظمة ، ومشاعرها المكرمة ، وجميع أحوالها

المحترمة ومجاورة نبيه العظيم . فوجدته أسأم نفسه ، وقطع وقته فى طاعة الله الكاملة وما يقربه من ربه فى جنة عاليــة . وكيف لا ، وهو فرع النبوة المعظمة ، وسليل السيادة المحترمة ، ومجاور بيته العظيم ، وسيــادة كل من هو به من عالم وحكيم . أكمل الله تعالى عليه نعمه . ووالى عليه فضله وكرمه . والله تعالى يرشد الجميع إلى طاعته ، ويحملنا على ما يرضيه بمنه وكرامته . جمع بما ألفه بين المختلفات . ووفق بين المفترقات و بين ما أشكل من المشتبهات ، وسرد من أحاديث سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ما أبلج القلب باليقين ، و يوجب على كل عاقل أن يشد عليه باليمين ، و يجعله فى ذخائره العقد الثمين . انتهى بنصه .

وكتب على تحصيل المرام قاضى الحنابلة بدمشق : الإمام عز الدين محمد بن علاء الدين على بن بهاء الدين عبد الرحمن بن قاضي القضاة عز الدين محمد بن قاضى القضاة تقى الدين سليمان بن حمزة القدسى الصالحى مانصه :

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين .

أتى الشريف التقى المشهور كالعلم ... فى مكة و بيت الله والحـــرم
بكل معنى بديع غــير منــكتم ... يهدى إلى الرشد بل يشفى من السقم
أبرزت فى الـكون تأليفاً به ائتلفت ... قلوبنا شغفاً يا طاهر الشيم
رمت العــلا لتحصيــل المرام به ... فنلت مارمت من فضل ومن نعم
لله درك كم در نظمت به ... قلدت جيد أولى الأفضال والـكرم
وكم علوم حييت من بعد مادرست ... نشرتها طى مارصعت بالقـلم
وكم أفدت وكم أسندت من حكم ... وكم أعدت وكم أبديت للفهم
وكم وكم ماعسى بالوصف أذكره ... وليس يأتى عليه الوصف بالـكلم
أذكرتنا سلفـا حدثتنـا بهم ... ياحافظ الوقت من عرب ومن عجم
بالحفظ يرعاك جل الله خالقنـا ... ونسأل الله أن يبقيك للأمم

قال ذلك وكتبه : أقل العبيد محمد بن على الحنبلى ، لطف الله تعالى به بتاريخ سلخ شهر صفر الخير سنة ثمان عشرة وثمانمائة بمكة المشرفة . زادها الله تعالى شرفاً وتعظيما . وحسبنا الله ونعم الوكيل .انتهى .

وكتب عليه أيضاً : الشيخ الإمام العلامة المفتى شمس الدين محمد بن أحمد ابن موسى الكفيرى الدمشقى الشافعى ، أحد نواب الحكم بدمشق ، والمفتين بها مانصه :

الحمد لله حمداً يليق بجلاله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

وبعد : فقد وقفت على هذا التأليف البديع ، وتأملت ماأودع فيه من حسن الترصيع . فوجدت مؤلفه ــ أدام الله تعالى له التأييد ، وأجزل له من نعمه المزيد ــ قد أحسن فى ترصيعه وأجاد ، وأوضح فيه المشكلات وأفاد ، وهذب ونقح ماحاوله من متعلقات أشرف البلاد ، وأكثر فى تأليفه هذا من الفوائد العجيبة ، والملح المطربة الغريبة ، التى لم يقف الخادم فى هذا الباب على مثالها ، ولم أر من نسج فيه على منوالها . فنزهت فى رياضه اليانعة الناظر ، ورَوحت بالتفكر فى محاسنه الخاطر ، واجتنيت من ثماره الرائقة ، ولخصت من فرائد فوائده الفائقة ، ما يطرب السامع ويوجب المدح والثناء على الجامع :

فلا زال محروس الجناب مؤيداً   مدى الدهر لايخشى عيون الحواسد
يبث على الطلاب من بحر علمه   جواهر قد أضحت أعز الفوائد
ويوضح منها كل صعب ممنع   ويمنح منها بالعتاق الشوارد
أدام لنا الله الكريم حياته   وأجرى عليه منه أسنى العوايد
وأبقاه فى عز وسعد وسؤدد   وأمن على رغم العدو المعاند

والعبد يعتذر إلى جنابه فى التقصير فى الإطناب . فماذا عسى أن يقول من ذهل حين رأى العجب العجاب ؟ خرس عند ذلك لسانه عن المقال ، وأغرب قلمه عما فى ضميره بلسان الحال مع اشتغال باله . فقال :

ماذا أقول وماذا قال من سبقت　　أقواله فى التقى الطاهر الشيم
قاضى القضاة وبحر العلم ذو نسب　　يسود كل نسيب ساد من قدم
من غير أسلافه من كل طائفة　　سادت على الغير من عرب ومن عجم
فكم غريب حوى تأليفه ولقد　　أبان عن فضله المشهور كالعلم
وعن عوالى أسانيد محررة　　تضىء كالبدر يجلو خندس الظلم
فليبق ذا العالى المقدار فى دعة　　وفى سرور وفى عز وفى نعم
على تطاول أيام الزمان بلا　　خوف ولا فتنة تخشى ولا نقم

على أنى لو أطنب فى مدحه لاعتذرت إليه من التقصير ، وكان الذى أظن أنى قد بالغت فيه بالنسبة إلى فضله يسير . وليعلم ــ أبقاه الله تعالى ــ أن لسان التقصير قصير :

فما هو إلا نخبة العصر فى الورى　　وإنسان عين للزمان ومنطق
وبحر علوم فاق كل مصنف　　فهل هو إلا العالم العارف التقى
فلا زال يعلو شأنه فى سيادة　　ويسمو إلى أعلا المعالى ويرتقى

قال ذلك وكتب أقل الخدام والمحب على الدوام : محمد بن أحمد بن موسى الكفيرى بلداً ، الدمشقى منشأ الشافعى مذهباً ، الأشعرى معتقداً . نزيل المسجد الحرام حامداً الله تعالى ومصلياً على نبيه ، ومسلما ، ومحوقلا ، ومحسبلا .

وكان ذلك فى خامس شهر الله المحرم سنة عشرين وثمانمائة بمكة المشرفة ، تجاه الكعبة الشريفة ، زادها الله تعالى شرفاً . آمين .

وكتب عليه قاضى عدن : جمال الدين محمد بن سعيد كبن مانصه ، بعد الحمدلة والصلاة :

يقول راجى ربه المقتدر　　محمد نجل سعيد الطبرى
وبابن كبن قد غدا بين الورى　　جد له أبو أب مشتهرا
أحمد رب البيت والمشاعر　　والركن والحجر الرفيع الطاهر

ثم الصلاة مع سلام دائم على النبي المصطفى من هاشم
وآله وصحبه الأخيار وزوجه وتابعى الآثار
وقد رأت عيناى فى هذا الزمن تصنيف مولاى التقى المؤتمن
قاضى القضاة المالكى الفاسى أكرم به من حافظ للناس
أفادهم من علمه غرائبا وجمع الفنون والعجائبا
وجاء بالتحصيل للمرام تاريخه للبلد الحرام
حاوٍ به أخبار حال الحرم من حادث فيه وعهد القدم
وجامع أحكامه وحدّه ومنجز والله فيه وعده
محرك لكل عزم ساكن مشوق لأشرف الأماكن
ما الأزرق والفاكهى والإتحاف كمثله لمن يرى بالإنصاف
قلت لمن عن وصفه يسألنى والله هذا حسن من حسن
نظمت بعض وصفه بذا الرجز ومن أراد نعته كلاً عجز
ولم أكن أهلا لذا وإنما معنى طفيلى به تهجما
فى شهر صوم واجب فى عام ضوء يزين بهجة الختام

(تمت)

مات المؤلف رحمة الله عليه فى ليلة الأربعاء ثالث شوال سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بمكة المشرفة . وصلى عليه بعد صلاة الصبح عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة بقبر سيدى الشيخ على بن أبى الكرم السولى رحمة الله عليهما ، ولله در القائل حين قال :

مازلت تلهج بالأموات تكتبها حتى رأيتك فى الأموات مكتوبا

ولقد ـ والله العظيم ـ أحيى مكة وأهلها مؤلفاته الحسنة .

٣٩ — محمد بن أحمد بن عمر الجعفرى المريمينى

الخطيب شرف الدين أبو بكر الحلبى .

هكذا أملى علينا نسبه لما قدم علينا مكة .

وروى لنا عن الأديب أبى عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الهوارى الأندلسى قصيدته البديعية التى أولها :

* بطيبة انزل و يمم سيد الأمم *

سمعتها عليه مرة . وسمعت منه بيتين ذكر : أنهما للعلامة صدر الدين أبى الربيع سليمان بن يوسف بن مفلح الياسوفى ، وأنشدنيهما من لفظه عنه ، سماعاً على ماذكروهما .

ليس الطريق سوى طريق محمد   فهى الصراط المستقيم لمن سلك

من يمش فى طرقاته فقد اهتدى   سبل الرشاد ومن يزغ عنها هلك

وأنشدنيهما العلامة صدر الدين الياسوفى إجازة مكاتبة بخطه .

وكان قدومه علينا مكة فى موسم سنة أربع وتسعين . وجاور بها حتى سافر مع الحجاج فى موسم سنة ست وتسعين إلى حلب .

ثم قدم إلى مكة فى موسم سنة تسع وتسعين ، واستمر بها حتى مات . غير أنه خرج إلى الطائف زائراً ، وكان فى مدة إقامته بمكة يقرأ الحديث على المشايخ .

توفى صاحب هذه الترجمة بمكة ، بعد أن جاور بها سنين كثيرة فى عصر يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة إحدى وثمانمائة .

ودفن فى صبيحة يوم الجمعة بالمعلاة .

وقد بلغ الستين أو جاوزها .

وكان يعانى الوعظ بمكة ، ولديه فضيلة . وله إلمام بقراءة الصحيحين ، وعلى ذهنه فوائد تتعلق بهما .

٤٠ — محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس العباسى

أمير مكة .

ذكر الفاكهى مايدل لولايته عليها ، لأنه قال : وأول من استصبح فى المسجد الحرام فى القناديل فى الصحن : محمد بن أحمد المنصورى ، جعل عمداً من خشب فى وسط المسجد ، وجعل بينهماحبالا ، وجعل فيها قناديل يستصبح فيها . وكان كذلك فى ولايته حتى عزل محمد بن أحمد . فعلقها عيسى بن محمد فى إمارته الآخرة . انتهى .

وذكر العتيقى : أنه حج بالناس سنين ، لأنه قال : وحج بالناس سنة ثلاث وخمسين ومائتين : محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور ، يعرف بكعب البقر .

وقال : وحج بالناس سنة ست وخمسين : محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور .

وقال أيضاً : وحج بالناس سنة سبع وخمسين ومائتين : محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور كعب البقر . انتهى .

فاستفدنا مما ذكره العتيقى حجه بالناس فى هذه السنين . ولعله كان فى أحدها والياً على مكة . والله أعلم .

وقال العتيقى : وولى الموسم سنة إحدى وخمسين ـ يعنى : ومائتين ـ محمد ابن أحمد بن عيسى بن المنصور . انتهى .

وذكر ابن الأثير : أن المعتز العباسى أنفذه ، وعيسى بن محمد المخزومى إلى مكة بعد أن خرج بها إسماعيل بن يوسف العلوى ، وأن إسماعيل وافى عرفة وبها محمد وعيسى المذكوران فقاتلهما إسماعيل .

ورأيت فى نسخة من كتاب ابن الأثير ما يقتضى : أن اسم والد محمد هذا : إسماعيل . وذلك ـ فيما أظن ـ تصحيف ، لأن النسخة التى رأيت ذلك فيها كثيرة السقم والله أعلم .

٤١ — محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبى بكر العمرى

يكنى أبى البركات : ابن مفتى مكة شهاب الدين الحرازى المكى .

سمع بمكة من : جده لأمه الرضى الطبرى وغيره ، وبدمشق من : الحجار

وغيره فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . وما عرفت من حاله سوى هذا .

ذكره البرزالى فى تاريخه فى المتوفين فى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

٤٢ — محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن العمرى .

أبو الفضل ، المعروف : بابن الحرازى ، المكى الشافعى ـ أخو السابق .

حضر على : جده لأمه الرضى الطبرى ، وفاطمة بنت القطب القسطلانى .

وسمع من : جماعة بعد ذلك بطلبه وطلب العلم ، وحصل منه نصيباً وافراً ، أعانه عليه شدة ذكائه .

وأخذ الفقه عن : والده الشيخ شهاب الدين الحرازى ، والشيخ نجم الدين الأصفوانى .

ودرس ، وأفتى ، ووعظ . وكان يعمل ميعاداً فى آخر النهار عند الاسطوانة الحمراء .

فلما وقع الطاعون العام فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة . كان يعلّم الناس دعاء ليسلموا به منه . فكان ممن قضى الله له فيه بالشهادة .

وكانت وفاته فى أوائل ذى الحجة من السنة المذكورة بمكة . وهو فى أثناء عشر الأربعين .

٤٣ — محمد بن أحمد بن قاسم العمرى .

أبو عبد الله بن الشيخ شهاب الدين الحرازى المكى .

يلقب : بالمحب .

سمع من : جده لأمه الرضى الطبرى : الصحيحين وغير ذلك . وماعلمته حدث وبحث على والده كتباً فى الفقه .

ومات سنة أربع وستين وسبعمائة بالقاهرة .

٤٤ — محمد بن أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبى بكر العمرى .

قاضى مكة ، وخطيبها تقى الدين الحرازى المكى الشافعى .

يكنى : أبا اليمن .

ولد سنة ست وسبعمائة بمكة .

وسمع بها على : جده لأمه الرضى الطبرى ، وأخيه الصفى : صحيح البخارى ، وعلى جده لأمه بمفرده جامع الترمذى ، وسنن أبى داود والنسائى ، وأحاديث صحيح ابن حبان ، واختلاف الحديث للشافعى وغير ذلك من الكتب والأجزاء . وعلى الفخر عثمان بن محمد التوزرى : الموطأ رواية يحيى ابن يحيى ، والشمائل وغير ذلك عليهم وعلى غيرهم من شيوخ مكة ، والواردين إليها . منهم : الصدر إسماعيل ابن يوسف بن مكتوم القيسى . سمع منه : جزء أبى الجهم الباهلى ، ومشيخته تخريج الفخر بن البعلبكى بمنى فى سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وتفقه على : أبيه وغيره من شيوخ مكة .

ورحل إلى الشام فأخذ بها الفقه عن : قاضى حماه شرف الدين البارزى .

وأذن له فى الفتوى والتدريس . فدرس وأفتى كثيراً . وانتفع الناس به فى ذلك .

وكان يجلس للتدريس قرب باب العجلة ، وحدث .

سمع منه : الشيخ نور الدين الفوى بقراءته . ووالدى وغيرهما من شيوخنا .

وولي قضاء مكة بعد موت ابن خالته القاضى شهاب الدين الطبرى .

ثم ولي ـ مع القضاء بعد ذلك ـ : خطابة الحرم لما صرف عنها الضياء الحموى فى سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وباشرها من استقبال رمضان من هذه السنة .

وكان جهورى الصوت يرتج المسجد له إذا خطب .

واستمر على ذلك حتى صرف عنه فى أثناء شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة بجدى القاضى أبى الفضل النويرى .

وكانت مباشرته للقضاء سنتين وتسعة أشهر تقريباً . واستمر مصروفاً حتى مات .

ولزم بيته فى حال صرفه ، بحيث كان لايخرج منه غالباً إلا يوم الجمعة مع ملازمة الاشتغال بالعلم والعبادة والمصالح الدينية .

وكان فى قضائه نزيها عفيفاً ، بحيث : أنه فرق صدقة لؤلؤ لها صورة جاءت من الهند فلم يصرف منها لأحد من جهته شيئاً . ومع ذلك فما سلم من الكلام .

وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة بجوار والده وأخيه .

وكان ذا معرفة بالفقه ، مشاركا فى غيره من فنون العلم . وله خط جيد .

٤٥ — محمد بن أحمد بن قيس الساوى .

أبو جعفر . مقرىء مكة .

روى عن : إبراهيم بن الحسين الهمدانى .

وسمع منه : أبو بكر بن المقرىء بالمسجد الحرام

وروى عنه فى معجمه .

٤٦ — محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر محمد بن إبراهيم .

يلقب : زين الدين بن القاضى زين الدين بن القاضى جمال الدين ابن الحافظ محب الدين الطبرى ، المكى الشافعى مسند مكة .

ولد فى يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة بالمدينة النبوية .

وأجاز له فى سنة إحدى وأربعين ، من مصر : القاضى شمس الدين ابن القماح وأحمد بن كتغدى ، ومحمد بن غالى ، وأحمد بن على المستولى ، وأبو نعيم الأسعردى ،

والبدر الفارق ، وأحمد بن محمد بن عمر بن أبى الفرج الحلبى ، وأحمد بن محمد بن أحمد الشهير : بابن الإخوة ، والحسن بن السديد ، وعايك الخازندار ، وأبو الفتح الميدومى ويوسف بن أحمد بن عبيد الله بن جبريل الموقع ، و إبراهيم بن محمد الفيومى وعبد الرحيم بن شاهد الجيش ، وعبد الباقى اليمانى ، والأستاذ أبو حيان ، والتاج التبريزى ، وعمر بن حسين الشطنوفى وجماعة .

ومن أهل دمشق : الحافظان جمال الدين المزى ، وشمس الدين الذهبى ، وأحمد بن على بن حسن الجزرى ، ومحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عبد الدايم ، وأحمد بن عمر بن عفاف الموشى ، وعبد الرحمن بن مناع البكريتى ، وعبد الرحمن ابن عبد الهادى ، وعلى بن العز عمر ، ومحمد بن العز ابراهيم بن أبى عمر ، وأخته فاطمة ، ومحمد بن أبى على بن مكارم بن البلوط ، وعلى بن عيسى بن المظفر بن الشيرجى ومحمد بن عمر السلاوى ، ومحمد بن الخباز ، وأخته زينب ، وعمتهما نفيسة ، ومحمد ابن أحمد بن محمود بن راشد المرداوى ، وأخوه عبد الرحمن ، وعبد الرحيم بن أبى اليسر ، وعلى ابن عبد المؤمن بن عبد الحارثى ، وعبد الله بن على بن هلال الأزدى ، وعيسى بن عبد الكريم بن عساكر ، ويوسف بن يحيى بن الحنبلى ، والعلامة شمس الدين ابن النقيب ، والعلامة تقى الدين السبكى . وآخرون من أصحاب ابن البخارى وغيره .

وسمع بمكة من السراج الدمنهورى ، ونخر الدين عثمان بن يوسف النويرى : موطأ ابن بكير سنة أربع وأربعين وسبعمائة .

ومن ابن بنت أبى سعد ، وشهاب الدين الهكارى ، ونور الدين الهمدانى ، وعز الدين ابن جماعة : جانباً كبيراً من جامع الترمذى . وهو من أول الكتاب إلى آخر الميعاد الرابع والعشرين ، من ثلاثين ميعادا . وآخره آخر تفسير سورة قد أفلح المؤمنون .

وعلى نخر الدين النويرى ، وابن جماعة : غالب النسائى .

وعلى ابن جماعة : كثيراً من الـكتب والأجزاء .

وعلى الحافظ صلاح الدين العلائى : الجزء الأول من الأجزاء العشرة المشتمل على المسلسلات بشرط التسلسل ، والأربعين المعنية بعيون فنونها عن المعير ، فى اثنى عشر جزءا ، والأربعين الإلٰهية فى ثلاثة أجزاء . و بيان نوابغ الـكرم على ساكنى أرض الحرم ، وكل ذلك من تأليفه . وذلك فى سنة خمس وخمسين .

وعلى العفيف المطرى : تاريخ المدينة لوالده والقصائد الوترياات لمحمد بن على الغرناطى ، جد زين الدين المذكور لأمه .

ومن محمد بن سالم الحضرمى ، والـكمال بن حبيب ، وغير واحد .

وتلى بالسبع على المقرىء ناصر الدين العقيبى ، وأبى عبد الله محمد بن سليمان الحـكرى . وأذنا له فى الإقراء بذلك .

وحفظ كتباً علمية فى فنون .

وحضر مجالس العلم عند القاضى أبى الفضـل النويرى وغيره . وكان يقرأ عليه البخارى فى غالب السنين . وكان ذا مكانة عنده ، وأمينا له على أموال الأيتام ، ونائباً له فى عقود الأنـكحة ، وفى تنذير الجراحات .

وولى بعض هذه الأمور عن ابن أخته القاضى محب الدين ابن القاضى أبى الفضل النويرى ، وحكم فى بعض القضايا نيابة عن القاضى عز الدين بن القاضى محب الدين النويرى .

وكان معيداً بالمدرسة بمكة . وله نباهة فى العلم ومروءة طائلة . ورث وراثات كثيرة من أقاربه ، من أولاد القاضى شهـاب الدين الطبرى ومواليه . وامتحق ذلك منه حتى احتاج كثيراً بآخره . وناله من ذلك مشقة عظيمة ، ولما قاساه من ضيق حاله وحال عياله بعد التوسع الـكثير . ومع ذلك : فلم يخل من المروءة .

وحدث فى آخر عمره بكثير من الـكتب والأجزاء سمعت منه .

وبلغنى أنه لما مات أبوه حضر عند من حضر إليه من الرجال . فقيل له : ماسمك ؟ فقال : زين الدين . فلقب بذلك . واستحسن ذلك منه ، لأنه كان ابن سنتين وثمانية أشهر وأربعة أيام . وهو سبط الشيخ أبى عبد الله الغرناطى ابن ابنته أم كلثوم . وكان بها باراً .

توفى وقت العصر من يوم الأربعاء سادس عشر شهر رمضان سنة خمس عشرة وثمانمائة .

ودفن فى صبيحة يوم الخميس السابع عشر منه بالمعلاة ، بعد الصلاة عليه بالحرم الشريف ، حضرت الصلاة عليه ودفنه ، وهو خال والدتى ، أخو أمها لأبيها .

٤٧ — محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن القرشى العقيلى .

قاضى مكة ، وخطيبها : عز الدين أبو المفاخر بن قاضى الحرمين وخطيبهما : محب الدين أبى البركات بن قاضى مكة : كمال الدين أبى الفضل النويرى ، المكى الشافعى .

ولد فى سحر ليلة الاثنين حادى عشر رمضان سنة خمس وسبعين وسبعمائة بطيبة . وبها نشأ . وكان أبوه بها قاضياً .

وأجاز له من دمشق المسندون : عمر بن الحسن بن أميلة المراغى المزى ، وصلاح الدين محمد بن أحمد بن أبى عمر ، وحسن بن أحمد بن هلال الطحان ، وجماعة فى سنة ست وسبعين .

وسمع بالمدينة — فيما أظن — من: شيختنا أم الحسن بنت الفقيه أحمد بن قاسم الحرازى .

وبمكة من : شيخنا إبراهيم بن صديق : الصحيح وغيره .

وروى عنه الصحيح ، وعنى بالفقه كثيراً . وكان فيه نبيها ، وحفظ فيه التنبيه والحاوى أو أكثره . وكان يذاكر بالحاوى .

وتفقه مدة طويلة بشيخنا القاضى جمال الدين ابن ظهيرة . وتفقه قليلا بشيخنا الشيخ برهان الدين الأنباسى ، أحد أعيان الشافعية بالديار المصرية . لما قدم إلى مكة فى سنة إحدى وثمانمائة . قرأ عليه فى الحاوى ، وأجازه بالتدريس والإفتاء

وناب لأبيه فى الخطابة فى سنة ست وتسعين وفيما بعدها .

وناب عنه فى الحكم فى سنة سبع وتسعين . وفى درس بشير . وباشر جميع وظائف أبيه بأثر موته ، لأن أباه استنجز له توقيعاً من الملك الظاهر بأن يكون نائباً عنه فى حياته مستقلا بعد وفاته . وأنهى خبر موت أبيه إلى السلطان الظاهر بمصر ، فولاه السلطان قضاء مكة وخطابتها وحسبتها ، ونظر المسجد الحرام والأوقاف والربط بمكة المشرفة فى أثناء شهر رمضان سنة تسع وتسعين.

وفى رجب منها : كانت وفاة أبيه ، ووصل إليه العهد والتشريف بذلك فى فى الثانى والعشرين من شوال من السنة المذكورة . واستمر مباشراً لذلك من هذا التاريخ إلى أوائل ذى الحجة سنة ست وثمانمائة .

وكان عزل عن ذلك بمصر أياماً قليلة . وقت سفر الحاج من مصر ، فى سنة ثلاث وثمانمائة . ثم عاد لولاية ذلك ، ووصل له عهد بذلك كتب بعد سفر الحاج عن مصر .

وكان بعض الحجاج ذكر عزله بمكة . وأرجف بذلك أعداؤه فما راعهم إلا وصول العهد بولايته .

وكان عزله فى موسم سنة ست وثمانمائة بالتحامل عليه ، لأن أمير الحاج المصرى طولون ذكر : أن السلطان فوض إليه أمر عزله وتولية من يصلح .

وكان قد وصل إليه عهد باستقراره على ولايته كتب بعد سفر الحاج من

مصر . ولم يذكر ذلك لأمير الحاج ، ولا للقائمين عليه لما اجتمعوا للكشف عن أمره ، وقام من المجلس حنقاً . وغلب على ظنه أنهم لايقدمون على ولاية غيره . فلم يصب ظنه ، وأشاع عنه بعض أعدائه أنه عزل نفسه واستدعى شيخنا القاضى جمال الدين إلى مجلس أمير الحاج فشافهه بالولاية ، وخلع عليه وولاه أيضاً صاحب مكة . و باشر ما كان يباشره القاضى عز الدين من الوظائف .

وتوجه القاضى عز الدين بعد الحج إلى المدينة النبوية ، وأقام بها إلى أن وصل عهد بولايته لوظائفه فى ربيع الأول أو الثانى من سنة سبع وثمانمائة .

ووصل لشيخنا القاضى جمال الدين عهداً بالولاية لذلك .

ووصل كتاب السلطات : بأن يجتمع الناس و يستقر من يختارونه من الرجلين فتحامل بعض العوام كثيراً على القاضى عز الدين لعلمهم : أن أمير البلد لا يرغب فى ولايته .

واستمر القاضى جمال الدين مباشراً إلى الموسم من هذه السنة .

وفى هذا الموسم : قرىء توقيع القاضى عز الدين بعوده للولاية ، وقرىء فيه توقيعى بولايتى لقضاء المالكية بمكة ، ولبسنا جميعاً تشريفاً بذلك . والذى أعان على تنفيذ ولاية القاضى عز الدين بمكة فى هذا التاريخ أمير الركب المصرى كزل العجمى .

وكان أعداؤه عارضوا ولايته بكتاب وصل من الأمير السالمى مدير الدولة بمصر يتضمن : أن القاضى جمال الدين متولى ، لأن ولاية القاضى عز الدين كانت قد اشتهرت بمصر . وتوصل أعداؤه بكتاب السالمى إلى معارضته بعد الموسم فى الخطابة ، وأمر الحرم والحكم . فتم لهم ذلك فيما عدا الحكم ، لأن القاضى عز الدين لم يوافق على اجتنابه .

وتوقف شيخنا القاضى جمال الدين عن مباشرة ذلك كله .

فلما كانت ليلة الثانى من ربيع الثانى وصل إلى القاضى جمال الدين عهد وتشريف بولايته للوظائف المذكورة . فباشر ذلك إلى النصف الثانى من شعبان سنة عشر وثمانمائة .

وفى آخر الشهر المذكور : وصل عهد للقاضى عز الدين وتشريف بولايته للوظائف المذكورة .

وباشر ذلك : فى أوائل رمضان من هذه السنة إلى آخر رجب سنة اثنتى عشرة وثمانمائة .

وفى أثناء العشر الأوسط من شعبان قبيل نصفه من هذه السنة وصل توقيع وخلعة للقاضى جمال الدين بولايته للوظائف المذكورة . فباشر ذلك إلى العشرين من ربيع الثانى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

وفى هذا التاريخ ، وصل للقاضى عز الدين توقيع وخلعة بولايته للوظائف المذكورة ، وقرىء توقيعه بذلك ، وكانت قراءته يوم الجمعة ، فخطب بالناس . وكان القاضى جمال الدين قد عمر المنبر ليخطب فى يوم الجمعة المذكور ، فخطب عليه غيره . فتعجب الناس من هذا الاتقان .

واستمر القاضى عز الدين مباشراً للوظائف المذكورة إلى أوائل ذى الحجة سنة ثلاث عشرة .

وفى هذا التاريخ : وصل للقاضى جمال الدين عهد بولايته للوظائف المذكورة كتب بدمشق ، ووصل مع بعض الحجاج منها .

واستمر القاضى جمال الدين مباشراً لذلك إلى الرابع عشر من شوال سنة ست عشرة وثمانمائة .

وفى هذا التاريخ : وصل للقاضى عز الدين عهد بولايته للخطابة ، ونظر الحرم والحسبة بمكة . فقرىء عهده بذلك ، ولبس التشريف بحضرة القاضى جمال الدين .

فلما كان الموسم من هذه السنة : وصل إلى القاضى جمال الدين عهد بالخطابة

دون النظر والحسبة ، و باشرها مع القضاء وما معه إلى أثناء ربيع الآخر سنة سبع عشرة وثمانمائة ، ثم وصل إلى القاضى عز الدين توقيع بالخطابة ، ونظر الحرم والحسبة فى هذا التاريخ . و باشر ذلك القاضى عز الدين .

ثم سعى للقاضى جمال الدين فى الخطابة ، فوليها واتفق أن ولايته لها كانت بعد وفاته : لأنه توفى فى سابع عشر رمضان من هذه السنة .

ولما وصل خبر وفاته إلى القاهرة : قرر القاضى عز الدين فى الخطابة مع نظر الحرم والحسبة .

وكان أمير الحاج المصرى فى سنة سبع عشرة أبقاه على الخطابة ، وما زال مباشراً لها ولنظر الحرم والحسبة من ربيع الآخر سنة سبع عشرة . وإلى أن عرض له من المرض مامنعه من المباشرة فى ذى القعدة سنة تسع عشرة ، فباشر ذلك نوابه.

وقدر أنه صرف عن الخطابة والحسبة فى عاشر ذى الحجة سنة تسع عشرة وثمانمائة بأبى البركات بن أبى السعود بن ظهيرة . وما وصل الخبر بولايته لذلك إلا بعد موته بنحو خمسة وعشرين يوماً : لأن أبا البركات مات فى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة تسع عشرة وثمانمائة . فباشر نائب القاضى عز الدين الخطابة والحسبة مع نظر الحرم إلى أن توفى القاضى عز الدين .

ومما وليه القاضى عز الدين : تدريس المدرسة الأفضلية بمكة ، ودرس بشير وغير ذلك .

وكان صارماً فى الأحكام ، وله بها معرفة . وقل أن يستكبر شيئاً ، وفيه احتمال كثير للأذى ، ومروءة كثيرة .

وكان جيد الحفظ للقرآن ، سريع التلاوة ، مديماً لها غالباً ليلاً ونهاراً . وصح لى أنه سمع يتلو ليلا قبيل موته بنحو عشرة أيام .

وكان وهنه فى هذه المدة شديداً . وكان ابتداء مرضه الذى مات به الفالج ، ثم أموراً أخر يرجى له بها كثرة الثواب .

وتوفى ليلة الأحد الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة عشرين وثمانمائة بمكة . وصلى عليه عقب صلاة الصبح عند باب الكعبة . ودفن بالمعلاة على جده القاضى أبى الفضل . وكثر عليه البكاء والأسف ، ممن لم يعرفه ، و ن له عرف . وهو ابن خالى وأخى من الرضاع ، تغمده الله برحمته .

٤٨ — محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد العزيز العقيلى الهاشمى

خطيب مكة ، ومحتسبها ، كمال الدين أبو الفضل بن قاضى الحرمين ، وخطيبهما محب الدين أبى البركات بن قاضى مكة كمال الدين أبى الفضل النويرى ، المكى الشافعى .

ولد فى الخامس والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وحفظ القرآن ، وقرأ فى التنبيه وغيره ، وحضر دروس شيخنا قاضى مكة جمال الدين محمد ابن عبد الله بن ظهيرة الشافعى .

وقرأ فى الفقه بمكة على الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله الغزى أحد نواب الحكم والمفتين بدمشق .

وأذن له فى الإفتاء والتدريس ، كما أخبر به العزى وأنا حاضر فى مجلس حافل بسطح زمزم بعد عمارتها ، وقد اجتمعنا لقراءة ختمة هناك للملك المؤيد صاحب مصر وكتب إشارته على بعض الفتاوى ، وألقى قبل ذلك بحضرته درساً بالمدرسة الأفضلية بمكة ، ودرس بها مدة سنين ، ثم انتزعها منه صاحبنا الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن الجمال المصرى .

وناب عن أخيه القاضى عز الدين بن محب الدين النويرى فى الخطابة بمكة فى موسم سنة تسع عشرة وثمانمائة . وفيها سافر لمصر وعاد لمكة مع الحجاج .

وناب فى نظر الحرم ، ووليه مع الخطابة وحسبة مكة ، بعد موت أخيه فى سنة عشرين وثمانمائة .

وفى شوال من سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة : جاء توقيع بعزله عن نظر الحرم والحسبة بمكة ، وولاية القاضى جلال الدين بن أبى السعادات بن القاضى أبى البركات بن أبى السعود لذلك عوضه ، وباشر ذلك أبو السعادات إلى أول ذى الحجة من هذه السنة ، ثم باشر ذلك أبو الفضل لوصول توقيع له بذلك مع الخطابة إلى الرابع عشر من صفر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، ثم وصل لجلال الدين أبى السعادات بالخطابة ، ونظر الحرم والحسبة ، فباشر ذلك إلى أول ربيع الآخر من هذه السنة .

وفى هذا التاريخ : عاد أبو الفضل لمباشرة الوظائف الثلاثة . واستمر مباشراً لها إلى جمادى الأولى ، أو الآخرة سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

وباشرها معه فى هذا التاريخ : أبو السعادات لوصول توقيع لأبى السعادات يقتضى اشتراكهما فى الوظائف الثلاثة من الملك المظفر أحمد بن المؤيد .

واستمر على مباشرة الخطابة إلى شعبان من هذه السنة ، ثم أشار أمير مكة الشريف حسن بن عجلان بتركهما للمباشرة حتى يكاتب الدولة بمصر فى أمرهما ومن قرر باشر . فباشر عوضهما الخطابة الإمام عبد الهادى بن الشيخ أبى اليمن محمد بن أحمد بن الرضى الطبرى إلى آخر القعدة من هذه السنة .

وفى هذا التاريخ : باشر أبو الفضل الخطابة ، ونظر الحرم والحسبة بمفرده لوصول توقيع إليه من الملك الظاهر ططر الذى كان يدبر دولة المظفر بن المؤيد يقتضى : استقرار أبى الفضل فى الوظائف المذكورة بمفرده .

وفى سنة ثلاث وعشرين : وصله توقيع مؤيدى بأن يحكم بمكة ، فباشر ذلك شيئاً قليلا ، ثم ترك لعدم رضى القاضى الشافعى محب الدين بن ظهيرة — الآتى ذكره — بذلك . ثم توالفا بعد ذلك كثيراً ، وعرض لهما مرض منع كلا منهما من زيارة الآخر حتى ماتا .

وكان موت أبى الفضل فى ليلة الثلاثاء سابع أو ثامن عشرين شهر ربيع

الأول سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمكة . وصلى عليه عقب صلاة الصبح . ونادى المؤذن بالصلاة عليه فوق زمزم . ودفن بالمعلاة فى قبر أبيه . وخلف زوجته حاملا ، فولدت بعده بنحو عشرة أيام ولداً ذكراً سمى : بأبى الفضل .

٤٩ — محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر

يلقب : بالجمال ابن الصفى ، الطبرى ، المكى .

سمع : جامع الترمذى من يوسف بن إسحاق الطبرى .

وسمع من : جماعة ، وحدث .

سمع منه : جماعة من شيوخنا ، وقرأت الجامع على بعضهم عنه .

ومات فى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر سنة خمس وثلاثين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

هكذا وجدت وفاته بخط إبراهيم بن يونس البعلبكى .

٥٠ — محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر المقدوى

قاضى مكة .

حدث عن : عبد الله بن شبيب المدنى .

وسمع منه : أبو القاسم الطبرانى فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين . وروى عنه فى معجمه الصغير .

كان على قضاء مكة فى سنة ثمانين ومائتين ، ولم أدر متى كان ابتداء ولايته ، ولا انتهاؤها ، ولا متى مات رحمة الله عليه .

٥١ — محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشى المخزومي الشافعى .

يكنى : أبا الفتح . ويلقب : تقى الدين ابن قاضى مكة محب الدين ابن قاضيها جمال الدين .

ولد قبيل الظهر بنحو ساعة فى سابع عشر القعدة سنة ثمان وثمانمائة بمكة .

وحفظ القرآن ، والمنهاج للنووى ، وجمع الجوامع للسبكى ، والألفية فى النحو وغير ذلك .

وحضر دروس والده بالمدرستين المجاهدية والبنجالية بمكة . وكان طالباً فيهما .

وسمع الحديث على : جده القاضى جمال الدين بن ظهيرة ، وشيخنا زين الدين ابن حسين المراغى وغيرهما .

وكان ذا فهم وذ كاء . رام أن يلى تداريس أبيه بعده .

وعاجلته المنية فمات بعد أبيه بخمسة وخمسين يوماً بعد العصر من يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمكة . وصلى عليه بعد صلاة الصبح بالمسجد الحرام عند الحجر الأسود .

ودفن بالمعلاة إلى جانب أبيه عند قبر مقرىء الحرم : عفيف الدين عبد الله الدلاصى ، رحمه الله تعالى .

٥٢ — محمد بن أحمد بن محمد بن عبد المعطى الأنصارى المكي

أبو عبد الله بن الشيخ أبى العباس النحوى .

سمع من : القاضى عز الدين بن جماعة كثيراً وغيره .

وقرأ النحو على : أبيه .

وقرأ فى الفقه على : شيخنا الشريف عبد الرحمن بن أبى الخير الفاسى .

ودرس بعد أبيه فى درس فى الفقه كان قرره لابنه القاضى ناصر الدين بن سلام الاسكندرى .

توفى فى أوائل صفر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

وقد قارب الأربعين . وهو خالى من الرضاع .

٥٣ — محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد بن يقطين الأسدي .

أبو بكر اليقطيني المقرىء .

حدث عن : محمد بن إسحاق الثقفي وجماعة .

وذكر الخطيب البغدادي : أن أبا الفتح بن مسرور القواس ذكر : أنه قدم عليهم مصر وحدثهم بها قال .

وتوفي بمكة سنة خمسين وثلاثمائة .

وكان ثقة .

ذكره القطب الحلبي في تاريخ مصر . ومنه لخصت هذه الترجمة .

٥٤ — محمد بن أحمد بن محمد بن علي .

يلقب : بشمس الدين ، ويعرف : بابن النجم الصوفي المصري .

نزيل مكة .

سمع بمصر — فيما أحسب — من : قاضيها أبي البقاء السبكي صحيح البخاري .

وصحب الشيخ يوسف الكوراني ، المعروف : بالعجمي . وصار من مريديه .

ونظر في كتب الصوفية وغيرها من كتب العلم .

وكان — على ما بلغني — يميل إلى ابن عربي الصوفي .

وكتب بخطه كتباً وفوائد ، منها على ما ذكر لحفظ النفس والمال : الله حفيظ ، قديم ، أزلي ، حي ، قيوم ، لاينام .

وذكر : أن من قال ذلك إلى جهة مال له غائب حفظ .

وجاور بمكة نحو ثمانية عشر عاماً . وتأهل بها وولد له .

وسمع الحديث بها من بعض شيوخنا بالسماع والإجازة . وتعبد كثيراً واشتهر .

ثم انتقل إلى المدينة فسكنها عامين وأشهراً .

ثم توفي بها في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانمائة .

ودفن بالبقيع .

أملى على نسبه هكذا : ولده محمد سبط يوسف بن القروى .

٥٥ — محمد بن أحمد بن محمد بن عمار .

الحافظ الشهيد . أبو الفضل بن أبى الحسين الجارودى .

سمع من : عثمان بن سعيد الدارمى ، وهو أقدم شيخ له ، وأحمد بن نجده ، ومعاذ بن منى وغيرهم .

وحدث عنه : الحافظ أبو على ، ومحمد بن المظفر ، ومحمد بن أحمد بن حماد الكوفى وغيرهم .

وتوفى بمكة شهيداً فى فتنة القرامطة التى كان مقدمهم فيها أبو طاهر القرمطى .

وكانوا وافوا مكة يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة. وقيل : فى ثامن الشهر . وقتل فيها زهاء ثلاثين ألفاً من الحجاج وغيرهم .

وقد شرحنا شيئاً من خبر هذه الفتنة فى تأليفنا « شفاء الغرام » ومختصراته الثلاثة .

٥٦ — محمد بن أحمد بن محمد بن عمر التحيوى .

أبو أحمد اليمنى .

كان ينوب عن عمه الوزير على بن محمد فى فصل قضاء الناس . وما فعله لم يعارضه فيه ، وهو مع ذلك فى الغالب سالكا طريق الزهد .

وكان عالى الهمة .

جاور بمكة مدة سنين .

توفى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة .

ذكره الملك الأفضل عباس بن المجاهد صاحب اليمن فى كتابه « العطايا السنية » ومنه لخصت هذه الترجمة .

٥٧ — محمد بن أحمد بن محمد بن الصدر عمر القاضى تقى الدين

توفى يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة سنة خمس وستين وسبعمائة بمكة .

ودفن بالمعلاة .

ومن حجر قبره لخصت هذه الترجمة .

٥٨ — محمد بن أحمد بن محمد بن القاسم الهروى .

أبو أسامة المقرى .

نزيل مكة .

تلى على : أبى أحمد السامرى ، وأبى الطيب بن غليون ، وأقرأ .

قال الدانى : رأيتـه يقرأ بمكة ، وربما أملى الحديث من حفظه فقلب الأسانيد وغير المتون . انتهى .

وكان سمع بها من : ابن عبد السلام بن محمد بن موسى ، و إسحاق بن زوران .

و بمصر من : أبى طاهر الذهلى ، وأبى محمد بن حنونه .

و بدمشق : من الفضل بن جعفر ، وجماعة ، وحدث .

روى عنه ولده : عبد السلام ، وأبو منصور محمد بن أحمد بن عبد كو به ، وأبو سعد إسماعيل بن على السمان . سمعا منه بمكة .

و بها توفى سنة سبع عشرة وأر بعمائة عن ثمان وثمانين سنة . كما ذكر الذهبى فى الميزان .

ومنه ، ومن تاريخ مصر للقطب الحلبى لخصت هذه الترجمة .

٥٩ — محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبـد الله بن محمد ابن أبى بكر نجم الدين ابن القاضى شهاب الدين أبى الفضل بن القاضى نجم الدين ابن القاضى جمال الدين ابن الشيخ محب الدين الطبرى المـكى .

سمع من : عثمان بن الصفى وغيره .

ودرس – بعد أبيه – بالمدرسة المنصورية والمجاهدية بمكة . ورام المنصب ، فاخترمته المنية دونه .

توفى فى أحد الجمادين سنة خمس وستين وسبعمائة بمكة .

ودفن بالمعلاة بجوار ضريح والده وجده بعد خاله القاضى تقى الدين الحرازى بيسير .

وكان حسن الشكالة صينا .

٦٠ — محمد بن أحمد بن أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أحمد بن على الحسنى .

أبو الفتح الفاسى .

يلقب : ولى الدين .

سمع بمكة من : عثمان بن الصفى : سنن أبى داود ، ومن عمه أبى الخير الفاسى : بعض الملخص للقابسى ، ومن جماعة .

وسمع بالمدينة – فى الخامسة – على : الزبير الأسوانى : الشفا للقاضى عياض ، وعلى الجمال المطرى ، وخالص البهائى : إتحاف الزائر ، لأبى اليمن بن عساكر عنه ، وعن على بن عمر بن حمزة الحجار عدة أجزاء .

وأجاز له من دمشق : أبو بكر بن الرضى ، وزينب بنت الكمال ، وعبد الرحمن ابن عبد الهادى ، ومحمد بن عمر السلاوى ، وعلى بن العز عمر ، وأحمد بن محمد ابن سلمان ، المعروف : بابن غانم ، والحافظان : المزى ، والبرزالى ، ويحيى بن فضل الله العمرى ، وآخرون .

ومن مصر : مسندها يحيى بن المصرى ، وإبراهيم بن الخيمى ، وأحمد بن أحمد الشارعى ، وأحمد بن منصور الجوهرى ، وأحمد بن على المشتولى ، وأحمد بن محمد ابن عمر الحلبى ، وأبو نعيم بن الأسعردى ، والقاضى شمس الدين بن القماح ،

والاستاذ أبو حيان النحوى ، وبدر الدين الفارقى ، ومحمد بن عالى الدمياطى ، وعائشة بنت الصنهاجى ، وزهرة بنت الخنى ، وآخرون .

وحدث بقراءتى . وطلب العلم .

وحفظ فى الفقه: مختصر ابن الجلاب . وفى النحو : الكافية الشافية لابن مالك .

وكان يحضر مجلس عمه الشريف أبى الخير الفاسى .

وكان عالماً فاضلا . وله نظم كبير . وكان ظريفاً إلى الغاية نستحسن مجالسته لما يذكره من الحكايات والأشعار المستظرفة ، مع ديانة وخير وعبادة كثيرة .

توفى ـ رحمه الله ـ فى عصر يوم الأربعاء خامس صفر من سنة ست وتسعين وسبعمائة بمكة . ودفن ـ صبيحة يوم الخميس ـ بالمعلاة .

ومولده فى ليلة الجمعة سابع عشرين من ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمكة .

وهو سبط البهاء الخطيب الطبرى .

أخبرنا الشريف العالم أبو الفتح محمد بن أحمد الحسنى ، بقراءتى عليه بالمسجد الحرام عن يحيى بن يوسف بن المصرى إذنا . أن أبا الحسن على بن هبة الله الخطيب أخبره إذنا . قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن نسيم العيشونى .

وقرأت على أبى هريرة بن الذهبى بغوطة دمشق فى الرحلة الأولى . أخبرك الأمين محمد بن أبى بكر النحاس حضوراً . قال أخبرنا يوسف بن محمود الساوى . قال : أخبرنا أبو طاهر السلفى . قال : أخبرنا على بن محمد بن العلاف . قال : أخبرنا أبو القاسم بن بشران . قال : أخبرنا أبو بكر الآجرى . قال : حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطى . قال : حدثنا عبد الوهاب بن الحكم الوراق النسائى . قال : حدثنا يزيد بن هارون . قال : أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا : أن ياأهل

الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه . قالوا : وما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه . فوالله ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم منه . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠ : ٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) » .

وأخبرنا أعلا من هذا : جماعة كثيرون ، من طرق كثيرة من أحسنها : ما أخبرتناه أم عيسى بنت أحمد الحنفى : أن على بن عمر أخبرها . قال : أخبرنا عبد الرحمن بن مكى . قال : أخبرنا جدى أبو طاهر السلفى . قال : أخبرنا أبو القاسم على بن الحسين الربعى . قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مخلد البزار . قال : أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار . قال : أخبرنا الحسن بن عرفة . قال : حدثنا يزيد بن هارون . قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا : أن يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويزحزحنا عن النار ، ويدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف الحجاب عز وجل ، وينظرون إليه تبارك وتعالى . قال : فو الله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه . قال : ثم قرأ (١٠ : ٢٦ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) » .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى بكر بن أبى شيبة الحافظ عن يزيد بن هارون فوقع لنا بدلا له عالياً بدرجتين ، ولله الحمد والمنة .

وأنشدنى الشريف الفاضل أبو الفتح الفاسى لنفسه إجازة من قصيدة نبوية :

ياحادياً يحدو بزمزم والصفا ... عرج فديتك نحو قبر المصطفى
وانزل على ذاك الضريح ولذ به ... فهناك تلقى ماتروم من الشفا
وارتع هديت بروضة من جنة ... وادع فثم يجاب من قد أسرفا
واقرأ سلامى عند رؤية قبره ... وقل الكئيب المستهام على شفا

٦١ — محمد بن أحمد بن محمد القزوينى الصوفى

ذكر لنا : أنه سمع من مظفر الدين محمد بن محمد بن يحيي العطار المصرى ، ولم يحرر ماسمعه منه .

وسمع ـ وهو كبير ـ على : جماعة من شيوخنا وغيرهم ، بديار مصر والحجاز .

وصحبه الشيخ يوسف العجمى . وأخذ عنه الطريق وجماعة من أهل الخير .

وكانت له معرفة بطريق الصوفية ، ومواظبة على العبادة ، مع حسن الطريق .

جاور بالحرمين الشريفين غير مرة . منها : نحو خمس سنين متوالية متصلة بوفاته أو أزيد .

وكان يسكن برباط ربيع ، ثم انتقل عنه قبيل وفاته لحاجته إلى من يمرضه .

وتوفى فى ثانى عشرين شعبان سنة إحدى عشرة وثمانمائة بمكة .

ودفن بالمعلاة وقد جاوز الستين .

وكان خيراً صالحاً حسن العقيدة ، قاله ابن حجر فى معجمه .

٦٢ — محمد بن أحمد بن المسيب اليمنى

أمين مكة .

وجدت بخط بعض العصريين : أن فى سنة ست وأربعين عزل الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن الأمير فخر الدين السلاح عن مكة وأعمالها ، وأمر ابن المسيب عوضه بعد أن ألزم نفسه مالا يؤديه من الحجاز بعد كفاية الجند ، وقود مائة فرس فى كل سنة . فتقدم إلى مكة بمرسوم السلطان نور الدين ، فدخلها وخرج عنها الأمير فخر الدين السلاح .

فأقام ابن المسيب أميراً بمكة سنة ست أربعين ، والتى بعدها فغير فى هذه المدة جميع الخير الذى وضعه مولانا السلطان نور الدين ، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة ، وقلع المربعة التى كان السلطان كتبها ، وجعلها على زمزم . واستولى على الصدقة التى كانت تصل من اليمن . وأخذ من المجد بن أبى المال المال الذى كان

تحت يديه لمولانا السلطان الملك المظفر . وبنى حصنا بنخله يسمى : العطشان ، واستخلف هذيلا لنفسه ، ومنع الجند النفقة . فتفرقوا عنه ، ومكر مكراً . فمكر الله به .

ولما تحقق الشريف أبو سعد منه الخلاف على السلطان ، وثب عليه ، وأخذ ما كان معه من خيل وعدد ومماليك وقيده ، وأحضر أعيان أهل الحرم . وقال : مالزمته إلا لتحقيق خلافه على مولانا السلطان . وعلمت أنه أراد الهرب بهذا المال الذى معه إلى العراق ، وأنا غلام مولانا السلطان ، والمال عندى محفوظ ، والخيل والعدد إلى أن يصل مرسوم السلطان . فوردت الأخبار بعد أيام يسيرة بوفاة السلطان . انتهى .

وما عرفت شيئاً من حاله زيادة على هذا سوى : أنه كان استدار الملك المنصور ، على ما وجدت فى حجر قبر ولده بالمعلاة . ومنه نقلت نسبه هذا .

٦٣ — محمد بن أحمد بن ميمون بن قاسم التونسى ، المالكى .

المعروف : بابن المغربى .

أخو : حسن وزينب ـ الآتى ذكرهما .

رأيت بخط بعضهم قصيدة فى مدح الشريف رميثة بن أبى نمى الحسنى صاحب مكة . ذكر : أنها لمحمد بن المغربى هذا . وهى :

السعد قارن وجهك المسعودا والله ملك ملكك التخليدا
وجيوش نصرك يا رميثة أقبلت تسعى إليك عساكراً وجنودا

منها :

لا زال سعدك بالدوام موفقاً وسديد رأيك فى الأمور رشيدا
يا طاعن اللبات وخزاً بالقنا والحرب شب شراره الموقودا
يا بهجة الدنيا وعين زمانها وسخيها ومليها المقصودا
أمّنت خوف المسلمين وروعهم ولمت شملهم فصار نضيدا

لازلت ذخراً للأنام وملجا   وعميم ملكك للورى ممدودا
و بقيت فى النعم التى أوتيتها   متقلباً وعلى العلا محسودا

وتركت سائرها لكون ما ذكرته أصلح شيء فيها .

٦٤ — محمد بن أحمد بن أبى نصر الشيخ شمس الدين .

المعروف : بالدباهى ، البغدادى .

ذكره الذهبي فى معجمه ، وترجمه : بالإمام ، الزاهد ، القدوة .

وحكى عنه أنه قال : إن النشتبرى أجاز له من ماردين . وأنه صحب الشيخ عبد الله كتيلة مدة . وسافر معه قال :

وكان الدباهى حسن الجملة ، عديم التكلف ، وافر الإخلاص ، رأسا فى متابعة السنة ، فصيحاً ، واعظاً ، حسن المشاركة فى العلم ومعاملات القلوب .

دخل البلاد وجاور عشر سنين ، ثم تحول إلى دمشق . فانتفعنا بمجالسته ، و بآدابه أنشدنا بمكة سنين ، وبالمدينة أشياء حسنة ، وحكايات نافعة . انتهى .

وذكره البرزالى فى تاريخه . وقال : كان سيداً من السادات .

وجاور بمكة سنين ، و بالمدينة أيضاً .

وذكر : أنه توفى قبل المغرب من نهار يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

ودفن بسفح قاسيون .

ومولده سنة ست أو سبع وثلاثين . انتهى .

٦٥ — محمد بن أحمد بن هبة الله محمد بن الخزرجى القاضى زين الدين الشهير : با بن الأنصاري .

ولى القضاء بدمنهور وغيرها من الوجه البحرى مدة .

وتردد إلى مكة مرات وجاور بها وتعبد بها .

توفى يوم الثلاثاء ثالث عشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة . ودفن بالمعلاة .

وكان ذا ثروة بمكة ونعمة ظاهرة . وكانت له مكارم وصدقة وافرة ، وإحسان جزيل إلى الرؤساء . وله فى ذلك أخبار :

منها : أنه أهدى لقاضى القضاة برهان الدين بن جماعة بالقدس خرجا مملوءاً قماشاً حسناً . ونال بذلك خيراً ومكانة من ابن جماعة لما ولى قضاء الديار المصرية .

ومنها : أنه أهدى للقاضى أبى البقاء السبكى ـ لما عزم على التوجه إلى دمشق قاضياً بها بعد صرفه عن قضاء مصر بابن جماعة ـ خمسمائة مثقال ذهباً ، بعد أن أتى مودعاً له من بلده دمنهور .

ومنها : أنه لما مات شرف الدين المناوى والد شيخنا القاضى صدر الدين : أتى لأخيه القاضى تاج الدين المناوى ، وهو إذ ذاك عبارة عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة لتفويضه الأمور إليه ، وقال ابن الأنصارى لتاج الدين المناوى : عندى للقاضى شرف الدين المناوى عشرة آلاف درهم ، فقال له تاج الدين المناوى بمسطور ؟ فقال : مثلى لا يكتب عليه مسطور ، فهل ترسمون آتيكم بها أو أتسبب فيها ، كما كنت أولا ؟ فقال : لا تسببوا فيها . فعجب من ذلك تاج الدين ، ولم يكن عند ابن الأنصارى لشرف الدين المناوى شيء البتة . وإنما قصد التقرب إلى أخيه القاضى تاج الدين . ولذلك صار مكينا عنده .

وله فى الإحسان إلى القاضى محب الدين ناصر الجيش ، والشيخ بهاء الدين السبكى وغيرهم من الأعيان أخبار كثيرة .

وكان مع ذلك : لا يقبل ممن يهدى إليه شيئاً ولو كان مأكولا .

وله فيما بلغنى إحسان كثير لقصد وجه الله لناس كثير من الفقراء وغيرهم .

وأخبرنى بعض أصحابنا أنه رآه بمكة فى النوم بعد وفاته . وقال له : مافعل الله بك ياسيدى ؟ فقال له ابن الأنصارى : والله مشى الحال على خير بكرمى . والمخبر لى بهذه الحكاية من خواص ابن الأنصارى العارفين بخفايا أمره .

وأخبرنى عن ابن الأنصارى بما ذكرته من خبره مع المناوى وأبى البقاء وابن جماعة وغير ذلك .

ومما حكاه لى من سعادة ابن الأنصارى : أنه أسلم فى شىء يقال له : التيلة مائة درهم فى الأردب . وأنه باع ذلك بعد مدة بألف درهم ومائة درهم الأردب . وأنهم وجدوا له بعد موته فى مخزن له بالفارقانية : خمسة آلاف مثقال ذهب ، وخمسة وستين ألف درهم فضة .

وأنه لما توجه من القاهرة لقصد الحج والمجاورة : استدان من مال الأيتام بالقاهرة عشرة آلاف درهم باثنى عشر ألف درهم إلى سنة برهن وثيق . وقصد بذلك خفاء أمره فى الغناء ، وإظهار احتياجه . وذلك مما يقصده العقلاء .

وله فى مثل ذلك أخبار أخر .

وله معرفة بالوراقة والمكاتيب الحكمية وحفظ الحاوى .

ومن خطه نقلت نسبه هذا .

٦٦ — محمد بن أحمد بن يزيد

أبو يونس الجمحى .

من أهل مكة . وكان يسكن المدينة .

روى عن : محمد بن المنذر بن الزبير بن هشام بن عروة .

ذكره هكذا ابن حبان فى الطبقة الرابعة من الثقات . قال : وروى عنه أصحابنا .

٦٧ — محمد بن أحمد بن يونس المكى .

المعروف : بالكركى .

لقب : بالجمال .

كان عاقلا ، خيراً ، ذا مروءة وصيانة ، وأخلاق حسنة .

كتبت عنه بمكة دعاء ، ذكر لى : أنه للنفع من الأعداء ، على ما بلغه عن شيخ اليمن علما وعملا : أحمد بن العجيل . يقال ثلاثاً عند الصباح وعند المساء . وهو : اللهم يامخلص المولود من ضيق محاض أمه ؛ ويامعافى الملدوغ من شدة حمة سمه ، ويا قادراً على كل شيء بعلمه : أسألك بمحمد واسمه أن تكفينى كل ظالم بظلمه .

توفى فى العشر الأخير من شوال سنة تسع وثمانمائة بالقاهرة . وقد بلغ الخمسين أو قاربها .

٦٨ — محمد بن أحمد الخلاوي

أبو بشير .

أحد مشايخ الحرم فى وقته .

ذكره أبوعبد الرحمن السلمى فى طبقاته .

وذكر : أنه جاور بمكة فى آخر سفرة سافرها عشرين سنة متوالية .

مات بمكة سنة ست ، ونعى إليهم سنة سبع وثمانين وستمائة .

٦٩ — محمد بن أحمد شمس الدين

المعروف : بابن المؤذن ، القدسى .

نزيل الحرمين الشريفين .

ولد بالقدس ، ونشأ بها ـ فيما أظن ـ وخدم بها الوالى العارف الشيخ محمد ، المعروف : بالقرمى مدة ، ثم تغير عليه القرمى ، لأنه صار يتأكل من الناس بالقرمى .

وحصل له بخدمة القرمى : شهرة عند الناس ، استفاد بهـا صحبة جماعة من الأكابر منهم : القاضى زكى الدين الخروبى . وندبه إلى اليمن فى بعض حوائجه .

ودخل اليمن غير مرة ، وأكرم مورده فيها : القاضى سراج الدين عبد اللطيف ابن سالم لمودة بينهما من مكة .

وتوفى ، وهو قافل من اليمن فى العشر الوسط من شعبان سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، بموضع يقال له : ملكان ، أو قريباً منه على أميال من مكة . ودفن هناك . وذهبت دنياه التى قفل بها من اليمن ، ولم يحسن مواراته بعد موته .

وأول قدومه إلى الحجاز فى حدود سنة سبعين وسبعمائة . وصار يتردد إليه . وانقطع به بعد ذلك . وصار يتردد إلى مصر وغيرها من البلاد الشامية طلباً للرزق . سامحه الله تعالى .

٧٠ — محمد بن أحمد ناصر الدين

المعروف : بالسخاوى ، المصرى ، الشافعى .

حفظ فى صغره : كتباً علمية ، وعرضها على جماعة من أعيان العلماء بالقاهرة فى عشر السبعين وسبعمائة . منهم : الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنائى . وحضر دروسه ، ودروس جماعة من أهل العلم .

وكانت لديه نباهة وتذاكر بفوائد حسنة .

جاور بمكة غير مرة . وبها توفى فى شعبان سنة عشر وثمانمائة . ودفن بالمعلاة عن بضع وستين سنة .

من اسمه محمد بن إبراهيم

٧١ — محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر

الشيخ فخر الدين أبو عبد الله ، الفارسى ، الفقيه ، الصوفى .

سمع بهمدان من : أبى العلاء العطار وغيره .

و بأصبهان من : الحافظ أبى موسى المدينى .

و بدمشق من : الحافظ أبى القاسم بن عساكر .

و بالإسكندرية من : الحافظ السلفى ، وأكثر عنه .

وسمع من غيرهم بهذه البلاد وغيرها ، على ما ذكره ابن مسدى . قال : وتفقه على مذهب الشافعى بجماعة من الأكابر ، ختمهم بأبى البركات محمد بن الموفق الخبوشانى .

وأفتى ، وذكر ، وحدث ، وفسر ، وحج مرات ؛ وجاور كرات ، ولزم بآخره قرافة مصر . وانقطع فيها بمعبد ذى النون المصرى ، وكان مكيناً مكانه موطناً على الديانة . انتهى .

وقال ابن الحاجب الأمينى : كان صاحب مقامات ومعاملات ، إلا أنه كان بذىء اللسان ، كثير الوقيعة فى الناس ، من عرف ومن لم يعرف ، لا يفكر فى عاقبة ما يقول . وكان ميله إلى الكلام أكثر من الحديث .

وذكر ابن نقطة : أنه قرأ عليه يوماً حكاية عن يحيى بن معين . فسبه ونال منه ، انتهى .

وذكر الذهبى : أنه كان مغرماً بوصف القدود والخدود ، والنهود . قال : وله شعر منه وقوله :

اسقنى طاب الصبوح ماترى النجم يلوح
اسقنى كاسات راح هى للأرواح روح

غن لى باسم حبيبى فلعـــلى أســتريح
نحن قوم فى سبيل العشق نغـــدو ونروح
نحن قوم نـكتم الأسرار والدمع يبـــوح

وذكر له تآليف . منهـا « مطية النقل ، وعطية العقل » فى علم الـكلام ، قال : وكان كثير الميل إليه . وتأليفه على طريقة الصوفية الفلاسفة . انتهى .

قلت : بلغنى عنه أنه قال : سألت الله أربعين سنة أن يزيل بغض العرب من قلبى حتى فعل ، وآخر أصحابه : الرئيس بهاء الدين على بن عيسى . المعروف : بابن القيم .

وتوفى فى ليلة الجمعة الرابع عشر ذى الحجة سنة اثنين وعشرين وستمائة .

وكان مولده ـ تقريباً ـ فى سنة عشرين وخمسمائة .

وذكر وفاته ومولده هكذا ابن مسدى .

وذكر التاج السبكى فى طبقاته : أنه جاور بمكة زمانا .

٧٢ — محمد بن إبراهيم بن أبى العباس أحمد بن عبد الله التونسى الأصل ، المـكى .

المعروف والده : بالزعبلى .

ولد بمكة ، وحفظ بها القرآن .

ورغب فى الاشتغال بالعلم ، وحضر فيه دروساً كثيرة عند الشيخ جلال الدين عبد الواحد بن إبراهيم المرشدى الحنفى . وتصدى للشهادة مدة .

وتوفى فى السادس عشر من ذي القعدة سنة خمس وعشرين وثمانمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

وقد قارب الأربعين ـ ظنا .

وكان فى خير وأصيب به أبوه .

٧٣ — محمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن محمد بن ابراهيم الطبرى

يلقب : بالجمال .

يروى جامع الترمذى عن ابن البنا ، يرويه عنه ابنه الرضى إبراهيم إمام المقام إجازة .

ولم أدر متى مات ، إلا أنه كان حياً فى سنة إحدى وخمسين وستمأئة .

٧٤ — محمد بن ابراهيم بن بدر بن بدران بن عبد القادر بن عمر ابن الشيخ موفق الدين الكواشى السلامي .

يلقب : شمس الدين،و يعرف : بابن الحبشى — بحاء مهملة مفتوحة وباء موحدة مفتوحة وشين معجمة مكسورة — للنسبة . هكذا كتب لنا هذا النسب بخطه .

وذكر : أنه ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة ببيت المقدس .

وروى لنا عن : أحمد بن عبد الرحمن الصرخدى ، وعبد الله بن أبى التائب ، وعلى بن محمد البندنيجى ، وأسماء بنت ابن صصرى ، وزينب بنت الكمال . وجماعة من العلماء والرواة ، بمقتضى : أن هؤلاء الشيوخ أجازوا فى استدعاء كتب ببيت المقدس فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، بخط موسى بن على الزهرانى — نزيل مكة — لجماعة مذكورين فيه . منهم : محمد بن إبراهيم بن بدر الحبشى ، بهذا النص .

وغلب على ظنى أنه صاحب هذه الترجمة ، ثم تشككت فى ذلك بعد موته . والله أعلم بحقيقة ذلك .

ووجدت فى بعض طبقات السماعات على فاطمة بنت العز إبراهيم المقدسى ما صورته :

محمد بن ابراهيم بن بدر الحبشى . مع جماعة فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة فى بيت المقدس .

فإن كان المذكور فى الطبقة هو المذكور فى هذه الترجمة . فهذا سماع له ،
وأظن : أن ذلك فى طبقة سماع على فاطمة المذكورة لانتخاب الطبرانى لابنه على
ابن فارس ، وإلا ففى جزء ابن عرفة ، وإلا ففى نسخة أبى مسهر الغسانى .

وجاور ابن الحبشى ـ هذا ـ بمكة سنيناً كثيرة ، حتى توفى بها فى أوائل سنة
ثمان وتسعين وسبعمائة ، بالموضع الذى يقال : بيت أبى بكر الصديق رضى الله عنه
بأسفل مكة .

ولم يعلم موته إلا بعد تغيره .

وكان يدعى معرفة أسرار الحروف والكيمياء واتهم بعملها .

وله حظ وافر من العبادة ، وفى لسانه بداره .

٧٥ — محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الفضل المكى

أبو جعفر الديبلى .

محدث مكة .

روى عن محمد بن زنبور : نسخة إسماعيل بن جعفر المدنى عنه ، وعن محمد
ابن على الصايغ ، وسعيد بن عبد الرحمن المخزومى .

وروى عنه : ابن المقرى فى معجمه، وأبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس
المكى العطار ، وغيرهما .

وتوفى بعد العصر من يوم السبت ليومين خليا من جمادى الأولى سنة اثنين
وعشرين وثلاثمائة .

ودفن يوم الأحد ضحوة بمكة .

هكذا ذكر وفاته ابن زبر فى وفياته .

وقد ذكره : العز ابن الأثير فى اختصاره لأنساب ابن السمعانى ، وأفاد فيه
غير ما سبق . لأنه قال : الديبلى هو ـ بفتح الدال وسكون الياء المثناة من تحتها

وضم البـاء الموحدة ، وفى آخرها لام ـ هذه النسبة إلى ديبل ، وهى مدينة على ساحل الهند ، قريبة من السند ، ينسب إليهـا جماعة كثيرة من العلماء . منهم : أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبد الله الديبلى ، جاور بمكة .

روى عن : أبى عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومى ، وأبى عبد الله الحسين ابن الحسن المروزى .

روى عنه : أبو بكر بن المقرى ، وأبو الحسن أحمـد بن إبراهيم بن فراس المـكى ، وغيرهما . انتهى .

قرأت على فاطمة وعائشة بنتى محمد بن عبد الهادى بالسفح فى الرحلة الأولى : أن أبا العباس أحمد بن أبى طالب الحجار أخبرهما عن أبى الحسن محمد بن أحمد ابن عمر القطيعى . قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز العبـاسى . قال : أخبرنا الحسن بن عبد الرحمن الشافعى . قال : أخبرنا أحمد بن إبراهيم العطار . قال : أخبرنا محمد بن إبراهيم الديبلى . قال : أخبرنا محمد بن زنبور . قال : أخبرنا إسماعيل بن جعفر قال : أخبرنا عبد الله بن دينار : أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن بيع الولاء وعن هبته » .

وأخبرنا أبو هريرة بن الحافظ الذهبى بقراءتى عليه فى الرحلة الأولى : أن عيسى بن عبد الرحمن المطعم أخبره سماعاً فى الثالثة ، وأجاز له . أخبرنا أبو المنجا عبد الله بن عمر البغدادى ، قال : أخبرنا أبو الوقت السجزى ، قال : أخبرتنا أم الفضل بنتى بنت عبد الصمد الهرثمية . قالت : أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد المعروف : بابن أبى شريح . قال : حدثنا عبد الله بن محمد البغوى . قال : حدثنا مصعب . قال : حدثنى مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « نهى عن بيع الولاء وعن هبته ».

أخرجه النسائى فى البيوع عن قتيبة بن سعيد الثقفى عن مالك ، وعن على ابن حجر عن إسماعيل بن جعفر ، فوقع لنا بدلا عالياً .

٧٦ — محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأسدى الحجازى

من أهل مكة .

هكذا ذكره صاحب الجريدة .

وذكر : أنه لقى أبا الحسن التهامى ، وتوجه إلى العراق واتصل بخدمة الوزير المغربى بمرو وخراسان وغزنة .

وبها مات مستهل المحرم سنة خمسمائة .

مولده بمكة فى المحرم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة . ومن شعره :

قلت : ثقلت إذ أتيت مرارا قال : ثقلت كاهلى بالأيادى

قلت : طولت.قال : لابل تطولت وأبرمت . قال : حبل الودادى

٧٧ — محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن صصرى الثعلبى

يلقب : بالشرف . ويعرف : بابن صصرى الدمشقى .

سمع على : الفخر بن البخارى مشيخته بكمالها .

وباشر وظائف بدمشق . منها : نظر جامعها الأموى ، وغير ذلك .

توفى فى سابع ذى الحجة سنة سبع عشرة وسبعمائة بظاهر مكة .

ودفن بالمعلاة عن خمسة وثلاثين سنة .

٧٨ — محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الدمشقى القاضى أمين الدين

المعروف : بابن الشماع .

نزيل مكة .

سمع بدمشق من : وزيرة بنت أبى المنجا : صحيح البخارى ، ومسند الشافعى ، بفوت يسير فى المسند .

وسمع على : التقى محمد بن عمر الجزرى : تفسير الكواشى ، بسماعه من مؤلفه خلا من سورة البلد إلى آخره ، فأجازه ، وسمع عليه أيضاً : جامع الأصول لمجد الدين بن المبارك بن الأثير على ابن أخت المؤلف عنه ، وغير ذلك على جماعة بدمشق ، ومصر ، والاسكندرية .

وحدث بمكة بالمسند ، وتفسير الكواشى .

سمع منه جماعة من شيوخنا . منهم : المحب محمد بن أحمد بن الرضى الطبرى ، وابن شكر وغيرهما بمكة ، ودرس بها .

وله اشتغال بالعلم ونباهة .

وأذن له فى الفتوى : القاضى شرف الدين البارزى ، قاضى حماة ، ثم القاضى عز الدين بن جماعة ، وناب عنه فى الحكم فى بعض ضواحى القاهرة .

ثم ولى القدس والخليل استقلالا من مصر مدة مديدة فى زمن القاضى تقى الدين السبكى ، قاضى دمشق .

وكان مولده سنة ثمان وتسعين وستمائة .

وتوفى خامس صفر سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة بعد أن جاور بمكة سنين كثيرة .

ولى من القاضى أمين الدين الشماع هذا إجازة باستدعاء شيخنا ابن شكر .

أخبرنى القاضى أمين الدين محمد بن إبراهيم عبد الرحمن السماع ، نزيل مكة إجازة .

وقرأت على الخطيب على بن محمد بن أبى المجد الدمشقى بظاهرها . قالا : أخبرتنا أم محمد وزيرة بنت عمر بن المنجا التنوخية . قالت : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن الزبيدى . قالا : أخبرنا أبو الوقت عن الأول بن عيسى بن شعيب السجزى . قالا أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودى . قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموى . قال : أخبرنا

محمد بن يوسف الفربرى. قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الحافظ . قال : حدثنا أبو عاصم عن يزيد بن أبى عبيدة عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثه وفى بيته منه شىء » فلما كان العام المقبل ، قالوا : يارسول الله ، نفعل كما فعلنا عام الماضى ؟ قال صلى الله عليه وسلم « كلوا وأطعموا ، وادخروا ، فإن ذلك العام كان بالناس جهد ، فأردت أن تعينوا فيها » .

أخرجه مسلم عن الحافظ أبى يعقوب إسحاق بن منصور الكوسج عن أبى عاصم ، فوقع لنا بدلا عالياً له .

٧٩ — محمد بن إبراهيم بن عبد الحميد بن على

الموغانى الأصل ، تقى الدين المعروف : بابن عبد الحميد المدنى .

سمع بمصر من : جويرية بنت الهكارى ، وعبد الله بن الإمام علاء الدين الباجى وغيرهما .

وذكر أنه سمع بدمشق من : ابن أميلة ، وصلاح الدين بن أبى عمر .

وله اشتغال بالعلم ، ونباهة فى الأدب وغيره ، وذكاء مفرط ، بحيث إنه لما أصابه الصمم ، كان يكتب له فى الهواء ، وفى يده ليلاً ، فلا يفوته شىء من فهمه غالباً . وكان الناس يتعجبون من ذلك .

وكانت له مكانة عند أمير المدينة ثابت بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة . ثم نال مكانة عند صاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ، وأعيان جماعته ، وكان يكتب عنه إلى مصر وغيرها ، وأقام عنده إلى ذلك مدة سنين ، وله ترداد كثير إلى مكة من قبل ولايته .

ودخل اليمن فنال فيه خيراً .

وترافقنا فى سفرة سافرناها إلى الطائف لقصد الزيارة ، وسمعت من لفظه

ـ بالسلامة من وادى الطائف ـ حديث « الأعمال بالنيات » من الغيلانيات عن ابن أميلة ، وابن أبى عمر ، إجازة إلى لم يكن سماعاً . وسمعت منه حكايات .

وتوفى فى أول يوم الأحد الحادى والعشرين من المحرم سنة ست عشرة وثمانمائة ، ودفن بالمعلاة ، وقد بلغ السبعين أو قاربها .

شهدت الصلاة عليه ودفنه ، وشهد ذلك الشريف حسن ـ صاحب مكة .

٨٠ — محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم

و يلقب : بالجمال ، ابن العز ، الأصبهانى ، المكى .

كان ذا نظم وعناية بالشعر ، وجمع فى ذلك مجاميع .

وورث مالا جزيلا عن أبيه ، و بالغ فى الإسراف فيه حتى احتاج فى آخر عمره وصار يتكسب من عمل يده بالتجارة وغيرها .

ثم توجه إلى مصر .

ومات بالبيمارستان المنصورى سنة خمس أو ست وسبعين وسبعمائة .

وكان صاهر القاضى شهاب الدين الطبرى على ابنته السيدة خديجة .

٨١ — محمد بن ابراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى .

أمير مكة والطائف . ولى ذلك بعد عزل عبد الصمد بن على فى سنة تسع وأربعين ومائة . وحج بالناس فيها ، كما ذكر ابن جرير الطبرى .

ثم عزل عن ذلك فى سنة ثمان وخمسين ومائة بابراهيم بن يحيى ـ الآتى ذكره .

وذكر الفاكهى : أنه ولى مكة للمنصور ، وابنه المهدى .

وذكره ابن الأثير فى : ولاية مكة للرشيد . ولم يبين تاريخ ولايته للرشيد ،

و بين ذلك ابن كثير ، لأنه ذكر : أنه حج بالناس فى سنة ثمان وسبعين ، وهو أمير مكة .

وذكر الذهبي : أنه ولى دمشق للمهدى ، ولابنه الرشيد .

وروى عن : أبى جعفر المنصور ، وجعفر بن محمد الصادق .

وروى عنه : ابنه موسى ، وحفيده ابراهيم بن عبد الصمد .

وكان كبير القدر .

توفى سنة خمس وثمانين ومائة انتهى .

ولمحمد بن ابراهيم ــ هذا ــ يقول العنبرى :

إنى أتيت بأمر يقشعر له ... أعلا الذؤابة أمراً مفظعاً عجباً

لما عمدت كتاب الله أرهنـه ... أيقنت أن زمان الناس قد كلبا

وما عمدت كتاب الله أرهنه ... إلا ولم يُبْقِ هذا الدهر لى نشبا

فافْتَكَّ طه وياسيناً فإنهمـا ... للسبع من محكم الفرقان قد نسبا

وقال ــ أيضاً ــ العنبرى لمحمد بن ابراهيم :

اقض عنى يا ابن عم المصطفى ... أنا بالله من الدَّين وبك

من غريم فاحش يقذرنى ... أشوه الوجه لعرض منتهك

أنا والظـل وهو ثالثنا ... أين مازلت من الأرض سلك

ذكر ذلك الزبير بن بكار .

وقد أثنى عليه الفاكهى ، وذكر له أخباراً حسنة . فتذكر ذلك لما فيه من الفائدة ونص ما ذكره :

وكان محمد ابن ابراهيم من أفاضل بنى هاشم ، ممن ولى مكة . كان وليها لأبى جعفر المنصور ، ثم للمهدى أمير المؤمنين . فحدثنا محمد بن أبى عمر عن بعض أشياخه . قال : كتب أمير المؤمنين المهدى إلى محمد بن ابراهيم يقول له : بلغنى أن سفيان فيما قبلك ، فإذا جاءك كتابى فادفعه إلى .

فلما ورد عليه الـكتاب أخفاه أياما . وكان سفيان يخرج فى الليل فيطوف ، فتحينه محمد بن ابراهيم فى ذلك الوقت من الليل ، وكان لمحمد بن ابراهيم وقت من الليل يطوف و يصلى خلف المقام ، فلصق بسفيان ، فقرأ بهذه الآية (٢٨: ٢٠ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فاخرج إنى لك من الناصحين) فعرف سفيان ما أراد ، فخرج من ليلته .

فلما كان بعد ذلك أظهر الـكتاب فى الناس ، وأمر بطلبه فلم يوجد .

وسمعت عبد الرحمن الحانى يقول : رأيت محمد بن ابراهيم يصلى فى أيام الموسم بلا جند ولا أعوان . انتهى .

وذكر ابن الأثير : خبراً على تقوى محمد بن ابراهيم ـ هـذا ـ لأنه قال فى أخبار سنة ثمان وخمسين ومائة من الهجرة :

وفيها : حبس محمد بن إبراهيم الإمام ، وهو أمير مكة : جماعة أمر المنصور بحبسهم . وهم : رجل من آل على بن أبى طالب ـ كان بمكة ـ وابن جريج ، وعباد بن كثير ، وسفيـان الثورى . ثم أطلقهم من الحبس بغير إذن المنصور . فغضب عليه .

وكان سبب إطلاقهم : أنه نظر . وقال : عمدت إلى ذى رحم فحبسته ـ يعنى : بعض ولد على ـ و إلى نفر من أعلام المسلمين فحبستهم ، و يقدُم أمير المؤمنين ، فلعله يأمر بقتلهم فيشتد سلطانه وأهلك ، فأطلقهم وتحلل .

فلما قارب المنصور مكة : أرسـل إليه محمد بن إبراهيم بهدايا فردها عليه . انتهى .

قلت : وقع لنا حديثه عالياً فى جزء البانياسى .

أخبرنى به محمد بن إبراهيم الصوفى قراءة وسماعاً بمكة ودمشق : أن أبا العباس الحجار أخبره عن الـكاشفرى ، والأنجب الحـامى ، وتامر بن مسعود ، وعبد اللطيف بن القبيطى ، وعلى بن محمد بن محمد بن كبة ، وابن السباك ، وزهرة بنت محمد ، إذناً . قالوا : أخبرنا ابن البطى .

زاد الكاشفرى ، وابن تاج الفراء . قالا : أخبرنا مالك البانياسى . قال : أخبرنا أحمد بن محمد المجبر . قال : أخبرنا إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى . قال : حدثنى أبى . قال : حدثنا جدى محمد بن إبراهيم عن جعفر بن محمد عن خالد بن علقمة عن عبد خير عن على رضى الله عنه أنه « دعا بماء فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً . وقال : هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

٨٢ — محمد بن إبراهيم بن محمد المقرى

أبو عبد الله ، البغدادى .

ذكره ابن النجار فى تاريخه . قال : بغدادي .

أقام بمكة ، وحدث بها .

وكان ديناً ، زاهداً ، من أهل القرآن والحديث والفقه والخلاف والنحو .

حدث بمكة عن : أبى على بن أحمد التستري وجماعة من الغرباء .

روى عنه : أبو المظفر محمد بن على الشيبانى الطبرى ـ قاضى مكة .

وحكى أنه مات بالكوفة بعد انصرافه من الحج لسنة ست عشرة وخمسمائة .

٨٣ — محمد بن إبراهيم بن محمد

يلقب : بالظهير ، الأصبهانى .

كان من بقايا الصالحين بمكة ، على ما وجدت فى بعض مجاميع الشيخ أبى العباس الميورقى بخطه أو بخط غيره ، إلا أنه لم يسمه . وإنما قال : شيخ الرباط الظهير ، الأصبهانى . انتهى .

وهو والد : العز إبراهيم الأصبهانى ـ الآتى ذكره ـ وجد ابنه : محمد ـ المقدم ذكره .

٨٤ — محمد بن إبراهيم بن مسلم بن مهران القرشى ، المؤذن ، الكوفى .

أبو جعفر . ويقال : أبو إبراهيم .

سمع : جده مسلم بن مهران ، وحماد بن أبى سليمان ، وسلمة بن كهيل ، وعلى ابن بذيمة .

روى عنه : مسلم بن قتيبة ، وأبو داود سليمان بن داود الطيالسى . فقال : محمد ابن إبراهيم بن مسلم بن مهران ، وشعبة بن الحجاج . فكناه : أبا جعفر ، ولم يسمه ، وموسى بن إسماعيل . فقال : محمد بن إبراهيم بن مسلم بن مهران ، ويحيى بن سعيد القطان . وقال : محمد بن مهران ، وأبو الوليد الطيالسى .

روى عنه : أبو داود ، والترمذى ، والنسائى : حديثين .

قال يحيى بن معين محمد بن مسلم بن المثنى : ليس به بأس .

وذكره ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات . ونسبه كما ذكرنا . وقال : من أهل مكة ، كنيته : أبو إبراهيم . انتهى .

وقد اختلف فى نسبه . فقيل : محمد بن إبراهيم بن مهران بن المثنى القرشى . مولاهم ، أبو جعفر . ويقال : أبو إبراهيم الكوفى . ويقال : البصرى ـ مؤذن مسجد العريان ـ ويقال : محمد بن مسلم بن مهران بن المثنى . ويقال : محمد بن أبى المثنى . ويقال : محمد بن المثنى . ويقال : محمد بن مهران ، وكنية جده : مسلم أبو المثنى . ويقال : كنيته : مهران أبو المثنى .

كتبت أكثر هذه الترجمة من التهذيب للحافظ المزى .

٨٥ — محمد بن إبراهيم بن الفخار الأصبهانى .

أبو نصر .

سمع من : أبى الحسن الهكارى وغيره .

وحدث عنه بأصبهان بشيء يسير .

وروى عنه : أبو زكريا بن منده .

وذكر : أنه مات فى سنة تسع وتسعين وأربعمائة بأصبهان ، بعد أن جاور بمكة سنين .

وكان كثير العبادة والصلاح ، حسن الوجه ، سليم القلب .

ذكره ابن السمعانى فى : ذيل تاريخ بغداد .

ومنه لخصت هذه الترجمة .

وقد روى عنه حكاية فى فضل مقبرة مكة ؛ لأنه ذكر : أن أبا زكريا بن منده الحافظ سمع محمد بن أبى منصور بن عليك التاجر . قال : سمعت من ثقات المجاورين بمكة . قالوا : سمعنا أبا نصر بن أبى الفخار بمكة يحدث : أنه رأى فى المنام كأن إنساناً مدفوناً بمقبرة المعلاة : استخرج ومروا به إلى موضع آخر . قال : فسألت عن حاله : لم استخرجتم هذا الميت ؟ قالوا : هذه المقبرة منزهة عن قبور أهل البدعة فلا تقبل أرضها مبتدعاً . انتهى .

وهذا إن صح فيستخرج منها من دفن فيها من أهل البدعة .

ويقرب من هذه الحكاية ما يحكى من : أن شخصاً يقال له : الشريشير من كبار الرافضة بالمدينة النبوية توفى بها ، ودفن بالبقيع . ثم بعد مدة رؤى بعض أهل الخير الغرباء يقرأ على قبره ويلازم عليه القراءة . فَلِيمَ على ذلك . فقال لهم : كان لى شيخ توفى فى غير المدينة . فرأيته فى المنام . فقال لى : أنا نقلت إلى قبر الشريشير بالمدينة . ونقل الشريشير إلى قبرى ، وأنا ألازم القراءة على هذا القبر لهذا المعنى .

هذا معنى هذه الحكاية ، وهى مشهورة عند أهل المدينة وغيرهم . والله أعلم .

٨٦ — محمد بن إبراهيم بن المنذر .

شيخ الحرم الشريف ، أبو بكر النيسابورى .

الفقيه ، المجتهد ، الحافظ .

سمع : محمد بن ميمون ، ومحمد بن إسماعيل الصائغ ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والربيع بن سليمان المرادى ، وخلقاً كثيراً .

وحدث عنه : أبو بكر بن المقرى ، ومحمد بن يحيى بن عمار الدمياطى ، والحسن بن على بن شعبان ، وأخوه الحسين بن على وآخرون .

ولا يلتفت إلى تكذيب العقيلى له فى دعواه : السماع من الربيع بن سليمان صاحب الشافعى . لأنه ثقة حجة . ولا إلى قول مسلمة بن قاسم عنه : أنه لايحسن الحديث . لأنه إمام متبحر فيه ، وتآليفه تشهد بذلك .

وكان فقيهاً ، مجتهداً . إلا أنه كان كثير الميل إلى مذهب الشافعى ، وهو معدود فى أصحابه .

وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء الشافعية . وقال : صنف فى اختلاف العلماء كتباً لم يصنف أحد مثلها ، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف . ولم أعلم عمن أخذ الفقه . انتهى .

وترجمه الذهبى : بالحافظ ، العلامة ، الفقيه ، الأوحد ، شيخ الحرم .

وقال : صاحب الكتب التى لم تصنف ككتاب « المبسوط فى الفقه » وكتاب « الإشراف فى اختلاف العلماء » وكتاب « الإجماع » وغير ذلك .

وكان غاية فى معرفة الخلاف والدليل . وكان مجتهداً لايقلد أحداً .

وذكر فى طبقات الحفاظ : أن ابن القطان القابسى : أرخ وفاته سنة ثمان عشرة وثلاثمائة .

وقال : ماذكره أبو إسحاق — يعنى : الشيرازى — من وفاته : لم يصح . فإن محمداً بن عمار لقيه ، وسمع منه فى سنة ست عشرة وثلاثمائة . انتهى .

قلت : الذى ذكره الشيخ أبو إسحاق فى طبقاته : أنه توفى بمكة المشرفة سنة تسع أو عشر وثلاثمائة .

وذكره ابن الجوزى ، لما تكلم على حديث « طبقات أمتى » فى الطبقة الثانية وهى من سنة عشرين وثلاثمائة إلى سنة ستين وثلاثمائة . فمقتضى ذلك : أن يكون حياً فى سنة عشرين وثلاثمائة .

وليس ذلك بمستقيم لما سبق فى تاريخ موته . والله أعلم .

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن سلمان الصالحى ، بقراءتى عليه بدار السنة الظاهرية بدمشق فى الرحلة الأولى : أن أبا بكر بن محمد بن الرضى المقدسى ، أخبره سماعاً فى الرابعة و إجازة له :

قال : أخبرنا محمد بن اسماعيل الخطيب . قال : أخبرنا يحيى بن محمود الثقفى . قال : أخبرنا اسماعيل بن الفضل الإخشيد وجماعة . قالوا : أخبرنا عبد الرزاق بن عمر القاضى . قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المقرى ، الحافظ . قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر بن عبد الله بن عبد الحكم . قال :

حدثنا ابن وهب . قال : أخبرنى مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن رافع بن إسحاق : أنه سمع أبا أيوب الأنصارى رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا ذهب أحدكم إلى الغائط أو البول فلا يستقبل القبلة بفرجه ولا يستدبرها ».

قال الحافظ الذهبى : لم يخرجوه فى الكتب و إسناده جيد .

وقد ورى النسأئى لرافع هذا : حديثاً . انتهى .

٨٧ — محمد بن ابراهيم بن يوسف بن محمد النيسابوري.

أبو عمرو ، الزجاجى ، الصوفى . أحد مشايخ الصوفية الكبار .

ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية له . وقال : صحب أبا عثمان والجنيد ، والثورى ، والخواص .

دخل مكة ، وأقام بها ، وصار شيخها ، والمنظور إليه فيها .

حج قريباً من ستين حجة .

وقيل : إنه لم يبل ولم يتغوط فى الحرم أربعين سنة . وهو بها مقيم .

توفى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

وذكره صاحب المرآة . وحكى عنه أنه قال : ماتت أمى فورثت منها داراً ، فبعتها بخمسين ديناراً ، وخرجت إلى الحج . وإذا برجل فى البرية راكب على فرس . قال : إيش معك ؟ قلت :ـ الصدق أنجى ـ معى خمسون ديناراً . فأخذها فعدها ، فوجدها كما قلت . فرمى بها إلى . وقال : قد أخذنى صدقك . ثم نزل من الدابة ، وقال : اركبها ، فإنى على أثرك . ولحقنى إلى مكة . وجاور بها حتى مات .

من اسمه محمد بن إسحاق

٨٨ — محمد بن إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن أبى بكر الشيرازي .

الشيخ ، غياث الدين ، الأبرقوهى .

نزيل مكة .

يكنى : أبا المعالى ، بن أبى الفضل الشيرازى ، ويعرف : بالكتبى .

ولد بأبرقوه فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

وكان من جماعة السلطان شاه شجاع صاحب بلاد فارس . وجرت له على يده صدقات بمكة ومآثر . منها : الرباط الذى قبالة باب الصفا ، وأوقاف عليه وعلى غيره بمكة ومنى .

وفى هذا الرباط حجر مكتوب فيه : أن الواقف شرط أنه : يسكنه الفقراء الأعجام المجردون المتقون دون الهنود ، ومن لاسكن له بمكة المشرفة إلا فى الموسم . أو لا بيوت لهم .

وتاريخ وقفه سنة إحدى وسبعين وسبعمائة . وفيه حجر آخر مؤرخ بسنة ست وسبعين .

وكان الشيخ غياث الدين هذا : دخل إلى بلاد الشام ، وسمع بها من : ست العرب : بنت محمد بن الفخر على ، المعروف : بابن البخارى : الشمائل للترمذى . وما علمته حدث . وأظنه : أجاز لنا . والله أعلم .

وله معرفة بالطب . وله فيه تأليف حسن . وانتفع به الناس فى ذلك كثيراً بمكة . وكان يحسن إليهم بما يحتاجونه من الأدوية وغير ذلك .

وجاور بمكة نحو ثلاثين سنة على طريقة حميدة من الإقبال على العبادة والخير وكف الأذى .

وضعف بآخره ، وعجز عن الحركة .

وانقطع فى بيته حتى توفى فى تاسع عشرين جمادى الأولى سنة خمس وثمانمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

وكان والده : قاضى شيراز . ويلقب : عز الدين .

٨٩ — محمد بن إسحاق بن شبويه الخراسانى ، ثم البيكندى .

أبو عبد الله .

ذكر ابن يونس : أنه قدم مصر ، وحدث بها عن عبد الرزاق بن همام وغيره . ثم خرج إلى مكة . فتوفى بها .

وقال غنجار فى تاريخ بخارى : إنه توفى فى شوال سنة اثنين وستين ومائتين بمكة . وضبط شبويه ـ بشين معجمة ـ .

وأما الأمير أبو نصر بن ما كولا ، فقالها بسين مهملة بعدها باء موحدة .

وذكر ذلك القطب الحلبى فى تاريخ مصر ، ومنه لخصت هذه الترجمة .

٩٠ — محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى ، المكى .

مؤلف أخبار مكة .

روى فيه عن : ابن أبى عمر العدنى ، وبكر بن خلف ، وحسين بن حسن المروزى ، وجماعة .

وكتابه فى أخبار مكة : كتاب حسن جداً لكثرة مافيه من الفوائد النفيسة وفيه غنية عن كتاب الأزرقى .

وكتاب الأزرقى لا يغنى عنه ، لأنه ذكر فيه أشياء كثيرة حسنة مفيدة جداً لم يذكرها الأزرقى . وأفاد فى المعنى الذى ذكره الأزرقى أشياء كثيرة ، لم يفدها الأزرقى .

وما عرفت متى مات . إلا أنه كان حياً فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، لأنه ذكر فيها قضية تتعلق بالمسجد الحرام ، وما عرفت من حاله سوى هذا .

وإنى لأعجب من إهمال الفضلاء لترجمته ، فإن كتابه يدل على : أنه من أهل الفضل ، فاستحق الذكر ، وأن يوصف بما يليق به من الفضل والعدالة ، أو الجرح ، وحاشاه من ذلك . وشابهه فى إهمال الترجمة الأزرقى صاحب أخبار مكة ـ الآتى ذكره .

وهذا عجب أيضاً ، فإنه بمثابة الفاكهى فى الفضل . وما هما فيما أحسب بدون الجندى صاحب فضائل مكة ، فإن له ترجمة فى كتب العلماء ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

٩١ — محمد بن إسحاق بن وهب بن أعين

الإمام ، أبو ربيعة ، الربعى ، المكى ، المقرى .

مؤذن المسجد الحرام .

هكذا ذكره الذهبى فى طبقات القراء . وقال : قرأ على البزى ، وعرض على قبل أيضاً قديماً . وألف قراءة ابن كثير . وأقرأ فى حياة شيخه ـ قراءة عليه ـ محمد بن الصباح ، ومحمد بن عيسى بن بندار ، وعبد الله بن أحمد النخلى ، وإبراهيم

ابن عبد الرزاق ، وأبو بكر النقــاش المفسر ، وهبة الله بن جعفر ، وهو أنبل أصحاب البزى فى وقته .

توفى فى رمضان سنة أربع وتسعين ومائتين . انتهى .

٩٢ — محمد بن إسحاق الخوارزمى شمس الدين الحنفى

نزيل مكة ، ونائب الإمامة بمقام الحنفية .

كان ذا فضل فى العربية ومتعلقاتها وغير ذلك . كثير التصدى للاشتغال والإفادة ، والنظر والــكتابة .

وأظنه أخذ العربية عن صهره : إمام الحنفية شمس الدين المعروف : بالمعيد .

وناب عنه فى الإمامة بالمسجد الحرام ، وعن ابنه شهاب الدين أحمد بن شمس الدين المعيد فى غيبتهما وحضورهما فى مدة سنين كثيرة .

ودخل من مكة للهند طالباً للرزق . وعاد لمــكة . وجمع شيئا فى فضائلها ، وفضائل الــكعبة وغير ذلك . وجل ذلك : غير قليل من تاريخ الأزرقى ، وكتب المناسك .

وكان يكتب صفة الــكعبة المعظمة ، والمسجد الحرام فى أوراق ، ويهادى بها الناس فى الهند ، وغيرها .

وفيه دين وخير وسكون وانجماع عن الناس .

وتوفى فى آخر يوم من ربيع الأول يوم الخميس سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمكة . ودفن بالمعلاة بكرة يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر .

وهو فى عشر الستين ظنا أو جاوزها .

من اسمه محمد بن إسماعيـــل

٩٣ — محمد بن إسماعيل بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى

يلقب : جمال الدين .

ذكره الرضى فيما نقلته من خطه فى أسانيده لمروياته .

وذكر : أنه يروى عنه جامع الترمذى . أجازه مكاتبة بالمسجد الحرام عن ابن البنا سماعاً .

ونقلت من خطه أيضاً : استدعاءات نقلها من خط قريبه المجد عبد الله بن محمد بن محمد بن أبى بكر الطبرى : سأل فيها الإجازة لجمال الدين محمد بن إسماعيل الطبرى هذا ، وغيره من أولاد أبى بكر الطبرى .

وبعضها مؤرخ بيوم الثلاثاء عشرين شهر رجب سنة إحدى وخمسين وستمائة . فاستفدنا من هذا حياته فى هذا التاريخ .

٩٤ — محمد بن إسماعيل بن حسين بن عبد الله .

الشيرازى الأصل ، المكى المولد والدار ، المؤدب بالحرم الشريف .

سمع على : أحمد بن سالم المؤذن ، وعبد الوهاب القروى الاسكندرى : بعض الموطأ رواية يحى بن يحى ، على ما وجدت بخط شيخنا ابن شكر . ونسبه بخطه كما ذكرنا .

وكان خيراً . أدب الأطفال مدة فى الحرم الشريف تحت مأذنة باب العمرة .

وتوفى بعد التسعين — بتقديم التاء على السين — وسبعمائة بيسير بمكة . ودفن بالمعلاة .

٩٥ — محمد بن إسماعيل بن سالم الصايغ

أبو جعفر .

من أهل مكة .

هكذا ذكره ابن حبان فى الطبقة الرابعة من الثقات . وقال : يروى عن أبى عاصم ، وأهل العراق . حدثنا عنه أصحابنا محمد بن عبد الرحمن الدوغلى وغيره انتهى .

وروى محمد بن إسماعيل هذا عن : أبيه ، وأبى أسامة ، وحجاج الأعور ، وعبد الله بن بكر السهمى ، وخلق بالعراق والحجاز .

وروى عنه : أبو داود ، على ماقال صاحب الكمال . وتعقب ذلك عليه الحافظ أبو الحجاج المزى . وقال : لم أقف على ذلك ، و إنما وجدنا لابن الأعرابى صاحب أبى داود رواية عنه فى بعض الروايات التى رواها فى سنن أبى داود فى الوضوء وغيره . انتهى .

وروى عن الصايغ : هذا خلق منهم : العقيلى ، وابن صاعد ، وأحمد بن المنادى ، وابن أبى حاتم ، وأبو القاسم البغوى . وقال : صدوق .

وقال ابن خراش : هو من أهل الفهم والأمانة .

وقال ابن المنادى : مات فى جمادى الأولى سنة ست وسبعين ومائتين .

٩٦ — محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن الشيبى .

زعيم الشيبيين ، وصاحب حجابة الكعبة .

هكذا ذكره ابن جبير فى رحلته .

وكتب عنه شيئاً فى طول الكعبة . ذكرناه فى محله من تأليفنا « شفاء الغرام » ومختصراته . وهو لا يصح ، والله أعلم .

وذكر ابن جبير : أنه عزل عن الحجابة لهناة نسبت إليه . ثم أعيد سريعا ، لأنه صودر عنها بخمسمائة دينار مكية .

وذلك فى ذى القعدة سنة تسع وسبعين وخمسمائة . فاستفدنا من هذا حياته فى هذا التاريخ .

وجده : عبد الرحمن . هو ابن ديلم .

٩٧ – محمد بن إسماعيل بن على اليمنى .

تقى الدين، أبو عبد الله ، المعروف: بابن أبى الصيف ـ بالصاد المهملة ـ الشافعى فقيه مكة .

حدث عن ابن عمار الأطرابلسى : بصحيح البخارى . وعن أبى على الحسنى ابن على البطليوسى : بصحيح مسلم . وعن الميانشى : بجامع الترمذى .

وسمع من جماعة آخرين بمكة . وحدث ، ودرس ، وأفتى كثيراً .

وله نكت على التنبيه مفيدة ، ومجاميع حديثية . منها : أربعون حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة وغير ذلك .

وكان حريصاً على تحصيل الرواية . لأنه أحب أن يروى شيئاً عن الحافظ المنذرى . فسمع شيئاً من رواية المنذرى ، عن عمر بن طبرزاد على شخص سمع ذلك : من المنذرى .

وهذا مذكور فى التكملة بمعنى ما ذكرناه .

ووجدت بخط بعض أصحابنا فيما نقله الشيخ أبى العباس الميورقى : ورد أن سفهاء مكة من أهل الجنة . واتفق بين عالمين بالحرم منازعة فى تأويل الحديث وسنده . فأصبح الذى طعن فيه ، وقد اعوج أنفه . وقيل له : أى والله سفهاء مكة من أهل الجنة . وكرر عليه ذلك الذى كان ينازعه . انتهى . بالمعنى باختصار .

و بلغنى : أن هذا الرجل هو : ابن أبى الصيف المذكور ، وأنه كان يقول : معنى الحديث : أسفاء مكه ، أى المحزونون على تقصيرهم ، والله أعلم .

وتوفى فى ذى الحجة سنة سبع وستمائة .

هكذا ذكر وفاته الزكى المنذرى فى التكملة . وذكره أيضاً فى المتوفين فى سنة تسع عشرة وستمائة .

وتبعه على ذلك الذهبى فى تاريخ الإسـلام . وهذا عجيب منه ، وأعجب من ذلك ما ذكره الإسنائى من : أنه توفى سـنة سبع عشرة . والصواب : أنه توفى سنة تسع وستمائة . كما ذكر غير واحد منهم : الميورقى والجندى فى تاريخ اليمن .

وذكر : أنه انتهت إليه رياسة الفقه بمكة بعد محمد بن مقبل الأبينى العجيبى — الآتى ذكره ، والله أعلم .

٩٨ — محمد بن إسماعيل بن مخلب

متولى مؤتة بالحجاز .

هكذا ذكره الحافظ رشيد الدين محمـد بن الحافظ زكى الدين المنذرى فى مختصره لتاريخ المسبحى .

وذكر : أنه التقى مع أحمد بن الحسين الحسنى ، وقتل من الطائفتين جماعة . وأخذ ابن مخلب أسيراً فى يدى أبى الحسين أحمد بن الحسين ، ثم قتل أحمد بن الحسين .

وقتل ابن مخلب بعده ، وذلك فى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، انتهى .

ورأيت فى أخبار فتنة أبى طاهر القرمطى بمكة : أن أميرها ابن محارب ، أو ابن مخلب — الشك منى حارب أبا طاهر —: فإن كان ابن مخلب هو المحارب ، فلعله هذا ، والله أعلم .

٩٩ — محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان المقرى ، شمس الدين الشهير : بالحلبى

نزيل مكة المشرفة .

وجدت بخطه : أنه قرأ القرآن العظيم بالقراءات السبعة على نيف وعشرين شيخـاً . أولهم : الشيخ شمس الدين الأربلى ببلدة حلب ، وآخرهم : شمس الدين العسقلانى .

ووجدت بخطه أيضاً : أنه قرأ القرآن العظيم على ابن السلار ، يعنى : أمين الدين عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم الدمشقى .

وأخبرنى عنه — من اعتمده — : أنه قرأ على المقرى شمس الدين ابن اللبان — يعنى : محمد بن أحمد بن على — وماعرفت : هل قراءته على ابن اللبان وابن السلار بالسبع ، أو ببعضها ؟

ووجدت بخطه أيضاً : أنه قرأ القرآن بالروايات العشر ، وضمن ذلك أبياتاً له نظمها .

وكان ذا معرفة بالقراءات ، مجيداً للكتابة ، كتب بخطه كثيراً ، وأقرأ كثيراً .

وكان فى بعض الأحايين يقرأ فى موضع من القرآن ، ويُقرأ عليه فى موضع آخر ، ويكتب فى موضع آخر . فيصيب فيما يقرأه ويكتبه ، وفى الرد على من يقرأ عليه ، بحيث لا يفوته شىء فى الرد عليه على مابلغنى .

وهذا نحو مما حكى عن بعض القراء من : أنه كان يسمع لثلاثة نفر يقرءون عليه دفعة واحدة فى أماكن مختلفة . وعيب ذلك على هذا المقرىء . والذى عاب ذلك هو .

ووجدت بخط المذكور شيئاً من أحواله ، وفيه أمور تستغرب . من ذلك : أنه كتب مصحفاً على الرسم العثمانى فى ثمانية عشر يوماً ولياليها بالجامع الأزهر بالقاهرة فى سنة خمس وستين وسبعمائة .

ووجدت بخطه : أنه كتب مائة وأربعة وثمانين مصحفاً ، وربعة ، بقطع لطيف وكبير . جميعها مكتوباً ومضبوطاً على الرسم العثمانى . وأنه كتب ذلك من صدره ، وأن بعض ما كتبه من هذا العدد ، وذلك أزيد من الربع مكتوب بالقراءات السبع ، وعدة علوم .

وذكر : أنه كتب لتلك العلوم ديباجة لكل مصحف عدة أوراق بين فيها ماوضعه فيه من العلوم .

ووجدت بخطه : أنه لما بلغ من العمر سبع عشرة سنة : حببه الله فى كتابة القرآن ، ووفقه لذلك حتى كتب مدة فى كل أربعين يوماً مصحفاً . ثم كتب مدة فى كل ثلاثين يوماً مصحفاً . وأنه حفظ عدة كتب وعرضها ، واشتغل بعدة علوم ، وبكتابة الخط المنسوب على عدة مشايخ ، وبالقراءات السبع على عدة مشايخ . كل ذلك : ببلدة حلب ، قبل سنة ثلاث وستين . وأنه رحل إلى مصر من بلده لطلب العلم والقراءات ، والكتابة على الشهاب غارى فعاد بقصده .

ووجدت بخطه : أنه روى الشاطبية عن عدة مشايخ . منهم : العسقلانى . انتهى بالمعنى .

وقد جاور المذكور بالحرمين عدة سنين . ومقامه بمكة نحو خمس عشرة — فيما أظن — وسافر منها إلى بلاد اليمن ، وعاد إليها . وذلك فى سنة خمس وثمانمائة .

ولم يزل بها حتى توفى فى السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثمانمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

وله من العمر سبعون سنة أو أزيد .

من اسمه محمد بن إدريس

١٠٠ — محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد بن زيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشى .

الإمام ، البحر ، المجتهد ، أبو عبد الله ، الشافعى ، المكى .

ولد سنة خمسين ومائة : بغزة من أرض الشام ، على الصحيح . وقيل : بعسقلان . وقيل : باليمن . وهذان القولان حكيا عنه .

وقيل : ولد بمنى ، حكاه ابن معين فى التنقيب . ثم حمل إلى مكة وله سنتان .

وحكى عنه : أنه قدم مكة ، وهو ابن عشر أو نحوها .

وحكى عنه : أنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، والموطأ وهو ابن عشر سنين .

وسمع الحديث بمكة على : جماعة . منهم : سفيان بن عيينة ، وسعيد بن سالم القداح ، ومسلم بن خالد الزنجى ، فقيه مكة . وأذن له فى الإفتاء ، وله دون العشرين سنة .

وقيل : إنه أفتى ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل إلى المدينة . ولازم بها الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه مدة ، يأخذ عنه العلم .

وسمع بالمدينة من : إسماعيل بن جعفر ، وجماعته .

ثم رحل إلى العراق . فقدم بغداد سنة خمس وتسعين . وأقام بها حولين . واجتمع عليه علماؤها ، وأخذوا عنه .

وصنف كتابه القديم . ثم خرج إلى مكة . ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وأقام بها شهراً .

ثم خرج إلى مصر . وصنف بها كتبه الجديدة ، ونشر بها العلم .

وأقام بها حتى مات آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين .

ودفن بالقرافة . وقد زرت قبره — بحمد الله — مراراً .

وله كرامات ظاهرة . منها : أنه قال للبويطى : تموت فى قيودك . فمات فيها .

وقال للمزنى : يكون لك بعدى سوق يعظم به شأنك عند الملوك وغيرهم .

وقال لابن عبد الحكم : تنتقل إلى مذهب أبيك . وكان مالكياً . فانتقل إليه .

وقال للربيع المرادى : أنت راوية كتبى . فعاش بعده قريباً من سبعين سنة ، ورحل الناس إليه من أقطار الأرض لسماعها .

ومناقبه كثيرة . وقد صنف فيها جماعة منهم الحاكم والبيهقى .

١٠١ — محمد بن إدريس بن عمر ، المكى .

أبو بكر ، وراق الحميدى .

روى عن : بكر بن خلف — ختن أبى عبد الرحمن المقرى — وعثمان بن يمان الحدانى ، ومحرز بن سلمة العدنى .

وذكر ابن زبر فى وفياته : أنه توفى فى ذى الحجة سنة سبع وستين ومائتين .

١٠٢ — محمد بن إدريس بن غانم بن مفرح العبدرى ، الشيبى ، المكى .

المعروف : بأبى راجح .

شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة .

ذكر لى غير واحد من أهله ، وغيرهم : أنه ولى مشيخة الحجبة . يعنى : فتح الكعبة أربعين سنة. وعندى فى ذلك نظر ، فإنه كان فى أوائل القرن الماضى .

وكان أحمد بن ديلم فى أوائل القرن شيخاً ، بل كان شيخاً فى آخر القرن الذى قبله . وولى بعده على بن بجير . ومن المستبعد : أن يكون أبو راجح ولى قبلهما ، أو فى حياتهما . وأما بعدهما فلا يمكن أن يكون ولى هذه المدة ؛ لأنه يلزم من ذلك : أن يكون عاش إلى أواخر عشر الستين وسبعمائة . وكان الشيخ فى هذا التاريخ : محمد بن أبى بكر الشيبى — الآتى ذكره .

ولعل المذكور : باشر حجابة الكعبة أربعين سنة بعضها شيخاً ، و بعضها من جملة الحجبة .

ولم أدر متى مات إلا أن بعض أقاربه ذكر لى ما يدل على : أنه كان فى عشر الأربعين وسبعمائة والله أعلم .

١٠٣ — محمد بن إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ، الحسنى ، المكى .

أمير مكة .

ذكر الشيخ تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد اليمنى ، فى كتاب « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » أن الأمير بيبرس الجاشنكير لما حج فى سنة إحدى وسبعمائة أمَّر بمكة أبا الغيث ، ومحمد بن إدريس وخلفهما لصاحب مصر .

فأقام أبو الغيث أياماً . وأخرج من مكة محمد بن إدريس . واستبد بالإمرة . وجرت بينهما حروب كثيرة . وقتل فيها جماعة من الأشراف .

وكاتب أبو الغيث السلطان — يعنى : المؤيد صاحب اليمن — وبذل الخدمة والنصيحة والرهينة . فقبل ذلك منه . انتهى .

ولم يزد الشيخ تاج الدين المذكور فى نسب محمد بن إدريس المذكور على اسم أبيه .

ورأيت ما يخالف ما ذكره فى تأمير الجاشنكير لمحمد بن إدريس هذا بمكة . لأن كلام بيبرس الدوادار فى تاريخه يدل على : أن الأمير بيبرس إنما أمر بمكة فى هذا التاريخ أبا الغيث ، وأخاه عطيفة ابنى أبى نمى . والله أعلم بالصواب .

وبلغنى : أن أبا نمى أمير مكة جعل لمحمد بن إدريس هذا ربع ما يتحصل لأمير مكة فى كل سنة . ولكنه لم يجعل له ولاية بمكة . وأن أبا نمى كان كثير الاغتباط بمحمد بن إدريس هذا . ويقول فيه — لكثرة اغتباطه به إذا رآه — : هنيئاً لمن هذا ولده . وأن بعد موت أبى نمى : أشار بعض الناس على أولاد أبى نمى بقتل محمد بن إدريس هذا . وقال لهم : لا يتم لكم معه أمر إلا إن قتلتموه . فتشاوروا فى ذلك ، وذكروه لحميضة بن أبى نمى . فلم يوافق على ذلك حميضة ، وأعرضوا عن قتل محمد بن إدريس .

وكان بعد ذلك بين إخوته أولاد إدريس ، وأولاد أبى نمى حروب كثيرة ، منها : فى شهر واحد شهر رمضان : بضع وعشرون لقيه . والله أعلم بحقيقة ذلك .

١٠٤ — محمد بن أسعد الثعلبي .

أبو سعيد ، المكى ، ثم المصيصى .

روي عن : زهير بن معاوية ، وأبى إسحاق الفزارى ، وعبثر بن القاسم ، وابن المبارك .

روى عنه : عبد الله بن عبد الرحمن ، ومحمد بن المثنى وغيرهم .

قال أبو زرعة : منكر الحديث .

ذكره الذهبي ، فى تاريخ الإسلام .

١٠٥ — محمد بن أيوب المكى

أخذ مع جماعة فى الزندقة . فأقروا .

فاستتابه المهدى العباسى . وذلك : فى سنة ست وستين ومائة .

١٠٦ — محمد بن الأسود بن خلف بن بياضة الخزاعى

من أهل مكة .

يروى عن : عمرو بن العاص .

روى عنه : عمرو بن عبيد الله بن صفوان الجمحى .

ذكره ابن حبان فى الطبقة الثانية من الثقات .

١٠٧ — محمد بن أصلم الناصري

الأمير ، ناصر الدين ، ابن الأمير بهاء الدين .

أظنه كان من العسكر الذى أنفذه الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون — صاحب الديار المصرية والشامية — فى سنة ستين وسبعمائة إلى مكة لحسم مواد الفساد منها ، وتقوية لمن ولاه إمرتها ، وهو محمد بن عطيفة بن أبى نمى ، وسند ابن رميثة ابن أبى نمى .

وكان مقدم هذا العسكر : الأمير جركتمر المارونى حاجب الحجاب بالقاهرة ، وفيه عدة أمراء سواه . منهم : شهاب الدين أحمد بن أصلم ـ أخو المذكور .

وكانت وفاة المذكور فى يوم السبت تاسع عشرين جمادى الآخرة سنة إحدى وستين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

نقلت وفاته من : حجر قبره بالمعلاة . وترجم فيه بتراجم كثيرة .

١٠٨ — محمد بن بركات بن أبى حزمى فتوح بن بنين بن عبد الرحمن بن عبد الجبار بن محمد المكى .

المعروف : بابن أبى حزمى .

ابن أخى : عبد الرحمن بن أبى حزمى ـ الآتى ذكره .

كان كعمه يكتب الوثائق ، وينقش أحجار القبور وغيرها . وعلى خطهما وضاءة .

ولم أدر متى مات ، إلا أنه كان حياً فى شهر رمضان سنة اثنتى عشرة وستمائة ؛ لأنى رأيت بخطه حجراً نقشه فى هذا التاريخ .

١٠٩ — محمد بن أبى البركات بن أبى الخير بن حمد الهمدانى .

أبو عبد الله ، الصوفى .

هكذا ذكره ابن مسدى فى معجمه قال :

وذكر لى أنه قرأ فى صِغَرِه سورة الفاتحة على أبى العلاء الحافظ بهمدان . وأنه سافر وقد ترعرع . فقرأ القراءات بواسط على بعض المؤذنين ، حتى حفظ الشواذ .

وصحب الشيخ أحمد بن على الرفاعى . ولبس منه . وأذن له : أن يلبس عنه .

هذا الذى سمعت منه قديما بديار مصر . ثم قال : وعلى ماذكره من رواية أبى العلاء : يكون مولده بعد الخمس والخمسين وخمسمائة ، فإنه قال : توفى وقد ترعرعت .

وكانت وفاة أبى العلاء بهمدان فى جمادى الأولى من سنة تسع وستين . فادعى بمكة : أن مولده فى ربيع الآخر من سنة ست وأربعين وخمسمائة . وأحسب أن الذى أخذه من عشر الستين جعله من عشر الخمسين . ثم سمعته بمكة يقول : فى سنة ثمان وخمسين زدت على المائة ثلاث عشرة سنة . وأسمع فى هـذه السنة صحيح البخارى بالاجازة العامة من أبى الوقت لمن أدرك حياته .

وسمع ذلك جماعة من العوام الذين لا يفهمون . فإنا لله وإنا إليه راجعون . يُسمع هذا الكتاب الذى هو عمدة الإسلام بمثل هذا التلفيق إبراء إلى الله تعالى من عهدة الطريق . انتهى . باختصار لشىء من حال بن أبى البركات ، يأتى ذكره . والسامعون عليه : جماعة من أهل مكة وغيرهم ، والقارىء لهم عليه لذلك : الفخر التوزرى ـ الآتى ذكره .

ووجدت بخط الميورقى : أن ابن أبى الخير ـ هذا ـ قال له : سمعت على أبى الوقت .

ورأيت فى أربعين الملك المظفر صاحب اليمن : أن ابن أبى الخير هذا دخل اليمن . وادعى : أنه حضر عند أبى الوقت السجزى ، وسمع منه شيئاً من صحيح البخارى . وأنه أجاز له . انتهى .

وإنما ذكرت هـذا تعجباً لـكونه فى البطلان أعجب من دعواه إجازة أبى الوقت العامة . وكيف تصح إذ ذاك إجازة أبى الوقت العامة فضلاً عن السماع منه ؟ وهو قد قال ما ينافى ذلك . لأن ابن مسدى نقل عنه : أنه كان حين مات الحافظ أبو العلاء العطار مترعرعاً . والترعرع هو : قرب البـلوغ . وبين وفاة أبى الوقت ووفاة أبى العـلاء العطار : أزيد من سن الترعرع الذى ذكر ابن أبى البركات : أنه سنة حين مات الحـافظ أبو العلاء . وهو مؤاخذ بقوله هذا ، فيعمل بمقتضاه . وينتج ذلك : عدم إدراكه إجازة أبى الوقت العامة ، فضلاً عن السماع منه . لتقـدم وفاة أبى الوقت على وفاة أبى العلاء بخمسة عشر عاماً وتسعة

أشهر وأيام . وهذا مما لا ريب فيه عند الحذاق . والله أعلم .

وذكر ابن مسدى شيئاً من حال ابن أبى البركات هذا ؛ لأنه قال :

وكان قد سكن دمياط ، وتمشيخ فيها للنســاء وملن إليه . وكان الجماعة من أهل الطريق ينكرون ذلك عليه . منهم : أبو الحسن ، المعروف : بابن قفل وغيره .

ثم تردد إلى مكة مرات لم يخل بيته قط من مجتمع نسائيات ، لا يلتفت فى شىء من ذلك إلى كثرة الشناعة عليه . والله أعلم بما لديه . ثم قال :

وسافر عن مكة نحو الديار المصرية فى صدر سنة تسع وخمسين ، ثم عاد إلى مكة فى آخر سنة ستين . انتهى .

ولم يذكر ابن مسدى وفاته .

ووجدت بخط الميورقى : أنه توفى سنة اثنتين وستين وستمائة .

ووجدت بخط جد أبى الشريف أبى عبـد الله الفاسى : أنه توفى سنة تسع وستين .

وما ذكره الميورقى فى وفاته : أقرب إلى الصواب . والله أعلم .

من اسمه محمد بن أبى بكر

١١٠ — محمد بن أبى بكر بن أحمد بن عمر بن عبد الله الذوالى ، اليمنى ، الزبيدى .

الشيخ جمال الدين ، أبو عبد الله . المعروف : بالزوكى ـ بزاى مضمومة .

ولد فى رمضان سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

كان إماماً فاضلا متفنناً .

وإليه انتهت الرياسة باليمن فى علم الأدب .

وكان حسن الخلق ، سليم الصدر ، مشهوراً بالخير والصلاح .

وذكر : أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقال له مامعناه : أن من قرأ عليه دخل الجنة .

وقد أخذ عنه لذلك غير واحد من أهل العلم . منهم : شيخنا الشريف تقى الدين عبد الرحمن بن أبى الخير الفاسى .

وكان يذكر له مكاشفة . وهى : أنه لما بلغه خبر هذه الرؤيا : عزم على الذهاب إليه ليقرأ عليه . فقصده الشيخ محمد الزوكى ــ هذا ــ إلى موضعه ، وقرأ عليه شيخنا ــ المذكور ــ : جانباً من مختصر ابن الحاجب الفرعى .

وسمعت شيخنا عبد الرحمن ــ المذكور ــ يقول : إنه سمع الشيخ محمد الزوكى ــ هذا ــ يقول : إنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وسأله عن وقوع الطلاق المنجز فى مسألة : كلما وقع عليك طلاقى ، فأنت طالق قبله ثلاثاً ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يقع الطلاق المنجز .

وهذه المسألة مقررة فى كتب الفقه . وتعرف : بالسريجية ؛ لأن أبا العباس ابن سريج وغيره من الأئمة الشافعية : يقولون بعدم الطلاق المنجز ، باعتبار التعليق المتقدم .

وفى هذه الرؤية رد عليهم وتأييد لقول من خالفهم . وهم أكثر العلماء ، فإنهم : قالوا بوقوع المنجز . والله أعلم .

وذكر بعض العصريين : أن المذكور حج فى سنة تسع وستين وسبعمائة ، ثم فى سنة اثنتين وسبعين . وجاور سنتين . ثم فى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة .

ومات بمكة فى آخر شهر ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة . ودفن ــ بعد صلاة الجمعة ــ بالمعلاة ، بقرب خديجة رضى الله عنها .

وأخبرنى صاحبنا العفيف عبد الله بن محمد بن على العجمى ، المكى : أن أباه مرض بالاسهال يرمى الدم ، وأفرط به ذلك حتى صار يقوم فى اليوم والليلة نحو ستين مرة . وأن بعض أصحاب أبيه أتى إليه بالشيخ محمد الزوكى هذا ، يزوره ويدعو له بالعافية ، لاشتهاره عند أهل مكة بالخير والصلاح . فدعا الزوكى لأبيه ، ولازمه أبوه فى الدعاء له بالعافية . ثم إن الزوكى قال له : اكشف عن بطنك فكشف

عنه ، وكشف الزوكى عن بطنه . وألصق كل منهما بطنه بالآخر وتواخيا ، وخرج الزوكى من عند المشار إليه ، و بإثر خروجه عنه : قل رميه الدم وشفى عن قرب .

هذا معنى ماأخبرنى به العفيف العجمى .

ومن أحواله الجميلة ماحدثنى به مولانا القاضى الإمام تقى الدين عمر بن القاضى جمال الدين محمد بن عيسى اليافعى ، قاضى عدن أبْين لهما ، قال : بلغنى أن بعض أصحاب الفقيه الزوكى المذكور : كان عليه دين للقاضى جمال الدين بن الجلاد ، أحد الحكام بعدن . وأن وكيله شوش بالطلب على من عليه الدين . فاستمهل المديان الوكيل أياماً ، وكلف المديان الفقيه الزوكى : السفر إلى عدن ليشفع له عند ابن الجلاد .

فأتى الزوكى إلى عدن وشفع عند ابن الجلاد فى حاجة صاحبه . فقبل شفاعته . وصرف ابن الجلاد للزوكى خمسمائة دينار فضة معاملة عدن كرامة للزوكى . فأبى أن يقبلها . وقال : إنما جئت للشفاعة ، ولا أحب أن أنال فى سفرى غير ذلك .

هذا معنى ماحكاه لى القاضى تقى الدين اليافعى من خبر الزوكى فى هذه القصة .

وحكى أيضاً : أن ابن الجلاد بعث بالدراهم للزوكى إلى زبيد .

وحكى لى أيضا : خبر رؤية الزوكى للنبى صلى الله عليه وسلم وسؤاله من مسألة الطلاق ، وجوابه فيها بما يوافق ماذكرناه .

وذكر لى القاضى تقى الدين اليافعى : أن هذه الرؤيا كانت بعدن .

وأن من جملة رؤيا الزوكى : أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الذين يفضلون علياً رضى الله عنه على أبى بكر رضى الله عنه . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ليسوا على شىء .

هذا معنى ماذكر لى القاضى تقى الدين فى هذه النكتة أيضاً .

١١١ — محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما

يأتى فى : باب محمد بن عبد الله ، لأن اسم أبى بكر الصديق عبد الله .

١١٢ — محمد بن أبى بكر بن خليل

الملقب : بالرضى .

أحد فقهاء مكة .

يأتى ذكره فى : باب محمد بن عبد الله ، لأن اسم والده : أبى بكر عبد الله .

١١٣ — محمد بن أبى بكر بن على بن يوسف

الذورى الأصل ، المكى المولد والدار ، أبو الفضل . المعروف : بابن المصرى .

سمع بمكة و بالقاهرة من : شيخنا ابن الملقن وغيره .

وتوفى بالقاهرة فى سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

وكان حسن القراءة فى الصلاة .

١١٤ — محمد بن أبى بكر بن على بن يوسف

الذورى الأصل .

الملقب : بالجمال المصرى .

نزيل زبيد ، وحاكمها .

ولد بالذورة — من صعيد مصر — فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، أو قبلها بسنة أو بعدها بسنة . ونشأ بها حتى بلغ أو راهق ، ثم قدم مكة فى عشر السبعين وسبعمائة ولازم قاضيها : أبا الفضل النويرى وخدمه كثيرا .

ولما ظهرت له نجابته صار يرسله على مصالحه وهديته لصاحب اليمن ، فاشتهر ذكره . ثم تغير على القاضى أبى الفضل بقرب مؤتة .

وسكن زبيد واستوطنها وداخل الأعيان من أهلها . فنما أمره إلى الملك الأشرف صاحب اليمن ، فاستظرفه لكثرة مجونه وأقبل عليه وصار يحضر مجلسه ، وولاه حسبة زبيد .

وصحب القاضى سراج الدين عبد اللطيف بن سالم لما ولى سد زبيد بعد عوده من مكة .

وحصل دنيا وأملاكا . ثم عظم أمره فى مبادىء دولة الملك الناصر بن الأشرف ، لأنه صار يرسله إلى عدن وغيرها لإحضار الأموال منها .

وكان يقيم الحرمة ، ودخل رعبه فى القلوب .

وولى إمرة زبيد فى بعض السنين . ثم صرف عن ذلك . وكان أمره بعد ذلك بها أنفذ من أمر أميرها . وقلة حرمته عن ذلك فى بعض السنين لوشى بعض أهل الدولة به عند الملك الناصر .

وولى نظر أوقاف المدارس التى بمكة مدة سنين ، ودام ذلك معه حتى مات .

وكان إليه أمانة المعاقيب السلطانية بزبيد ، ورزق من الأولاد الذكور أزيد من عشرين ذكراً .

وكان كثير التلاوة ، وفيه مروءة وإحسان إلى من نفذ إليه من أهل مكة .

روى لنا بزبيد عن : القاضى عز الدين ابن جماعة : حديث ابن مسعود فى القضاء والقدر من معجم ابن جميع . سمعه عليه بمكة .

وابتلى بقرب موته بكثرة البرد ، فكان يحمل إلى الحمام فيلبث فيه الزمن الطويل . وربما قيل : إنه كان إذا خرج منه يوضع فى قدر فيه ماء حار لشدة ما يجده من البرد .

توفى فى ليلة الجمعة الخامس عشر من ذى القعدة الحرام سنة عشرين وثمانمائة بزبيد ، ودفن بمقبرة الشيخ إسماعيل الجبرتى .

وكان الذى ناله من الخير بسبب خدمته للشيخ إسماعيل المذكور رحمهما الله تعالى .

١١٥ — محمد بن أبى بكر بن على بن يوسف

الذورى الأصل ، المكى المولد والدار .

نحوى مكة ، الإمام البارع نجم الدين . المعروف : بالمرجانى .

ولد فى سنة ستين وسبعمائة بمكة . وسمع بها على : قاضى الديار المصرية

عز الدين ابن جماعة : جانباً من منسكه الكبير فى المذاهب الأربعة ، وحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه ـ الحديث » من معجم ابن جميع ، والبردة للبوصيرى .

وسمع بعنايته بمكة .

وقرأ كثيراً من الكتب الكبار ، والأجزاء على : الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد الأميوطى ، والعفيف عبد الله بن محمد النشاورى ، خاتمة أصحاب الرضى الطبرى بالسماع ، وعلى غيرهما .

وروى الثقفيات عن النشاورى سماعاً .

ورحل إلى دمشق فقرأ على: المسند شمس الدين محمد بن أحمد الأسمرى المنبجى ، خطيب المزة ، وابن خطيبها : الموطأ لمالك ، رواية يحيى بن بكير ، ومسند الشافعى ، ومسند الدارمى ، ومسند عبد بن حميد . وقرأ مسند عبد على : جماعة من أصحاب الحجار .

وسمع على : الحافظ شمس الدين ابن المحب الصامت وغيره ، من أصحاب القاضى سليمان . واستجاز لى من : المذكورين ، ومن محمد بن عمر بن عوض البيطار ، و إبراهيم بن أبى بكر السلار ، وأبى الهول على بن عمر الجوزى ، و يوسف بن محمد الصيرفى وغيرهم .

وعنى بفنون من العلم . ومهر فى العربية ومتعلقاتها . وله معرفة بالأدب ونظم ونثر .

ومن نظمه : قصيدة مفيدة سماها « مساعد الطلاب فى الكشف عن قواعد الإعراب » ضمنها : ماذكره الشيخ جمال الدين ابن هشام فى تأليفه « مغنى اللبيب » ، « وقواعد الإعراب فى معانى الحروف » ، وما لغيره فى المعنى . وله عليها شرح ، وقد سمعتها عليه ، وكثيراً من شرحها لما كنا نشتغل عليه .

وكان حسن الإيراد والدرس لجودة عبارته وقوة معرفته بالعربية .

وقد أخذها عن جماعة منهم : نحوى مكة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطى المالكى ، والشيخ أبو عبد الله الغمارى ، المغربى قدم عليهم مكة .

وكان فاضلا فى فنون على ماذكر لنا المرجانى ، وأخذ عن غير واحد من الفضلاء .

وحضر فى الفقه والأصلين ، وغير ذلك عند : الشيخ جمال الدين الأميوطى ، وجدى قاضى مكة : كمال الدين أبى الفضل النويرى ، وكان يلائمه كثيراً .

وله عناية بالفقه . ودرس فيه بالمدرسة المنصورية بمكة فى ست وعشرين سنة .

فإنه ولى تدريسها فى سنة إحدى وثمانمائة مع نظر المدارس الرسولية بمكة .

وقبل موته بأشهر : نزل عن تدريس المنصورية لولده كمال الدين أبى الفضل ، ودرس فى حياة أبيه .

وخرج عنه نظر المدارس نحو سنة فى آخر سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، وعاد إليه فى آخر التى بعدها .

وعرض له قبل موته بنصف سنة مرض توهن له بدنه ورأيه .

وقد سمعت عليه : المنسك الصغير للقاضى عز الدين بن جماعة بإجازته منه .

وحدث عنه بالمنسك الكبير غير مرة ، و بالثقفيات عن النشاورى ، وحدثت بها معه .

وكان مليح الكتابة سريعها ، ذا مروءة كثيرة ، وحياء ، وتواضع ، و إنصاف . وكان لى موادا .

ودخل اليمن غير مرة ، ومصر مرتين . الأولى : فى سنة ثمان وثمانين . والثانية : فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، لتحصيل كتب للملك الأشرف صاحب اليمن . وكان محسناً له .

وعانى بمكة : كتابة الوثائق والسجلات على خالى قاضى مكة محب الدين ابن القاضى أبى الفضل النويرى ، وقرأ عليه بعض كتب الحديث . وكانت المودة بينهما كبيرة .

واستفاد بعد الفقر عقاراً ودنيا بسعى جميل .

وملك كتباً كثيرة نفيسة . وكان محسناً بعاريتها . وربما أحسن مرات بمعلومه على نظر المدارس ، ومعلوم التدريس بالمنصورية لمن ليس له فى المدارس اسم من الطلبة وغيرهم .

وجمع شيئاً فى طبقات الفقهاء الشافعية . وكان اختصره من طبقات الإسنائى .

ونظم شيئاً فى دماء الحج .

وتوفى وقت العصر من يوم السبت خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين وثمانمائة بمكة . ودفن بالمعلاة بكرة يوم الأحد سادسه رحمه الله . وجزاه خيراً .

١١٦ — محمد بن أبى بكر بن عيسى بن عثمان الأشعرى .

المعروف : بابن حنكاش .

ذكره الجندى فى تاريخه .

وذكر : أنه ولد سنة تسع وثلاثين وستمائة .

وتفقه ، وغلب عليه الشعر .

وسكن مكة ، إذنال من أبى نمى ـ صاحبها ـ حظوة .

وكان أبوه من صدور العلماء باليمن .

١١٧ — محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى .

سمع كثيراً من : يونس الهاشمى، وزاهر بن رستم ، وابن أبى الصيف . وتفقه عليه .

ومات فى حياته بأثر قدومه مكة ، من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بدفنه على حاله محرماً .

كذا ذكر الميورقى ، ولم يذكر تاريخ وفاته . وكانت فى الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستمائة بمكة .

ومولده بعد العصر آخر يوم من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة .

نقلت مولده ووفاته من خط شيخنا ابن شكر .

وذكر : أنه نقل ذلك من خط المحب الطبرى .

١١٨ — محمد بن أبى بكر بن محمود بن يوسف بن على الكرانى ، الهندى ، المكى ، الحنفى .

كان يزوق السقوف بالدهان . وفيه قوة وشهامة .

توفى بالقاهرة سنة تسعين وسبعمائة .

١١٩ — محمد بن أبى بكر بن مسعود بن يحيي اليمنى .

المعروف : بالحبيشى .

المؤدب بمكة .

سمع بها من : الشيخ فخر الدين النويرى ، والقاضى عز الدين بن جماعة فى سنة ثلاث وخمسين .

وأدب بها جماعة من الأعيان . منهم : شيخنا السيد تقى الدين عبد الرحمن ابن أبى الخير الفاسى ، وسألته عنه . فقال : كان صالحاً عابداً .

جاور بمكة مدة طويلة تزيد على عشرين سنة .

ومات بها بعد الستين وسبعمائة .

وذكر : أنه كان يؤدب عند بعض الأمراء باليمن . فراودته على نفسه بعض حريم الأمير ؛ لأنه كان جميلاً . فقطع مذاكيره ، وأرسل بها إليها . انتهى .

والحبيشى ــ بضم الحاء المهملة وباء موحدة مفتوحة ، وياء مثناة ساكنة ، وشين معجمة ــ وبالنسبة: تصغير حبشى . وهم قبيلة باليمن . يقال لهم : بنى حبيش منهم : علماء أعيان فى جبال اليمن .

١٢٠ — محمد بن أبى بكر بن ناصر بن أحمد العبدرى ، الشيبى ، المكى .

يلقب : بالجمال .

شيخ الحجبة ، وفاتح الكعبة .

ذكر شيخنا ابن شكر ، على ما وجدت بخطه : أنه ولي ذلك بعد محمد بن يوسف الشيبي فى أوائل جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبعمائة قبل موت محمد ابن يوسف . واستمر على ذلك حتى مات . إلا أنه صرف عن ذلك فى أوائل سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وهو غائب بمصر بأبى الفضل الشيبي ـ الآتى ذكره .

واستنجز محمد بن أبى بكر ـ هذا ـ مرسوماً سلطانياً بعوده كما كان ، لكون صهره يوسف ابن محمد بن أبى راجح ـ الآتى ذكره ـ ينوب عنه فى ذلك إلى حين حضوره إلى مكة . فباشر يوسف ذلك فى آخر شعبان أو فى أول رمضان من السنة المذكورة . انتهى .

وكانت وفاته فى سنة سبع وسبعين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة . وهو فى عشر السبعين .

وكان الناس يراعونه لإقدامه فى الكلام .

ونافر القاضى شهاب الدين الطبرى . قاضى مكة ، وهو من أسباب عزله من الحجابة .

وكان ذا مروءة وهمة عالية .

سمع بآخره من : القاضى عز الدين بن جماعة ، والفخر النويرى .

ومولده ـ فيما بلغنى ـ ببلاد مقدشوه ، وكان يتردد إليها ، وولد له فيها بعض أولاده .

١٢١ ـ محمد بن أبى بكر بن أبى الحسن الطوسى .

إمام مقام الخليل عليه السلام .

حدث عن : عبد الرحمن بن ديلم الشيبي بكتاب تاريخ مكة للأزرقى . رواه عنه الشريف يونس بن يحيي الهاشمى .

توفى يوم الجمعة ثامن عشر رجب سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

نقلت وفاته من : حجر قبره بالمعلاة . وهو بخط عبد الرحمن بن أبى حرمى ، إلا أنه لم يذكر الطوسى ، وهو هو لأنه إمام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام .

١٢٢ – محمد بن ثابت بن سباع المكي .

روى عن : عائشة رضى الله عنها ، وأم كرز الكعبية .

روت عنه : بنته خيرة .

روى عنه : ابن عمه سباع بن ثابت .

روى له : الترمذى .

وذكره ابن حبان فى ثقاته .

وذكره مسلم فى : الطبقة الثانية من تابعى أهل مكة .

١٢٣ – محمد بن ثابت الأنصارى ، المراكشى .

كانت له معرفة بالقراءات السبع .

قرأها على : الشيخ برهان الدين المسرورى ، وسراج الدين الدمنهورى بمكة . ولم يكمل عليه .

وكان يؤدب الأطفال بمكة عند باب أجياد من الحرم الشريف .

توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمكة .

ذكره لى : شيخنا أبو بكر بن قاسم بن عبد المعطى ، بمعنى هذا .

وأخبرنى صاحبنا العفيف عبد الله بن الجمال محمد بن على العجمى المكى ، عن أبيه ، عن محمد بن ثابت ـ المذكور ـ : أنه نذر للشيخ أبى العباس السبتى بدرهم كان معه فيه خرق ، وتصدق به عنه . لأن العادة جرت عندهم ببلادهم بالنذر للمذكور والصدقة عنه بالمنذور ، وأنهم يفعلون ذلك لقضاء الحوائج ، ويجدون له أثراً .

وكان ابن ثابت فعل ما فعل رجاء لحصول ملبوس يتدفأ به . فما مضى عليه غير قليل : حتى وهب له برنوس ، أو كساء فيه خرق . فكره ذلك . وقال : ليته كان صحيحاً . فنام فرأى فى المنام قائلا يقول له : لو تصدقت بدرهم غير مخروق لكان ما أعطيته كذلك .

هذا معنى ماأخبرنى به صاحبنا العفيف . وهى قضية عجيبة . والرجل المذور له : مشهور بعظيم الصلاح . أعاد الله علينا من بركاته و بركات الصالحين .

والسبتى : بسين مهملة ، ثم باء موحدة ، ثم تاء مثناة من فوق وياء للنسبة .

١٢٤ — محمد بن جابر بن عبد الله

المعروف : بالحراشى ، اليمنى

سكن مكة مدة فى حال ولاية أبيه لأمر جدّه . ثم دخل بعد ذلك بمدة إلى اليمن فأكرمه صاحب اليمن . ووقع بينه و بين أهل الشرجة فتنة قتل فيها بعضهم .

ثم استدعاه أبوه إلى مكة بعد أن لايم صاحبها . فوصل إلى مكة فى الموسم من سنة ست عشرة وثمانمائة . ثم قبض عليهما بمنى ، وشنقا بعد المغرب من ليلة نصف ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة . وكان شنقه بباب الشبيكة ، وشنق أبيه بباب المعلاة .

و بلغنى : أن محمداً ـ هذا ـ لما استأذن صاحب اليمن فى القدوم إلى مكة ، وأخبره باستدعاء أبيه له . قال له كلاماً معناه : إنكما تشنقان أو تكحلان . فكان من أمرهما ما كان .

و بلغنى : أن محمداً ـ هذا ـ فاضت روحه من خوف القتل قبل شنقه ، فالله يغفر له .

وقبره بالمعلاة .

وعمره ثلاثون ـ ظناً ـ والله أعلم .

١٢٥ — محمد بن جار الله بن حمزة بن راجح بن أبى نمى الحسنى ، المكى

كان من أعيان الأشراف ذوى أبى نمى .

توفى فى آخر اليوم السابع من ذى القعدة سنة ست عشرة وثمانمائة بمكة .
ودفن بالمعلاة .

وقد بلغ الثلاثين أو جاوزها .

١٢٦ — محمد بن جار الله بن صالح بن أحمد الشيبانى ، المكى

سمع من : بعض شيوخه بمكة . وحفظ بعض المختصرات فى فقه الحنفية .
واشتغل بالعلم .

وسافر مع أبيه إلى مصر فى موسم سنة أربع عشرة وثمانمائة ، فأقام بها إلى أن توفى فى سنة خمس عشرة وثمانمائة فى ذى الحجة ـ فيما أحسب ـ بخانقاه سعيد السعداء .

ودفن بمقبرة الصوفية .

وقد جاوز العشرين ، وكان خيراً .

من اسمه محمد بن جعفر بن أحمد

١٢٧ — محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسى

قاضى مكة ، وخطيبها عماد الدين ، ويقال : فخر الدين أبو جعفر ، ويقال : أبو الحسن البغدادى .

ذكر المنذرى : أنه ولد فى الرابع عشر من رجب ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

وأجاز له : أبو القاسم بن الحصين ، والقاضى أبو بكر الأنصارى ، والشروطى ، وجماعة .

وسمع من : جده أبى جعفر أحمد بن محمد العباسى ، وأبى الوقت السجزى ، وغيرهم .

وتفقه على : الإمام أبى الحسن بن الخل ببغداد . وسمع منه ، وحدث ، وأجاز له .

وتولى القضاء بمكة والخطابة بها .

وولى قضاء القضاة ببغداد .

وتوفى بها ليلة التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

ودفن بالعطافية عند جده .

وذكره : ابن الدبيثى فى ذيل تاريخ بغداد .

وذكر من حاله ماذكره المنذرى بزيادة فى ذلك وغيره . فقال :

وتولى القضاء بمكة والخطابة بها فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وخرج إليها فى هذه السنة .

وخطب فى أيام الموسم . وصلى بنا الجمعة . وكنت فى هذه السنة حاجاً .

ولما عزل قاضى القضاة أبو طالب على بن على بن النجارى ، عن قضاء القضاة يوم الجمعة ، رابع شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة : ولى أبو الحسن محمد بن جعفر العباسى ـ هذا ـ : قضاء القضاة فى هذا اليوم .

وشافهه بالولاية الوزير أبو المعالى سعيد بن على بن حديدة . فحضر الجمعة ، ومعه العدول ، وأتباع مجلس الحكم ممن كتب عهده وقرىء . وخلع عليه فى الشهر المذكور .

فلم يزل على حكمه وقضائه : يسمع الشهادات ، ويثبت الحقوق ، ويقبل الشهود ، إلى أن عزل يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة من سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بمحضر من القضاة والعدول والفقهاء عند أستاذ الدار العزيزة ـ شيد الله قواعدها بالعز ـ أبى المظفر عبيد الله بن يونس : بسبب كتاب أثبته باسم الحسن ابن زركل الاسترابادى التاجر ، على فاطمة بنت محمد بن حديدة زوجة أبى المعالى ابن حديدة ـ الذى كان وزيراً ـ بشهادة أحمد بن على بن كردى ، ومحمد بن محمد ابن المهتدى .

وكان الكتاب مزوراً على المرأة المذكورة . وتولى إثباته : أبو الفتح محمد بن

محمود بن الحرانى ، وكان أحد العدول وأقر : أنه مزور ، وأن قاضى القضاة لم ترتشى على إثباته من الحسن الاستراباذى : خمسين ديناراً وثياباً . فسئل العباسى عن ذلك . فأنكر وقال : هذا سجلى ، وثبت عندى بشهادة الشاهدين المذكورين ، فحضر محمد بن محمد بن المهتدى وأنكر : أنه شهد على المرأة المذكورة ، وأنه شهد عند العباسى به .

فاستفتى الفقهاء الحاضرون : إذا أنكر الشاهد أنه شهد عند الحاكم بشىء ، هل القول قوله أو قول الحاكم ؟

فأفتوا أن القول قول الشاهد . وأكد ذلك شهادة ابن الحرانى عليه : أنه مزور ، وأنه ارتشى على إثباته للزور .

فعزل أستاذ الدار — يومئذ — بمحضر من الجمع . وأمر برفع طيلسانه . وانفصل الجمع ووكل به أياماً . ثم أفرج عنه .

وحضر الشاهد الآخر . وهو : أحمد بن على بن كردى ، فأنكر شهادته كما أنكرها ابن المهتدى .

وعزل ابن الحرانى المذكور أيضاً ، وشاهدان كان خطهما على ظهر السجل بمعارضه بأصله .

ولزم العباسى بيته إلى أن مات . انتهى .

١٢٨ — محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبى هاشم بن محمد ابن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الحسنى ، المكى ، أبو هاشم . أمير مكة .

ذكر صاحب المرآة فى أخبار سنة خمس وخمسين وأربعمائة : أن محمد بن هلال الصابى : نقل عمن ورد من الحج أنهم : ذكروا دخول الصليحى صاحب

اليمن إلى مكة ، واستيلاؤه عليها ، وما فعله من الجميل فيها ، وأن الأشراف الحسنيين راسلوه .

وكانوا قد نهدوا عن مكة ، فسألوه : أن يرتب منهم من يختاره ، فرتب فى الإمارة : محمد بن أبى هاشم ، وكان صهر شكر — يعنى : ابن أبى الفتوح — على ابنته . وأمّره على الجماعة ، وأصلح بين العشائر ، واستخدم له العساكر ، وأعطاه مالا وخمسين فرساً وسلاحاً .

ولما رحل الصليحى إلى اليمن متخوفاً من الأشراف لموت سبعمائة رجل من أصحابه : أقام نائباً عنه بمكة : محمد بن أبى هاشم . فقصده الحسينيون بنو سليمان ، مع حمزة بن أبى وهاس . فلم يكن لأبى هاشم بهم طاقة ، وحاربهم وخرج من مكة . فتبعوه فرجع وضرب واحداً منهم ضربة : فقطع درعه وفرسه وجسده ، ووصل إلى الأرض . فدهشوا ورجعوا عنه

وكان تحته فرس تسمى : دنانير ، لايكل ولا يمل ، وليس له فى الدنيا شبيه . فمضى إلى وادى الينبع ، وقطع الطريق عن مكة ، والقافلة .

ونهب بنو سليمان مكة ، ومنع الصليحى الحج من اليمن . فغلت الأسعار وزادت البلية . انتهى بلفظه إلا يسيراً فبالمعنى .

وذكر صاحب المرآة مايقتضى : أن بنى أبى الطيب الحسنيين : ملكوا مكة بعد شكر .

وكان من خبره بعد ذلك : أنه عاد إلى الإمرة ، وقطع خطبة المستنصر العبيدى صاحب مصر . وسبب ذلك : ذلة المصريين بالقحط المفرط ، واشتغالهم بأنفسهم ، حتى أكل بعضهم بعضاً ، وتشتتوا فى البلاد ، وكاد الخراب أن يستولى على سائر الأقاليم حتى بيع الكلب : بخمسة دنانير ، والهر : بثلاثة دنانير ، وبلغ الأردب : مائة دينار .

وأعاد الخطبة العباسية بعد قطعها من الحجاز من نحو مائة سنة . وخطب

للخليفة القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن عبد القادر أحمد بن إسحاق بن المقتدر العباسى ، وللسلطان البارسلان السلجوقي .

وذكر بعضهم : أنه لما افتتح الخطبة العباسية . قال :

الحمد لله الذى هدى بأهل بيته إلى الرأى المصيب ، وعوض بنيه بلبسه الشباب بعد المشيب ، وأمال قلوبنا إلى الطاعة ، ومتابعة أهل الجماعة ، وترك الأذان بحى على خير العمل ، انتهى .

وكان فعله لذلك فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، على ما ذكر غير واحد . منهم : ابن الأثير . لأنه قال ـ فى أخبار هذه السنة ـ : وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد ابن أبى هاشم ، ومعه ولده إلى السلطان البارسلان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم ، وللسلطان بمكة ، وإسقاط خطبة العلوى صاحب مصر ، وترك الأذان بحى على خير العمل . فأعطاه السلطان : ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة ، وأجرى له كل سنة : عشرة آلاف دينار . وقال : إذا فعل مهنا أمير المدينة كذلك أعطيناه عشرين ألف دينار ، وفى كل سنة خمسة آلاف دينار . انتهى .

وذكر شيخنا ابن خلدون فى تاريخه : أن أبا الغنائم النقيب لما جاور بمكة سنة سبع وخمسين وأربعمائة استقال أميرها ابن أبى هاشم ـ هذا ـ حتى قطع خطبة المستنصر صاحب مصر ، وخطب للقائم العباسى . ثم قطع خطبته فى سنة ثمان وخمسين لما قطع المستنصر الميرة عن مكة . ثم أعاد خطبة القائم فى سنة تسع وخمسين ثم قطع خطبته .. فأرسل إلى أمير مكة مالا وعاتبه على قطع خطبته . فخطب له فى أيام الموسم سنة اثنتين وستين ، واعتذر إلى المستنصر . انتهى . وهذا لم أر من ذكره سواه .

وكان المستنصر العبيدى صاحب مصر : أرسل رسولين فى سنة ست وستين وأربعمائة إلى ابن أبى هاشم أمير مكة ـ هذا ـ : ففتحا عليه خطبته للخليفة العباسى ، والسلطان البارسلان ، وبذلا له مالا على قطع الخطبة لهما . فلم يلتفت إليهما ،

وأقصاهما . لأنه كان وصل له ولأصحابه صحبة السلار من المال ماملأ عينه وقلبه .

وأخذ السلار من الحاج الذين اتبعوه دنانير فدفعها إليه و إلى العبيد ، فلما لم يصل فى سنة سبع وستين من جهة الخليفة العباسى ما كان يصل لأمير مكة قطع خطبة المهتدى العباسى . وصادف مع ذلك : أن المستنصر أرسل إليه بهدايا وتحف ليخطب له . وقال له : إنما كانت أيمانك وعهودك للقائم وللسلطان البارسلان ، وقد ماتا . فخطب للمستنصر ، ثم قطع خطبته فى سنة ثمان وستين .

وخطب للمهتدى عبد الله بن محمد الذخيرة ابن القائم الخليفة العباسى .

وصار يخطب تارة لبنى العباس ، وتارة لبنى عبيد .

وماذكره من خبر ابن أبى هاشم ورسولى المستنصر وماوصل إليه مع السلار ، وما جمع له السلار : ذكر صاحب المرآة ما يوافقه .

وما ذكرناه من خطبة ابن أبى هاشم فى سنة سبع وستين للمستنصر ، وقطع خطبته فى سنة ثمان وستين : ذكر ابن الأثير مايوافقه .

وذكر : أن قطع خطبته فى سنة ثمان وستين كان فى ذى الحجة منها . وقال — لما ذكر خطبة ابن أبى هاشم للمستنصر فى سنة سبع وستين ، وقطع خطبة المهتدى : وكانت مدة الخطابة العباسية بمكة أربعاً وستين وخمسة أشهر — يعنى : من حين إعادتها إلى حين قطعها فى سنة سبع وستين .

وذكر مايوافق ماذكرناه من إهداء المستنصر لابن أبى هاشم فى هذه السنة .

ثم هرب ابن أبى هاشم من مكة فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة إلى بغداد ، لما استولى عليها التركمان الذين أرسلهم السلطان ملك شاه ابن البارسلان السلجوقى للاستيلاء على الحجاز واليمن ، وإقامة الدعوة له هناك .

وكان توجههم إلى اليمن فى سنة خمس وثمانين . وملكوا عدن واستولوا على كثير من البلاد وعاثوا فيها . وأساءوا السيرة .

وأصاب مقدمهم جدرى فمات ، فحملوه إلى بغداد ودفنوه بها .

وماذكرناه من خبر التركمان ومقدمهم : ذكره بعض من عاصرناه فى تاريخه، وأكثر ظنى أنه : شيخنا ابن خلدون . والله أعلم .

وما ذكرناه من هرب ابن أبى هاشم منهم : ذكره ابن الأثير . لأنه قال ـ فى أخبار سنة أربع وثمانين وأربعمائة ـ : فيهـا وصل ابن أبى هاشم أمير مكة مستغيثاً من التركمان . انتهى .

وذكر ابن الأثير فى كامله : أن محمد بن أبى هاشم ـ هـذا ـ فى سنة ست وثمانين وأربعمائة : سير عسكراً لينهبوا الحاج ، فلحقوهم بالقرب من مكة ، فنهبوا كثيراً من أموالهم وجمالهم . فعادوا إليها وأخبروه وسألوه أن يعيد إليهم ماأخذ منهم ، وشكوا إليه بعد ديارهم . فأعاد بعض ماأخذه منهم . فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على أقبح صفة . فلما بعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب فى عدة جهات ، فصانعوهم على مال أخذوه من الحاج بعد أن قتل منهم جماعة وافرة ، وهلك كثير بالضعف والانقطاع ، وعاد السالم منهم على أقبح صورة . انتهى .

وهؤلاء الحجاج من حجاج الشام على ماذكر ابن الأثير .

وذكر صـاحب المرآة : أن ابن أبى هاشم ـ هذا ـ : كان فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة : أخذ قناديل الـكعبة وستورها وصفائح البـاب ، وصادر أهل مكة حتى هربوا منه . انتهى .

وذكر ابن الأثير : أنه توفى فى سنة سبع وثمـانين وأربعمائة ، وقد جاوز سبعين سنة ، قال : ولم يكن له مايمدح به .

وذكر الذهبى وفاته وسنه : بمعنى ماذكره ابن الأثير . وقال : كان ظالماً قليل الخير . انتهى .

وذكر شيخنا ابن خلدون : أن ابن أبى هاشم ـهذا ـ: جمع أنجاداً من الترك ، وزحف بهم إلى المدينة ، وأخرج منها بنى حسين وملـكها ، وجمع بين الحرمين . وأن ولايته كانت ثلاثاً وثلاثين سنة .

ووقع فى النسخة التى رأيتها من تاريخ شيخنا ابن خلدون فى نسب ابن أبى هاشم ـ هذا ـ : سقط وتخبيط فى نسبه . لأنه أسقط بين جعفر ، وأبى هاشم محمد بن عبد الله ، وصحف الحسين والد أبى هاشم بالحسن . والصواب ماذكرناه . والله أعلم .

١٢٩ — محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين على بن الحسين بن علي بن أبى طالب العلوى

الملقب : بالديباجة .

له رواية عن : أبيه .

وروى : عنه إبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن يحيى بن أبى عمر العدنى ، ويعقوب ابن حميد بن كاسب .

وكان بطلا شجاعاً عاقلاً ، يصوم يوماً ويفطر يوماً .

وكان العلويون : بايعوه بمكة أيام المأمون . وذلك فى يوم الجمعة فى ربيع الأول سنة مائتين ، بعد إبائه لذلك .

وجمع الناس لبيعته : طوعاً وكرها ابنه على بن محمد بن جعفر ، وحسين بن حسن الأفطس لما بلغه موت أبى السرايا ، الذى أنفذ الحسين إلى مكة للاستيلاء عليها .

ولم يكن لمحمد بن جعفر هذا مع ابنه على والحسين والأفطس من الأمر شىء .

وسار ابنه على والحسين وجماعتهم بمكة : أقبح سيرة ، بحيث وثب على بن محمد بن جعفر على غلام أمرد ، وهو ابن قاضى مكة ، يقال له : إسحاق بن محمد ، وكان جميلا ، فأخذه قهراً .

فلما رأى ذلك أهل مكة ومن بها من المجاورين : اجتمعوا بالحرم الشريف ، واجتمع منهم جمع كثير . فأتوا محمد بن جعفر . وقالوا له : لنخلعنك ولنقتلنك ،

أو لتردن إلينا هذا الغلام . فأغلق بابه وكلمهم من شباك ، وطلب منهم الأمان ليركب إلى ابنه ويأخذ الغلام . وحلف لهم أنه لم يعلم بذلك : فأمنوه . وركب إلى ابنه ، وأخذ الغلام منه وسلمه إلى أهله . ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى قدم إسحاق ابن موسى العباسى عامل اليمن ، فاراً منها لتغلب إبراهيم بن موسى بن جعفر ، ونزل المشاش .

واجتمع العلويون إلى محمد بن جعفر الديباجة ، وقالوا : قد رأينا أن نخندق علينا بأعلا مكة . ثم حشدوا الأعراب . فقاتلهم إسحاق أياماً ، ثم كره الحرب . وطلب العراق ، فلقيه الجند للذين نفذهم : هزيمة ، ومعهم الجلودى ، وورقاء بن جميل . فقالوا لإسحاق : ارجع معنا ، ونحن نكفيك القتال ، فرجع معهم .

واجتمع إلى محمد هذا : غوغاء أهل مكة ، وسودان أهل البادية ، والأعراب . فعبأهم ببئر ميمون . وأقبل ورقاء وإسحاق بن موسى بمن معهما من القواد والجند فالتقوا وقتل جماعة ، ثم تحاجزوا . ثم التقوا من الغد . فانهزم محمد وأهل مكة . وطلب محمد الديباجة منهم : الأمان . فأجلوه ثلاثاً ، ثم نزح عن مكة .

ودخلها إسحاق وورقاء فى جمادى الآخرة .

وتفرق الطالبيون عن مكة كل قوم ناحية . فأخذ محمد ناحية جده : ثم طلب الجحفة . فخرج عليه محمد بن حكيم من موالى آل العباس، ومعه عبيد ليدركوه . لأن الطالبين كانوا نهبوا داره ،وبالغوا فى أذاه . فلحقه بقرب عسفان ، وانتهب جميع ما معه ، حتى لم يبق فى وسطه إلا سراويل . وهم بقتله ، ثم رحمه وطرح عليه ثوباً وعمامة ، وأعطاه دريهمات ، فمضى وتوصل إلى بلاد جهينة على الساحل ، فأقام هناك أشهراً يجمع الجموع .

وكان بينه وبين والى المدينة : هارون بن المسيب : وقعات عند الشجرة وغيرها فهزم وفقئت عينه بسهم ، وقتل من أصحابه خلق كثيرون ، ورد إلى موضعه .

فلما انقضى الموسم طلب الأمان من الجلودى ، ومن ورقاء بن جميل ، وهو ابن عم الفضل بن سهل . فأمناه ، وضمن له ورقاء عن المأمون ، وعن الفضل

بالأمان . فقبل ذلك . وأتى مكة لعشر بقين من ذى الحجة ، فخطب الناس وقال: إنى بلغنى أن المأمون مات ، وكان له فى عنقى بيعة ، وكانت فتنته عمت الأرض فبايعنى الناس . ثم إنه بلغنى: أن المأمون حى صحيح ، وأنا أستغفر الله من البيعة، وقد خلعت نفسى من بيعتى التى بايعتمونى عليها ، كما خلعت خاتمى هذا من أصبعى . فلا بيعة لى فى رقابكم . ثم نزل وسار سنة إحدى ومائتين إلى العراق ، فسيره الحسن بن سهل إلى مرو . فلما سار المأمون إلى العراق صحبه ، فمات بجرجان .

وفى تاريخ الذهبى — بعد أن ذكر قدوم الديباجة إلى مكة بالأمان — : فصعد عيسى بن يزيد الجلودى المنبر بمكة ، وصعد دونه محمد بن جعفر عليه قباء أسود . فخلع نفسه ، واعتذر عن خروجه :

بأنه بلغه موت المأمون . وقد صح عندى الآن : أنه حى ، وأستغفر الله من فعله .

ثم خرج به عيسى الجلودى إلى العراق ، فبعث به الحسن بن سهل إلى المأمون وبقى قليلا .

ثم مات فى شعبان سنة ثلاث ومائتين . فصلى عليه المأمون ، ونزل فى لحده ، وقال : هذه رحم قطعت من سنين .

وقيل : إن سبب موته : أنه جامع ودخل الحمام ، وافتصد فى يوم واحد ، فمات فجأة .

كتبت هذه الترجمة من تاريخ ابن الأثير ، المسمى : بالكامل ، وتاريخ الإسلام للحافظ الذهبى . وجمعت بين ماذكراه . وكل منهما : ذكر مالم يذكر الآخر .

وقال فى حقه ابن الأثير : وكان شيخاً محبباً فى الناس ، مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة .

وكان يروى العلم عن : أبيه جعفر .

وكان الناس يكتبون عنه .

وكان يظهر زهداً . فلما أتوه . قالوا : نعلم منزلتك فى الناس ، فهلم نبايع لك بالخلافة ، فإن فعلت لم يتخلف عليك رجلان . فامتنع من ذلك . فلم يزل به ابنه على وحسين بن حسن الأفطس ، حتى غلباه على رأيه ، وأجابهم . فأقاموه فى ربيع الآخر ، فبايعوه بالخلافة ، وجمعوا النـاس فبايعوه طوعاً وكرهاً ، وسموه : أمير المؤمنين ، فبقى شهوراً وليس له من الأمر شىء . انتهى .

و بعض هذا ذكرناه فيما سبق .

١٣٠ — محمد بن جعفر بن محمد بن هٰرون بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس .

الخليفة ، المستنصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور العباسى .

ولاه أبوه : الحرمين والطائف واليمن ، فى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فى رمضان . ثم عزل بمحمد بن داود بن عيسى العباسى .

ثم ولى الخلافة بعد أبيه ، فلم تطل مدته .

ومات بالخوانيق فى ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين عن ست وعشرين سنة .

وكانت مدة خلافته : سبعة أشهر .

قال الذهبي : كان ربعة حسنا أعين أقنا بطينا ، مليح الصورة ، مهيبا .

وكان كامل العقل محبباً فى الخير ، محسناً إلى آل على ، باراً لهم .

وقيل : إن أمراء الترك خانوه ، فلما حم دسوا إلى طبيبه ثلاثين ألف دينار ففصده بريشة مسمومة .

وقيل : سم فى كمثرى .

وقيل : إنه قال : ياأماه ذهبت منى الدنيا والآخرة . عاجلت أبى فعوجلت .

١٣١ — محمد بن جعفر بن أبي الأزهر .

مولى بني هاشم . أبو صالح ، المكي .

المعروف : بابن زنبور .

روى عن : إسماعيل بن جعفر : نسخة وقعت لنا عالية إليه .

وروى عن : حماد بن زيد وفضيل بن عياض ، والدراوردي، وابن أبي حازم وجماعة .

روى عنه : النسائي ، وأحمد بن عمر ، والبزار ، وعمر بن مجير ، وأبو عروبة ، وابن صاعد ، ومحمد بن إبراهيم الديبلي ، وطائفة .

وثقه النسائي . وقال : لا بأس به . وقال : مات سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وذكره ابن حبان في الثقات .

وقال أبو أحمد والحاكم : ليس بالمتين عندهم ، تركه ابن خزيمة .

وقال صاحب الكمال يقال : إنه حج ثمانين حجة .

وذكر الذهبي : أنه مات في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين — يعني : ومائتين .

قرأت على فاطمة وعائشة بنتي محمد بن عبد الهادي بالسفح في الرحلة الأولى : أن أبا العباس أحمد بن أبي طالب الحجار . أخبرهما عن أبي الحسن محمد بن أحمد ابن عمر المؤرخ . قال : أخبرنا الشريف أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي . قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن عبد الرحمن الشافعي . قال : أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن فراس العبقسي المكي ، قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي . قال : حدثنا أبو صالح محمد بن أبي الأزهر ، المكي ، المعروف : بابن زنبور . قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر . قال : حدثنا عبد الله بن دينار : أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما . يقول « كنا نبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على السمع والطاعة . يقول لنا : فيما استطعتم » .

أخرجه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، عن علي بن حجر . ومسلم أيضاً عن يحيى بن أيوب ، وقتيبة ، كلهم عن إسماعيل بن جعفر . فوقع لنا بدلا لهم عاليا .

١٣٢ — محمد بن جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف الهاشمى .

ولد بالحبشة . وحلق النبي صلى الله عليه وسلم رأسه ورءوس إخوته ، حين جاءوا مع ابنى جعفر ، ودعا لهم . وقال « أنا وليهم فى الدنيا والآخرة » وقال : « أما محمد : فشبيه عمنا أبى طالب » .

وكان صغيراً فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وتزوج أم كلثوم بنت على ، بعد تأيمها من عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وذكر الأموى فى مغازيه : أنه كان مع محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، حين بعثه على بن أبى طالب إلى مصر . فلما قتل : هرب محمد بن جعفر إلى فلسطين ، واستجار بأخواله من خثعم . فمنعوه من معاوية لما طلبه . ولم يزل عندهم حتى مات .

وذكر الواقدى : أنه استشهد بتستر .

وأمه : أسماء بنت عميس رضى الله عنها .

١٣٣ — محمد بن أبى جهم بن حذيفة بن غانم ، القرشى ، العدوى .

يأتى فى محله . وهو : محمد بن عامر ، ومحمد بن عبيد ؛ لأنه اختلف فى اسم أبى جهم . فقيل : عامر . وقيل : عبيد .

١٣٤ — محمد بن الحارث بن قيس ، المخزومي . المكى .

روى عن على الأزدى .

وروى عنه : ابن جريج ، وابن عيينة .

هكذا ذكره ابن حبان فى الثقات .

١٣٥ — محمد بن حازم بن شميلة بن أبى نمى محمد بن أبى سعد حسن ابن على بن قتادة ، الحسنى ، المكى .

كان من أعيان الأشراف آل أبى نمى .

وله مكانة عند أمير مكة الشريف عجلان .

وكان يتشبه به فى خصال الإمرة .

توفى سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

١٣٦ - محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح ، القرشي ، الجمحى ، المكى .

قال الزبير : وولد محمد بن حاطب بأرض الحبشة . وقال : حدثنى محمد بن سلام الجمحى . قال : حدثنى بعض أصحابنا : أن أول من سمى فى الإسلام بالنبى صلى الله عليه وسلم : محمد بن حاطب .

ولد بأرض الحبشة .

وأرضعته : أسماء بنت عميس ، وأرضعت أمه : عبد الله بن جعفر . فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا .

وقال الزبير : حدثنى محمد بن سلام . قال : جاءت عمر حلل من اليمن . فأعطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو أيوب الأنصارى غائب : فرفع له حلة ، وأخذ لنفسه حلة . فقدم أبو أيوب وحلة عمر عليه . فقال : ما هذه الحلة ؟ قالوا : حلل أتت من اليمن . قال ـ جازما ـ : افتعلها . قال : فسمعها عمر رضى الله عنه . فقال : قد رفعنا لك حلة . فإن شئت : فهى بها . قال : نعم . فدخل عمر رضى الله عنه فلبس حلة أبى أيوب وأرسل إلى أبى أيوب بحلته . فجعل أبو أيوب ينظر إليها ، فإذا هى أجود من حلة عمر رضى الله عنه . فقال : هل لك فى الأولة ؟ قال : نعم . قال له زيد بن ثابت : يا أمير المؤمنين . هل لك فى المحمديين ؟ قال : ومن هم ؟ قال محمد بن حاطب ، ومحمد بن جعفر ، ومحمد بن

أبى بكر . قال : نعم . وعند زيد : أم محمد بن حاطب جويرية ـ إحدى بنى عامر بن لؤى ـ فقـال : أعطهم . فأخذ زيد أجود حلة ، فأعطاها محمد بن حاطب .

فقال عمر رضى الله عنه : أى هات ، أى هات . وتمثل بشعر عمارة بن الوليد :

أسَرّكَ لمـا صرع القوم وانتبشوا   أن أخرج منهـا سالما غير غارم

بريا كأنى لم أكن كنت فيهم   وليس الخداع من تصافى التنادم

ردها . فغطاها بثوب . فقال : أدخل يدك وأنت لا تراها فأعطهم .

قال الزبير : وحدثنى مصعب بن عبد الله . قال : كان محمد بن حاطب عند قدومه من أرض الحبشة ، وهو صبى : قد أصابه حرق نار فى إحـدى يديه . فذهبت به أم جميل بنت المحلل إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فرقاه النبى صلى الله عليه وسلم . انتهى .

ولمحمد بن حاطب صحبة ورواية عن النبى صلى الله عليه وسـلم والصحابة . منهم : أمه أم جميل بنت المحلل ، وعلى بن أبى طالب .

روى عنه : ابناه إبراهيم ، والحارث ، وحفيده عثمان بن إبراهيم ، وسماك بن حرب ، وغيرهم .

ومات بمكة سنة أربع وسبعين من الهجرة ، على ماقال أبو عمر بن عبد البر . قال النووى : وهو الأشبه .

وانـكفأت عليه ـ بقرب المدينة ـ قدر كانت على النار فاحترق ذراعه . فذهبت به أمه إلى النبى صلى الله عليه وسلم . فتفل عليه ، ودعا له بالشفاء . فلم تقم به أمه حتى برىء . ودعا له بالبركة ، ومسح رأسه .

وذكر النووى : أنه شهد مع على : الجمل ، وصفين ، والنهروان . وأنه : أول من سمى محمداً فى الإسلام .

وروى ذلك أبو عمر من حديث أمه فاطمة بنت المحلل . وقيل : جويرية بنت المحلل .

وذكر أبو عمر : أن عداده فى الـكوفيين .

١٣٧ — محمد بن حامد بن الحارث البغدادى .

نزيل مكة . أبو رجاء .

حدث عن : أحمد بن خيثمة ، ومحمد بن الجهم وعبد الله بن مسلم بن قتيبة .

وسمع منه : جماعة . منهم : أبو محمد النحاس بمكة .

سمع منه حديثين . قال : ما سمعت منه سواهما . رواهما عنه عن الحسن بن عرفة . حدثنا على بن قدامة عن ميسرة بن عبد ربه عن عبد الكريم الجزرى ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما رفعهما أحدهما : يا على خلقت أنا وأنت من نور الله وشيعتنا من نورنا . والآخر : نجم بأعلى العقيق . فإنه أقر لله بالوحدانية ولك بالإمامة .

قال الذهبي : هما ـ والله العظيم ـ : موضوعان ، والآفة من ميسره . فإنه يضع الحديث . انتهى .

وقد وثق أبا رجاء هذا : أبو عمرو الدانى فيما نقله عنه الذهبي فى الميزان . وقال : ما أرى هذا الشيخ ممن يعتمد عليه . انتهى .

وذكر الذهبي : أنه مات سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . وقيل : فى آخر سنة أربعين .

وذكر : أنه ولد سنة خمس وأربعين ومائتين .

١٣٨ — محمد بن حجاج بن إبراهيم الحضرمي .

أبو بكر ، وأبو عبد الله . وبها اشتهر ، ابن الوزير أبى محمد .

المعروف : بابن مطرف الأشبيلى .

نزيل مكة ، وشيخها ، الولى العارف ، ذو الكرامات الشهيرة .

ذكر جدى أبو عبد الله الفاسى : أنه ولد سنة ثمان عشر وستمائة . وحج سنة ثلاث وخمسين .

وسمع من ابن مسدى : الشفا للقاضى عياض ، والشمائل للترمذى .

ثم عاد إلى الاسكندرية . ثم عاد إلى مكة فى سنة ستين . ثم توجه إلى عدن ، وأقرأ بها العربية . ولم يزل مقيما بها إلى سنة تسع وستين .

فتوجه إلى مكة وأقام بها إلى أن مات . غير أنه جاور بالمدينة فى سنة خمس وتسعين . انتهى .

وذكر الذهبى : أنه جاور بمكة نحو ستين عاماً .

وكان يطوف فى اليوم والليلة ستين أسبوعاً .

وأن حميضة بن أبى نمى ــ صاحب مكة ــ : حمل نعشه .

إلا أن الذهبى وهم فى تاريخ وفاته ؛ لأنه ذكره فى المتوفين فى سنة سبع وسبعمائة . وتبعه على ذلك اليافعى فى تاريخه .

ووجدت بخط العفيف المطرى أنه : توفى فى سنة أربع وسبعمائة .

وذلك وهم أيضاً ؛ لأنه إنما توفى فى ليلة الخميس ثالث شهر رمضان سنة ست وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

كذا وجدت وفاته على حجر قبره بالمعلاة . ووجدتها كذلك بخط جدى أبى عبد الله الفاسى .

وذكر : أنه نزل قبره مع بعض أصحابه .

وله كرامات مشهورات .

منها ــ على ما ذكر اليافعى فى تاريخه ــ : أنه قال للشيخ أبى محمد عبد الله ابن عمران البسكرى ــ بباء موحدة وسين مهملة ، وكاف مفتوحة وراء مهملة مكسورة وياء للنسبة ــ لما جاء إلى ابن مطرف مودعاً له ، وقد عزم على الزيارة فى طريق الماشى : تلقون شدة ، ثم تغاثون .

وكان الأمر كما قال ابن مطرف .

وله على ما ذكر جدى : تقييد على جمل الزجاجى .

وذكر العفيف المطرى : أنه قرأ النحو على أبى على الشلوبين . وأنه كان يحفظ كتاب سيبويه قال : وكان من الصالحين الأولياء العاملين الزهاد . انتهى .

وذكر جدى : أن ابن مطرف ـ هذا ـ سكن برباط الموفق سنيناً كثيرة . قال جدى : أظن من سنة ثلاث وثمانين وستمائة إلى أن انتقل منه فى شهر رمضان سنة ثمان وتسعين بسبب تسلط متسلط . قال : وكان سكناه قبل ذلك فى مدرسة المالكية التى بناها ابن الحداد المهدوى فى الثنية من مكة .

وكتب جدى عنه : بيتين حسنين ؛ لأنى وجدت بخط جدى : أنشدنى الشيخ الصالح ، القدوة أبو عبد الله محمد بن أبى محمد حجاج بن إبراهيم بن مطرف الحضرمى الأشبيلى . نزيل مكة ـ شرفها الله تعالى ـ بها لإبراهيم بن سهل الأشبيلى الشاعر :

أخاف عليك أن أشكوك بثى مشافهة فيخجلك السماع
وإن عبرت عن شوقى بكتب تلهب فى أناملى اليراع

وكتب جدى عنه غير ذلك ، لأنه قال فى تعاليقه :

وسمعت الشيخ أبا عبد الله بن مطرف الأشبيلى يقول : كان الإمام الأبيارى يقول : لو رأيت منكراً ، فأردت أن أغيره ، فقال لى الذى يغير عليه : يا إبيارى أى شىء أدخلك فى هذا الفضول ؟ لرأيت أن يسقط عنى وجوب تغيير المنكر . انتهى .

والإبيارى ـ هذا ـ من كبار أئمة المالكية المصريين .

١٣٩ — محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب ، القرشى ، العبشمى .

أبو القاسم .

ولد بالحبشة ، وكفله عثمان بعد قتل أبيه . وبقى فى كفالته ونفقته سنين .

وكان أشد الناس تأليباً على عثمان .

وكان خرج إلى مصر ، وعبد الله بن أبى سرح وال بها .

فلما وفد عبد الله على عثمان رضى الله عنه انتزى محمد بن أبى حذيفة على مصر ، ومنعه من دخولها لما عاد إليها . ثم ولاها له على بن طالب رضى الله عنه لما ولى . ثم عزله عنها بقيس بن سعد بن عبادة . ثم قتله مولًى لمعاوية بن أبى سفيان حين خرج محمد إلى الشام .

١٤٠ — محمد بن حرب بن سليمان ، المكى .

أبو عبد الله .

روى عن : مالك بن أنس .

وروى عنه : عبد بن حميد ، ومحمد بن أحمد بن الجنيد .

١٤١ — محمد بن حسب الله ، القرشى ، الأموى ، المكى .

يلقب : بالجمال ، ويعرف : بالزعيم .

كان وافر الملاءة . يقال : إن تركته بلغت ثلاثمائة ألف ألف . وقيل : ثمانمائة ألف ألف ومائتى ألف درهم . وقيل : ثلاثمائة ألف ألف وستمائة ألف درهم . وهو الذى اكتسب ذلك .

وكان لا يبالى فى إعطاء المال على وجه السلف بالفائدة ، ويعيب على من يطلب منه القليل .

وكان ينال من غرمائه كثيراً بالقول والفعل ، وربما حبس بعضهم بغير مؤامرة الحكام ، بسبب إدلاله عليهم بإحسانه إليهم ، والله يغفر له .

توفى فى : ليلة الجمعة الثالث من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة بمكة . ودفن بالمعلاة .

من اسمه محمد بن الحسن

١٤٢ — محمد بن الحسن بن محمد بن سعد بن الخشاب المخزومى .

أبو العباس ، الصوفى .

ذكره الخطيب فى تاريخ بغداد . وقال : صاحب حكايات عن محمد بن جعفر عن أبى جعفر محمد بن عبد الله الفرغانى ، وأبى بكر الشبلى .

روى عنه : أبو عبد الرحمن السلمى . وأبو عبد الله الحاكم .

وذكر : أنه نزل بنيسابور ، وخرج إلى مكة ، فحج وجاور .

وتوفى بمكة سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

١٤٣ — محمد بن الحسن بن عبد الله بن على بن محمد بن عبد الملك الأموى .

قاضى الحرمين . أبو الحسن بن أبى الشوارب .

ولد سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وقلده المطيع قضاء الشرقية ، والحرمين ، واليمن ، ومصر ، وغير ذلك ، فى رجب سنة أربع وثلاثين .

ثم صرف عن ذلك فى رجب سنة خمس وثلاثين ، لأنه كان ينسب إلى الاسترشاء فى الأحكام .

وتوفى فى رمضان سنة تسع وأربعين وثلاثمائة .

ذكره الخطيب فى تاريخه . ومنه لخصت هذه الترجمة .

١٤٤ — محمد بن حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن **الحسنى**

الشريف أبو نمى . ويقال : أبو مهدى بن أبى سعد .

صاحب مكة وابن صاحبها .

يلقب : نجم الدين .

ولى إمرة مكة نحو خمسين سنة ، إلا أوقاتاً يسيرة زالت ولايته عنها فيها ـ يأتى ذكرها .

وذكر صاحب « بهجة الزمن » فى مدة ولايته لمكة : ما ذكرناه فى مدة ولايته لها ، بزيادة فى ذلك لأنه قال : واستمرت إمرته على مكة ونواحيها ماينيف على خمسين سنة . انتهى .

وما ذكره من : أن ولاية أبى نمى على مكة ونواحيها ينيف على خمسين سنة : فيه نظر . لأنه لم يل إلا بعد أبيه ، وبين وفاتيهما تسع وأربعون سنة وأشهر . وغايتها خمسين على الخلاف فى تاريخ شهر موت والده أبى سعد . إلا أن يكون أبو نمى : ولى إمرة مكة نيابة عن أبيه ، ويضاف ذلك إلى ولايته بعده ، فلا إشكال . والله أعلم .

واستقل أبو نمى بإمرة مكة فى أكثر المدة المشار إليها ، وشارك عمه إدريس ابن قتادة فى بعضها .

وولايته المشتركة سبع عشرة سنة أو نحوها . وولايته المستقلة إحدى وثلاثون سنة أو نحوها .

وقال الذهبى فى ذيل سير النبلاء له فى ترجمة أبى نمى ـ هذا ـ :

وكانت ولايته نحواً من أربعين سنة بعد عمه ـ الذى قتله ـ انتهى .

وفيما ذكره الذهبى نظر ، لأن عمه المشار إليه هو إدريس بن قتادة . وكانت وفاته فى سنة تسع وستين وستمائة ، على ماوجدت بخط الميورقى ، وذكر ذلك غير واحد من المؤرخين .

ومقتضى ما ذكرناه من تاريخ وفاة إدريس بن قتادة : أن تكون ولاية أبى نمى بعده إحدى وثلاثين سنة وأشهراً ، إلا أن أبا نمى لم يعش بعد عمه إدريس إلا المدة التى أشرنا إليها كما سيأتى فى تاريخ وفاة نمى .

وقد وجدت مايوهم الاختلاف فى ابتداء ولايته ؛ لأن ابن محفوظ ذكر ـ فيما وجدت بخطه ـ أن فى شوال سنة اثنتين وخمسين : جاء الشريفان أبو نمى و إدريس ، وأخذا مكة من غانم بن راجح بن قتادة بالقتال ، ولم يقتل بينهم إلا ثلاثة أنفس . منهم : عالى شيخ المبارك . وأقاما بها إلى الخامس والعشرين من ذى القعدة . فجاء ابن برطاس المبارز بن على من اليمن . فأخذها منهم ، وتقاتلوا بالسرجة من قوز المكاسة . وكان معهما جماز بن شيحة صاحب المدينة . وحج بالناس تلك السنة ابن برطاس . ولم يزل مقيما بمكة إلى آخر السنة . انتهى .

ووجدت بخط الميورقى :

وولى أبو نمى بعد قتل أبيه أبى سعد فى المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة . انتهى .

وهذا و إن أوهم الخلاف فى تاريخ ابتداء ولاية أبى نمى بمكة : فليس خلافا فى الحقيقة ، لإمكان الجمع بين ما ذكره ابن محفوظ فى ابتداء ولايته ، و بين ما ذكره الميورقى فى ابتدائها .

وذلك : أن يحمل كلام الميورقى على : أنه أراد ولاية أبى نمى بمكة بعد خروج ابن برطاس منها . ويحمل ما ذكره ابن محفوظ على : ولاية أبى نمى التى بعد غانم بن راجح .

ويؤيد ذلك : أن الميورقى ، وابن محفوظ : ذكر كل منهما ما يقتضى : أن أبا نمى ولى مكة بعد ابن برطاس فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة ؛ لأن الميورقى قال : ثم استحكم أبو نمى وعمه إدريس على مكة . فأخرج الشرفا الغز بسفك دماء خيل ابن برطاس الوالى لها من جهة اليمن . وامتلأ الناس رعبا ، وسفكت الدماء بالحجر يوم السبت لأربع ليال بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة . انتهى

وذكر فى موضع آخر نحو ذلك باختصار بالمعنى . انتهى .

وقال ابن محفوظ ـ فيما وجدت بخطه ـ : سنة ثلاث وخمسين وستمائة جاء

أبو نمى وإدريس ومعهم جماز بن شيحه صاحب المدينة . فدخلوا مكة ، وأخذوها من ابن برطاس بعد القتال . انتهى .

وذكر بعض العصريين حرب بين ابن برطاس ، وأبى نمى ، وإدريس الحرب الأول والحرب الثانى . وذكر : أنه أسر فى الثـانى ، ثم خلص لافتدائه نفسه .

وسنوضح ذلك أكثر من هذا فى ترجمته .

وجرى بين أبى نمى وعمه إدريس بسبب مكة أمور :

منها : أن أبا نمى فى سنة أربع وخمسين وستمائة : أخذ مكة من عمه إدريس ، وكان شريكه فيها ، لمـا راح إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة . ثم جاء إدريس مع راجح بن قتادة ، وأصلح راجح بين إدريس وأبى نمى .

ومنها : أن أبا نمى ـ فى سنة سبع وستين ـ : أخرج عمه إدريس من مكة . وانفرد بالإمرة . وخطب لصاحب مصر الملك الظاهر بيبرس الصالحى البندقدارى . وكتب إليه أبو نمى ـ يذكر له ـ : أنه لما شاهد من عمه إدريس ميلا إلى صاحب اليمن ، وتحاملا على دولته : أخرجه من مكة ، وانفرد بالإمرة ، وخطب له ، وسأل مرسومه إلى أمراء المدينة : ألا يتخذوا عمه عليه . فاشـترط عليه صاحب مصر : تسبيل بيت الله للعاكف والباد ، وأن لا يؤخذ عنه حق ، ولا يمنع زائر فى ليل أو نهـار ، وأن لا يتعرض إلى تاجر ولا حاج بظلم ، وأن تكون الخطبة والسكة له ولأبى نمى على ذلك : عشرون ألف درهم فى كل سنة .

فلما ورد جواب أبى نمى إلى صاحب مصر بالتزام ذلك : كتب له تقليداً بالإمرة بمفرده .

ومنها : أن إدريس بن قتادة بعد إخراج أبى نمى له من مكة : حشد وجمع ، وتوجه إلى مكة المشرفة ، ثم اصطلح مع أبى نمى ، واتفقا على طاعة صاحب مصر . وكتب إليه إدريس يعرفه بذلك . فسلمت الأوقاف لنوابهما .

ذكر هاتين الحادثتين ابن عبد الظاهر كاتب الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر فى السيرة التى جمعها للملك الظاهر .

ومنها : أنه فى سنة تسع وستين وستمائة : وقع بين أبى نمى وعمه خلف . فاستظهر إدريس على أبى نمى . وخرج أبو نمى هارباً من بين يدى عمه . ووصل ينبع ، واستنجد بصاحبها ، وجمع ، وحشد ، وقصد مكة . فالتقى هو وعمه إدريس وتحاربا . فطعن أبو نمى إدريس ألقاه عن جواده ، ونزل إليه ، وجز رأسه ، واستبد بالإمرة .

ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه القطب اليونينى فى ذيل المرآة .

وذكر : أن فى آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة : وصل النجابون إلى مصر من عند أبى نمى ، وأخبروا بذلك .

ووجدت بخط الميورقى : مايشهد لبعض هذه القضية بزيادة فائدة ؛ لأنه ذكر : أن فى ربيع الأول سنة تسع وستين قتل ولد لأبى نمى وطرد أبوه . وبعد قتله بأربعين يوماً قتل أبوه عمه إدريس . وجرى بين أبى نمى ، وجماز بن شيحه . صاحب المدينة أمور تتعلق بولاية مكة .

منها ـ على ماوجدت بخط الميورقى ـ أن عيسى بن الشيخ جرير . قال : أخرج الأمير جماز بن شيحه الحسنى أبا نمى من مكة ـ شرفها الله تعالى ـ فى آخر صفر سنة سبعين وستمائة . وجاءت مواليه سنة سبعين وستمائة ، وأبو نمى مطرود ، وأكمل لقتل ولده سنة . ثم رجع أبو نمى إلى مكة فى ربيع وهزم جماز ابن شيحه الحسنى ، ثم جاء الحسينى لإخراج أبى نمى فى شعبان سنة ثلاث وسبعين . فأعطاه أبو نمى ورجع ، وخلى بينه و بين قتلة أبيه أبى سعد . انتهى .

ووجدت بخط ابن محفوظ : ما يشهد للقضية التى كانت بين أبى نمى ، وجماز ابن شيحه فى سنة سبعين بزيادة فائدة . لأنه ذكر : أن فى سنه سبعين وستمائة

وصل جماز ــ يعنى صاحب المدينة ــ وغانم بن إدريس ، وأخذا مكة . و بعد أر بعين يوماً أخذها منهم أبو نمى . انتهى .

وفى هذا فائدة لاتفهم من كلام الميورقى . وهى : أن مدة إخراج أبى نمى من مكة أر بعين يوماً .

وفيه فائدة أخرى . وهى : أن غانم بن إدريس كان مع جماز فى هذه القضية ، وغانم ابن إدريس هو : غانم بن حسن بن قتادة .

و يدل لذلك : ما وقع فى الخبر الذى ذكره الميورقى من : أن جماز بن شيحه خلى بن أبى نمى وقتلة ابنه . انتهى .

وقتلة ابنه هم : أولاد حسن بن قتـادة . ومنهم : إدريس بن حسن ، والد غانم بن إدريس المحارب لأبى نمى .

ومنها ــ على ما وجدت بخط المؤرخ شمس الدين محمـد بن إبراهيم الجزرى الدمشقى ــ : أن فى التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين كانت وقعة بين أبى نمى صاحب مكة ، و بين جماز بن شيحه صاحب المدينة ، و بين صاحب ينبع إدريس بن حسن بن قتادة . فظهر عليهما أبو نمى ، وأسر إدريس ، وهرب جماز . وكانت الوقعة فى مر الظهران . وكانت عدة من مع أبى نمى : مائتى فارس ومائة وثمانين راجلا ، ومع إدريس وجماز : مائتين وخمسة عشر فارساً ، وستمائة راجل . انتهى .

ومنها ــ على ماوجدت بخط ابن محفوظ ــ : أن فى سنة سبع وثمانين : جاء جماز ابن شيحه وأخذ مكة ، وأقام بها إلى آخر السنة ، وأخذها منه نواب أبى نمى .

وقد اختصر ابن محفوظ هذه الواقعة .

وقد وجدتها أبسط من هذا فى وريقة وقعت لى ــ لا أعرف كاتبها ــ فيها : أن جماز بن شيحه أمير المدينة . تزوج خزيمة بنت أبى نمى ، و بنى بها فى ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة . ثم حاربه جماز ــ

المذكور ـ بعد ذلك ، وطلب من السلطان الملك المنصور : عسكراً . فسير عسكراً تقدمه أمير . يقال له : الجكاجكى . فتوجهوا إلى مكة وأخذوها ، وأخرجوا أبا نمى منها .

وخطب لجماز ، وضربت السكة باسمه . وذلك فى سنة سبع وثمانين . وبقيت فى يده مدة يسيرة .

ثم إن امرأة يقال لها : أم هجرس ، من صبايا خزيمة : سقت الأمير جماز سمًّا ، فاضطرب له جسمه ، وحصل من الجكاجكى : مراسلة إلى أبى نمى فى الباطن . فعرف جماز : أنه مغلوب . فرحل عن مكة . ووصل إلى المدينة ، وهو عليل من السم . فلم يزالوا يعالجونه حتى برىء . وأرسل الأمير جماز بالجكاجكى مقيداً إلى السلطان ، فحبسه . ولم يزل فى يد أبى نمى إلى أن توفى .

قلت : الملك المنصور ـ المشار إليه ـ هو : قلاوون الصالحى . ولعل سبب إنجاده لجماز على أبى نمى : عدم وفاء أبى نمى باليمين التى حلفها للمنصور قلاوون . ويبعد جداً أن يعين أحداً على أبى نمى مع وفاء أبى نمى باليمين المذكورة ؛ لأن الملوك تقنع من نوابهم بالطاعة ، وإظهار الحرمة سيما نواب الحجاز .

وهذه نسختها على ما وجدت فى تاريخ شيخنا ناصر الدين بن الفرات العدل الحنفى . وهى :

أخلصت يقينى ، وأصفيت طويتى ، وساويت بين باطنى وظاهرى فى : طاعة مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح ، وطاعة أولادهما ووارثى ملكهما : لا أضمر لهم سوءاً ولا غدراً فى نفس ، ولا مال ، ولا سلطنة .

وأنى : عدو لمن عاداهم ، صديق لمن صادقهم ، حرب لمن حاربهم ، سلم لمن سالمهم .

وأننى : لا يخرجنى عن طاعتهم طاعة أحد غيرهما ، ولا ألتفت فى ذلك إلى جهة غير جهتهما ، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر من هذا الأمر . ولا أشرك فى

تحـكيمهما عَلَىّ ولا على مكة المشرفة ، وحرمها ، وموقف حلها زيداً ولا عمراً .

وأننى : ألتزم ما اشترطته لمولانا السلطان ، وولده فى أمر الـكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر المحروسة ، وتعليقها على الـكعبة المشرفة فى كل موسم وأن لايتقدم علمه علم غيره .

وأننى : أسـبل زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج وغيرها للزائرين ، والطائفين ، والبادين ، والعاكفين اللائذين بحرمه ، والحاجين ، والواقفين .

وأننى : أجتهد فى حراستهم من كل عاد بفعله ، وقوله (٢٩ : ٦٧ و يتخطف الناس من حوله) .

وأننى : أؤمنهم فى شربهم ، وأعذب لهم مناهل شربهم .

وأننى ـ والله ـ : أستمر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصورى ، وأفعل فى الخدمة فعل المخلص الولى .

وأننى ـ والله ـ : أمتثل مراسيمه امتثال النائب للمستنيب ، وأكون لداعى أمره أول سامع مجيب .

وأننى : ألتزم بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها ، لا أنقضها . انتهى .

وكان حلف أبى نمى لهذه اليمين فى سنة إحدى وثمانين وستمائة ، على ماذكره شيخنا : العدل ناصر الدين بن الفرات .

وقد رأيت مايدل على : أن أبا نمى لم يف ببعض هذه اليمين . لأنى وجدت بخط ابن محفوظ :

أن فى آخر يوم من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة : خطب للملك المظفر صاحب اليمن ، وقطعت خطبة خليل بن المنصور بعد أن خطب له فى أولها .

وهذا إنما يصدر عن أبى نمى ، ولعل أبا نمى : تأول أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون لم يدخل فى يمينه المنصور وابنه الصالح ، لـكون الأشرف لم يسم فيها . فإن كان تأول ذلك ، فهو : تأويل غير مستقيم لدخوله فى قوله فى اليمين : وطاعة أولادهما .

وأظن أن الحامل لأبى نمى على تقديم صاحب اليمن على صاحب مصر : كون صلته أعظم من صلة صاحب مصر : لأن العاقل لا يفعل أمراً يلحقه فيه ضرر إلا لنفع أكبر . وكانت صلة صاحب اليمن لأبى نمى : عظيمة ، على ما وجدت فى مقدارها ، لأن بعض الناس ذكرها ، وذكر شيئا من حال صاحب اليمن بمكة ، وحال أبى نمى معه . وذلك مما يحسن ذكره هنا . ونص ذلك :

وقد كان الملك المؤيد لما تسلطن : جهز تلك السنة علمه المنصور ، ومحمل الحج السعيد . صحبة القائد ابن زاكى ، فتلقاه الشريف أبو نمى صاحب مكة بالإجلال والإكرام ، وخفقت ذوائب العلم المنصور على جبل التعريف بعرفة ، وأعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رءوس الأشهاد . وسمع تلك الأوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف ، وحلف للسلطان الملك المؤيد الأيمان الغليظة . وكتب على قميصه : مايقتضى ماجرت به العادة .

ووصل إلى الشريف ـ المذكور ـ ما اقتضته المواهب السلطانية مما كان قرره الخليفة : من العين ، والغلة ، والكساوى ، والطيب من المسك ، والعود ، والصندل ، والعنبر ، والثياب الملونة ، والخلع النفيسة .

وكان مبلغ العين : ثمانون ألف درهم ، و مبلغ الغلة : أربعمائة مد . انتهى من كتاب « العقود اللؤلؤية فى أخبار الدولة الرسولية » لبعض مؤرخى اليمن فى عصرنا .

والذى يصل لصاحب مكة من صاحب اليمن : نحو ربع ذلك أو أقل ، ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة : ألف غرارة ومائتا غرارة مكية . وذلك فى عصرنا .

والخليفة ـ المشار إليه ـ هو : الملك المظفر ، والد الملك المؤيد .

ووجدت بخط ابن محفوظ أيضاً :

أن أمير الركب فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة : استحلف أبا نمى على الرواح إلى مصر ، فأعطاه ألف دينـار . فعزم فى سنة ثلاث وتسعين ، ثم رجع من ينبع لما بلغه موت الأشرف . انتهى .

ووقع من أبى نمى فى حق الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر : ما أوجب انحرافه منه غير مرة .

منها : أن أبا نمى وعمه إدريس : أخرجا نائباً كان للملك الظاهر ، يقال له : مروان ، نائب أمير جاندار فى سنة ثمان وستين وستمائة . وكتب إليه الملك الظاهر غير مرة بالرضا عما ارتكبه أبو نمى مما لا ينبغى فعله .

منها : فى سنة خمس وسبعين وستمائة ، لأنى وجدت بخط الميورقى :

أهان الله ولاة مكة بكتاب من والى مصر يزجرهم فيه عن الجور فى آخر سنة خمس وسبعين وستمائة .

قلت : ووالى مصر فى هذا التاريخ : هو الظاهر بيبرس . ووالى مكة فى هذا التاريخ : هو أبو نمى .

ووجدت فى تاريخ شيخنا : ابن خلدون :

أنه كان بين أبى نمى ، وبين الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر منافرة . فكتب إليه الظاهر كتاباً منه :

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب أبى نمى محمد بن أبى سعد .

أما بعد : فإن الحسنة فى نفسها حسنة ، وهى من بيت النبوة : أحسن . والسيئة فى نفسها سيئة ، وهى من بيت النبوة : أوحش .

وقد بلغنا عنك أيها السيد : أنك آويت المجرم ، واستحللت دم المحرم ، ومن يهن الله فما له من مكرم . فإن لم تقف عند حدك وإلا أغمدنا فيك سيف جدك . والسلام .

فكتب إليه أبو نمى :

من محمد بن أبى سعد إلى بيبرس سلطان مصر .

أما بعد : فإن المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه ، فإن تأخذ : فيدك الأقوى . وإن تعفو : فهو أقرب للتقوى . والسلام . انتهى .

وبعض الناس يذكر فى كتاب بيبرس إلى أبى نمى غير ما سبق . وذكر : أنه كتب إليه يقول له :

إنه بلغنا عنك أيها السيد : أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة ، وفعلت مايحمر الوجه ، ويسود الصحيفة . انتهى .

ولعل ذلك كتب مع الألفاظ السابق ذكرها . فحفظ بعضهم الأول فقط ، وحفظ بعضهم الثانى فقط ، وظن ظان أنهما كتابان وهما واحد ، والله أعلم .

ووقع فى زمن أبى نمى فتن بعضها بينه وبين أمير الحاج ، وبعضها بين الحجاج وأهل مكة ذكرناها فى تأليفنا : « شفاء الغرام ومختصراته » ونشير هنا لشىء منها باختصار .

فمنها : أن أبا نمى : صدّ الحاج عن دخول مكة ، لوحشة بينه وبين أمير الحاج ، فنقب الحجاج السور ، وأحرقوا باب المعلاة ، ودخلوا مكة هجما بعد فرار أبى نمى منها .

وذلك فى موسم سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ومنها : أن فى سنة تسع وثمانين : حصل بين أهل مكة والحجاج فتنة فى المسجد الحرام ، قتل فيها من الفريقين فوق أربعين نفراً ـ فيما قيل ـ ونهبت الأموال . ولو أراد أبى نمى نهب الجميع لفعل إلا أنه تثبت .

وقد أثنى على أبى نمى غير واحد من العلماء مع ذكرهم لشىء من أخباره . منهم : الحافظ الذهبى . لأنه قال فى « ذيل سير النبلاء » فى ترجمة أبى نمى :

شيخ ضخم ، أسمر ، عاقل ، مايس ، فارس ، شجاع ، محتشم ، تملك مدة طويلة ، وله عدة أولاد ، وفيه مكارم وسؤدد .

وذكره لى أبو عبد الله الدباهى ، فأثنى . وقال : لولا المذهب لصلح للخلافة ، كان زيدياً كأهل بيته ، انتهى .

وقال القاضى : تاج الدين عبد الباقى اليمانى فى كتابه « بهجة الزمن فى تاريخ اليمن » بعد أن ذكر وفاة أبى نمى :

وكان أميراً ، كبيراً ، زعيما ، ذا بخت ، وحظ فى الإمرة ، يرغب إلى الأدب وسماعه ، وله الإجازات السنية للشعراء الوافدين عليه بإطلاق الخيل الأصايد فى مقابلة القصائد . انتهى .

وللأديب موفق الدين على بن محمد الحندودى فى أبى نمى ـ هذا ـ من قصيدة يمدحه بها ، أولها :

أقاتلتى بغير دم ظلامه ... أما قود لديك ولا غرامه
بخلت عليَّ منك بدرٍّ ثغر ... تقبله الأراكة والبشامه
ولو أن الفريق أطاع أمرى ... لما اختار الرحيل على الإقامة
وكم بالطعن يوم مضاحكات ... عدمنا من قلوب مستهامه
وبين أكلّة الحادين شمس ... قَرَعْتُ لبينها سنى ندامه

ومنها :

لقد جربت هذا الدهر حتى ... عرفت به السماح من الملامه
بريد إقامتى فيهم قويم ... ومالى بين أظهرهم إقامه
خداع ثمامة بن أثال فيهم ... معاينة وكذب أبى ثمامه

منها فى المدح :

وفى الحرم الشريف خضم جود ... كأن البحر أنحله النظامه
أما والحجر والحجرات منى ... وبيت الله ثالثه قسامه
لئن نزلت بسوح أبى نمى ... لقد نزلت على كعب بن مامه

بأبلج أين منه البدر نورا　　وحسناً فى الجمال وفى الوسامه
وذو كرم وزنت الناس طراً　　بخنصره فما وزنوا قلامه

منها :

أبا المهدى كم لك من إياد　　كشفت بها عن الصادى أوَامَه
وكم لك من وقائع ذكرتنا　　بوقعة خالد يوم اليمامه
عمرت تهامة بالعدل حتى　　تمنت نجد لو كانت تهامة
حقيق أن يسال بك المصلى　　ويدعو فى الأذان وفى الإقامة
وأن تعطى القضيب وأى حق　　لغيرك فى القضيب وفى الإمامة

وقد مدحه الأديب عبد الواحد القيروانى ـ الآتى ذكره ـ بأشعار حسنة ، أجاد فيها عنه .

ونظم كثيراً ، على ما نقله الصلاح الصفدى ، عن أبى حيان .

ووقفت له فى بعض المجاميع على قصيدة جيدة يمدحه بها ، أولها :

خليلى هيا فانظر ذلك البرقا　　تبدى لنا يهفو على طرف البرقا
فمن مبلغ عنى بلادى وأهلها　　ولم تأل لى عنهم غوادى النوى سحقا
بأنى لم أنفك للخرق قاطعاً　　إلى أن وصلت السيد الملك الخرقا
وأن صروف الدهر عنى تماسكت　　لأنى قد استمسكت بالعروة الوثقا
نداً لأبى المهدى هديت لنيله　　وأحرزت ماقد جل منه وما دقا
وطلقت أمراً لهم حين لقيته　　وقابلت فى ساحته وجهه الطلقا
هو ابن أبى سعد الزكى ولاده　　ولم يزك فرعاً غير من قد زكا عرقا
من القوم يستشفى بمسح أكفهم　　لداء ومنها أو بها الغيث يستسقا
لهم كرم سهل المنال وإنما هم　　شرف وعز المسالك والمرقا

وسيأتى غزلها فى ترجمته .

ومدحه قاضى مكة : نجم الدين الطبرى بقصيدتين . إحداهما : نونية بليغة ـ

على مابلغنى ــ ولم أقف عليها . والأخرى : عينية . سيأتى ذكرها فى ترجمة القاضى نجم الدين الطبرى ، أولها :

أمفرقاً جمع الخزاين إذ عدا كرماً لمفترق المحامد يجمع

و بلغنى : أنه لما مات أبو نمى : امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصى من الصلاة عليه . فرأى فى المنام السيدة فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها ، وهى بالمسجد الحرام والناس يسلمون عليها . فجاء ليسلم . فأعرضت عنه ــ ثلاث مرات ــ ثم إنه تحامل عليها ، وسألها عن سبب إعراضها عنه . فقالت له : يموت ولدى ولا تصلى عليه ؟ فقال لها ــ ما معناه ــ : أنه ظالم . انتهى بالمعنى .

وذكر اليافعى فى تاريخه نقلا عن حميضة بن أبى نمى أنه قال : إن لأبيه خمس خصال : العز ، والعلم ، والكرم ، والشجاعة ، والشعر . انتهى .

ومن شعر أبى نمى على ما ذكر بيبرس الدوادار فى تاريخه . وذكر : أنه كتب به إلى الملك المنصورى لما تسلطن بعد الملك العادل كتبغا المنصورى فى سنة ست وتسعين وستمائة .

أما وتعادى المقربات الشوارب بفرسانها فى ضيق ضنك المقانب
وبالجحفل الجرار أفرط جمعه كأسراب كدرى فى سوار قوارب
و بالزرد الموصوف ضمت عصو به على كل ماضى العزم خيف المحارب
و بالبيض والبيض الرقاق ألية لبتر عداتى حلفه غير كاذب
لقد نصر الإسلام بالملك الذى ترعرع من شيم الملوك السناجب
حسام الهدى والدين منصوره الذى رقا فى سماء المجد أعلى المراتب
ملوك جهات الأرض يعفوا لعزه فرهو بها من سيفه أى راهب
تفرد بالملك العظيم فلم تزل له خضعاً صيد الملوك الأغالب
مضى كتبغا خوف الحمام وقد أتت إليه أسود الخيل من كل جانب
وأحييته بالعفو منك وزدته لباس أمان من عقاب العواقب

وأحرزت ملك الأرض بالسيف عنوة وعبدت من فى شرقها والمغارب
توليت هـذا الامر فى خير طالع لأسعد نجم فى السعادة ثاقب

وكان لأبى نمى هـذا من الأولاد الذكور : أحد وعشرون ذكراً ، واثنى عشر أنثى . على ماذكر الشهاب أحمد بن عبد الوهاب النويرى فى تاريخه .

وذكر : أنه مات عن هذا العدد ، وعن أربع زوجات لم يسم أحداً من الأولاد . والذى عرفت اسمه من أولاد أبى نمى : حسان ، وحمزة ، وحميضـة ، وراجح ، ورميثة ، وزيد ، وزيد آخر ، وسيف ، وشميلة الشاعر ، وعبد الله له ذرية بالعراق ، وعبد الـكريم ، وعاطف ، وعطاف ، وعطيفة ، ومقبل ، ولبيدة ومنصور ، ومهدى ، ونمى ، وأبو دعيج ، وأبو سعد ، وأبو سويد ، وأبو الغيث . وآخرهم وفاة : سيف . وهى تدل على : أنهم ثلاثة وعشرون ذكراً .

وأظن : أن نمى ليس ولداً لأبى نمى ، وإنما كنى به لمعنى آخر فظن ظان : أنه كنى بذلك ، لأن له ولداً يسمى : نمياً . والله أعلم .

وما ذكرناه فى عددهم يوهم خلاف ماذكره النويرى فى عددهم . ويمكن التوفيق : بأن يكون الزائد على ماذكره النويرى : مات قبل أبى نمى والله أعلم .

أخبرنى بمجموع ما ذكرته من أسماء أولاد أبى نمى غير واحد من أشياخنا وغيرهم . وليس كل منهم أخبرنى بهذه الأسماء ، وإنما كل منهم ذكر لى بعضها ، فتحصل لى من مجموع ما قالوه هذه الأسماء .

وذكر النويرى : أنه توفى فى رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة .

وذكر وفاته فى هذا التاريخ : قاضى مكة نجم الدين الطبرى ، بزيادة فوائد تتعلق بأبى نمى هذا . ولنذكر كلامه بنصـه لذلك . قال ــ فى كتاب كتبه إلى بعض أهل اليمن بخطه ، يخبر فيه بوفاة أبى نمى ، وغير ذلك ــ :

أن أبا نمى حم فى ليلة الأحد العشرين من المحرم . وكان معه خراج فى مقاعده ، وفى مواضع من بدنه ، فلم يزل مريضاً حتى مات فى يوم الأحد رابع صفر

وغسل بالحديد ، وحمل فى محمل . ودخل به إلى مكة من درب الثنية ، وطيف به حول البيت ، وخرج به من درب المعلاة ، ودفن خارجاً عن قبة أبيه وجده الأعلى ، وهو : قتادة .

وكان أميراً عظيما . وحصل بالوادى و بمكة من الحزن والبكاء والضجيج ما لم يرمثله . فسبحان الحى الذى لايموت ، لاإله إلا الله الحى القيوم . انتهى .

ورأيت فى «ذيل سير النبلاء» للذهبى فى ترجمة أبى نمى : أنه توفى فى ذى الحجة سنة إحدى وسبعمائة . انتهى .

وهذا وهم من الذهبى إن لم يكن من الناسخ ، لأن القاضى نجم الدين قاضى مكة قال : إنه توفى فى يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة . وهو أقعد الناس بمعرفة ذلك ، فيعتمد قوله فيه . كيف وما ذكره النويرى فى تاريخ وفاة أبى نمى يعضد قول نجم الدين الطبرى .

وذكر الذهبى : أنه كان فى أثناء السبعين . انتهى .

١٤٥ — محمد بن حسن بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلّم ـ بتشديد اللام ـ العدنانى ، الحلوى .

يلقب : بالجمال . ويعرف : بابن العليف الشاعر .

نزيل مكة .

وكان كثير الشعر يقع له فيه أشياء مستحسنة ، وكانوا يغلوا فى استحسانها ، بحيث يفضل نفسه فيها على المتنبى وأبى تمام . وعيب عليه ذلك مع أشعار له تدل على غلوه فى التشيع .

وكان بينه و بين يحيى النشوشا ، شاعر مكة مهاجاة . أقرع فيها النشوشا عليه .

وله مدائح كثيرة فى جماعة من الأعيان . منهم : الأشرف صاحب اليمن ، والإمام صلاح بن على الزيدى صاحب صنعاء ، وأمراء مكة : الشريف عجلان

ابن رميثة ، وأولاده الأمراء شهاب الدين أحمد ، وعلاء الدين على ، و بدر الدين حسن ، وابن عمهم عنان ابن مغامس .

وأجازه عنان على بعض قصائده فيه . وهى التى أولها :

* بروج زاهـــــــرات أو مغانى *

بثمانية وعشرين ألف درهم على ما بلغنى .

ونال — أيضاً — من الشريف حسن : صلات جيدة . وله فيه مدائح كثيرة حسنة .

وانقطع إليه فى آخر عمره نحو اثنتى عشرة سنة ، حتى مات بمكة فى ليلة الجمعة سابع رجب سنة خمس عشرة وثمانمائة . ودفن فى صبيحتها بالمعلاة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بحلى .

وكان يتردد إلى مكة ، وسمع بها فى بعض قدماته من القاضى عز الدين بن جماعة : بعض أربعينه المتباينة ، ولم يحدث .

كتبت عنه أشيـــاء من شعره غاب عنى الآن أكثرها . منها — فى غالب الظن — قوله فى الإمام صلاح بن على من قصيدة ، وأنشدنى ذلك عنه غير واحد ممن سمعه منه :

ياوجه آل محمد فى وقتـــــــه	لم يُبق بعـــدك منهم الأفقـا
لو كانت الأبرار آل محمـــد	كتب العلوم لـكنت منها المصحفا
أو كانت الأبرار آل محمـــد	الأنبيـاء لكنت منها المصطفـا
أو كانت الأسباط آل محمـد	يابن الرسول لـكنت فيهم يوسفا

١٤٦ — محمد بن الحسن الفهري أبو عبد الله المـكى .

الشاعر ، المنجم .

ذكره القطب الحلبى فى تاريخ مصر . وقال : قدم مصر .

وروى بسنده إلى أبى الفرج غيث بن على المنصورى : أنه سأله عن مولده . فقال : سنة تسعين . وأراده أهل مصر أن يحدث . فقال : شاعر منجم ، لا يصلح لى هذا . ولم يحدث .

وأنشد له غيث شعرا .

توفى فى رجب سنة أربع وستين وأربعمائة .

ذكره ابن ميسر . انتهى .

١٤٧ — محمد بن حسن بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن على القيسى .

يكنى : أبا عبد الله ، ويعرف : بابن الزين القسطلانى .

سمع من : الزين الطبرى وغيره من شيوخ أخيه شيخنا أحمد بن حسن بن الزين القسطلانى ـ الآتى ذكره .

وأجاز له أيضاً : جماعة من شيوخه . وما علمته حدث .

وتوفى فى سنة سبعين وسبعمائة .

١٤٨ — محمد بن حسن بن الزين القسطلانى المكى .

أخو : أبى عبد الله السابق .

يلقب : محب ، كذا سماه محمد بن أيبك السروجى فى إجازة فيها اسمه واسم أخويه أبى عبد الله وأحمد . أجاز لهما فيها جماعة من شيوخ مصر والشام ، سبق ذكرهم فى ترجمة شيخنا : الشريف أبى الفتح الفاسى .

ووجدت بخط أبيه فى بعض سماعاته : تسميته بعمر . فسمع من : الزين الطبرى وغيره من شيوخ أخيه أحمد .

وتوفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة .

١٤٩ — محمد بن الحسن ، الناصح ، الحنفى ، الطبرى .

يكنى : أبا جعفر .

ويلقب : ركن الدين .

توفى يوم الجمعة عاشر ذى الحجة سنة أربع وعشرين وخمسمائة بمنى . ودفن بالمعلاة .

ومن حجر قبره نقلت ما ذكرته ، وترجم فيه بالغريب ، الشهيد ، الشيخ ، الإمام .

تم الجزء الأول من « العقد الثمين » طبعاً وتصحيحاً جهد الطاقة ، بغاية الدقة ، والمراجعة ، والتحرى بمطبعة السنة المحمدية ، فى غرة المحرم سنة ١٣٧٩ هجرية .

ويليه إن شاء الله الجزء الثانى ، وأوله « من اسمه محمد بن الحسين » .

والله الموفق والمعين على الإكمال .

والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه وصفوه عباده ، خاتم المرسلين محمد وعلى آله أجمعين .

فهرس

الجزء الأول من العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين